مجاني الأدب

في

حدائق العرب

المطبعة الكاثوليكية - بيروت

مجاني الأدب
في
حدائق العرب

للأب لويس شيخو اليسوعي

الجزء الخامس

المطبعة الكاثوليكية
بيروت

الباب الأول
في التديّن

عظمة الخالق وجبروته والاخلاص له تعالى

١ الحمد لله العظيم شأنه القوي سلطانه. الظاهر إحسانه. الباهر حجته وبرهانه. المحتجب بالجلال. والمنفرد بالكمال. والمرتدي بالعظمة في الآباد والآزال. لا يصوره وهم وخيال. ولا يحصره حد ومثال. ذي العز الدائم السرمدي. والملك القائم الديمومي. والقدرة الممتنع إدراك كنهها. والسطوة المستوعر طريق استيفاء وصفها. نطقت الكائنات بأنه الصانع المبدع. ولاح من صفحات ذرات الوجود بأنه الخالق المخترع. وسم عقل الإنسان بالعجز والنقصان. وألزم فصيحات الألسن وصف الحصر في حلبة البيان. وأحرقت سبحات وجهه الكريم أجنحة طائر الفهم. وسدت تعززا وإجلالا مسالك الوهم. وأطرق طامح البصيرة تعظيما وإجلالا. ولم يجد من فرط الهيبة في فضل الجبروت مجالا. فعاد البصر كليلا. والعقل عليلا. ولم ينتهج إلى كنه الكبرياء سبيلا. فسبحان من عز معرفته لولا تعريفه. وتعذر على العقول تحديده وتكييفه. ثم ألبس قلوب الصفوة من عباده ملابس العرفان. وخصهم من بين عباده بخصائص الإحسان. فصارت ضمائرهم من

مَوَاهِبِ ٱلْأُنْسِ مَمْلُوءَةً . فَتَهَيَّأَتْ لِقَبُولِ ٱلْأَمْدَادِ ٱلْقُدْسِيَّةِ . وَٱسْتَعَدَّتْ لِوُرُودِ ٱلْأَنْوَارِ ٱلْعُلْوِيَّةِ . وَٱتَّخَذَتْ مِنَ ٱلْأَنْفَاسِ ٱلْعَطِرَةِ بِٱلْأَذْكَارِ جُلَّاسًا . وَأَقَامَتْ عَلَى ٱلظَّاهِرِ وَٱلْبَاطِنِ مِنَ ٱلتَّقْوَى حُرَّاسًا . وَأَشْعَلَتْ فِي ظُلَمِ ٱلْبَشَرِيَّةِ مِنَ ٱلْيَقِينِ نِبْرَاسًا . وَٱسْتَحْقَرَتْ فَوَائِدَ ٱلدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا . وَأَنْكَرَتْ مَصَايِدَ ٱلْهَوَى وَتَبِعَاتِهَا . وَٱمْتَطَتْ غَوَارِبَ ٱلرَّغَبُوتِ وَٱلرَّهَبُوتِ . وَٱسْتَفْرَشَتْ بِعُلُوِّ هِمَّتِهَا بِسَاطَ ٱلْمَلَكُوتِ . وَٱمْتَدَّتْ إِلَى ٱلْمَآلِ أَعْنَاقُهَا . وَطَمَحَتْ إِلَى ٱللَّامِعِ ٱلْعُلْوِيِّ أَحْدَاقُهَا . وَٱتَّخَذَتْ مِنَ ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَى مُسَامِرًا وَمُحَاوِرًا . وَمِنَ ٱلنُّورِ ٱلْأَغَرِّ ٱلْأَقْصَى مُزَاوِرًا وَمُجَاوِرًا . أَجْسَادٌ أَرْضِيَّةٌ بِقُلُوبٍ سَمَاوِيَّةٍ وَأَشْبَاحٌ فَرْشِيَّةٌ . بِأَرْوَاحٍ عَرْشِيَّةٍ . نُفُوسُهُمْ فِي مَنَازِلِ ٱلْخِدْمَةِ سَيَّارَةٌ . وَأَرْوَاحُهُمْ فِي فَضَاءِ ٱلْقُرْبِ طَيَّارَةٌ . مَذَاهِبُهُمْ فِي ٱلْعُبُودِيَّةِ مَشْهُورَةٌ . وَأَعْلَامُهُمْ فِي أَقْطَارِ ٱلْأَرْضِ مَنْشُورَةٌ . يَقُولُ ٱلْجَاهِلُ بِهِمْ فُقِدُوا وَمَا فُقِدُوا . وَلَكِنْ سَمَتْ أَحْوَالُهُمْ فَلَمْ يُدْرَكُوا . وَعَلَا مَقَامُهُمْ فَلَمْ يُمْلَكُوا . كَائِنِينَ بِٱلْجُثْمَانِ . بَائِنِينَ بِقُلُوبِهِمْ عَنْ أَوْطَانِ ٱلْحِدْثَانِ . لِأَرْوَاحِهِمْ حَوْلَ ٱلْعَرْشِ تَطْوَافٌ . وَلِقُلُوبِهِمْ مِنْ خَزَائِنِ ٱلْبِرِّ إِسْعَافٌ . يَتَنَعَّمُونَ بِٱلْخِدْمَةِ فِي ٱلدَّيَاجِرِ . وَيَتَلَذَّذُونَ مِنْ وَهَجِ ٱلظَّمَا بِظَمَإِ ٱلْهَوَاجِرِ . سَلَوْا بِٱلصَّلَوَاتِ عَنِ ٱلشَّهَوَاتِ . وَتَعَوَّضُوا بِحَلَاوَةِ ٱلتِّلَاوَةِ عَنِ ٱللَّذَّاتِ . يَلُوحُ مِنْ صَفَحَاتِ وُجُوهِهِمْ بِشْرُ ٱلْوِجْدَانِ وَيَنِمُّ عَلَى مَكْنُونِ سَرَائِرِهِمْ نَضَارَةُ ٱلْعِرْفَانِ . لَا يَزَالُ فِي كُلِّ عَصْرٍ مِنْهُمْ عَلَّامُونَ بِٱلْحَقِّ . دَاعُونَ لِلْخَلْقِ . مَنَحُوا بِحُسْنِ ٱلْمُتَابَعَةِ رُتْبَةَ ٱلدَّعْوَةِ

وجعلوا للمتقين قدوة فلا يزال تظهر في الخلق آثارهم. وتزهر في الآفاق أنوارهم. من اقتدى بهم اهتدى. ومن أنكرهم ضل واعتدى. فلله الحمد على ما هيأ للعباد. من بركة خواص حضرته من أهل الوداد (عوارف المعارف للسهروردي)

٢ قال أمية بن أبي الصلت في الخالق سبحانه:

إله العالمين وكل أرض ... ورب الراسيات من الجبال
بناها وابتنى سبعاً شداداً ... بلا عمد يرين ولا رجال
وسواها وزينها بنور ... من الشمس المضيئة والهلال
ومن شهب تلألأ في دجاها ... مراميها أشد من النصال
وشق الأرض فانبجست عيوناً ... وأنهاراً من العذب الزلال
وبارك في نواحيها وزكّى ... بها ما كان من حرث ومال
فكل معمر لا بد يوماً ... وذي دنيا يصير إلى زوال
ويفنى بعد جدته ويبلى ... سوى الباقي المقدس ذي الجلال
وسيق المجرمون وهم عراة ... إلى ذات المقامع والنكال
فنادوا ويلنا ويلا طويلا ... وعجوا في سلاسلها الطوال
فليسوا ميتين فيستريحوا ... وكلهم بحر النار صالي
وحل المتقون بدار صدق ... وعيش ناعم تحت الظلال
لهم ما يشتهون وما تمنوا ... من الأفراح فيها والكمال

صفاتهُ تعالى

٣ هُوَ ٱللهُ ٱلظَّاهِرُ بِآيَاتِهِ. أَلْبَاطِنُ بِذَاتِهِ. أَلْقَرِيبُ بِرَحْمَتِهِ. أَلْبَعِيدُ بِعِزَّتِهِ. أَلْكَرِيمُ بِآلَائِهِ. أَلْعَظِيمُ بِكِبْرِيَائِهِ. أَلْقَادِرُ فَلَا يُمَانَعُ. وَٱلْقَاهِرُ فَلَا يُنَازَعُ. وَٱلْعَزِيزُ فَلَا يُضَامُ. وَٱلْمَنِيعُ فَلَا يُرَامُ. وَٱلْمَلِيكُ ٱلَّذِي لَهُ ٱلْأَقْضِيَةُ وَٱلْأَحْكَامُ. أَلَّذِي تَفَرَّدَ بِٱلْبَقَاءِ. وَتَوَحَّدَ بِٱلْعِزَّةِ وَٱلسَّنَاءِ. وَٱسْتَأْثَرَ بِأَحَاسِنِ ٱلْأَسْمَاءِ. وَدَلَّ عَلَى قُدْرَتِهِ بِخَلْقِ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَاءِ. كَانَ وَلَا مَكَانَ وَلَا زَمَانَ وَلَا بُنْيَانَ. وَلَا مَلَكَ وَلَا إِنْسَانَ. فَأَنْشَأَ ٱلْمَعْدُومَ إِبْدَاعًا. وَأَحْدَثَ مَا لَمْ يَكُنْ إِنْشَاءً وَٱخْتِرَاعًا. جَلَّ وَتَعَالَى فِيمَا خَلَقَ عَنِ ٱحْتِذَاءِ صُورَةٍ وَٱسْتِدْعَاءِ مَشُورَةٍ. وَٱقْتِفَاءِ رَسْمٍ وَمِثَالٍ. وَٱفْتِقَارٍ إِلَى نَظَرٍ قِيَاسٍ وَٱسْتِدْلَالٍ. فَفِي كُلِّ مَا أَبْدَعَ وَصَنَعَ وَفَطَرَ وَقَدَّرَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ ٱلْوَاحِدُ بِلَا ظَهِيرٍ وَٱلْقَادِرُ بِلَا نَصِيرٍ. وَٱلْعَالِمُ بِلَا تَبْصِيرٍ وَتَذْكِيرٍ. وَٱلْحَكِيمُ بِلَا رَوِيَّةٍ وَتَفْكِيرٍ. وَٱلْحَيُّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَبِيَدِهِ ٱلْخَيْرُ. وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. رَفَعَ ٱلسَّمَاءَ عِبْرَةً لِلنُّظَّارِ. وَعِلَّةً لِلظُّلَمِ وَٱلْأَنْوَارِ. وَسَبَبًا لِلْغُيُوثِ وَٱلْأَمْطَارِ. وَحَيَاةً لِلْمُحُولِ وَٱلْقِفَارِ. وَمَعَاشًا لِلْوُحُوشِ وَٱلْأَطْيَارِ. وَوَضَعَ ٱلْأَرْضَ مِهَادًا لِلْأَبْدَانِ. وَقَرَارًا لِلْحَيَوَانِ. وَفِرَاشًا لِلْجُنُوبِ وَٱلْمَضَاجِعِ. وَبِسَاطًا لِلْمَكَاسِبِ وَٱلْمَنَافِعِ. وَذَلُولًا لِطُلَّابِ ٱلرِّزْقِ وَأَرْبَابِ ٱلصَّنَائِعِ. وَأَشْخَصَ ٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا رَاسِيَةً وَأَعْلَامًا بَادِيَةً. وَعُيُونًا جَارِيَةً. وَأَرْحَامًا لِأَجِنَّةِ ٱلْأَعْلَاقِ حَاوِيَةً. وَجَعَلَ ٱلْبِحَارَ مَغَايِضَ لِفُضُولِ ٱلْأَنْهَارِ. وَمَغَايِرَ لِسُيُولِ

الأمطار. ومراكب لرفاق التجار. ومضارب لمصالح الأمصار. ومناهج الأوطار. تحوي من الدر والمرجان نباتاً. وتنبع من بين الملح الأجاج عذباً فراتاً. وتقذف للآكلين لحماً طرياً. وتحمل للابسين جواهر وحلياً. واستخلف على عمارة عالمه من أنجبهم من خلقه وآثرهم بإلهامه. ودبرهم بأوامره وأحكامه (لابي نصر العتبي)

٤ قصيدة ابي محمد بن السيد البطليوسي في التوحيد

إلاهي إني شاكر لك حامد ... وإني لساع في رضاك وجاهد
وإنك مهما زلت النعل بالفتى ... على العائد التواب بالعفو عائد
تباعدت مجداً وادنيت تعطفاً ... وحلماً فأنت المدني المتباعد
وما لي على شيء سواك معول ... إذا دهمتني المعضلات الشدائد
أغيرك أدعو لي إلاهاً وخالقاً ... وقد أوضح البرهان أنك واحد
وقدماً دعا قوم سواك فلم يقم ... على ذاك برهان ولا لاح شاهد
وبالفلك الدوار قد ضل معشر ... وللنيرات السبع داع وساجد
وللعقل عباد وللنفس شيعة ... وكلهم عن منهج الحق حائد
وكيف يضل القصد ذو العلم والنهى ... ونهج الهدى من كان نحوك قاصد
وهل في الذي طاعوا له وتعبدوا ... لأمرك عاص أو لحقك جاحد
وهل يوجد المعلول من غير علة ... إذا صح فكر أو رأى الرشد راشد
وهل غبت عن شيء فينكر منكر ... وجودك أم لم تبد منك الشواهد
وفي كل معبود سواك دلائل ... من الصنع تبدي أنه لك عابد

وَكُلُّ وُجُودٍ عَنْ وُجُودِكَ كَائِنٌ فَوَاجِدُ أَصْنَافِ ٱلْوَرَى لَكَ وَاجِدُ
سَرَتْ مِنْكَ فِيهَا وَحْدَةٌ لَوْ مَنَعْتَهَا لَأَصْبَحَتِ ٱلْأَشْيَاءُ وَهْيَ بَوَائِدُ
وَكَمْ لَكَ فِي خَلْقِ ٱلْوَرَى مِنْ دَلَائِلٍ يَرَاهَا ٱلْفَتَى فِي نَفْسِهِ وَيُشَاهِدُ
كَفَى مُكَذِّبًا لِلْجَاحِدِينَ نُفُوسُهُمْ تُخَاصِمُهُمْ إِنْ أَنْكَرُوا وَتُعَانِدُ

٥ لأُمَيَّة بن أبي الصلت النصراني في الكمالات الالهية

لَكَ ٱلْحَمْدُ وَٱلنَّعْمَاءُ وَٱلْمُلْكُ رَبَّنَا فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْكَ مَجْدًا وَأَمْجَدُ
مَلِيكٌ عَلَى عَرْشِ ٱلسَّمَاءِ مُهَيْمِنٌ لِعِزَّتِهِ تَعْنُو ٱلْوُجُوهُ وَتَسْجُدُ
عَلَيْهِ حِجَابُ ٱلنُّورِ وَٱلنُّورُ حَوْلَهُ وَأَنْهَارُ نُورٍ حَوْلَهُ تَتَوَقَّدُ
فَلَا بَصَرٌ يَسْمُو إِلَيْهِ بِطَرْفِهِ وَدُونَ حِجَابِ ٱلنُّورِ خَلْقٌ مُؤَيَّدُ
مَلَائِكَةٌ أَقْدَامُهُمْ تَحْتَ عَرْشِهِ بِكَفَّيْهِ لَوْلَا ٱللهُ كَلُّوا وَأَبْلَدُوا
قِيَامٌ عَلَى ٱلْأَقْدَامِ عَانِينَ تَحْتَهُ فَرَائِصُهُمْ مِنْ شِدَّةِ ٱلْخَوْفِ تُرْعَدُ
وَسِبْطٌ صُفُوفٌ يَنْظُرُونَ قَضَاءَهُ يُصِيخُونَ بِٱلْأَسْمَاعِ لِلْوَحْيِ رُكَّدُ
أَمِينٌ لِوَحْيِ ٱلْقُدْسِ جِبْرِيلُ فِيهِمِ وَمِيكَالُ ذُو ٱلرُّوحِ ٱلْقَوِيِّ ٱلْمُسَدَّدُ
وَحُرَّاسُ أَبْوَابِ ٱلسَّمَاوَاتِ دُونَهُمْ قِيَامٌ عَلَيْهَا بِٱلْمَقَالِيدِ رُصَّدُ
فَنِعْمَ ٱلْعِبَادُ ٱلْمُصْطَفَوْنَ لِأَمْرِهِ وَمِنْ دُونِهِمْ جُنْدٌ كَثِيفٌ مُجَنَّدُ
مَلَائِكَةٌ لَا يَفْتُرُونَ عِبَادَةً كَرُوبِيَّةٌ مِنْهُمْ رُكُوعٌ وَسُجَّدُ
فَسَاجِدُهُمْ لَا يَرْفَعُ ٱلدَّهْرَ رَأْسَهُ يُعَظِّمُ رَبًّا فَوْقَهُ وَيُمَجِّدُ
وَرَاكِعُهُمْ يَحْنُو لَهُ ٱلدَّهْرَ خَاشِعًا يُرَدِّدُ آلَاءَ ٱلْإِلٰهِ وَيَحْمَدُ
وَمِنْهُمْ مُلِفٌّ فِي ٱلْجَنَاحَيْنِ رَأْسَهُ يَكَادُ لِذِكْرَى رَبِّهِ يَتَفَصَّدُ

مِنَ الْخَوْفِ لا ذُو سَأْمَةٍ بِعِبَادَةٍ ... وَلا هُوَ مِنْ طُولِ التَّعَبُّدِ يَجْهَدُ
وَدُونَ كَثِيفِ الْمَاءِ فِي غَامِضِ الْهَوَا ... مَلائِكَةٌ تَنْحَطُّ فِيهِ وَتَصْعَدُ
وَبَيْنَ طِبَاقِ الْأَرْضِ تَحْتَ بُطُونِهَا ... مَلائِكَةٌ بِالْأَمْرِ فِيهَا تَرَدَّدُ
فَسُبْحَانَ مَنْ لا يَعْرِفُ الْخَلْقُ قَدْرَهُ ... وَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ فَرْدٌ مُوَحَّدُ
وَمَنْ لَمْ تُنَازِعْهُ الْخَلائِقُ مُلْكَهُ ... وَإِنْ لَمْ تُفَرِّدْهُ الْعِبَادُ فَمُفْرَدُ
مَلِيكُ السَّمَاوَاتِ الشِّدَادِ وَأَرْضِهَا ... وَلَيْسَ لِشَيْءٍ عَنْ قَضَاهُ تَأَوُّدُ
هُوَ اللهُ بَارِي الْخَلْقِ وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ ... إِمَاءٌ لَهُ طَوْعًا جَمِيعًا وَأَعْبُدُ
وَأَنَّى يَكُونُ الْخَلْقُ كَالْخَالِقِ الَّذِي ... يَدُومُ وَيَبْقَى وَالْخَلِيقَةُ تَنْفَدُ
وَلَيْسَ لِمَخْلُوقٍ مِنَ الدَّهْرِ جِدَّةٌ ... وَمَنْ ذَا عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ يَخْلُدُ
وَتَفْنَى وَلا يَبْقَى سِوَى الْوَاحِدِ الَّذِي ... يُمِيتُ وَيُحْيِي دَائِبًا لَيْسَ يَهْمَدُ
تُسَبِّحُهُ الطَّيْرُ الْجَوَانِحُ فِي الْخَفَى ... وَإِذْ هِيَ فِي جَوِّ السَّمَاءِ تَصَعَّدُ
وَمِنْ خَوْفِ رَبِّي سَبَّحَ الرَّعْدُ فَوْقَنَا ... وَسَبَّحَهُ الْأَشْجَارُ وَالْوَحْشُ أُبَّدُ
وَسَبَّحَهُ النِّينَانُ وَالْبَحْرُ زَاخِرًا ... وَمَا ضَمَّ مِنْ شَيْءٍ وَمَا هُوَ مُقْلَدُ
أَلا أَيُّهَا الْقَلْبُ الْمُقِيمُ عَلَى الْهَوَى ... إِلَى أَيِّ حِينٍ مِنْكَ هَذَا التَّصَدُّدُ
عَنِ الْحَقِّ كَالْأَعْمَى الْمُمِيطِ عَنِ الْهُدَى ... وَلَيْسَ يَرُدُّ الْحَقَّ إِلَّا مُفَنَّدُ
وَحَالاتِ دُنْيَا لا تَدُومُ لِأَهْلِهَا ... وَبَيْنَا الْفَتَى فِيهَا مَهِيبٌ مُسَوَّدُ
إِذِ انْقَلَبَتْ عَنْهُ وَزَالَ نَعِيمُهَا ... وَأَصْبَحَ مِنْ تُرْبِ الْقُبُورِ يُوَسَّدُ
وَفَارَقَ رُوحًا كَانَ بَيْنَ جَنَانِهِ ... وَجَاوَرَ مَوْتَى مَا لَهُمْ مُتَرَدَّدُ
فَأَيُّ فَتًى قَبْلِي رَأَيْتُ مُخَلَّدًا ... لَهُ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ مَا يَتَوَدَّدُ

ومن يبتليه الدهر منه بعثرة ... سيكبو لها والنائبات تردد
فلم تسلم الدنيا وإن ظن أهلها ... بصحتها والدهر قد يتجدد
ألست ترى فيما مضى لك عبرة ... فمه لا تكن يا قلب أعمى يلدد
فكن خائفاً للموت والبعث بعده ... ولا تك ممن غره اليوم أو غد
فإنك في دنيا غرور لأهلها ... وفيها عدو كاشح الصدر موقد

٦ وسيلة الى الله تعالى لعبد الرحيم البرعي

لي في نوالك يا مولاي آمال ... من حيث لا ينفع الأهلون والمال
أوصي إليك لعلمي أن لطفك بي ... دون الورى لم يحل عني إذا حالوا
فارض عني خصومي واقض يا أملي ... ديني فإن حقوق الخلق أثقال
ولم يضق بي منك العفو إن ختمت ... لي بالشهادة أقوال وأفعال
كن لي إذا أغمضوا عيني وانصرفوا ... باكين أسمع منهم كل ما قالوا
وامنن بروح وريحان علي إذا ... ضاق الخناق فهول الموت أهوال
وجاءني ملك الموت الموكل بي ... وبالنفوس فللأعمار آجال
واستخرج النفس أملاك مطهرة ... لها إلى لطفك المأمول ترحال
جاؤا إليك بها يا رب يقدمها ... لحضرة القدس جبريل وميكال
ثم انثنت عن قريب نحو مغتسل ... في حيث يرجوك مغسول وغسال
وليس لي ولمثلي غير جودك يا ... من لا يدانيه أشباه وأمثال
أصبحت بين يديك اليوم مطرحاً ... ولي بنفسي عن الأغيار إشغال
فأولني يا غفور العفو منك فلا ... يبق علي من الأوزار مثقال

وَإِنْ نَزَلْتُ إِلَى بَيْتِ الْخَرَابِ وَلَا   أَبٌ هُنَاكَ وَلَا عَمٌّ وَلَا خَالُ
أَلْهِمْنِي يَا خَالِقِي ذِكْرَ الْجَوَابِ فَفِي   ذَاكَ الْمَقَامِ جَوَابَاتٌ وَتَسْآلُ
هُنَاكَ لَا أَمَلٌ يُرْجَى وَلَا عَمَلٌ   يُجْزِي وَلَا حِيلَةٌ عِنْدِي فَأَحْتَالُ
فَافْتَحْ لِرُوحِي إِلَى الْفِرْدَوْسِ بَابَ رِضًا   يُهْدِي رِيَاحَ رِيَاضٍ ظِلُّهَا ضَالُ
وَالْطُفْ وَرَائِي بِأَطْفَالٍ وَأُمِّهِمِ   إِنْ كَانَ خَلْفِي أُوَيْلَادٌ وَأَطْفَالُ
حَتَّى إِذَا نُشِرَ الْأَمْوَاتُ وَارْتَعَدَتْ   فَرَائِصُ الْخَلْقِ مِنْ بَعْضِ الَّذِي نَالُوا
وَعَادَتِ الرُّوحُ فِي الْجِسْمِ الضَّعِيفِ وَقَدْ   تَفَرَّقَتْ مِنْهُ أَعْضَاءٌ وَأَوْصَالُ
فَجُدْ عَلَيَّ وَلَاطِفْنِي بِعَفْوِكَ عَنْ   ذَنْبِي فَشَأْنُكَ إِنْعَامٌ وَإِفْضَالُ
وَقُلْ كَفَيْتُكَ يَا عَبْدَ الرَّحِيمِ أَذَى الدَّام   رِينِ فَانْزِلْ حِمًى مَا فِيهِ إِهْمَالُ
يَا وَاسِعَ اللُّطْفِ قَدْ قَدَّمْتُ مَعْذِرَتِي   إِنْ كَانَ يُغْنِي عَنِ التَّفْصِيلِ إِجْمَالُ
جَنِّبْنِي الْعُجْبَ وَالشُّحَّ الْمُطَاعَ وَمُرْ   نَفْسِي تُخَالِفْ هَوَاهَا فَهْوَ قَتَّالُ
وَعُدْ عَلَيَّ بِنُورٍ مِنْكَ مُبْتَهِجٍ   يَزْكُو بِهِ بَصَرِي وَالسَّمْعُ وَالْبَالُ
وَارْحَمْ بَنِيَّ وَآبَائِي وَحَاشِيَتِي   يَعُمُّهُمْ يَا إِلَهِي مِنْكَ إِقْبَالُ
مَاذَا أَقُولُ وَمِنِّي كُلُّ مَعْصِيَةٍ   وَمِنْكَ يَا سَيِّدِي حِلْمٌ وَإِمْهَالُ
وَمَا أَكُونُ وَمَا قَدْرِي وَمَا عَمَلِي   فِي يَوْمِ تُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَعْمَالُ
لَكِنْ أَيَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ الْإِلَهِ فِدًى   عَبْدٌ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ سِرْبَالُ
رَبَّاهُ رَبَّاهُ أَنْتَ اللهُ مُعْتَمَدِي   فِي كُلِّ حَالٍ إِذَا حَالَتْ بِيَ الْحَالُ

٧ وله في التوحيد

تَجَلَّتْ لِوَحْدَانِيَّةِ الْحَقِّ أَنْوَارُ   فَدَلَّتْ عَلَى أَنَّ الْجُحُودَ هُوَ الْعَارُ

وأغرت لداعي الحق كل موحد ... بمقعد صدق حبذا الجار والدار
وأبدت معاني ذاته بصفاته ... فلم يحتمل عقل المحبين إنكار
تراءى لهم في الغيب جل جلاله ... عيانا فلم يدركه سمع وأبصار
معان عقلن العقل والعقل ذاهل ... وإقباله في برزخ البحث إدبار
إذا هم وهم الفكر إدراك ذاته ... تعارض أوهام عليه وأفكار
وكيف يحيط الكيف إدراك حده ... وليس له في الكيف حد ومقدار
وأين يحل الأين منه ولم يكن ... مع الله غير الله عين وآثار
ولا شيء معلوم ولا الكون كائن ... ولا الرزق مقسوم ولا الخلق إفطار
ولا الشمس بالنور المنير مضيئة ... ولا القمر الساري ولا النجم سيار
فأنشأ في سلطانه الأرض والسما ... ليخلق منها ما يشاء ويختار
وزين بالكرسي والعرش ملكه ... فمن نوره حجب عليه وأستار
فسبحان من تعنو الوجوه لوجهه ... ويلقاه رهن الذل من هو جبار
عظيم يهون الأعظمون لعزه ... شديد القوى كاف لذي القهر قهار
لطيف بلطف الصنع فضلنا على ... خلائق لا تحصى وذلك إيثار
يرى حركات النمل في ظلم الدجى ... ولم يخف إعلان عليه وإسرار
ويحصي عديد النمل والقطر والحصى ... وما اشتملت نجد عليه وأغوار
أضاءت قلوب العارفين بنوره ... فباحت بأحوال المحبين أسرار
وشق على أسمائهم من علا اسمه ... على الأصل فهو البر والقوم أبرار
فذاك الذي يلجا إليه توكلا ... عليه ويعصى وهو بالحلم ستار

فَأَدْنَى ٱلرَّجَا لِلْخَلْقِ مِنْ بَابِ فَضْلِهِ لِتُمْحَى إِسَاءَاتٌ وَتُغْفَرَ أَوْزَارُ
تُسَبِّحُ ذَرَّاتُ ٱلْوُجُودِ بِحَمْدِهِ وَيَسْجُدُ بِٱلتَّعْظِيمِ نَجْمٌ وَأَشْجَارُ
وَيَبْكِي غَمَامُ ٱلْغَيْثِ طَوْعًا لِأَمْرِهِ فَتَضْحَكُ مِمَّا يَفْعَلُ ٱلْغَيْثُ أَزْهَارُ
فَيَا نَفْسُ لِلْإِحْسَانِ عُودِي فَرُبَّمَا أَقَلْتِ عِثَارًا فَٱبْنُ آدَمَ مِعْثَارُ
إِلٰهِي أَذِقْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ وَٱهْدِنِي إِلَيْكَ بِمَا يُرْضِيكَ فَٱلدَّهْرُ غَرَّارُ

٨ قصيدة علي بن ابي طالب في الابتهال الى الله

لَكَ ٱلْحَمْدُ يَا ذَا ٱلْجُودِ وَٱلْمَجْدِ وَٱلْعُلَى تَبَارَكْتَ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ
إِلٰهِي وَخَلَّاقِي وَحِرْزِي وَمَوْئِلِي إِلَيْكَ لَدَى ٱلْإِعْسَارِ وَٱلْيُسْرِ أَفْزَعُ
إِلٰهِي لَئِنْ خَيَّبْتَنِي أَوْ طَرَدْتَنِي فَمَنْ ذَا ٱلَّذِي أَرْجُو وَمَنْ أَتَشَفَّعُ
إِلٰهِي لَئِنْ جَلَّتْ وَجَمَّتْ خَطِيئَتِي فَعَفْوُكَ عَنْ ذَنْبِي أَجَلُّ وَأَوْسَعُ
إِلٰهِي لَئِنْ أَعْطَيْتُ نَفْسِي سُؤْلَهَا فَهَا أَنَا فِي رَوْضِ ٱلنَّدَامَةِ أَرْتَعُ
إِلٰهِي تَرَى حَالِي وَفَقْرِي وَفَاقَتِي وَأَنْتَ مُنَاجَاتِي ٱلْخَفِيَّةَ تَسْمَعُ
إِلٰهِي فَلَا تَقْطَعْ رَجَائِي وَلَا تُزِغْ فُؤَادِي فَلِي فِي بَابِ جُودِكَ مَطْمَعُ
إِلٰهِي أَجِرْنِي مِنْ عَذَابِكَ إِنَّنِي أَسِيرٌ ذَلِيلٌ خَائِفٌ لَكَ أَخْضَعُ
إِلٰهِي فَآنِسْنِي بِتَلْقِينِ حُجَّتِي إِذَا كَانَ لِي فِي ٱلْقَبْرِ مَثْوًى وَمَضْجَعُ
إِلٰهِي لَئِنْ عَذَّبْتَنِي أَلْفَ حِجَّةٍ فَحَبْلُ رَجَائِي مِنْكَ لَا يَتَقَطَّعُ
إِلٰهِي إِذَا لَمْ تَرْعَنِي كُنْتُ ضَائِعًا وَإِنْ كُنْتَ تَرْعَانِي فَلَسْتُ أُضَيَّعُ
إِلٰهِي إِذَا لَمْ تَعْفُ عَنْ غَيْرِ مُحْسِنٍ فَمَنْ لِمُسِيءٍ بِٱلْهَوَى يَتَمَتَّعُ
إِلٰهِي لَئِنْ قَصَّرْتُ فِي طَلَبِ ٱلتُّقَى فَلَسْتُ سِوَى أَبْوَابِ فَضْلِكَ أَقْرَعُ

إِلٰهِي أَقِلْنِي عَثْرَتِي وَٱمْحُ حَوْبَتِي فَإِنِّي مُقِرٌّ خَائِفٌ أَتَضَرَّعُ
إِلٰهِي لَئِنْ خَيَّبْتَنِي أَوْ طَرَدْتَنِي فَمَا حِيلَتِي يَا رَبِّ أَمْ كَيْفَ أَصْنَعُ
إِلٰهِي حَلِيفُ ٱلْحُبِّ بِٱللَّيْلِ سَاهِرٌ يُنَاجِي وَيَبْكِي وَٱلْمُغَفَّلُ يَهْجَعُ
وَكُلُّهُمُ يَرْجُو نَوَالَكَ رَاجِيًا لِرَحْمَتِكَ ٱلْعُظْمَى وَفِي ٱلْخُلْدِ يَطْمَعُ
إِلٰهِي يُمَنِّينِي رَجَائِي سَلَامَةً وَقُبْحُ خَطِيئَاتِي عَلَيَّ يُشَنِّعُ

٩ من قصيدة للبرعي في الرجاء

إِلَيْهِ بِهِ سُبْحَانَهُ أَتَوَسَّلُ وَأَرْجُو ٱلَّذِي يُرْجَى لَدَيْهِ وَأَسْأَلُ
وَأُحْسِنُ قَصْدِي عَنْ خُضُوعِي وَذِلَّتِي لَهُ وَعَلَيْهِ وَحْدَهُ أَتَوَكَّلُ
وَأَصْحَبُ آمَالِي إِلَى فَضْلِ جُودِهِ وَأُنْزِلُ حَاجَاتِي بِمَنْ لَيْسَ يَبْخَلُ
فَسُبْحَانَهُ مِنْ أَوَّلٍ هُوَ آخِرٌ وَسُبْحَانَهُ مِنْ آخِرٍ هُوَ أَوَّلُ
وَسُبْحَانَ مَنْ تَعْنُو ٱلْوُجُوهُ لِوَجْهِهِ وَمِنْ كُلِّ ذِي عِزٍّ لَهُ يَتَذَلَّلُ
وَمَنْ هُوَ فَرْدٌ لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا شَبِيهٌ وَلَا مِثْلٌ بِهِ يَتَمَثَّلُ
وَمَنْ كَلَّتِ ٱلْأَفْهَامُ عَنْ وَصْفِ ذَاتِهِ فَلَيْسَ لَهَا فِي ٱلْكَيْفِ وَٱلْأَيْنِ مَدْخَلُ
تَكَفَّلَ فَضْلًا لَا وُجُوبًا بِرِزْقِهِ عَلَى ٱلْخَلْقِ فَهْوَ ٱلرَّازِقُ ٱلْمُتَكَفِّلُ
وَلَمْ يَأْخُذِ ٱلْعَبْدَ ٱلْمُسِيءَ بِذَنْبِهِ وَلٰكِنَّهُ يُرْجِي لِأَمْرٍ وَيُمْهِلُ
حَلِيمٌ عَظِيمٌ رَاحِمٌ مُتَكَرِّمٌ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ وَاهِبٌ مُتَطَوِّلُ
جَوَادٌ مَجِيدٌ مُشْفِقٌ مُتَعَطِّفٌ جَلِيلٌ جَمِيلٌ مُنْعِمٌ مُتَفَضِّلُ
لَهُ ٱلرَّاسِيَاتُ ٱلشُّمُّ تَهْبِطُ خَشْيَةً وَتَنْشَقُّ عَنْ مَاءٍ يَسِيحُ وَيَخْضِلُ
وَأَنْشَأَ مِنْ لَا شَيْءَ سُحْبًا هَوَاطِلًا يُسَبِّحُ فِيهَا رَعْدُهَا وَيُهَلِّلُ

وأحيا نواحي الأرض من بعد موتها ... بمنسجم غيث من السحب يهمل
يحيط بما تخفي الضمائر علمه ... ويدري دبيب النمل والليل أليل
فيا غافر الزلات وهي عظيمة ... ويا نافذ التدبير ما شاء يفعل
أجب دعوتي يا سيدي واقض حاجتي ... سريعاً فشأن العبد يدعو ويعجل
ولا نرتجي من عند غيرك رحمة ... ولا يبتغي فضلاً لمن يتفضل
فحقق رجائي فيك يا غاية المنى ... فأنت لمن يرجوك حصن مؤمل
وإن فتحت جنات عدن لداخل ... فقل يا عبادي هذه الجنة ادخلوا
فجودك يا ذا الكبرياء مؤمل ... وحبلك للراجين بالخير يوصل

١٠ وله ايضاً في الرجاء من قصيدة

عسى فرج يأتي به الله عاجلاً ... يسر به الملهوف إن عمه اللهف
فمن محن الأيام قلبي معذب ... ألم بروحي قبل حتف الفنا حتف
فكم هم صرف الدهر يصرف نابه ... علي فجاء الغوث وانصرف الصرف
ولم اعتصم بالله إلا ومد لي ... من البر ظلاً في رضاه له وكف
وإني لمستغن بفقري وفاقتي ... إليه ومستقو وإن كان بي ضعف
فكم راح روح الله في خلقه وكم ... غدا قبل أن يرتد للناظر الطرف
بقدرة من شد الهوا وبنى السما ... طرائق فوق الأرض فهي لها سقف
وألقى الجبال الشم فيها رواسيا ... فليس لها من قبل موعدها نسف
وألبسها من سندس النبت بهجة ... من النبت ما صنف يشابهه صنف
وسخر من نشر السحاب لواقحا ... إذا انتشرت درت سحائبها الوطف

وكم في غريب الملك والملكوت من   عجائب لا تحصى لأيسرها وصف
ولم تحط الست الجهات بذاته   فأين يكون الأين والقبل والخلف
إلهي أقلني عثرتي وتولني   بعفو فإن النائبات لها عنف
خلعت عذاري ثم جئتك عامدا   بعذري فإن لم تعف عني فمن يعفو
وأنت غياثي عند كل ملمة   وكهف إذا لم يبق بين الورى كهف

١١ ومن قصيدة له في الدعاء

لك الحمد حمدا طيبا أنت أهله   على كل حال يشمل السر والجهرا
إلهي تعمدني برحمتك التي   وسعت وأوسعت البرايا بها برا
وقو بروح منك ضعفي وهمتي   على الفقر واغفر زلتي واقبل العذرا
وصن ماء وجهي فالسؤال مذلة   وعن جور دهر لم يزل حلوه مرا
ولاطف أطفالي وإخوتهم فقد   رمتهم خطوب ما أطاقوا لها صبرا
وهم يألفون الخير والخير واسع   لديك ولا والله ما عرفوا شرا
ربوا في ربى روض النعيم وظله   فجدد لهم من جودك النعمة الخضرا
وبعد حياتي في رضاك توفني   على الملة البيضاء والسنة الزهرا
وفي القبر آنس وحشتي عند وحدتي   فإن نزيل القبر يستوحش القبرا
وإن ضاق أهل الحشر ذرعا بموقف   به الكتب تعطى باليمين وباليسرى
فقل فزت يا عبد الرحيم برحمتي   ومغفرتي لا تخش بؤسا ولا ضرا

١٢ وله في الدعاء ايضا

مقيل العاثرين أقل عثاري   وخذ لي من بني زمني بثاري

وَجَمِّلْنِي بِعَافِيَةٍ وَعَفْوٍ ... مِنَ ٱلْأَمْرَاضِ وَٱلْعِلَلِ ٱلطَّوَارِي
وَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَاءَ وَٱنْظُرْ ... إِلَيَّ بِرَحْمَةٍ نَظَرَ ٱخْتِيَارِ
فَقَدْ هَتَكُوا حِمَايَ وَعَانَدُونِي ... عَلَى نِعَمٍ تَدِرُّ عَلَى دِيَارِي
وَإِنَّ تَضَرُّرِي وَعَنَايَ مِنْهُمْ ... نَظِيرُ تَذَلُّلِي لَكَ وَٱفْتِقَارِي
فَإِنْ يَخْسَرْ بِسُوقِهِمِ ٱتِّجَارِي ... فَفَضْلُكَ سُوقُ أَرْبَاحِ ٱلتِّجَارِ
وَإِنْ يَكُ عَقَّنِي صَحْبِي وَجَارِي ... فَجُودُكَ بِٱلَّذِي أَرْجُوهُ جَارِي
فَأَنْتَ بَنَيْتَهَا سَبْعًا شِدَادًا ... تُزَيِّنُ جَوَّهَا شُهُبٌ سَوَارِي
وَمَهَّدْتَ ٱلْأَرَاضِيَ مِنْ نُجُودٍ ... وَغَوْرٍ أَوْ عِمَارٍ أَوْ قِفَارِ
وَسَخَّرْتَ ٱلْبِحَارَ ٱلسَّبْعَ تَجْرِي ... بِهَا ٱلْأَفْلَاكُ مِنْ غَادٍ وَسَارِ
سَخَّرْتَ ٱلشَّمْسَ خَلْفَ ٱلْبَدْرِ تَسْعَى ... كَسَعْيِ ٱللَّيْلِ فِي طَرَفِ ٱلنَّهَارِ
وَتُمْسِكُ فِي ٱلْهَوَاءِ ٱلطَّيْرَ بَسْطًا ... وَقَبْضًا فِي رَوَاحٍ وَٱبْتِكَارِ
وَتَكْفُلُ كُلَّ وَحْشٍ فِي ٱلْبَرَارِي ... وَتَرْزُقُ كُلَّ حُوتٍ فِي ٱلْبِحَارِ
إِلٰهِي عَافِنِي وَأَصِحَّ جِسْمِي ... وَصِلْ وَٱقْبَلْ بِرَحْمَتِكَ ٱعْتِذَارِي
وَطَهِّرْ قَالَبِي وَتَغَشَّ قَلْبِي ... بِأَنْوَارِ ٱلسَّكِينَةِ وَٱلْوَقَارِ
وَإِنْ كَرَّرْتُ مَسْأَلَتِي فَكَلْنِي ... إِلَى كَرَمٍ يَفِيضُ بِلَا ٱنْحِصَارِ
فَتَحْتَ يَدَيْ أَطْفَالٍ صِغَارٍ ... فَهَبْنِي لِلْأَطْفَالِ ٱلصِّغَارِ
أُجَاهِدُ فِيكَ مُحْتَسِبًا عَلَيْهِمْ ... وَأَبْذُلُ فِيكَ جَهْدِي وَٱقْتِدَارِي
وَتَيْسِيرُ ٱلْأُمُورِ عَلَيْكَ دُونِي ... فَفَرِّجْ هَمَّ عُسْرِي بِٱلْيَسَارِ

الباب الثاني
في الخطب والمواعظ

نخبة من كتاب اطباق الذهب لعبد المؤمن المغربي الاصبهاني

المقالة الاولى

١٣ يا أرْبَابَ الْقُوَّةِ وَالطَّاقَةِ . اُنْظُرُوا بِعَيْنِ الْإِفَاقَةِ . إلى أهْلِ الْفَاقَةِ . ويا رُكْبَانَ النَّاقَةِ . رِفقًا بِضُعَفَاءِ السَّاقَةِ . ويا حَمَلَةَ الْأَوْزَارِ وخَزَنَةَ الْمَالِ الْمُسْتَعَارِ . لا تَجُرُّوا ذَيْلَ الِافْتِخَارِ عَلَى أرْبَابِ الِافْتِقَارِ . فَقُلُوبُهُمْ خَيْرٌ مِنْ قُلُوبِكُمْ . ومَطْلُوبُهُمْ أعَزُّ مِنْ مَطْلُوبِكُمْ شَغَلَكُمُ التَّجَوُّلُ بِالْأَسْوَاقِ . عَنْ تَنَسُّمِ قَبُولِ الْأَشْوَاقِ . وَأَلْهَاكُمْ حُبُّ الرِّزْقِ عَنِ الرَّزَّاقِ . ويا عُمَّارَ الْخَرَابِ وشُرَّابَ الشَّرَابِ لا تَعْمُرُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ الْجَلْحَاءَ . وَلَا تَسْكُنُوا هٰذِهِ الْمَهْلَكَةَ الْفَيْحَاءَ . لَا تَتَّخِذُوا الدُّنْيَا الْفَانِيَةَ سُوقًا . إنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا

المقالة الثانية

١٤ إبْنُ آدَمَ عُجِنَ مِنَ الصَّلْصَالِ . ثُمَّ تَاهَ بِشَرَافِ الْخِصَالِ . وَمَا دَرَى أنَّ الْخِصَالَ الْحَمِيدَةَ مِنْ مَوَاهِبِ الرَّحْمَانِ . لَا مِنْ مَكَاسِبِ الْإِنْسَانِ . مَا الْعَقْلُ إلَّا عَطِيَّةٌ مِنْ عَطَايَاهُ . وَمَا النَّفْسُ إلَّا مَطِيَّةٌ مِنْ مَطَايَاهُ . فَإنْ شَاءَ زَمَّهَا بِزِمَامِ الْهُدَى . وَإنْ شَاءَ تَرَكَهَا سُدًى . فَمَنْ يَسْتَطِيعُ لِنَفْسِهِ خَفْضًا أوْ رَفْعًا . قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا إنْ أرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أوْ أرَادَ بِكُمْ نَفْعًا

المقالة الحادية عشرة

١٥ ألعاقل قصي مرامي النظر. فسيح مرامي العبر. على مرام الخطر. يقرأ مكتوب أسرار الغد من عنوان اليوم. ويقطف ثمار الغيب من صنوان النوم. يرى موعود الله ناجزا. ومكنونه بارزا. فكن يقظا حاذرا. ومثل الغيب حاضرا. وإذا ملكت فاذكر القادر وقدرته. وإذا بغمت فاذكر الصائد وفترته. واعلم أن مسرات الأيام مقرونة بالغم. وحلاوة الدنيا معجونة بالسم. والح الدهر بعين الذكاء. وإذا ضحكت فأجهش للبكاء. وإياك أن تقنع من العلوم بالقشور. ومن الرق المنشور بالدوائر والمشور. أولئك قوم نزلوا هذه الثنية. وغفلوا عن المرحلة الثانية. وشغلوا بالدنيا الدنية. عن القطوف الدانية. فهم في مهابط الغي سافلون. وفي مباذل العيش رافلون. يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون

المقالة الخامسة عشرة

١٦ من الناس من يستطيب ركوب الأخطار وورود التيار. ولحوق العار والشنار لأجل الدينار. ويستلذ سف الرماد ونقل السماد. لأجل الأولاد. ويصبر على نسف الجبال. وتجشم الأهوال لشهوة المنال. يبدل الإيمان بالكفر. ويحفر الجبال بالظفر للدنانير الصفر. ويلج عرين الأسود. للدراهم السود. لا يكره صداعا. إذا نال كراعا. ويلقى النوائب بقلب صابر. في طاعة الشيخ أبي جابر. يأبى العز

طبيعة . ويرى الذل شريعة . ومن الناس من يختار العفاف . ويعاف الإسفاف . يدع الطعام طاويا ويذر الشراب صاديا . ويرى المال رائحا وغاديا . يترك الدنيا لطلابها . ويطرح الجيفة لكلابها . لا يسترزق لئام الناس . ويقنع بالخبز الناس . يكره المن والأذى . ويعاف الماء على القذى . إن أثرى جعل موجوده معدوما . وإن أقوى حسب قفاره مأدوما . جوف خال . وثوب بال . ومجد عال . وثوب أسمال . وراءه عز وجمال . وعقب مرزوق . وذيل مفتوق . يجره فتى مغبوق

لله تحت قباب العز طائفة أخفاهم في رداء الفقر إجلالا
هم السلاطين في أثواب مسكنة إستعبدوا من ملوك الأرض أقيالا
غبر ملابسهم شم معاطسهم جروا على فلك الخضراء أذيالا
هذي السعادة لا ثوبان من عدن خيطا قميصا فصارا بعد أسمالا
تلك المناقب لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

هم الذين جبلوا أبرياء من التكلف . يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف

المقالة الحادية والعشرون

١٧ يا من يسعى لقاعد ويسهر لراقد . ويا من يحرس لراصد ويزرع لحاصد . ويبخل لباذل . ويجمع لآكل . تبني الإيوان وعن قليل ينهدم زكناك . وتبسط الرواق وفي الجدث سكناك . قلب كقلوب الكفار وحرص كحرص الفار . ينقب بالأظفار ولا يبقي على المأدوم والقفار . قل لي إذا وقعت الواقعة . وقرعت القارعة . وأزف لك

ٱلرَّحِيلُ. وَٱجْتَمَعَ ٱلطَّبِيبُ وَٱلْعَلِيلُ. وَٱخْتَلَفَ ٱلْغَسَّالُ وَٱلْغَسِيلُ. وَٱلْعَائِدُ يَغْمِزُ عَيْنَيْهِ وَٱلطَّبِيبُ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ. حَتَّى إِذَا ٱنْقَطَعَ نَفَسُكَ. وَخَفِيَ جَرْسُكَ. أَيَنْفَعُكَ حِينَئِذٍ حَلَالٌ أَصَبْتَهُ. أَمْ حَرَامٌ غَصَبْتَهُ. أَمْ نَشَبٌ حَرَشْتَهُ. أَوْ وَلَدٌ حَضَنْتَهُ أَوْ رَبْعٌ أَسَسْتَهُ أَوْ نَبْعٌ غَرَسْتَهُ. أَوْ حُطَامٌ حَرَسْتَهُ أَوْ قَفْرٌ حَرَثْتَهُ. أَوْ وَفْرٌ أَوْرَثْتَهُ. كَلَّا لَا يَنْفَعُكَ فَيْءٌ قَدْ غَنِمْتَهُ. وَلَا يَضُرُّكَ شَيْءٌ عَدِمْتَهُ. وَلَا يُنْجِيكَ إِلَّا خَيْرٌ أَمْضَيْتَهُ. أَوْ خَصْمٌ أَرْضَيْتَهُ. فَٱنْتَبِهْ يَا نَائِمُ. وَٱسْتَقِمْ يَا هَائِمُ. لَقَدْ تِهْتَ فِي بَادِيَةٍ لَا يَبْلُغُكَ نِدَائِي. وَتَرَدَّيْتَ فِي هَاوِيَةٍ لَا يَبْلُغُهَا رِدَائِي. تَتَّبِعُ هَوَاكَ وَسَيَضُحِي. حِينَ لَا يَنْفَعُكَ نُصْحِي. وَلَا تَعْصِ ٱللهَ فِي أَوْلَادِ سَوْءٍ إِذَا حَضَرَكَ ٱلْمَوْتُ غَابُوا. وَمَا حَزِنُوا لِمَا أُصِيبُوا بَلْ فَرِحُوا بِمَا أَصَابُوا. وَإِنْ تَدْعُهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكَ وَلَوْ سَمِعُوا مَا ٱسْتَجَابُوا

من ديوان خطب الامام ابرهيم بن بدوي الخاسّ)

الخطبة الاولى لشهر محرّم

١٨ أَلْحَمْدُ لِلهِ قَسَّمَ ٱلزَّمَانَ أَعْوَامًا. وَقَسَّمَ ٱلْأَعْوَامَ شُهُورًا وَأَيَّامًا. عَلَى مَا ٱقْتَضَتْهُ ٱلْحِكْمَةُ وَٱلتَّدْبِيرُ. وَٱفْتَتَحَ كُلَّ عَامٍ بِشَهْرِهِ ٱلْمُحَرَّمِ. وَجَمَّلَهُ بِيَوْمِ عَاشُورَاءَ ٱلْمُجَمَّلِ ٱلْمُعَظَّمِ ٱلَّذِي فَضْلُهُ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ وَٱلْإِسْلَامِ شَهِيرٌ. أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَشْكُرُهُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ وَأَسْتَعِيذُ بِهِ وَأَسْتَجِيرُ. أَمَّا بَعْدُ فَيَا عِبَادَ ٱللهِ هٰذَا عَامٌ جَدِيدٌ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ فَأَكْرِمُوا نُزُلَهُ. وَحَلَّ فِيكُمْ بِحُلَلِ ٱلْإِيقَاظِ فَٱلْبَسُوا حُلَلَهُ. فَإِنَّهُ لَكُمْ

مُوقظٌ ونذيرٌ. مَا مِنْ يَوْمٍ يمرُّ إلَّا وهُوَ يناديكُمْ بِلسانِ حالِهِ. ها أنا مُؤذِنٌ كلَّ رَاحِلٍ بِقُرْبِ ارْتحالِهِ. فليتأهَّبْ للمسيرِ. إلى دارِ المصيرِ. يا أيُّها المسرورُ بتجديدِ الأعوامِ. المغرورُ بِقُدُومِ الأهلَّةِ وتتابعِ الأيامِ. أما علمتَ أنها تقصرُ عُمرَكَ القصيرَ. أما علمتَ أنَّ تتابعَ الملوينِ. وتعاقبَ النيِّرينِ. لمْ يُبقيا مِنْ عُمرِكَ إلَّا اليسيرَ. أما علمتَ أنَّ في تصرُّمِ الأيامِ. بالغفلةِ والمنامِ أشدَّ حِرمانٍ وتحسيرٍ. أما علمتَ أنَّ في انقراضِ الأعمارِ بمرورِ الدهورِ والأعصارِ أعظمَ عِبرةٍ وتذكيرٍ. أتظنُّ أنَّ غيرَكَ الراحلُ عنِ الدنيا وأنتَ المقيمُ. أوْ أنَّ منْ أخذَ غيرَكَ يتركُكَ في كلِّ وادٍ تهيمُ. لا واللهِ بلْ لا بدَّ يومًا أنْ تُسلَكَ في سِلكِهِمْ ويَلْحقَ النظيرُ بالنظيرِ. فانتبهْ يا مِسكينُ فالدنيا أضغاثُ أحلامٍ. ودارُ الفناءِ لا تصلحُ للمقامِ. وكأنَّكَ بها وقدْ كُسِفَ بدرُها المنيرُ واعتبرْ بغيرِكَ فالعاقلُ مَنْ بغيرِهِ اعتبرَ. وتزوَّدْ مِنَ التقوى لطولِ السفرِ. فإنَّهُ واللهِ سفرٌ خطيرٌ وذرِ المحارمَ وقُمْ على أقومِ سَنَنٍ. وشمِّرْ عنْ ساعدِ الجِدِّ في أداءِ الفرائضِ والسُّنَنِ. وإيَّاكَ إيَّاكَ والتقصيرَ وقدِّمْ صالحَ الأعمالِ بينَ يديكَ. واجعلِ الموتَ دائمًا نُصبَ عينيكَ. ولا تنسَهُ فنسيانُهُ ضلالٌ كبيرٌ. واعبدِ اللهَ كأنَّكَ تراهُ أوْ يراكَ. وإيَّاكَ إيَّاكَ وأنْ يراكَ حيثُ نهاكَ. فيشتدَّ عليكَ النكيرُ. وهوَ وإنِ استترتْ مطلعٌ عليكَ. وأقربُ إليكَ مِنْ نفسِكَ التي بينَ جنبيكَ. ألا يعلمُ منْ خلقَ وهوَ اللطيفُ الخبيرُ. يعلمُ ما يلجُ في الأرضِ وما يخرجُ منها. وما ينزلُ

مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَٱللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

خطبة لشهر صفر

١٩ أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي عَمَّ ٱلْوُجُودَ بِرَحْمَتِهِ . وَأَفَاضَ عَلَى كُلِّ مَوْجُودٍ سِجَالَ نِعْمَتِهِ . وَغَمَرَ ٱلْأَنَامَ . بِبَحْرِ جُودِهِ وَكَرَمِهِ ٱلْمُتَلَاطِمِ . سُبْحَانَهُ لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ . إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُ مِنْهُ وَإِلَيْهِ . لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ أَحْكَمُ حَاكِمٍ وَأَرْحَمُ رَاحِمٍ . أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَشْكُرُهُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ مِنْ جَمِيعِ ٱلذُّنُوبِ وَٱلْمَآثِمِ . أَمَّا بَعْدُ فَيَا أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ مَا أَجْهَلَكَ بِنِعَمِ مَوْلَاكَ وَأَنْسَاكَ . مَعَ أَنَّكَ غَرِيقٌ فِي لُجَجِ بَحْرِهَا مُذْ أَوْجَدَكَ وَأَنْشَاكَ . وَلَوْ تَدَبَّرْتَ ٱلْوُجُودَ لَرَأَيْتَهُ سَاعِيًا فِي مَصَالِحِكَ كَٱلْخَادِمِ . أَخْرَجَكَ مِنْ خِسَّةِ ٱلْعَدَمِ إِلَى شَرَفِ ٱلْوُجُودِ . وَغَمَرَكَ فِي تَيَّارِ بِحَارِ ٱلْفَضْلِ وَٱلْجُودِ . وَأَنْتَ تَعْلَمُ ذٰلِكَ عَلَى ٱلتَّحْقِيقِ وَٱلْيَقِينِ ٱلْجَازِمِ . ثُمَّ مَا زَالَ يُرَبِّيكَ وَيُحْسِنُ إِلَيْكَ بِرِزْقِهِ ٱلْمُتَزَايِدِ . وَأَنْتَ تَشْكُوهُ لِخَلْقِهِ شِكَايَةَ ٱلْمُضْطَرِّ ٱلْفَاقِدِ . كَأَنَّكَ مِنْ وِرْدِ مَنْهَلِهَا غَيْرُ شَرِيبٍ أَوْ أَنْتَ لَهَا عَادِمٌ . وَٱلْعَجَبُ أَنَّكَ تَعُدُّ ٱلنِّقَمَ وَٱلْمِحَنَ . وَتَنْسَى مَا لِلّٰهِ عَلَيْكَ مِنَ ٱلنِّعَمِ وَٱلْمِنَنِ . وَرُبَّمَا كَانَتِ ٱلْمِحْنَةُ مِنَّةً عِنْدَ ٱلْفَهِيمِ ٱلْعَالِمِ . كَمْ فِي ٱلْفَقْرِ مِنْ أَجْرٍ وَكَمْ فِي ٱلضُّرِّ مِنْ تَكْفِيرِ وِزْرٍ . فَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ بَلْ عَدْلٌ فِي كُلِّ مَا هُوَ بِهِ حَاكِمٌ . فَأَدِيمُوا رَحِمَكُمُ ٱللّٰهُ شُكْرَ ٱلْمُنْعِمِ بِخَالِصِ ٱلتَّقْوَى وَصَالِحِ ٱلْعِبَادَةِ . وَأَحْسِنُوا فَإِنَّ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ٱلْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ .

وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ

(من ديوان خطب الشيخ زكريا الانصاري)

خطبة لربيع الآخر

٢٠ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَزَّتْ مَعْرِفَتُهُ فَلَا يُدْرِكُ بِالْمَعْقُولِ خَافِيهَا. وَجَلَّتْ صِفَتُهُ فَلَا يَتَكَدَّرُ بِالْمَنْقُولِ صَافِيهَا. وَتَمَّتْ كَلِمَتُهُ فَلَا يُرَدُّ حُكْمُ قَاضِيهَا. وَدَامَتْ أَزَلِيَّتُهُ فَمَنْ ذَا يُضَاهِيهَا. أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ تَنَاهِيهَا. أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَدْرِكُوا مَا فَاتَ مِنْ أَعْمَارِكُمْ بِالتَّوْبَةِ فَالدُّنْيَا كَمِثْلِ الْمَنَامِ. وَحَصِّلُوا التَّوْبَةَ فَقَدْ قَرُبَ الرَّحِيلُ وَالِانْصِرَامُ. فَمَا أَسْعَدَ مَنْ بَادَرَ بَقِيَّةَ عُمْرِهِ بِالِاغْتِنَامِ. وَمَا أَحْسَنَ مَنْ دَعَاهُ مَوْلَاهُ فَأَجَابَهُ بِالذُّلِّ وَالِاحْتِشَامِ. وَمَا أَبْرَكَ مَنْ خَلَعَ عَلَيْهِ خِلَعَ الْقَبُولِ وَالْإِنْعَامِ. وَمَا أَشْقَى مَنْ ذَهَبَتْ فِي الْبَطَالَةِ شُهُورُهُ وَالْأَيَّامُ. وَكَتَبَ عَلَيْهِ الْمَلَكَانِ الْقَبَائِحَ وَالْآثَامَ. وَمَا أَقْسَى قَلْبَ مَنْ عَصَى الْمَلِكَ الْعَلَّامَ. يَسْمَعُ الْمَوَاعِظَ فَكَأَنَّهَا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ. وَتَمْضِي عَلَيْهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ. وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَى الْآثَامِ. وَيَطْمَعُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ وَقَدْ ضُرِبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا بِسُورٍ لَهُ بَابٌ. وَيَتَصَنَّعُ بِعِمَارَةِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنُهُ خَرَابٌ. وَيَتَعَفَّفُ عَنِ الْقَلِيلِ وَهُوَ لِلْكَثِيرِ نَهَّابٌ. فَمَا عُذْرُ هَذَا إِذَا اجْتَمَعَتِ الْخَلَائِقُ. وَتَحَقَّقَتِ الْحَقَائِقُ. وَوُزِنَتِ الْأَعْمَالُ بِالدَّقَائِقِ. وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا شَهِيدٌ وَسَائِقٌ. وَوُضِعَ الْكِتَابُ. وَنُوقِشَ الْحِسَابُ. وَلَمْ يَدْرِ

مَا ٱلْجوَابُ . وَأَحاطَتْ بِهِ مَلَائِكَةُ ٱلْعَذَابِ . يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ عَمَلَهَا . وَتُسْأَلُ عَنْ قَوْلِهَا وَفِعْلِهَا . يَوْمَ يُسْأَلُ ٱلعَالِمُونَ عَنْ عِلْمِهِمْ . وَٱلحَاكِمُونَ عَنْ حُكْمِهِمْ . يَوْمَ تَظْهَرُ ٱلأَسْرَارُ . وَتَنْكَشِفُ ٱلأَسْتَارُ . وَيَتَجَلَّى ٱلْمَلِكُ ٱلْجَبَّارُ . فَكَيْفَ تَعْصُونَ ٱللهَ وَقَدْ أَقْرَرْتُمْ بِرُبُوبِيَّتِهِ . وَكَيْفَ تَسْخَطُونَهُ وَقَدْ عَلِمْتُمْ كَمَالَ عَظَمَتِهِ . فَيَا عِبَادَ ٱللهِ أَطِيعُوا ٱللهَ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَعْطِفْ عَلَيْكُمُ ٱلْقُلُوبَ . وَٱجْتَنِبُوا مَعَاصِيَ ٱللهِ فَالْوَعِيدُ غَيْرُ مَكْذُوبٍ

خطبة له لجمادى الاولى

٢١ أَلْحَمْدُ لِلهِ مُظْهِرِ ٱلْحَمْدِ وَمُبْدِيهِ . وَمُنْجِزِ ٱلْوَعْدِ وَمُوفِيهِ . وَمُسْعِدِ ٱلْعَبْدِ وَمُشْقِيهِ . وَمُرْسِلِ ٱلسَّحَابِ وَمُنْشِيهِ . ٱلَّذِي يُجِيبُ دَعْوَةَ دَاعِيهِ . وَيَقْبَلُ تَوْبَةَ ٱلْعَاصِي وَإِنْ كَثُرَتْ مَعَاصِيهِ . أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَمْدًا يُوَافِي إِنْعَامَهُ وَيُكَافِيهِ . أَيُّهَا ٱلنَّاسُ دَارِكُوا مَا فَرَطَ مِنْ أَيَّامِ ٱلْبَطَالَةِ . فَسَيَلْقَى كُلُّ عَامِلٍ مِنْكُمْ أَعْمَالَهُ . يَوْمَ يَسْتَقِيلُ فَلَا يُجَابُ إِلَى ٱلْإِقَالَةِ . يَعَضُّ أَنَامِلَهُ عَلَى ٱلضَّلَالَةِ . يَوْمَ تُحْشَرُ فِيهِ لِلْعَرْضِ . عَلَى دَيَّانِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ . يَوْمَ تَزْدَحِمُ فِيهِ ٱلْخَلَائِقُ قَوِيًّا وَضَعِيفًا . وَدَنِيًّا وَشَرِيفًا . وَيَصِيرُ عَلَى كُلِّ قَدَمٍ أَلْفُ قَدَمٍ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ عَنْ نَفْسِهِ دَفْعًا وَلَا تَخْفِيفًا . وَتُنْشَرُ ٱلدَّوَاوِينُ . وَتَتَطَايَرُ ٱلصُّحُفُ وَتُنْصَبُ ٱلْمَوَازِينُ . وَٱلْمَلَائِكَةُ قَدْ حَفُّوا بِالْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ . وَقَدْ خَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمٰنِ . وَقَدْ تَجَلَّى ٱلْمَلِكُ ٱلدَّيَّانُ . هُنَالِكَ تَشِيبُ ٱلْأَطْفَالُ . وَتُوضَعُ فِي ٱلْأَعْنَاقِ ٱلْأَغْلَالُ . وَيُقَادُ ٱلْمُجْرِمُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَأَهْلُ ٱلضَّلَالِ . فَهٰذَا مَأْخُوذٌ

بناصيته. وهذا مسحوب على جبهته ووجهه وهذا قد سامحه ربه ونجاه. وهذا يقول وافضحتاه واسوءتاه. وهذا ألف غش في الحساب. وهذا يدعو فلا يجاب. وهذا رحمه الملك التواب. وهذا قربه رب الأرباب. وهذا أبعده وانقطعت عنه الأسباب. فكيف حال العاصي قليل الأعمال. كثير الجهل والضلال. في هذا اليوم الشديد النكال. الكثير الأهوال. فيا عباد الله توبوا إلى الله وقدموا الأعمال الصالحات. وأقلعوا عن الذنوب والسيئات. لتلبسوا بين يدي الله تكريما وتشريفا. ولا تتبعوا كيد الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا

نخبة من ديوان خطب ابن نُباتة

خطبة لشهر صفر

٢٢ ألحمد لله الرقيب على عباده. القريب من أهل صحبته ووداده. القاهر من حاربه من عباده. القامع من نازعه ودافعه عن مراده. أحمده سبحانه وتعالى على ما أولانا من منته وإمداده. ابن آدم كم لله عليك من نعمة أنت لها كاتم. وكم له لديك من نقمة أنت مع موجدتها كاظم. لو تفكرت في أحوالها لرأيتها مشحونة بالعظائم. ولو تدبرت في الوجود لرأيته ساعيا في مصالحك كالخادم. فواعجبا تعد النقم. وتنسى النعم. وربما كانت النقمة نعمة عند فهم الذكي العاقل العالم. كم في الفقر من أجر وكم في الضر من تكفير سيئة ودفع مأثم. فما ربك بظلام للعبيد بل هو عادل في كل ما هو به حاكم. فيا مشغولا

بِالْإِعْرَاضِ عَنْ مَوْلَاكَ أَفِقْ فَإِنَّكَ فِي الْحِسَابِ غَالِطٌ وَفِي دَعْوَاكَ ظَالِمٌ . إِنْ أَحْرَمَكَ مَرَّةً فَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ أَعْطَاكَ . وَإِنْ أَسْقَمَكَ يَوْمًا فَكَمْ مِنْ أَيَّامٍ عَافَاكَ . فَوَاللهِ لَوْلَا رَحْمَتُهُ مَا دَفَعَ عَنْكَ الْمَآلِمَ . وَلَا أَوْصَلَ إِلَيْكَ الْمَكَارِمَ . كَمْ عَامَلَكَ رَبُّكَ بِالْإِحْسَانِ . مَعَ مُقَابَلَتِكَ بِالْعِصْيَانِ . وَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَيْكَ وَعَالِمٌ فَكَيْفَ إِذَا عَبَدْتَهُ بِالْأَرْكَانِ . وَمَجَّدْتَهُ بِاللِّسَانِ . وَوَحَّدْتَهُ بِالْجَنَانِ . وَكُنْتَ فِي مَحَبَّتِهِ كَالْهَائِمِ . فَوَاللهِ مَا عَزَّ شَيْءٌ إِلَّا وَهَانَ . وَلَا تَمَّ أَمْرٌ إِلَّا وَأَخَذَ فِي النُّقْصَانِ . وَمَا أَطَاعَهُ عَبْدٌ مَعَ الْإِخْلَاصِ إِلَّا وَغَمَرَهُ بِبَحْرِ جُودِهِ الْمُتَلَاطِمِ

وله من خطبة في الصلاة

٢٣ تَارِكُ الصَّلَاةِ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَأُهِيلَ عَلَيْهِ التُّرَابُ بِالْمِسْحَاةِ يُخَاطِبُهُ الْقَبْرُ بِلِسَانٍ فَصِيحٍ وَأَلْفَاظٍ مُعْرَبَاتٍ . لَا أَهْلًا بِكَ وَلَا سَهْلًا يَا مَنْ ضَيَّعَ فِي الدُّنْيَا حُقُوقَ رَبِّ الْمَخْلُوقَاتِ . يَا طُولَ مَا مَشَيْتَ عَلَى ظَهْرِي وَتَرَكْتَ الصَّلَوَاتِ . وَسَهَوْتَ عَنْهَا بِالشَّهَوَاتِ وَاللَّذَّاتِ . الْيَوْمَ تَنْظُرُ مِنِّي عَذَابًا لَا تُطِيقُهُ الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ . فَيَضُمُّهُ الْقَبْرُ ضَمَّةً وَاحِدَةً . فَتَصِيرُ أَضْلَاعُهُ مُخْتَلِفَاتٍ . فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تَقْوَاهُ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ

وله من غيرها

٢٤ أَيُّهَا النَّاسُ قَرُبَ الرَّحِيلُ وَأَنْتُمْ عَنِ الطَّاعَةِ غَافِلُونَ . وَانْقَضَتِ الْآجَالُ وَأَنْتُمْ عَلَى الْمَعَاصِي عَاكِفُونَ . وَتَرَادَفَتِ الْأَهْوَالُ وَأَنْتُمْ فِي طُغْيَانِكُمْ تَعْمَهُونَ . فَهَلْ أَنْتُمْ عَلَى ثِقَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ وَالْقَرَارِ . أَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ

أَلِلّهِ عهدٌ على البقاء في هذه الدار . كلّا واللهِ إنّكم منها راحلون ولنعيمها مفارقون أما تعتبرون بمن مضى من الأموات . اما تخافون من العرض على رب السماوات . أما ترون أهوال القيامة وقد توارَدت . أما ترون القلوب من الحسد عن بعضها تنافرت . أما ترون الفواحش وقد أصبحت ظاهرةً . أما ترون الهمم عن الخيرات قاصرةً . أما ترون أنّ البدع قد كثرت وعمّت . أما ترون الفتن غلبت وطمّت . أما ترون الأمانة قد ذهبت وضاعت . أما ترون الخيانة قد كثرت وشاعت . فكأنّي بكم وقد طرقكم طارق المنون . وأخذكم بغتةً وأنتم لا تشعرون . فتنبّهوا رحمكم الله قبل هجوم الموت . وتزوّدوا لآخرتكم قبل الفوت . قبل العرض على الملك الجبّار . قبل كشف الأسرار . قبل يوم القصاص . قبل تعذّر الخلاص . قبل دُنُوّ الشمس من الرؤوس . قبل هلاك الأرواح والنفوس

خطبة لابن زندقة الطرطوشي

٢٥ يا أيّها الرجل (وكلّنا ذلك الرجل) ألقِ إليّ سمعك وأعرني لبّك فإن كنت لا تدري متى الموت فاعلمن بأنّك لا تبقى إلى آخر الدهر

أين آدم أبو الأوّلين والآخرين . أين إبرهيم خليل ربّ العالمين . أين الأمم الماضية . أين الملوك السالفة أين القرون الخالية . أين الذين نُصبت على مفارقهم التيجان . أين الذين اعتزّوا بالأجناد والسلطان . أين أصحاب السطوة والولايات . أين الذين خفقت على رؤوسهم الألوية

·

وَالرَّايَاتُ. أَيْنَ الَّذِينَ قَادُوا الْجُيُوشَ وَالْعَسَاكِرَ. أَيْنَ الَّذِينَ عَمَرُوا الْقُصُورَ وَالدَّسَاكِرَ. أَيْنَ الَّذِينَ أُعْطُوا النَّصْرَ فِي مَوَاطِنِ الْحُرُوبِ وَالْمَوَاقِفِ. أَيْنَ الَّذِينَ اقْتَحَمُوا الْمَخَاطِرَ وَالْمَخَاوِفَ. أَيْنَ الَّذِينَ دَانَتْ لَهُمُ الْمَشَارِقُ وَالْمَغَارِبُ. أَيْنَ الَّذِينَ تَمَتَّعُوا فِي اللَّذَّاتِ وَالْمَآرِبِ. أَيْنَ الَّذِينَ تَاهُوا عَلَى الْخَلَائِقِ كِبْرًا وَعُتِيًّا. أَيْنَ الَّذِينَ رَاحُوا فِي الْحُلَلِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا. أَيْنَ الَّذِينَ اسْتَلَانُوا الْمَلَابِسَ أَثَاثًا وَرِئْيًا. وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا. أَيْنَ الَّذِينَ مَلَأُوا مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ عِزًّا. أَيْنَ الَّذِينَ فَرَشُوا الْقُصُورَ خَزًّا وَقَزًّا. أَيْنَ الَّذِينَ تَضَعْضَعَتْ لَهُمُ الْأَرْضُ هَيْبَةً وَهَزًّا. أَيْنَ الَّذِينَ اسْتَذَلُّوا الْعِبَادَ قَهْرًا وَلَزًّا. هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا. أَفْنَاهُمْ وَاللهِ مُفْنِي الْأُمَمِ. وَأَبَادَهُمْ مُبِيدُ الرِّمَمِ. وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ سَعَةِ الْقُصُورِ. وَأَسْكَنَهُمْ فِي ضَنْكِ الْقُبُورِ. تَحْتَ الْجَنَادِلِ وَالصُّخُورِ. فَأَصْبَحُوا لَا تُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ فَعَاثَ الدُّودُ فِي أَجْسَامِهِمْ. وَاتَّخَذَ مَقِيلًا فِي أَبْدَانِهِمْ. فَسَالَتِ الْعُيُونُ عَلَى الْخُدُودِ. وَامْتَلَأَتْ تِلْكَ الْأَفْوَاهُ بِالدُّودِ. وَتَسَاقَطَتِ الْأَعْضَاءُ وَتَمَزَّقَتِ الْجُلُودُ. فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ مَا جَمَعُوا وَلَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا. أَسْلَمَكَ الْأَحِبَّةُ وَالْأَوْلِيَاءُ. وَهَجَرَكَ الْإِخْوَانُ وَالْأَصْفِيَاءُ. وَنَسِيَكَ الْقُرَبَاءُ وَالْبُعَدَاءُ. فَأُنْسِيتَ وَلَوْ نَطَقَتْ لَأَنْشَدَتْ قَوْلَنَا عَنْ سُكَّانِ الثَّرَى. وَرَهَائِنِ التُّرْبِ وَالْبِلَى:

مُقِيمٌ بِالْحَجُونِ رَهِينُ رَمْسٍ ... وَأَهْلِي رَائِحُونَ بِكُلِّ وَادِ
كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ لَهُمُ حَبِيبًا ... وَلَا كَانُوا الْأَحِبَّةَ فِي السَّوَادِ

فَعُوجُوا بِالسَّلامِ فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَأَوْمُوا بِالسَّلامِ عَلَى بِعَادِ
فَإِنْ طَالَ الْمَدَى وَصَفَا خَلِيلٌ سِوَانَا فَاذْكُرُوا صَفْوَ الْوِدَادِ
وَذَاكَ أَقَلُّ مَا لَكَ مِنْ حَبِيبٍ وَآخِرُهُ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ
فَلَوْ أَنَّا بِمَوْقِفِكُمْ وَقَفْنَا سَقَيْنَا التُّرْبَ مِنْ مُهَجِ الْفُؤَادِ

ولهُ ايضاً

٢٦ (يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ) اعْتَبِرْ بِمَنْ مَضَى مِنَ الْمُلُوكِ وَالْأَقْيَالِ. وَخَلَا مِنَ الْأُمَمِ وَالْأَجْيَالِ. وَكَيْفَ بُسِطَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا وَأُنْسِئَتْ لَهُمُ الْآجَالُ. وَأُفْسِحَ لَهُمْ فِي الْمُنَى وَالْآمَالِ. وَأُمِدُّوا بِالْآلَاتِ وَالْعُدَدِ وَالْأَمْوَالِ. كَيْفَ طَحَنَتْهُمْ بِكَلْكَلِهَا الْمَنُونُ. وَاخْتَدَعَتْهُمْ بِزُخْرُفِهِ الدَّهْرُ الْخَؤُونُ. وَأُسْكِنُوا بَعْدَ سَعَةِ الْقُصُورِ. بَيْنَ الْجَنَادِلِ وَالصُّخُورِ. وَعَادَ الْعَيْنُ أَثَرًا. وَالْمُلْكُ خَبَرًا. فَأَمَّا الْيَوْمَ فَقَدْ ذَهَبَ صَفْوُ الزَّمَانِ وَبَقِيَ كَدَرُهُ. فَالْمَوْتُ تُحْفَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ. كَأَنَّ الْخَيْرَ أَصْبَحَ خَامِلًا وَالشَّرَّ أَصْبَحَ نَاضِرًا. وَكَأَنَّ الْغَيَّ أَصْبَحَ ضَاحِكًا وَأَدْبَرَ الرُّشْدُ بَاكِيًا. وَكَأَنَّ الْعَدْلَ أَصْبَحَ غَائِرًا وَأَصْبَحَ الْجَوْرُ عَالِيًا. وَكَأَنَّ الْعِلْمَ أَصْبَحَ مَدْفُونًا وَالْجَهْلَ مَنْشُورًا. وَكَأَنَّ اللُّؤْمَ أَصْبَحَ بَاسِقًا وَالْكَرَمَ ذَاوِيًا. وَكَأَنَّ الْوُدَّ أَصْبَحَ مَقْطُوعًا وَالْبُغْضَ مَوْصُولًا. وَكَأَنَّ الْكَرَامَةَ قَدْ سُلِبَتْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَتُوجِيَ بِهَا الْأَشْرَارُ. وَكَأَنَّ الْخُبْثَ أَصْبَحَ مُسْتَيْقِظًا وَالْوَفَاءَ نَائِمًا. وَكَأَنَّ الْكَذِبَ أَصْبَحَ مُثْمِرًا وَالصِّدْقَ قَاحِلًا. وَكَأَنَّ الْأَشْرَارَ أَصْبَحُوا يُسَامُونَ السَّمَاءَ وَأَصْبَحَ الْأَخْيَارُ يَرِدُونَ بَطْنَ الْأَرْضِ. أَمَا تَرَى

الدُّنيا تقبل إقبالَ الطالبِ. وتُدبر إدبارَ الهاربِ. وتصل وصالَ الملولِ. وتُفارق فراقَ العجولِ. فخيرها يسيرٌ. وعيشها قصيرٌ. وإقبالها خديعةٌ. وإدبارها فجيعةٌ. ولذّاتها فانيةٌ. وتبعاتها باقيةٌ. فاغتنم غفوةَ الزمانِ. وانتهز فرصةَ الإمكانِ. وخذ من نفسك لنفسك. وتزوَّد من يومك لغدك. ولا تنافس أهلَ الدُّنيا في خفض عيشهم. ولين ريشهم. ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم

من خطبة للسان الدين ابن الخطيب في ذمّ الكسل

٢٧ ألكسلُ مزلقةُ الربحِ. ومسخرةُ الصبحِ. إذا رقدتِ النفسُ في فراشِ الكسلِ استغرقها نومُ الغفلةِ. لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحابِ السعيرِ. ألندامةُ في الكسلِ. كالسمّ في العسلِ. ألكسل آفةُ الصنائعِ. وأرضةُ في البضائعِ. ألعجزُ والكسلُ. يفتحان الخمول ولا تسل. ألفلاح إذا ملَ الحركةَ. عدمَ البركةَ

ظهرانِ لا يبلغانِ المرءَ إن ركبا باب السعادةِ ظهرُ العجزِ والكسلِ

وفي اغتنامِ الأنامِ من أضاعَ الفرصةَ. تجرّعَ الغصّةَ. إن كانَ لكَ من الزمانِ شيءٌ فالحالُ. وما سواه فمحالٌ. تاركُ أمرِهِ إلى غدٍ لا يفلح للأبدِ. ألإنسانُ ابنُ ساعتهِ. فليحطها من إضاعتهِ. ألتسويفُ سمّ الأعمالِ. وعدوُّ الكمالِ. لم يحرم المبادرُ. إلّا في النادرِ. ما درجت أفراخُ ذلَّ إلّا من وكرِ طماعةٍ. ولا بسقت فروعُ ندمٍ إلّا من جرثومةِ إضاعةٍ. ألعزمُ سوقٌ. والتاجرُ الجسورُ مرزوقٌ. من وثق بعهدِ الزمانِ.

عَلِقَتْ يَدَاهُ بِحَبْلِ ٱلْحِرْمَانِ. أَلرِّبْحُ فِي ضِمْنِ ٱلْجَسَارَةِ. وَٱلْمُضَيِّعُ أَوْلَى بِٱلْخَسَارَةِ (نفح الطيب للمقري)

خطب الخلفاء

خطبة ابي بكر عند ما بويع بالخلافة

٢٨ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ. وَٱلضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ ٱلْحَقَّ لَهُ. وَٱلْقَوِيُّ مِنْكُمُ ٱلضَّعِيفُ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ ٱلْحَقَّ مِنْهُ. لَا يَدَعْ أَحَدٌ مِنْكُمُ ٱلْجِهَادَ فِي سَبِيلِ ٱللّٰهِ. فَإِنَّهُ لَا يَدَعُهُ قَوْمٌ إِلَّا ضَرَبَهُ ٱللّٰهُ بِٱلذُّلِّ. وَلَا تَشِيعُ ٱلْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلَّا عَمَّهُمُ ٱللّٰهُ بِٱلْبَلَاءِ. وَإِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ. فَإِنِ ٱسْتَقَمْتُ فَتَابِعُونِي. وَإِنْ زِغْتُ فَقَوِّمُونِي. وَإِنَّكُمْ تَغْدُونَ وَتَرُوحُونَ فِي أَجَلٍ قَدْ غُيِّبَ عَنْكُمْ عِلْمُهُ. فَإِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَلَّا يَمْضِيَ هٰذَا ٱلْأَجَلُ إِلَّا وَأَنْتُمْ فِي عَمَلٍ صَالِحٍ فَٱفْعَلُوا. وَإِنَّ ٱللّٰهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ ٱلْأَعْمَالِ إِلَّا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُهُ. فَأَرِيدُوهُ بِأَعْمَالِكُمْ وَإِنَّ مَا أَخْلَصْتُمْ لِلّٰهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَطَاعَةٌ أَتَيْتُمُوهَا وَخَطَأٌ ظَفِرْتُمْ بِهِ وَضَرَائِبُ أَدَّيْتُمُوهَا وَسَلَفٌ قَدَّمْتُمُوهُ مِنْ أَيَّامٍ فَانِيَةٍ لِأُخْرَى بَاقِيَةٍ لِحِينِ فَقْرِكُمْ وَحَاجَتِكُمْ. إِعْتَبِرُوا عِبَادَ ٱللّٰهِ بِمَنْ مَاتَ مِنْكُمْ وَتَفَكَّرُوا فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَيْنَ كَانُوا أَمْسِ وَأَيْنَ هُمُ ٱلْيَوْمَ. أَيْنَ ٱلْجَبَّارُونَ. أَيْنَ ٱلَّذِينَ كَانَ لَهُمْ ذِكْرُ ٱلْقِتَالِ وَٱلْغَلَبَةِ فِي مَوَاطِنِ ٱلْحُرُوبِ. قَدْ تَضَعْضَعَ بِهِمِ ٱلدَّهْرُ وَصَارُوا رِمَمًا. قَدْ تُرِكَتْ عَلَيْهِمِ ٱلْقَالَاتُ ٱلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ. وَأَيْنَ ٱلْمُلُوكُ ٱلَّذِينَ أَثَارُوا

ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا قَدْ بَعِدُوا وَأُنْسِيَ ذِكْرُهُمْ وَصَارُوا كَلَا شَيْءٍ . أَلَا وَقَدْ أَبْقَى ٱللّٰهُ عَلَيْهِمِ ٱلتَّبِعَاتِ وَقَطَعَ عَنْهُمُ ٱلشَّهَوَاتِ . وَمَضَوْا وَٱلْأَعْمَالُ أَعْمَالُهُمْ وَٱلدُّنْيَا دُنْيَا غَيْرِهِمْ . وَبَقِينَا خَلَفًا بَعْدَهُمْ . فَإِنْ نَحْنُ ٱعْتَبَرْنَا بِهِمْ نَجَوْنَا وَإِنِ ٱغْتَرَرْنَا كُنَّا مِثْلَهُمْ . أَيْنَ ٱلْوِضَاءُ ٱلْحَسَنَةُ وُجُوهُهُمُ ٱلْمُعْجَبُونَ بِشَبَابِهِمْ . صَارُوا تُرَابًا وَصَارَ مَا فَرَّطُوا فِيهِ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ . أَيْنَ ٱلَّذِينَ بَنَوُا ٱلْمَدَائِنَ وَحَصَّنُوهَا بِٱلْحَوَائِطِ وَجَعَلُوا فِيهَا ٱلْأَعَاجِيبَ قَدْ تَرَكُوهَا لِمَنْ خَلْفَهُمْ . فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ خَاوِيَةٌ وَهُمْ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْقُبُورِ . هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا . أَيْنَ مَنْ تَعْرِفُونَ مِنْ أَبْنَائِكُمْ وَإِخْوَانِكُمْ قَدِ ٱنْتَهَتْ بِهِمْ آجَالُهُمْ . فَوَرَدُوا عَلَى مَا قَدَّمُوا فَحَلُّوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا لِلشِّقْوَةِ وَٱلسَّعَادَةِ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ . أَلَا إِنَّ ٱللّٰهَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ سَبَبٌ يُعْطِيهِ بِهِ خَيْرًا وَلَا يَصْرِفُ بِهِ عَنْهُ سُوءًا إِلَّا بِطَاعَتِهِ وَٱتِّبَاعِ أَمْرِهِ . وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَبِيدٌ مَدِينُونَ وَأَنَّ مَا عِنْدَهُ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ . أَمَا إِنَّهُ لَا خَيْرَ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ ٱلنَّارُ وَلَا شَرَّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ ٱلْجَنَّةُ

(من تاريخ الطبريّ باختصار)

خطبة لعليّ بن ابي طالب

٢٩ (حَمِدَ ٱللّٰهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ): أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللّٰهِ وَنَفْسِي بِتَقْوَى ٱللّٰهِ وَلُزُومِ طَاعَتِهِ وَتَقْدِيمِ ٱلْعَمَلِ وَتَرْكِ ٱلْأَمَلِ . فَإِنَّهُ مَنْ فَرَّطَ فِي عَمَلِهِ . لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمَلِهِ . أَيْنَ ٱلتَّعِبُ بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ . ٱلْمُقْتَحِمُ لِلُجَجِ ٱلْبِحَارِ . وَمَفَاوِزِ ٱلْقِفَارِ . يَسِيرُ مِنْ وَرَاءِ ٱلْجِبَالِ . وَعَالِجِ ٱلرِّمَالِ .

يَصِلُ الغُدُوَّ بالرَّواحِ والمَساءَ بالصَّباحِ . في طَلَبِ مُحَقَّراتِ الأرباحِ . هَجَمَتْ عليهِ مَنِيَّتُه . فعَظُمَتْ بنَفْسِهِ رَزِيَّتُهُ . فصارَ ما جَمَعَ بُورًا . وما اكتَسَبَ غُرُورًا . ووافى القيامةَ مَحْسُورًا . أيُّها اللاهي الغارُّ بنَفْسِهِ كأنّي بِكَ وقد أتاكَ رَسُولُ رَبِّكَ لا يَقْرَعُ لكَ بابًا . ولا يَهابُ لكَ حِجابًا . ولا يَقْبَلُ منكَ بَدِيلًا . ولا يأخُذُ منكَ كَفِيلًا . ولا يَرْحَمُ لكَ صَغِيرًا . ولا يُوَقِّرُ فيكَ كَبِيرًا . حتّى يُؤَدِّيَكَ إلى قَعْرِ مُظْلِمَةٍ . أرجاؤُها مُوحِشَةٌ . كَفِعْلِهِ بالأُمَمِ الخالِيَةِ . والقُرونِ الماضِيَةِ . أينَ مَنْ سَعَى واجتهَدَ وجَمَعَ وعَدَّدَ . وبَنَى وشَيَّدَ وزَخْرَفَ ونَجَّدَ . وبالقليلِ لم يَقْنَعْ . وبالكثيرِ لم يُمَتَّعْ . أينَ مَنْ قادَ الجُنُودَ . ونَشَرَ البُنُودَ . أضْحَوا رُفاتًا . تحتَ الثَّرَى أمواتًا . وأنتم بكأسِهِم شارِبُونَ . ولِسَبِيلِهِم سالِكُونَ . عِبادَ اللهِ فاتَّقُوا اللهَ وراقِبُوهُ واعمَلُوا لليومِ الذي تَسِيرُ فيهِ الجِبالُ . وتَشَقَّقُ السَّماءُ بالغَمامِ . وتَطايَرُ الكُتُبُ عنِ الأيمانِ والشَّمائِلِ (لابن عبد ربّه)

خطبة أخرى له حماسية

لمّا أغار سُفيان بن عوف الأسديُّ على الأنبار في خلافة عليٍّ وعليها حسّان البكريُّ فقتله وأزال تلك الخيل عن مسارحها . فخرج عليّ حتى جلس على باب السُّدّة فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال :

٣٠ أمّا بعدُ فإنَّ الجِهادَ بابٌ مِنْ أبوابِ الجَنَّةِ . فمَنْ تَرَكَهُ ألبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ الذُّلِّ وأشْمَلَهُ البَلاءَ وألزَمَهُ الصَّغارَ وسامَهُ الخَسْفَ . ومَنَعَهُ النِّصْفَ . ألا وإنّي دَعَوْتُكُمْ إلى قِتالِ هؤلاءِ القَوْمِ لَيْلًا ونَهارًا وسِرًّا وإعلانًا . وقُلْتُ لكُم : اغْزُوهُم قَبْلَ أنْ يَغْزُوكُم فواللهِ ما غُزِيَ قَوْمٌ

قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا . فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ وَثَقُلَ عَلَيْكُمْ قَوْلِي . فَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الْغَارَاتُ . هٰذَا أَخُو غَامِدٍ قَدْ بَلَغَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ وَقَتَلَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ . وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَارِحِهَا وَقَتَلَ مِنْكُمْ رِجَالًا صَالِحِينَ ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا كُلِمَ رَجُلٌ مِنْهُمْ . فَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هٰذَا أَسَفًا مَا كَانَ عِنْدِي مَلُومًا بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا . فَوَاعَجَبًا مِنْ جِدِّ هٰؤُلَاءِ فِي بَاطِلِهِمْ وَفَشَلِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ . فَقُبْحًا لَكُمْ وَتَرَحًا حِينَ صِرْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيرُونَ . وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ . وَيُعْصَى اللّٰهُ وَتَرْضَوْنَ . فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ : حَمَارَّةُ الْقَيْظِ أَمْهِلْنَا حَتَّى يُسَبَّخَ عَنَّا الْحَرُّ . وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ ضُحًى فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ أَمْهِلْنَا حَتَّى يَنْسَلِخَ عَنَّا هٰذَا الْقُرُّ . فَأَنْتُمْ وَاللّٰهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالُ . وَيَا أَحْلَامَ أَطْفَالٍ وَعُقُولَ رَبَّاتِ الْحِجَالِ . وَدِدْتُ أَنَّ اللّٰهَ أَخْرَجَنِي مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ وَقَبَضَنِي إِلَى رَحْمَتِهِ مِنْ بَيْنِكُمْ وَأَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً . وَلِلّٰهِ جَرَتْ وَهْنًا وَوَرَيْتُمْ وَاللّٰهِ صَدْرِي غَيْظًا . وَجَرَّعْتُمُونِي الْمَوْتَ أَنْفَاسًا . وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْخِذْلَانِ حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ : إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ شُجَاعٌ وَلٰكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ . لِلّٰهِ أَبُوهُمْ وَهَلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا وَأَطْوَلُ تَجْرِبَةً مِنِّي لَقَدْ مَارَسْتُهَا وَأَنَا ابْنُ عِشْرِينَ . فَهَا أَنَاذَا قَدْ نَيَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ . وَلٰكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ

(عن نهج البلاغة والعقد الفريد والاغاني)

خطبة عمر بن عبد العزيز بخناصرة

٣١ أيها النَّاس إنكم لم تُخلقوا عبثاً ولم تتركوا سُدًى . وإنَّ لكم معاداً يحكم الله بينكم فيه . فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء وحرم جنة عرضها السماوات والأرض . واعلموا أن الأمان غداً لمن يخاف اليوم وباع قليلاً بكثير وفانياً بباقٍ . ألا ترون أنكم في أصلاب الهالكين . وسيخلفها من بعدكم الباقون حتى يردوا إلى خير الوارثين . ثم إنكم في كل يوم تشيّعون غادياً ورائحاً إلى الله قد قضى نحبه وبلغ أجله . ثم تغيبونه في صدع من الأرض ثم تدعونه غير موسَّد ولا ممهد . قد خلع الأسباب . وفارق الأحباب . وواجه الحساب . غنياً عما ترك فقيراً إلى ما قدم . وايم الله إني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم أكثر مما عندي . وأستغفر الله لي ولكم وما تبلغنا حاجة يتسع لها ما عندنا إلا سددناها . ولا أحد منكم إلا وددت أن يده مع يدي ولحمتي الذين يلونني حتى يستوي عيشنا وعيشكم . وايم الله إني لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان به ناطقاً ذلولاً عالماً بأسبابه . ولكنه مضى من الله سنة عادلة دل فيها على طاعته ونهى عن معصيته

خطبة الخليفة المهدي

٣٢ الحمد لله الذي ارتضى الحمد لنفسه ورضي به من خلقه . أحمده على

آلائه. وأمجده لبلائه. وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه توكل راض بقضائه وصابر لبلائه.... أوصيكم عباد الله بتقوى الله فإن الاقتصاد عليها سلامة. والترك لها ندامة. وأحثكم على إجلال عظمته وتوقير كبريائه وقدرته. والانتهاء إلى ما يقرب من رحمته. وينجي من سخطه وينال به ما لديه من كريم الثواب. وجزيل المآب. فاجتنبوا ما خوفكم الله من شديد العقاب. وأليم العذاب. ووعيد الحساب. يوم توقفون بين يدي الجبار. وتعرضون فيه على النار. يوم لا تتكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد. يوم يفر المرء من أخيه. وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه. لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه. يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون. يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا. إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور. فإن الدنيا دار غرور وبلاء وشرور. واضمحلال وزوال. وتقلب وانتقال. قد أفنت من كان قبلكم وهي عائدة عليكم وعلى من بعدكم. من ركن إليها صرعته. ومن وثق بها خانته. ومن أملها كذبته. ومن رجاها خذلته. عزها ذل وغناها فقر. والسعيد من تركها والشقي فيها من آثرها. والمغبون فيها من باع حظه من دار آخرته بها. فالله الله عباد الله والتوبة مقبولة والرحمة مبسوطة. وبادروا بالأعمال الزكية في هذه الأيام الخالية قبل أن يؤخذ بالكظم وتندموا فلا

تَالُونَ النَّدمَ يَوْمَ حَسْرَةٍ وَتَأَسُّفٍ. وَكَآبَةٍ وَتَلَهُّفٍ. يَوْمٌ لَيْسَ كَالأَيَّامِ. وَمَوْقِفٌ ضَنْكُ المُقَامِ.

من خُطبةٍ لهارون الرشيد

٣٣ الحَمْدُ لِلّٰهِ نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى طَاعَتِهِ وَنَسْتَنْصِرُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ. وَنُؤْمِنُ بِهِ حَقًّا وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ مُفَوِّضِينَ إِلَيْهِ.. أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللّٰهِ بِتَقْوَى اللّٰهِ فَإِنَّ فِي التَّقْوَى تَكْفِيرَ السَّيِّئَاتِ. وَتَضْعِيفَ الحَسَنَاتِ وَفَوْزًا بِالْجَنَّةِ وَنَجَاةً مِنَ النَّارِ. وَأُحَذِّرُكُمْ يَوْمًا تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ. وَتُبْلَى فِيهِ الأَسْرَارُ. يَوْمَ البَعْثِ وَيَوْمَ التَّغَابُنِ وَيَوْمَ التَّلَاقِي وَيَوْمَ التَّنَادِي. يَوْمَ لَا يُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئَةٍ وَلَا يُزْدَادُ فِي حَسَنَةٍ. يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ القُلُوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ. مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ. يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ.. فَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّٰهِ. ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ. حَصِّنُوا إِيمَانَكُمْ بِالأَمَانَةِ وَدِينَكُمْ بِالوَرَعِ وَصَلَاتَكُمْ بِالزَّكَاةِ.. وَإِيَّاكُمْ وَالأَمَانِيَّ فَقَدْ غَرَّتْ وَأَوْرَدَتْ وَأَوْبَقَتْ كَثِيرًا حَتَّى أَكْذَبَتْهُمْ مَنَايَاهُمْ. فَتَنَاوَشُوا التَّوْبَةَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ فَرَغِبَ رَبُّكُمْ عَنِ الأَمْثَالِ وَالوَعْدِ وَقَدَّمَ إِلَيْكُمُ الوَعِيدَ. وَقَدْ رَأَيْتُمْ وَقَائِعَهُ بِالقُرُونِ الخَوَالِي جِيلًا فَجِيلًا. وَعَهِدْتُمُ الآبَاءَ وَالأَبْنَاءَ وَالأَحِبَّةَ وَالعَشَائِرَ بِاخْتِطَافِ المَوْتِ إِيَّاهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ وَمِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ لَا تَدْفَعُونَ عَنْهُمْ وَلَا تَحُولُونَ دُونَهُمْ. فَزَالَتْ عَنْهُمُ الدُّنْيَا وَانْقَطَعَتْ بِهِمِ الأَسْبَابُ فَأَسْلَمَتْهُمْ إِلَى أَعْمَالِهِمْ عِنْدَ

المواقف والحساب. ليجزي الذين أساءوا بما عملوا والذين أحسنوا بالحسنى

خطبة المأمون في الفطر

٣٤ (قال بعد التكبير والتحميد): ألا وإن يومكم هذا يوم عيد وسنة وابتهال ورغبة. يوم ختم الله به صيام شهر رمضان وافتتح به حج بيته الحرام. فجعله أول أيام شهور الحج وجعله معقبا لفروض صيامكم ومتقبل قيامكم. فاطلبوا إلى الله حوائجكم واستغفروه بتفريطكم. فإنه يقال: لا كثير مع ندم واستغفار. ولا قليل مع تمادٍ وإصرار. (ثم قال): اتقوا الله عباد الله وبادروا الأمر الذي لم يحضر الشك فيه أحدا منكم وهو الموت المكتوب عليكم. فإنه لا يستقال بعده عثرة ولا تحظر قبله توبة. واعلموا أنه لا شيء بعده إلا فوقه ولا يعين على جزعه وعكره وكربه وعلى القبر وظلمته ووحشته وضيقه وهول مطلعه ومسئلة ملكيه إلا العمل الصالح الذي أمر الله به. فمن زلت عند الموت قدمه فقد ظهرت ندامته. وفاته استقامته. ودعا من الرجعة إلى ما لا يجاب إليه وبذل من الفدية ما لا يقبل منه. فالله الله عباد الله كونوا قوما سألوا الرجعة فأعطوها إذ منعها الذين طلبوها. فإنه ليس يتمنى المتقدمون قبلكم إلا هذا الأجل المبسوط لكم. فاحذروا ما حذركم الله منه واتقوا اليوم الذي يجمعكم الله فيه. لوضع موازينكم ونشر صحفكم الحافظة لأعمالكم. فلينظر عبد ما يضع في ميزانه مما يثقل به وما يملي في صحيفته الحافظة لما عليه...

وَلَستُ أَنهاكُمْ عَنِ الدُّنيا بأكثرَ مِمَّا نَهتكُمْ بهِ الدُّنيا عَنْ نَفسِها. فإنَّ كلَّ ما بها يُحذِّرُ منها وَيَنهى عنها وكُلَّ ما فيها يدعُو إلى غيرِها. وأَعظمُ ما رأتهُ أعينكُمْ مِن فجائعِها وزوالِها ذمُّ اللهِ لها والنَّهيُ عنها فإنَّهُ يقولُ تباركَ وتعالى: فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحَياةُ الدُّنيا وَلَا يَغُرَّنَّكُم باللهِ الغَرُورُ. وقالَ: إنَّما الحياةُ الدُّنيا لَعِبٌ ولَهوٌ وزِينةٌ وتفاخُرٌ بينكُمْ وتكاثُرٌ في الأَموالِ وَالأَولادِ. فانتفعوا بمعرفتكُمْ بها وَبإِخبارِ اللهِ عنها واعلموا أنَّ قومًا مِن عبادِ اللهِ أدرَكَتهُمْ عِصمةُ اللهِ. فحذِروا مصارِعها وجانبوا خدائعها. وآثروا طاعةَ اللهِ فيها وأدرَكوا الجنَّةَ بما يترُكونَ منها

خُطبة قَطَري بن الفجاءة التميمي في مِنبرِ الأزارقةِ في ذمّ الدنيا

٣٥ أمَّا بعدُ فإنِّي أُحذِّرُكُمُ الدُّنيا فإنَّها حُلوةٌ خضِرةٌ حُفَّتْ بالشَّهواتِ وراقَتْ بالقليلِ. وتحبَّبتْ بالعاجلِ وعُمِّرتْ بالآمالِ. وتحلَّتْ بالأمانيِّ وتزيَّنتْ بالغرورِ. لا تدومُ زهرتُها ولا تُؤمَنُ فجعتُها. غرَّارةٌ ضرَّارةٌ. وحائلةٌ زائلةٌ. ونافِدةٌ بائدةٌ. لا تعدو إذا تناهتْ إلى أُمنيَّةِ أهلِ الرَّغبةِ فيها والرِّضا بها أنْ تكونَ كما قيلَ: كماءٍ أنزلناهُ فاختلطَ به نباتُ الأرضِ فأصبحَ هشيمًا. مع أنَّ امرأً لم يكنْ منها في حَبرةٍ إلَّا أعقبتهُ بعدَها عبرةً. ولم يلقَ مِن سرَّائها بطنًا. إلَّا منحتهُ مِن ضرَّائها ظهرًا. ولم تطُلَّهُ منها دِيمةُ رخاءٍ. إلَّا هطلتْ عليهِ مُزنةُ بلاءٍ. وحَرِيٌّ إذا أصبحتْ لهُ منتصرةً أنْ تُمسيَ لهُ خاذِلةً متنكِّرةً. وإنْ جانبٌ منها اعذوذبَ واحلولى أمرَّ عليهِ منها جانبٌ فأوبا. وإنْ لبسَ امرؤٌ مِن غضارتِها

وَرفاهِيَتِهَا نِعماً أرهقتهُ مِن نوائِبهَا غمّاً . ولَمْ يمسِ امْرُؤٌ مِنهَا في جناحِ أمْنٍ إلّا أصبحَ مِنهَا في قوادِمِ خوفٍ . غرّارةٌ غرورٌ ما فِيهَا باقيةٌ فانٍ ما عليهَا لا خيرَ في شيءٍ مِن زادِهَا إلّا التقوى . مَنْ أقلّ مِنهَا استكثرَ ممّا يؤمِنُهُ . ومَن استكثَرَ مِنهَا لم يدمْ له . وزالَ عمّا قليلٍ عنه استكثرَ ممّا يوبِقُهُ . كَمْ واثقٍ بِهَا قدْ فجعتْهُ وذي طمأنينةٍ إليهَا قدْ صرعتْهُ . وكَمْ مِن احتالَ بِهَا قدْ خدعتْهُ . وكَمْ ذي أبّهةٍ فِيهَا قدْ صيّرتْهُ حقيراً وذي نخوةٍ فِيهَا قدْ ردّتْهُ ذليلاً . وذي تاجٍ قدْ كبّتْهُ لليدينِ والفمِ . سُلطانُهَا دُوَلٌ وعيشُهَا رنِقٌ . وعذبُهَا أُجاجٌ . وحلوُهَا مُرٌّ وغذاؤُهَا سِمامٌ . وأسبابُهَا رِمامٌ وقطافُهَا سَلعٌ . حيّهَا بعرضِ موتٍ وصحيحُهَا بعرضِ سُقمٍ . ومنيعُهَا بعرضِ اهتضامٍ . مليكُهَا مسلوبٌ وعزيزُهَا مغلوبٌ . وضعيفُهَا وسليمُهَا منكوبٌ . وجارُهَا وجامعُهَا محروبٌ . مع أنّ مِنْ وراءِ ذلكَ سكراتِ الموتِ وزفراتِهِ وهولَ المطلعِ والوقوفَ بينَ يدي الحكمِ العدلِ . ليجزيَ الّذِينَ أساؤوا بما عملوا ويجزيَ الّذِينَ أحسنوا بالحسنى . ألستُمْ في مساكنِ مَنْ كانَ مِنكُمْ أطولَ أعماراً . وأوضحَ آثاراً . وأعدَّ عديداً وأكثفَ جنوداً . وأعتدَ عتاداً . وأطولَ عماداً . تعبّدوا الدّنيا أيَّ تعبّدٍ وآثروهَا أيَّ إيثارٍ وظعنوا عنهَا بالكُرهِ والصَّغارِ . فهلْ بلغكُمْ أنّ الدّنيا سمحتْ لهُمْ نفساً بفديةٍ . وأغنتْ عنهُمْ ممّا قدْ أمّلتهُمْ بهِ بخطبٍ بجليلةٍ . بلْ أرهقتهُمْ بالفوادحِ وضعضعتهُمْ بالنّوائبِ وعفّرتهُمْ للمناخرِ . وأعانتْ عليهِمْ ريبَ المنونِ وأرهقتهُمْ بالمصائبِ . وقدْ رأيتُمْ تنكّرهَا

لِمَن دانَ لها وآثرها وأخلدَ إليها. حتى ظعنوا عنها لفراق الأبد. إلى آخر الأمد. هل زودتهم إلا الشقاء وأحلتهم إلا الضنك. أو نورت لهم إلا الظلمة وأعقبتهم إلا الندامة أفهذه تؤثرون. أو على هذه تحرصون أو إليها تطمئنون. فبئست الدار لمن لم يتهمها ولم يكن فيها على وجل منها. إعلموا وأنتم تعلمون أنكم تاركوها الأبد فإنما هي لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد. فاتعظوا فيها بالذين يبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون. وبالذين قالوا: من أشد منا قوة. واتعظوا بمن رأيتم من إخوانكم كيف حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركبانا. وأنزلوا فلا يدعون ضيفانا. وجعل لهم من الضريح أكنان. ومن التراب أكفان. ومن الرفات جيران. فهم جيرة لا يجيبون داعيا ولا يمنعون ضيما. إن أخصبوا لم يفرحوا. وإن قحطوا لم يقنطوا. جمع وهم آحاد. جيرة وهم أبعاد. متناؤون وهم يزارون ولا يستزيرون. حلماء قد ذهبت أضغانهم. وجهلاء قد ماتت أحقادهم. لا يخشى فجعهم. ولا يرجى دفعهم. وهم كمن لم يكن. إستبدلوا بظهر الأرض بطنا وبالسعة ضيقا وبالآل غربة وبالنور ظلمة. فجاؤوها حفاة عراة فرادى غير أن ظعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة إلى خلود الأبد. فاحذروا ما حذركم الله وانتفعوا بمواعظه واعتصموا بحبله عصمنا الله وإياكم بطاعته ورزقنا وإياكم أداء حقه

(لابن عبد ربه)

- نخبة من كتاب تراجم الاعياد السيديّة لابن الحديثيّ المعروف بابي الحلم (٠)

خطبة للصوم الكبير المبارك للقس رويل الدُنيسري

٣٦ ألحمد لله ألمجير الذي لا يُجار عليه. ألقديم الذي لا ملجأ منه إلا إليه. مبدئ الخلق ومعيده. ومنشئ الرزق ومفيده. مسيّر مشرقات النجوم ومغيرها. ومدبّر حركات الأفلاك ومديرها. ألمدرك المقيت. ألمهلك المميت. ألذي صوّر أصناف الخليقة فأبدع تصويرها. وقرّر اختلاف أجناسها فأحسن في تقديرها. ونشر رحمته على ضعيفها وقويها. وصغيرها وكبيرها. ألذي لا يرادّ في حكمه ولا يراجع. سامك السماء. بغير عمد في الهواء. وساطح الأرض طافية على تيّار الماء. أحمده والحمد من نعمه. وأعول في القبول على كرمه. حمداً لا يكون لمتصله انفصال. على ما لا يدرك شكره ولا ينال. لا شريك له ولا ضدّ. ولا عديل ولا ندّ. ألحيّ الذي لا يموت ولا يبلى. ألقيّوم الذي لا يسمّى بما سمّى نفسه ولا يكنّى. أيها الناس أسيموا القلوب في هذا الصوم المبارك في رياض الحكم. وأديموا النحيب على ابيضاض اللمم. إلزموا التقوى يلزمكم وقارها. واختموا الدنيا يختمكم صغارها. أوصيكم عباد الله وإياي بتقوى الله فإنها عروة ما لها انفصام. وذروة ما لها انهدام. وقدوة يؤمّ إليها الكرام. وجذوة تضيء بها الأفهام. من تعلّق بحبلها حمته محذور العاقبة. ومن تحقّق بحملها وقته

(٠) قد طُبع هذا الكتاب حديثاً في مطبعة حضرات الآباء الدومينيكانيين في الموصل وله من بلاغة العبارة وعلوّ المنهج وطلاوة الفصاحة ما يبعث على اقتنائه

شُرُودَ كُلِّ نَابِيَةٍ. قَيِّدُوا أَلسنتَكُمْ مِنَ الْخَوْضِ فِي الْبَاطِلِ. وَاقْطَعُوا عَنِ النُّطْقِ بِغِيبَةِ كُلِّ غَافِلٍ. أَلَا وَإِنَّ عَثْرَةَ الرَّجُلِ سَرِيعٌ أَنْدِمَالُهَا. وَعَثْرَةَ اللِّسَانِ فَظِيعٌ وَبَالُهَا. وَمَنْ أَبْصَرَ عُيُوبَ نَفْسِهِ عَمِيَ عَمَّنْ سِوَاهُ. وَمَنْ هَتَكَ عِرْضَ أَخِيهِ كَانَ خَصْمَهُ اللهُ. قَدْ عَمَّتْكُمْ رَحِمَكُمُ اللهُ مِنَ الصَّوْمِ النِّعْمَةُ السَّابِغَةُ. وَلَزِمَتْكُمْ مِنَ اللهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ. أَلَا وَإِنَّهُ صَوْمٌ جَعَلَهُ اللهُ مِصْبَاحَ الْعَامِ. وَوَاسِطَةَ النِّظَامِ. وَأَشْرَقَ قَوَاعِدَ النَّصْرَانِيَّةِ بِنُورِ الصِّيَامِ. فَتَأَهَّبُوا رَحِمَكُمُ اللهُ لِهٰذِهِ الْأَيَّامِ الشَّرِيفَةِ الْمُبَارَكَةِ وَلِاغْتِنَامِ وِرْدِهَا. فَكَمْ طَلِيقٍ فِيهَا مِنْ وَثَاقِ الذُّنُوبِ. وَحَقِيقٍ بِنَيْلِ كُلِّ مَطْلُوبٍ. يُنَزِّلُ اللهُ لَكُمْ فِيهَا الْأَرْزَاقَ. وَيَجْعَلُ بِبَرَكَتِهَا فِكَاكَ الْأَعْنَاقِ. فَاهْرُبُوا إِلَى اللهِ يَا عِبَادَ اللهِ فِيهَا مِنْ سُوءِ الِاجْتِرَاحِ. وَاطْلُبُوا مِنْهُ حَوَائِجَكُمْ تَظْفَرُوا بِالنَّجَاحِ. فَلَا دُعَاءَ فِيهِ إِلَّا مَسْمُوعٌ. وَلَا عَمَلَ فِيهِ إِلَّا مَرْفُوعٌ. وَلَا خَيْرَ إِلَّا مَجْمُوعٌ. وَلَا ضَرَّ إِلَّا مَدْفُوعٌ. يَا أَيُّهَا الْعَاقِلُ هٰذَا أَوَانُ ازْدِيَادِكَ وَاسْتِمَاعِكَ. وَيَا أَيُّهَا الْغَافِلُ هٰذَا وَقْتُ تَيَقُّظِكَ وَاقْتِلَاعِكَ. مَا سَأَلَ اللهَ فِيهَا سَائِلٌ إِلَّا أَعْطَاهُ. وَلَا اسْتَجَارَ بِهِ مُسْتَجِيرٌ إِلَّا أَعَزَّهُ وَكَفَاهُ. فَرَحِمَ اللهُ امْرَأً تَيَقَّظَ قَلْبُهُ مِنْ سِنَةِ هَوَاهُ. وَاخْتَارَ لِنَفْسِهِ مَا يَحْمَدُهُ مِنْ سِوَاهُ. قَبْلَ أَنْ تَتَرَامَى بِهِ الْأَقْدَارُ. وَيَحُلَّ بِهِ الْحِذَارُ. وَتُوحِشَ مِنْهُ الدِّيَارُ. وَلَا يُسْمَعَ مِنْهُ الِاعْتِذَارُ. وَلَا يُفْصِحَ بِخِطَابٍ. وَلَا يَسْمَعَ بِجَوَابٍ. مُخْتَطَفًا مِنَ الْأَحْبَابِ مُرْتَهِنًا بِالِاكْتِسَابِ. وَحِيدًا فِي مَنْزِلِ الِاغْتِرَابِ. مُوَجَّهًا يَوْمَ الْحِسَابِ. أَذِيَّ الْأَهْلِ وَأَقْرَبِ

الأصحابِ. تجهزوا فقد ضُرِبَ فيكم بوقُ الرحيلِ. وبرزوا فقد قربت لكم نوقُ التحويلِ. ودعوا التمسك بخدعِ الأباطيلِ. والركون إلى التسويفِ والتعليلِ. أظلّنا الله وإياكم في ذلك اليوم بظلِّ عرشِهِ. ووقانا وإياكم حلولَ أليم بطشِهِ. وعدلَ بنا وبكم إلى سبيلِ السلامةِ. وحملَ عنّا وعنكم أعباءَ الظلامةِ. وجعلَ الإخلاصَ بتوحيدِهِ نورًا لنا ولكم في ظلماتِ القيامةِ. ونزعَ منّا ومنكم غِلَّ القلوبِ ورفعَ عنّا وعنكم ذلَّ الذنوبِ. وجمعَ لنا ولكم في الدارينِ كلَّ محبوبٍ. وأيدنا وإياكم يومَ القيامةِ بالاستبصارِ بتصاريفِ أقدارِهِ. وأسعدنا وإياكم يوم الانبعاثِ بجوارِهِ

(دعاءٌ للآباء). اللهمَّ احرس أيامَ أبي الآباءِ الجاثليقِ الفطركِ الكبيرِ المعجدِ واحجبهُ بحجابِ العصمةِ. وخلّصهُ من قوارعِ كلِّ نقمةٍ. وأسبل عليهِ ستورَ الرأفةِ والرحمةِ. وبلّغهُ أقصى المرادِ والهمّةِ. آمين

اللهمَّ وأسعدِ المولى فلانًا بسعادةٍ تنبسطُ بها آمالُ أوليائِهِ. وتقبضُ آجالَ أعدائِهِ وافتح لهُ أقفالَ القلوبِ. وأنجح لهُ السؤالَ في المطلوبِ. وأحصنهُ منَ الدنيا وحتوفِها. وسلّمهُ من مواردِ خسوفِها

اللهمَّ وجُد على بني المعمودِيّةِ بعصمةٍ مانعةٍ من اقترافِ السيئاتِ ونعمةٍ جامعةٍ لصنوفِ الخيراتِ. ورحمةٍ ماضيةٍ لسوالفِ الخطيئاتِ. اللهمَّ وإذا انقضت منَ الدنيا أيامُنا. وأزفَ عندَ الموتِ حِمامُنا. وأحاطت بنا الأقدارُ. وشخصت إلى قدومِ الملائكةِ الأبصارُ. وعلا

ٱلأَنِينُ . وَعَرَقَ ٱلْجَبِينِ . فَمُرِ ٱللَّهُمَّ مَلَكَ ٱلْمَوْتِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِنَا شَفِيقًا . وَبِنَزْعِ نُفُوسِنَا رَؤُوفًا رَفِيقًا . أَللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لَنَا مَا أَسْرَرْنَاهُ وَمَا أَعْلَنَّاهُ . وَمَا قَدَّمْنَا وَأَخَّرْنَاهُ . وَمَا أَحْصَيْتَهُ وَنَسِينَاهُ . وَعَلِمْتَهُ وَجَهِلْنَاهُ . وَلَا تَدَعْ لَنَا أَمَلًا إِلَّا وَبَلَّغْتَنَاهُ . وَلَا سُؤَالًا إِلَّا وَأَنَلْتَنَاهُ . وَلَا شَرًّا إِلَّا وَكَفَيْتَنَاهُ . يَا خَيْرَ مَنْ عَوَّلَ عَلَيْهِ عَبْدُهُ وَرَجَاهُ . بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ . آمِينَ

لذكر السيدة مريم العذراء الواقع بين عيد الميلاد وعيد الظهور

٣٧ أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي أَنَارَ بِأَنْوَارِ ٱلْحِكَمِ مَصَابِيحَ ٱلْعُقُولِ . وَكَشَفَ عَنْهَا أَسْتَارَ ٱلظَّلَامِ فَعَرَفَتْ سِرَّ ٱلْعَقْلِ وَٱلْعَاقِلِ وَٱلْمَعْقُولِ . أَلَّذِي تَنَزَّهَ بِٱلْعِزَّةِ ٱلْقُدْسِيَّةِ عَنِ ٱلْأَجْنَاسِ وَٱلْأَنْوَاعِ وَٱلْفُصُولِ . وَتَقَدَّسَ بِسُلْطَانِ ٱلْأَحَدِيَّةِ عَنْ مُشَابَهَةِ ٱلْمَوْضُوعِ وَٱلْمَحْمُولِ . أَلَّذِي أَطْلَعَ شَمْسَ ٱلْبَرَارَةِ مِنْ مَشْرِقِ سَيِّدَةِ ٱلنِّسَاءِ ٱلطَّاهِرَةِ ٱلْبَتُولِ . وَدَرَّعَ ٱلْكَلِمَةَ ٱلْأَزَلِيَّةَ هَيْكَلًا نَاسُوتِيًّا أَظْهَرَهُ فِي ٱلْعَالَمِ ٱلْكَوْنِيِّ عَلَى هَيْئَةِ ٱلرَّسُولِ . نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَقُودُهُ رَائِدُ ٱلتَّوْفِيقِ إِلَى أَبْوَابِ ٱلْقَبُولِ . وَنَشْكُرُهُ سَرْمَدًا عَلَى إِيلَاءِ ٱلْآلَاءِ ٱلضَّافِيَةِ ٱلْأَهْدَابِ وَٱلذُّيُولِ . أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱنْتَقَلَتِ ٱلْبِيعَةُ ٱلْأُرْثُذُكْسِيَّةُ ٱبْنَةُ ٱلنُّورِ . مِنْ شَرَفٍ إِلَى شَرَفٍ وَمِنْ نُورٍ إِلَى نُورٍ . وَمِنَ ٱلْحُبُورِ بِٱلْمِيلَادِ ٱلْغَرِيبِ . إِلَى ٱلسُّرُورِ بِذِكْرِ وَالِدَةِ ٱلسِّرِّ ٱلْعَجِيبِ . مِنْ بِكْرِ ٱلْأَعْيَادِ ٱلْمَخْصُوصَةِ بِٱلْوَلَدِ . إِلَى عِيدِ ٱلْبِكْرِ حَافِظَةِ ٱلْبِكْرِيَّةِ إِلَى ٱلْأَبَدِ . مِنَ ٱلْأَفْرَاحِ بِعِيدِ مُنِيرِ ٱلْعُقُولِ . إِلَى طَرَبِ ٱلْأَرْوَاحِ بِعِيدِ ٱلسَّيِّدَةِ ٱلْبَتُولِ . هٰذَا ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي خَصَّ

بالحناء والخدمة . وأهدي فيه هدايا السلام للطاهرة الملآنة من النعمة . هذا اليوم الذي قرت ببهجته العيون . وسرت بفرحته قلوب الأبكار والعون . هذا اليوم الذي توفرت فيه الحسرة اليهودية . وافتخرت بيمن مطلعه الأسرة الداوودية . هذا اليوم الذي صدقت فيه المخايل . وأعطيت البتول الطوبى من كل الأمم وقاطبة القبائل . اليوم تشرف قبيل النساء . قدمت ركائب الأفراح على النفساء . تحلى الجيد البتولي بدر العزة القعساء . خرت ساجدة في الإيوان المغاري جباه الأساورة الرؤساء . اليوم خمدت جمرات النوائر . همدت حرارات الشكوك الثوائر . أشرقت بنور المسيح أبصار البصائر . تأرجت أنوف الخلق بأراج التهاني والبشائر . اليوم صفت المناهل والموارد . تأنست قلوب الشوارد . أذعن بالعفاف المريمي كل ضال ومارد . نظر الأعداء سيدة النساء نظر الأسود الحوارد . اليوم طربت آفاق الغبراء . إبتهجت نفس السيدة العذراء . لاح صباح المنقبة الغراء . تفطرت مرائر اليهود الأغراء . اليوم خفقت بنود السعادة . نشرت أعلام الإفادة . صبت على شعب السيد المسيح بركات الولادة . وضعت على المفرق المريمي إكليل المجد وتيجان السعادة . اليوم قرت العين المريمية . إفتخرت الجبلة الآدمية . تشرفت القرية البيت لحمية . فتقت بنور المسيح أبصار الخلق العمية . اليوم افتخرت الأنام وأقطار الورى .

قهقرت الآثام والأوزار إلى الورا . تخرصت أفواه الأغمار بالقول الهرا . وشق اليهود الأغبياء ذات التقى والطهارة بسهام الفرى . اليوم ظهرت الآيات العجيبة . بهرت المعجزات الغريبة . زالت كواذب الظنون عن الخطيئة . أزالت الآيات البواهر عن قلب يوسف مواقع الشكوك والريبة . فالواجب علينا الآن يا أمة السيد المسيح أن ندنو بالهمم والولاء إلى خدمة أم المسيح ونجل بالإكرام عيد الدرة اليتيمة . نتلق بالإعظام ذكر اللؤلؤة الغالية القيمة. نشاهد في إيوان المغارة . ذات التقى والطهارة . نحدق إلى سكينة القدس والرحمة . سرادق العز والعظمة . خزانة الأسرار السماوية . صدفة درة الحياة الأبدية . مشرق الشمس الأزلية . السماء الثانية العلية . هيكل القدرة العظيمة . مقصورة النعمة الجسيمة . باب الأسرار الخفية . حجاب الأنوار البهية . درجة الشرف الإنسي . أوج الكوكب القدسي . دقيقة الرحمة الغزيرة . حقيقة الحكمة المنيرة . ذات المباهي والمفاخر . نجلة البررة الأطهار والشرف الفاخر . مريم العذراء الصفية . متكئة على السدة المعلقية . وهي مجللة بالنور والبهاء . آذنة لمن رام الدخول وتقديم هدايا الهناء . نتأمل بعيون البصائر شرف الولادة . ونلمح سيدة النساء معتجرة برداء البهاء والسعادة . قد احتفت ملائكة السماء بسيدتها . واصطفت أجناد العلاء لخدمتها .

زي صبية خاملة الذكر مسكينة . نشاهد محيا قد مد عليه قناع الحياء والسكينة . فقيرة في العالم . أثرت بفقرها أبناء آدم . خاملة تخدمها الزمر الملائكية . حاملة لعاقد التيجان على المفارق الملكية . يتيمة لم يكن لها في فسيح الأرض مأوى . ضئيلة افتخرت بضالتها أمها حوا . ننظر إلى ملوك المجوس وقد وضعوا التيجان على رؤوسهم وأدنوا أصناف الهدايا والقرابين إلى مليكهم وقدوسهم . شدوا من قمطه على أسنة الرماح بنودا وأعلاما . واستكتبوا من ديوان رحمته لهم أمانا وذماما . نشاهد يوسف الشيخ العدول . واقفا على قدم الأفراح أمام البتول . قد ازال عن مكامن قلبه الهواجس والخطرات . واستنصل من زلة الظنون السوالف والأوهام الخطرات . قد أشحنت زوايا قلبه بالبهجة والمسرة . ولاح على وجهه البهي نور البشر والابتسام من أثناء الأسرة . يتعجب من الآيات الغرائب . ويتعجب لملوك الفرس بإدناء السلام وتقديم الحقائب . وقد أشعر نفسه بالهيبة . وترقرقت دموع الأفراح على وقار الشيبة . فلنسبح نحن لهذه الرأفة العميمة . ونشكر ترادف الآلاء والنعم الجسيمة . نملأ الأفواه من التهليل والتسبيح . ونضفر أكاليل المدائح لأم السيد المسيح . نحمل هذه الآيات الظاهرة على صدق اليقين . ونؤمن بالآيات الباهرة إيمان المصدقين . نرفض ملابس الأوزار والذنوب . ونرحض بماء

أَلتَّوبَةِ أَوضَارَ ٱلقُلوبِ. نُوطِّنُ ٱلنُّفُوسَ عَلَى ٱلصَّفحِ وَٱلإِغضَاءِ. وَنَستَعِدُّ مَعَ ٱلأَبكَارِ ٱلخَمسِ بِٱلمَصَابِيحِ وَٱلأَضوَاءِ. وَلِنَبتَغِ مِنَ ٱلقَنَايَا ٱلبَائِدَةِ مَيمَنَةَ ٱلمَسِيحِ. وَنَتَقَيَّلُ بِٱلمَلَائِكَةِ ٱلأَطهَارِ فِي ٱلتَّقدِيسِ وَٱلتَّسبِيحِ. وَنَتَشَفَّعُ بِصَلَاةِ زَهرَةِ ٱلبَشَرِيَّةِ. ٱلزَّاهِرَةِ بِٱلأَنوَارِ ٱلبَهِيَّةِ. غَمَامَةِ ٱلأَسرَارِ ٱلعَلِيَّةِ. ٱلَّتِي أَومَضَت مِنهَا بُرُوقُ ٱلبَتُولِيَّةِ. ذَاتِ ٱلوَضَاءِ ٱلأَشرَقِ. وَٱلثَّنَاءِ ٱلأَفيَحِ ٱلأَعبَقِ. أَلسَّيِّدَةِ ٱلطَّاهِرَةِ ٱلزَّكِيَّةِ. سَكِينَةِ ٱلقُدرَةِ ٱلعَلِيَّةِ. أَن يَرفَعَ ٱللهُ عَنَّا مَوَارِدَ ٱلنِّقَمِ بِصَلَاتِهَا وَيَجمَعَ لَنَا شَوَارِدَ ٱلنِّعَمِ بِدُعَائِهَا وَبَرَكَاتِهَا. وَيُوَفِّقَنَا لِلتَّعَلُّقِ فِي يَومِ ٱلقِيَامَةِ بِأَهدَابِهَا. وَنَكُونَ فِي مَجمَعِ ٱلأَبرَارِ مِن خَوَاصِّهَا وَأَصحَابِهَا. وَيُؤَهِّلَنَا لِفِعلٍ نَحُوزُ بِهِ رِضَاهُ فِي طَاعَتِهَا. وَيَجعَلَنَا مِن أَصحَابِ ٱليَمِينِ بِصَلَاتِهَا وَشَفَاعَتِهَا. وَيَمزِجَنَا بِزُمرَةِ ٱلآبَاءِ ٱلمُؤَيَّدِينَ. وَجَمِيعِ ٱلشُّهَدَاءِ وَٱلقِدِّيسِينَ. بِرَحمَتِهِ ٱلَّتِي تَعُمُّ ٱلأَحيَاءَ وَٱلمَيِّتِينَ. وَيُسبِغُ سِجَالَهَا عَلَى ٱلخَلقِ كَافَّةً أَجمَعِينَ

لعيد السلاق (اي الصعود)

٣٨ أَلحَمدُ لِلهِ ٱلَّذِي هَدَانَا إِلَى طَرِيقِ ٱلهُدَى وَوَاضِحِ مِنهَاجِهِ. وَفَتَحَ لَنَا بَابَ ٱلمَلَكُوتِ بِإِقلِيدِ شَرعِهِ ٱلفَضلِيِّ بَعدَ إِغلَاقِهِ وَإِرتَاجِهِ. وَثَقَّفَ نَوعَنَا ٱلبَشَرِيَّ بِٱلأَوَامِرِ وَٱلنَّوَاهِي مِن زَيغِهِ وَٱعوِجَاجِهِ. وَقَادَهُ بِأَزِمَّةِ ٱلعِنَايَةِ إِلَى ٱلحَظَائِرِ ٱلقُدسِيَّةِ بَعدَ إِبَائِهِ وَلَجَاجِهِ. وَأَرسَلَ مُخَلِّصَ ٱلكُلِّ ظَاهِرًا بِصُورَةِ ٱلنَّاسُوتِ لِإِبرَاءِ جِبِلَّةِ آدَمَ وَعِلَاجِهِ. فَرَتَّبَ لَهُ مِن قَوَانِينِ شَرعِهِ ٱلِاختِصَاصِيِّ دَوَاءً أَفضَى إِلَى صِحَّتِهِ وَتَعدِيلِ

بزاجه. وشرَّف مفرقه بإكليل المُلك الأبدي وتاجه. وأصعده سرًّا إلى قمم السماء يوم سُلّاقه ومعراجه. نحمده حمدًا تقدُ في ظلماء القلوب أضواء سراجه. ونشكره شكرًا تزهو كواكب الإخلاص في أفقه وأبراجه. أيها المؤمنون إنَّ أسنى الأيام العظام. وأبهى المواسم. وأحلى المواقيت الكرام. التي تفترُّ لها المضاحك والمباسم. عيدٌ عبقت بأرجه الرياح النواسم. وتحلّت بلآلئ فخره المفارق والمناسم. يومٌ ختمت به معاقد الأعياد المسيحيّة. وسلّمت قواعد الكهنوت إلى الزمر السليحيّة. يومٌ رقيت فيه صفوة الجبلّة البشريّة إلى المحلّ الشامخ. واستوطأت صهوة العزّ الأبدي والشرف الباذخ. يومٌ توقّل مخلّص البرايا أشمخ الذروات العليّة وأسمى القلل العواصم. هذا اليوم العظيم والميقات النبيه. والعيد الذي جلّت مفاخره عن النظائر والتشبيه. هذا اليوم الذي أشرق فيه هلال الحق من سدف السِّرار. وتحلّت فيه نحور العقائد بقلائد الأسرار. هذا اليوم الذي تحقّقت فيه براهين الرجاء. وتضوّعت ببشرى سُلّاق المسيح كلّ النواحي والأرجاء. هذا اليوم الذي رأته الأبصار فيه صاعدًا على المناكب الأكروبيّة. ولمحته الأفكار قاعدًا على منصّة الرتب العليّة. هذا اليوم الذي رشّ فيه طلّ الخيرات من غمام معينه. وأمطر سحائب البركات على الأنصار من يمن يمينه. أليوم فتحت أبواب مدينة الأطهار. نضيت ستور الأسرار عن بيعة الأبكار.

طَرِبَتْ مَلائِكَةُ ٱلسَّماءِ بِرَئِيسِ ٱلأَحْبارِ. تَبَوَّأَ مَقْعَدَ ٱلعِزِّ ٱلأَبَدِيِّ عَلى مِنْبَرِ ٱلأَنْوارِ. أَلْيَوْمَ بَرِحَتِ ٱلأَسْرارُ وَٱلْخَفايا. مُنِحَتِ ٱلأَذْخارُ وَٱلْعَطايا. صُفِحَتِ ٱلأَوْزارُ وَٱلْخَطايا. صَعِدَ ٱلْمَسِيحُ إِلى ٱلْعَلاءِ وَسَبى ٱلسَّبايا. أَلْيَوْمَ أَفَلَتْ رَجاءُ ٱلأَحْياءِ وَٱلأَمْواتِ. أُرْتِجَتْ أَرْجاءُ ٱلسَّماواتِ. حَقَّ ٱلنَّجاءُ لِذَوِي ٱلْخَطايا وَٱلْهَفَواتِ. وَٱسْتَغْفَرَ ٱلْمُخَلِّصُ لِأُمَّتِهِ كُلَّ ٱلْخَطايا وَٱلزَّلّاتِ. أَلْيَوْمَ ٱنْحَسَرَتْ غُمَّةُ ٱلْعُبُودِيَّةِ. ٱكْتَأَبَتِ ٱلأُمَّةُ ٱلْيَهُودِيَّةُ. صَحَّتِ ٱلْكَلِمَةُ ٱلدّاوُودِيَّةُ. رَقِيَ ٱلْمَسِيحُ بِٱلْمَجْدِ وَأَصْواتِ ٱلْقُرُونِ إِلى سُدَّةِ ٱلأَبَدِيَّةِ. أَلْيَوْمَ أَخْفَقَتْ أَدِلَّةُ ٱلضَّلالِ. أَشْرَقَتْ أَهِلَّةُ ٱلإِقْبالِ. أَوْرَقَتْ غُصُونُ ٱلآمالِ. رَقِيَتْ صُورَةُ آدَمَ مِنْ قَعْرِ ٱلْحَضِيضِ ٱلأَوْهَدِ إِلى ذُرْواتِ ٱلْكَمالِ. أَلْيَوْمَ هَبَّتْ نَسائِمُ ٱلرِّضاءِ وَٱلِٱخْتِصاصِ. هَبَّتْ نَوائِمُ آمالِ ٱلتَّلامِيذِ ٱلْخَواصِّ. أَلْيَوْمَ قَرَّتْ عُيُونُ ٱلأَمْلاكِ. تَشَرَّفَتْ مُتُونُ ٱلأَفْلاكِ. سَكَنَ ٱلشَّوْقُ ٱلآدَمِيُّ وَٱسْتَراحَ. مُلِئَتْ قُلُوبُ أَهْلِ ٱلسَّماءِ بِٱلْبَهْجَةِ وَٱلأَفْراحِ. مَلَكَ صَفْوَةُ جِنْسِهِ إِقْلِيمَ ٱلسَّماءِ. شُرِّفَ بِأَخَصِّ ٱلأَلْقابِ وَأَحْسَنِ ٱلأَسْماءِ. رَقِيَتْ قَلاعَتُهُ إِلى قُلَّةِ ٱلسَّماءِ ٱلْعَلِيَّةِ. إِسْتَوْطَنَتْ أَرائِكَ ٱلنُّورِ فِي قُصُورِ ٱلأَزَلِيَّةِ. إِسْتَبْشَرَ سُكّانُ ٱلصَّفِيحِ ٱلأَعْلى بِإِيابِهِ. تَعَلَّقَتِ ٱلزُّمَرُ ٱلْمَلائِكِيَّةُ بِذُيُولِهِ وَأَهْدابِهِ. تَبَرَّكَتِ ٱلسَّماءُ بِوَطْءِ أَقْدامِهِ. بَرَزَ ٱلإِذْنُ مِنْ سُرادِقِ ٱلأَزَلِيَّةِ بِتَعْظِيمِهِ وَإِكْرامِهِ. سُمِعَتْ ضَجَّةُ ٱلْمَلائِكَةِ بِتَقْرِيضِهِ وَمَدِيحِهِ. تَعالَتْ لَجَّةُ ٱلْمَلَإِ ٱلأَعْلى بِتَمْجِيدِهِ وَتَسْبِيحِهِ.

نستبشر نحن معاشر المؤمنين بسلاق السيد المسيح . نتقيل بأصناف الملائكة في السجود والتسبيح . نرفع الهمم عن مساقط الشهوات الأرضية . نقود القلوب بأزمة العزائم إلى الطرائق المرضية . ننفض عن الأبدان قشور الكثافة . ونسربل الأذهان بنور اللطافة . نرقى إلى قلل العلى بأقدام الفكر . ونلحظ بأبصار النهى مخلصنا ابن البشر . نراه على سدة النور جالساً . وبالحضرة القدسية مستأنساً . وفي خدور النور مزفوفاً . وبأجناد السماء محفوفاً . نكتنف بظله الظليل الوارف . ونشكر أنعمه التوالد والطوارف . نتشبث بأهداب أثوابه . ونلصق الخدود خاضعة على أعتاب أبوابه . ونطلب من مظان رحمته . وديوان إحسانه ورأفته . أن يسبل ستور الرضوان على بوادي عيوبكم . ويروي بماء الغفران صوادي قلوبكم . ويجعل عيونكم بالرؤية المسيحية قريرة . وقلوبكم بأنوار البهجة العيدية فرحة مستنيرة . ووجوهكم يوم فيئته بادية السفور مشرقة الوضاء . ومصابيح أعمالكم مستعرة بالأنوار زاهرة الأضواء . ولا برحت غمائم البركات عليكم واكفة . ونسائم الخيرات متتابعة الهبوب مترادفة . وأبواب السماء لدعواتكم مفتوحة . وخطاياكم وآثامكم بالعفو والغفران مصفوحة . وإذا ما آب مخلصكم من سماء عزته . وأشرق نور لوائه الأزهر على أشخاص أمته . يجعلكم مع الأصفياء في زمرته . ويقعدكم على سدد النور مع أهل الاصطفاء عن ميمنته . آمين

الباب الثالث
في الأمثال

نخبة من امثال العرب للميداني

٣٩ آخِرُ ٱلدَّوَاءِ ٱلْكَيُّ ١ * آفَةُ ٱلْمُرُوءَةِ خُلْفُ ٱلْمَوْعِدِ * آكُلُ لَحْمِي وَلَا أَدَعُهُ لِآكِلِ * آكَلُ مِنَ ٱلسُّوسِ * آكَلُ مِنْ ضِرْسٍ * آكَلُ مِنْ نَارٍ * آلَفُ مِنْ حَمَامِ مَكَّةَ * آلَفُ مِنَ ٱلْحُمَّى * آلَفُ مِنْ غُرَابِ عُقْدَةَ ٢ * آلَفُ مِنْ كَلْبٍ * آمَنُ مِنَ ٱلْأَرْضِ ٣ * آبَ وَقِدْحُ ٱلْفَوْزَةِ ٱلْمَنِيحُ ٤ * أَبَتِ ٱلدَّرَاهِمُ إِلَّا أَنْ تُخْرِجَ أَعْنَاقَهَا ٥ * أَبْخَلُ مِنْ ذِي مَعْذَرَةٍ ٦ * أَبْخَلُ مِنْ صَبِيٍّ ٧ * أَبْخَلُ مِنَ ٱلضَّنِينِ بِنَائِلِ غَيْرِهِ * أَبْخَلُ مِنْ كَلْبٍ ٨ * إِبْدَأْهُمْ بِٱلصُّرَاخِ يَفِرُّوا ٩ * أَبْرَدُ مِنْ بَرْدِ ٱلْكَوَانِينِ * أَبْرَدُ مِنْ جِرْبِيَاءَ ١٠ * أَبْرَدُ مِنْ عَضْرَسٍ * أَبْرَدُ مِنْ غِبِّ ٱلْمَطَرِ * أَبْرَدُ مِمَّنْ يَسْتَعْمِلُ ٱلنَّحْوَ فِي ٱلْحِسَابِ * أَبْشَمُ مِنْ

---

١ مثل يُضرَب لامر شديد لا صبر عليه ٢ عُقدة ارض كثيرة النخل

٣ لانها تؤدّي ما تُودَع ٤ يُضرَب لمن غاب ثم يجيء بعد فراغ القوم مما هم فيه فهو يعود بخيبته ٥ اي لا يستطيع صاحب الغنى ان يكتمها وهذا المثل كقولهم انّ الغنيّ طويل الذيل ميّاس ٦ يحمدون لقى الضيف بالقرى قبل الحديث ويعيبون تلقيهُ بالحديث والالتجاء الى المعذرة والشمال والتنحنح والعرب تقول: المعذرة طرف من البخل

٧ يكون في يده ادنى شيءٍ فيشحُّ به

٨ قال الشاعر: ومَن طلب الحوائج من لئيمٍ كمن طلب العظامَ من الكلابِ

٩ يُضرَب للظالم يتظلّم ليُسكَت عنهُ ١٠ الجربياء اسم للشمال والريح بين الجنوب والصبا

مَثَلٍ غيرِ سائرٍ * أَبصرُ مِن عُقابِ مَلاعٍ ١ * أَبصرُ مِن فَرَسٍ بِبَهماءَ في غَلَسٍ * أَبطأُ مِن غُرابِ نوحٍ * أَبغضُ مِنَ الشَّيبِ إلى الغَواني * أَبغى مِنَ المُخبرةِ * أَبغضُ مِن وُجوهِ التُّجارِ يومَ الكَسادِ * أَبقى على الدَّهرِ مِنَ الدَّهرِ * أَبقى مِن وَحيٍ في حَجَرٍ ٢ * أَبكى مِنَ اليَتيمِ * إبلي لم أَبِعْ ولم أَهَبْ ٣ * إبنُ آدمَ حريصٌ على ما مُنِعَ عليهِ * إبنُهُ على كَتِفِهِ وهو يطلُبُهُ * أَبيَنُ مِن فَلَقِ الصُّبحِ * أَتبِعِ الحَسَنةَ السَّيِّئةَ تَمحُها ٤ * أَتَت عليهِ أُمُّ اللُّهَيمِ ٥ * إتَّخَذَ الباطِلَ دَخَلًا * أَترَبَ فَندَحَ ٦ * أَترَفُ مِن رَبيبِ نِعمةٍ * أُترُكِ الشَّرَّ يَترُككَ * إتَّكَلنا منهُ على خُصٍّ ٧ * أَتمَكُ مِن سَنامٍ * أَتى عليهم ذو أَتى ٨ * أَتيَهُ مِن قَومِ موسى ٩ * أَثبَتُ في الدَّارِ مِنَ الجِدارِ * أَثبَتُ مِن أَصَمَّ رأسًا ١٠ * أَثبَتُ مِنَ الوَشمِ * أَثقَفُ مِن سِنَّورٍ ١١ * أَثقَلُ مِن طَودٍ * أَثقَلُ مِنَ المُنتَظَرِ * الإثمُ حَزَّازُ القُلوبِ * أَجدى مِنَ الغَيثِ في أَوانِهِ * أَجرأُ مِن أُسامةَ * أَجرَدُ مِن صَلَعةٍ ١٢ * إجلِسْ حيثُ تُؤخَذُ بِيَدِكَ

١ ملاع الصحراء. قالوا: ان عقاب الصحراء ابصر واسرع من عقاب الجبال

٢ كانت عرب اليمن تكتب الحكمة في الحجارة طلبًا لبقائها . والناس يقولون: التأديب في الصغر كالنقش في الحجر ٣ يُضرَب للظالم يخاصمك فيما لا حقَّ لهُ فيهِ . قال بعضهم:

يا قيس درعي لم أَبع ولم أَهَب ولم اكن يا قيس ممن يُغتصَب

٤ يُضرَب في الانابة بعد الاجترام ٥ اهلكتهُ الداهية ويقال المنيَّة

٦ يضرب المثل لمن غنيَ فوسَّع عيشهُ وبذَّر مالهُ مسرفًا ٧ هو جدار القصب (كذا في الاصل)

٨ أي حوادث الدهر ٩ أرادوا بهِ مكث بني اسرائيل في التيه اربعين سنة

١٠ يعنون الجبل ١١ الثقف الآخذ بسرعة . يقال رجل ثَقْف لَقْف اذا كان جيد الحذر في القتال . ويقال هو سريع الطعن ١٢ الصلعة الصخرة الملساء

وَتُبِرُّ. لَاحَيْثُ تُؤْخَذُ بِرِجْلِكَ وَتُجَرُّ * أَجْمَعُ مِنْ نَمْلَةٍ * أَجْوَعُ مِنْ ذِئْبٍ ١ * أَجْهَلُ مِنْ فَرَاشٍ ٢ * يَجْرِي بُلَيْقٌ وَيُذَمُّ ٣ * جَدَحَ جُوَيْنٌ مِنْ سَوِيقِ غَيْرِهِ ٤ * أَسْمَعُ جَعْجَعَةً وَلَا أَرَى طِحْنًا ٥ * مَالَ سَرْجُهُ ٦ * فُلَانٌ لَا تَنْدَى صَفَاتُهُ ٧ * أَحْدَ حِمَارَيْكِ فَازْجُرِي ٨ * أَحْرَصُ مِنَ الذَّرَّةِ * أَحْسَنُ مِنْ بَيْضَةٍ فِي رَوْضَةٍ * أَحْسَنُ مِنَ الدُّهْمِ الْمُوَقَّفَةِ ٩ * أَحْسَنُ مِنْ زَمَنِ الْبَرَامِكَةِ * أَحْسَنُ مِنْ شَنْفِ الْأَنْضُرِ ١٠ * إِحْفَظْ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ ١١ * أَحْكَمُ مِنْ لُقْمَانَ * أَحْكَى مِنْ قِرْدٍ * أَحَلُّ مِنْ لَبَنِ الْأُمِّ * أَحْلُبْ حَلَبًا لَكَ شَطْرُهُ ١٢ * أَحْلَى مِنْ حَيَاةٍ مُعَادَةٍ * أَحْلَى مِنْ نَيْلِ الْمُنَى * أَحْمَضُ مِنْ صَفْعِ الذُّلِّ فِي بَلَدِ الْغُرْبَةِ * أَحْمَقُ بَلْغٌ ١٣ * أَحْمَقُ مِنَ الْمُمْتَخِطِ بِكُوعِهِ * أَحْمَلُ مِنَ الْأَرْضِ * أَحْيَرُ مِنْ

---

١ ومنهُ داء الذئب وتقول العرب: رماهُ الله في داء الذئب ٢ دوابّ مثل البعوض تطير وتتهافت على السراج ٣ بُلَيق فرسٌ سبّاق كان يسبق الخيل وكان مع ذلك يُعاب. يُضرَب للمُحسن الذي يُذَمّ مع احسانهِ ٤ يُضرَب للبخيل يجود من اموال الناس ٥ يُضرَب للجبان يَوعد ولا يوقع وللبخيل يَعِد ولا يُنجِز

٦ يُضرَب في اضطراب الامر وفشل الراي. ومنهُ قول الربيع بن زياد العبسي:

فكنّا فوارسَ يوم الهرير اذا مال سرجُك فاستقدَما

٧ الصفاة الحجر الصلب الضخم. يُضرَب في شدَّة الحرص والإمساك

٨ يُقال لمن يتكلَّف ما لا يعنيهِ ٩ هي التي في قوائمها بياض ١٠ الأنضُر جمع نَضر وهو الخالص من الذهب. قال الشاعر:

وبياضُ وجهٍ لم تَحُلْ اسرارهُ مثل الوذيلة او كشَنف الانضُرِ

١١ يُضرَب في الحثّ على اخذ الامر بالحزم ١٢ يُضرَب للرجل يُعين صاحبهُ على امرٍ لهُ فيهِ نصيب ١٣ هذا يحتمل وجهين احدهما انهُ احمق ويبلغ ما يريد. والآخر انَّ حماقتهُ قد بلغت

لَيلٍ ١ * أَحيا مِن فتاةٍ * أَخبرَتهُ بِجُرِي وَبُجَرِي * أَخبرَتهُ خُبُورِي وَشُقُورِي وفُقُورِي * أَخبطُ مِن عشواء * أَخبطُ مِن حَاطِبِ لَيلٍ ٢ * إِختلطَ ٱلخَاثِرُ بِٱلزُّبادِ ٣ * أَخذَ فِي تُرَّهاتِ ٱلبَسَابِسِ ٤ * أَخذَتِ ٱلأَرضُ زُخارِيهَا ٥ * أَخذْنا فِي ٱلبرْقَلَةِ * أَخذَنِي بِأَطِيرِ غَيرِي * أَخذَهُ عَلَى غِلِّ غَيظِهِ ٦ * أَخرِجِ ٱلطَّمعَ مِن قلبِكَ تَحُلَّ ٱلقَيدَ مِن رِجلِكَ * إِنَّ فِي ٱلشَّرِّ خِيارًا ٧ * إِنَّ ٱلخَصاصَ يُرى مِن جوفِها ٱلرَّقمُ ٨ * إِنَّ فِي ٱلمَعارِيضِ لَمَندُوحةً عَنِ ٱلكَذِبِ ٩ * عَادَت إِلَى عِترِها لَمِيسُ ١٠ * هٰذا بَرضٌ مِن عِدٍّ ١١ * يُبلَغُ ٱلخَضمُ بِٱلقَضمِ ١٢ * لِكُلِّ سَاقِطةٍ لَاقِطةٌ ١٣ * عَادَ ٱلسَّهمُ إِلَى ٱلنَّزَعةِ ١٤ * هُوَ كَٱلكَاتِبِ عَلَى صَفَحاتِ ٱلمَاءِ ١٥ * أَشهرُ مِن نَارٍ عَلَى عَلَمٍ ١٦ * إِن كُنتَ رِيحًا فقد لَاقيتَ

---

١ من الحَبَرَة . والليلُ ولدُ الحُبارى . قال الزمخشري : بل جُعِلَت الحيرة للّيل وهي في المعنى لاهلهِ ٢ لان الذي يحتطب ليلًا يجمع كل شيء مما يحتاج اليهِ ومما لا يحتاج فلا يدري ما يجمع ٣ للقوم يقعون في التخليط من امرهم ٤ لمن جاء بكلام كذب مُحال وسلك في الطريق الذي لا يُنتفع بهِ ٥ لمن صلح حالهُ بعد فسادهِ ٦ اي رغمًا عنهُ وعلى أثر غيظ أكمنَهُ في قلبهِ . ويروى : قِلّ ٧ بعض الشرّ أهوَن من بعض خير . ويجوز ان يكون الخِيار الاسم من الاختيار اي في الشرّ ما يُختار على غيرهِ ٨ اي الشيء العظيم يُرى في الشيء الحقير ٩ لمن يحسب انهُ يضطرّ الى الكذب ١٠ اي رجعت الى اصلها . يُضرَب لمن رجع الى خُلقٍ كان قد تركهُ ١١ يُضرَب لمن يعطي قليلًا من كثير ١٢ اي الغاية البعيدة تُدرَك بالرفق . وقيل المراد بالخضم اكل الشيء الرَّطب والقضم اكل الشيء اليابس . اي الراحة والسهولة تحصل باحتمال العَناء والمشقّة ١٣ اي لكلّ كلمة سقطت من فم الناطق نفسٌ تسمعها فتلقطها فتذيعها . يُضرَب في حفظ اللسان ١٤ اي رجع الحقّ الى اهلهِ ١٥ يُضرَب لمن لا يؤثّر عملهُ شيئًا ١٦ يُضرَب في الشهرة

إِعْصَارًا * بِعِلَّةِ ٱلْوَرَشَانِ يَأْكُلُ رُطَبَ ٱلْمُشَانِ ١ * لَا يَعْرِفُ ٱلْهِرَّ مِنَ ٱلْبِرِّ ٢ * عِنْدَ ٱلرِّهَانِ تُعْرَفُ ٱلسَّوَابِقُ ٣ * لَا تَهْرِفْ بِمَا لَا تَعْرِفُ ٤ * أَنْجَزَ حُرٌّ مَا وَعَدَ ٥ * فُلَانٌ يَعْلَمُ مِنْ حَيْثُ تُؤْكَلُ ٱلْكَتِفُ ٦ * أَلْقَى حَبْلَهُ عَلَى غَارِبِهِ * إِنَّمَا يُضَنُّ بِٱلضَّنِينِ ٧ * نَحْنُ نَبِقُ لِيَنْبَاعَ ٨ * هُوَ إِمَّعَةٌ وَهُوَ إِمَّرَةٌ ٩ * هُمَا زَنْدَانِ فِي وِعَاءٍ ١٠ * إِذَا ٱرْجَحَنَّ شَاصِيًا فَٱرْفَعْ يَدًا ١١ * هَوِّنْ عَلَيْكَ وَلَا تُولَعْ بِإِشْفَاقٍ ١٢ * لَا تَكُنْ حُلْوًا فَتُسْتَرَطَ وَلَا مُرًّا فَتُعْقَى ١٣ * يَجْمَعُ بَيْنَ ٱلْأَرْوَى وَٱلنَّعَامِ ١٤ * لَيْسَ قَطًا مِثْلَ قُطَيٍّ ١٥ * جَاءَ بَعْدَ ٱلْهِيَاطِ وَٱلْمِيَاطِ ١٦ * كَٱلْمُسْتَغِيثِ مِنَ ٱلرَّمْضَاءِ بِٱلنَّارِ ١٧ * لَا آتِيكَ أَوْ يَؤُوبَ ٱلْقَارِظُ ٱلْعَنَزِيُّ ١٨ * أَخَذَهُ بِرُمَّتِهِ ١٩

---

١ اي ان الصيَّاد بحجة سعيهِ في اثر الصيد يدخل بين النخل فيأكل التمر بحجة العلة . يُضرَب لمن يظهر شيئاً والمراد منهُ شيء آخر ٢ قيل الهر القطّ والبر الفارة وقيل المراد الشر من الخير . وقيل الحق من الباطل . يُضرَب في الجهالة

٣ يُضرَب لبيان الامر عند الاختبار ٤ الهَرْف الاطناب في المدح

٥ وهو لانجاز الوعد ٦ للاريب الداهي ٧ للصلة والقطيعة

٨ هو للطرق حتى يصيب الفرصة ٩ للرجل الذي لا عـزم لهُ يتابع كل احد على رايهِ ١٠ للمتساويين في الخير والشر ١١ يقول اذا رأيتهُ قد خضع واستكان فاكفف عنهُ ١٢ للصبر على المصائب ١٣ يُضرَب لتوسُّط الامور

١٤ يُضرَب لسوء المرافقة . لان مسكن الاروى الجبال ومسكن النعام الرمل

١٥ يُضرَب للغلط في القياس ١٦ اي لحاجة مقضية ١٧ للظالم الذي لا يشفق

١٨ يُضرَب لكل غائب لا يُرجَى ايابهُ . والقارظ رجلٌ من عنَزة خرج يجني القَرَظ فلم يرجع ولا عُرِف لهُ خبرٌ ١٩ الرُّمَّة قطعة من الحبل . اصل المثل ان رجلاً دفع الى رجل بعيراً بحبل في عنقهِ . فقيل لكل من دفع شيئاً بجملتهِ : دفعهُ اليهِ برمّتهِ واخذهُ منهُ برمّتهِ

نخبة من امثال الميداني وابن نُباتة وغيرهما مع شرحها

٤٠ يَوْمُ عُبَيْدٍ (ويُقالُ عَبِيد)

يُضرَب لليوم المحوس الطالع . وكان عُبَيد بن الابرص تصدَّى فيهِ للنعمان في يوم بؤسهِ . وكان لهُ يوم بؤس مَن لقيهُ فيهِ اهلكهُ ويوم نعيم من لقيهُ فيهِ اكرمهُ . فقال النعمان : يا عُبَيد انك مقتول فانشدني « اقفر من اهلهِ ملحوب » . فانشد :

اقفر من اهلهِ عَبيدُ   فظلَّ لا يُبدي ولا يُعيدُ

ثم قتلهُ وصار يومهُ يُضرَب بهِ المثل . قال ابو تمَّام :

لمَّا اظلَّتني سماؤُكَ اقبلتْ   تلكَ الشهود عليَّ وهي شهودي

من بعد ما ظنَّ الأعادي أنهُ   سيكون لي يومٌ كيوم عَبيدِ

٤١ صَمْصَامَةُ عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرِبَ ٱلزُّبَيْدِيِّ

من اشهر سيوف العرب وبهِ يُضرَب المثل في كرم الجوهر وحسن المنظر والمَخبَر والمَضاء . وكان عمرو فارس زُبَيد حسن الاستعمال لهُ في الجاهلية . وفيهِ يقول :

سِناني ازرقٌ لا عيبَ فيهِ   وصَمصامي يُصمِّم في العظام

وقال عبدالله بن العبَّاس لبعض اليمانيين : لكم من السماء نجمها ومن الكعبة رُكنها ومن السيوف صمصامها . يعني سُهَيلًا والركن اليماني وصمصامة عمرو بن معدي كرب

٤٢ حَدِيثُ خُرَافَةَ

خُرافة رجل من بني عُذرة استهوتهُ الجنّ . فلمَّا رجع الى قومهِ جعل يحدّثهم بالأعاجيب من احاديث الجن . وكانت العرب اذا سمعت حديثًا لا اصل لهُ قالت : حديث خُرافة

٤٣ نَخْوَةُ ٱلْعَرَبِ

لم تزل تتميَّز العرب عن سائر الامم بالنخوة لما فيها من الشجاعة والكرم والفصاحة حتَّى ان النعمان بن المنذر امتنع عن مصاهرة كسرى ابرويز ملك الفرس

٤٤ عُرْوَةُ ٱلصَّعَالِيكِ

هو عروة بن الورد العبسيّ . وانما سُمّي عروة الصعاليك لانهُ كان اذا شكا احد اليهِ الفقرَ اعطاهُ فرسًا ورمحًا وقال لهُ : ان لم تستغنِ بهما فلا اغناك الله

٤٥ جَوْفُ حِمَارٍ

من امثال العرب هو اكفر من حِمار واخلى من جوف حمار . وهو ابن مُوَيلع من عاد .

وجوفٌ وادٍ لهُ طويل عريض لم يكن ببلاد العرب اخصب منهُ . وفيهِ من كل الثمرات فخرج بنوهُ يتصيَّدون فاصابتهم صاعقة فهلكوا فقال : لا اعبُد مَن اهلك اولادي . فكفر ودعا قومهُ الى الكفر فمن خالفهُ قتلهُ . فاخرب الله تعالى واديهُ فضُرب بهِ المثل في الخراب . فقال امرؤُ القيس : وَوادٍ كجوف العَير قفرٍ قطعتهُ بهِ الذئبُ يَعوي كالخليع المُعيَّلِ

٤٦ حُصْنُ تَيْمَاءَ

بلدة بين الحجاز والشام ولها حصن يُتمثَّل بهِ في الحصانة ويقال ان سليمان بناهُ بالحجارة والكلس فمنعتهُ العرب . ثم ملكهُ عادياء اليهودي ثم ابنهُ السموءَل . وفيهِ يقول الاعشى :

اری عاديا لم يمنع الموتَ مالهُ وفردٌ لتيماء اليهوديّ ابلقُ
بناهُ سليمان بن داود حِقبةً لهُ اَزَجٌ صُمٌّ وطينٌ مُوثَّقُ
يوازي كُبَيداتِ السماء ودونهُ مِلاطٌ ودارات وكِلسٌ وخَندقُ

٤٧ كَعْبَةُ نَجْرَانَ وَقَصْرُ غُمْدَانَ

نجران اقدم بلاد اليمن وكان لها كعبة تُحَجّ فخربت وضُرب بها المثل في الخراب وزوال الدولة . وقال ابو عُبيدة : احبَّت العربُ ان تشارك العجم في البنيان وتنفرد بالشعر . فبنوا غُمدان وهو قصر شاهق مشهور وكعبة نجران وحصنَ تيماء الابلق الفرد وغير ذلك من البنيان . وغمدان احد الابنية الوثيقة للعرب يُتمثَّل بهِ في الحصانة والوثاقة سكنهُ ملوك حمير . ثم تنقَّلت بهِ احوال ادَّت الى خرابهِ

٤٨ إِنَّ ٱلْمُوَصَّيْنَ بَنُو سَهْوَانَ

قيل هذا معناهُ : انما يحتاج الى الوصيَّة مَن يسهو ويغفل فامَّا انت فغير محتاج اليها لانك لا تسهو . وقال بعضهم : يريد بقولهِ « بنو سهوان » جميعَ الناس لان كلهم يسهو . والاصوب في معناهُ ان يقالَ ان الذين يوصون بالشيء يستولي عليهم السهو حتى كأنهُ موكَّل بهم . ويُضرَب لمن يسهو عن طلب شيء أُمِر بهِ . والسهوان السهو ويجوز ان يكون صفة اي بنو رجل سهوان وهو آدم حين عُهِد اليهِ فسها ونسي . يقال رجل سَهْوان وساهٍ اي ان الذين يُوصَّون لا بدَّ ان يسهوا لانَّهم بنو آدم

٤٩ أَكْرَمُ مِنْ حَاتِمِ طَيِّئٍ

جواد العرب المضروب بهِ المثل في الجود وفيهِ يقول الشاعر :

لمَّا سألتك شيئًا بذلتَ رُشدًا بغيِّ
عمَّن تعلَّمتَ هذا أن لا تجودَ بشيِّ

أما مررتَ بعبدٍ لعبدِ حاتمٍ طيٍّ

وكان يُضرَب بجود طيٍّ المثل حيث منهم حاتم واوس بن حارثة . وهما في الجود والكرم على جانب عظيم . ورُوي ان اوساً وحاتماً وفدا على عمرو بن هند . فدعا اوساً فقال لهُ : انت افضل ام حاتم . فقال : ابيت اللعن لو وُهبني حاتم وولدي لوهبني في ساعةٍ واحدهِ . ثم دعا حاتماً فقال لهُ : انت افضل ام اوس . فقال : أبيتَ اللعن أتعدلني باوس ولأحد ولدهِ افضل مني . فقال عمرو : ما ادري ايكما افضل وما منكما الّا سيّد كريم . ومن محاسن اوس ان النعمان بن المنذر دعا بحلّة نفيسة وعندهُ العرب وفيهم كل سيّد كريم وفيهم اوس . فقال : احضروا غداً فاني مُلبس هذه الحلّة اكرمكم . فحضر القوم الّا اوساً . فقيل لهُ : لِمَ تتخلّف . فقال : ان كان المراد غيري فاجلّ الاشياء بي ان لا اكون حاضراً وان كنتُ المرادَ فسأطلَب . فلمّا جلس النعمان ولم يرَ اوساً قال : اذهبوا الى اوس فقولوا لهُ : احضر آمناً ممّا خفتَ . فحضر وأُلبس الحلّة . فحسدهُ قوم من اهلهِ وقالوا لبشر بن ابي خازم : أُهجهُ . فهجاهُ بشر فاغار اوس على ابلهِ واكتسحها وطلبهُ فجعل بشر لا يستجير حيّاً من احياء العرب الّا قالوا لهُ : قد اجرناك من الانس والجنّ الّا من اوس . وكان في هجائهِ اياهُ ذكر أمهُ . فالبث يسيراً حتّى اتى بهِ اسيراً . فدخل اوس الى امهِ واستشارها في امرهِ . فقالت : ارى ان تردّ عليهِ مالهُ وتعفو عنهُ وأفعل انا مثل ذلك فلا يَقيكَ هجاءهُ الّا مدحهُ . فاخبرهُ اوس بما قالت أمهُ . فقال : لاجرم والله لامدحتُ غيرك حتّى اموت

٥٠ أَلْمُعَيْدِيُّ تَسْمَعُ بِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ

هذا مثل يُضرَب لمن يكون خبَرهُ خيراً من منظرهِ . وأوّل من قالهُ النُّعمان لشِقَّة ابن ضَمْرة في خبر طويل . معناهُ انهُ كان يغير على مال النعمان ويطلبهُ النعمان فلا يقدر عليهِ الى ان أمّنهُ وكان يعجبهُ ما يسمع عنهُ من الشجاعة والاقدام . فلمّا رآهُ استزرى منظرهُ لانهُ كان دميم الخلقة فقال : تسمع بالمُعَيديّ خيرٌ من أن تراهُ . فقال : ابيت اللعن ان الرجال ليست بجُزُرٍ وانما يعيش المرءِ باصغريهِ قلبهِ ولسانهِ . فاعجب النعمانَ كلامهُ وجعلهُ من خواصهِ الى ان مات . ومُعيد اسم قبيلة

٥١ أَبْدَى ٱلصَّرِيحُ عَنِ ٱلرُّغْوَةِ

أي وضح الأمر وبان . قال بعضهم :

أَلم تسَلِ الفوارسَ يوم غولٍ بنضلة وهو موتورٌ مُشيحُ

رأوهُ فازدروهُ وهو حرٌّ وينفع اهلهُ الرجل القبيحُ

ولم يخشوا مصالتَهُ عليهم وتحت الرُّغوة اللبنُ الصريحُ

يقول رأوني فازدروني لدمامتي فلمّا كشفوا عني وجدوا غير ما رأوا ظاهراً

٥٢ إِنَّ ٱلشَّقِيَّ وَافِدُ ٱلْبَرَاجِمِ

هو عمّار بن صخر التميمي . والبراجم خمسة من أولاد حنظلة والعرب تضرب المثل بوافد البراجم . وذلك ان الملك عمرو بن هند احرق تسعة وتسعين رجلاً من بني تميم لثارٍ لهُ عندهم وكان قد آلى ان يحرق منهم مائة . فبينما هو يلتمس بقيَّة المائة اذ مرَّ رجل من البراجم يُسمَّى عمارًا قادم من سفرٍ فاشتمَّ رائحة القتار فظن ان الملك اتخذ طعامًا فعدل اليهِ . فقيل لهُ ممَّن انت . قال : من البراجم . فألقي في النار . وقيل في المثل ان الشقيَّ وافد البراجم . ومن هنالك عُيّرت بنو تميم بحبّ الطعام

٥٣ شَقَائِقُ ٱلنُّعْمَانِ

قال ابو محمد : شقائق النعمان منسوبة الى النعمان بن المنذر . وكان خرج الى الظهر وقد اعتمَّ نبتهُ من بين أخضرَ وأصفرَ وأحمرَ واذا فيهِ من هذه الشقائق شيء . فقال : ما احسنها احموْها . فحموْها فسُمّيت شقائق النعمان

٥٤ أَفْصَحُ مِنْ سَحْبَانِ وَائِلٍ

هو وائل بن معن بن أعصُر وكان خطيباً يُضرَب بهِ المثَل في الفصاحة . قال الشاعر في ضيف نزل بهِ :

اتانا ولم يعدلهُ سحبان وائلٍ بيانًا وعلماً بالذي هو قائلُ
فما زال عنهُ اللقْم حتى كأنهُ من العِيِّ لمَّا ان تكلَّم باقلُ

٥٥ أَبَرُّ مِنَ ٱلْعَمَلَّسِ

كان بَرًّا بامّهِ وكان يحملها على عاتقهِ حمل اليها غبوقًا من لبن في عُسٍّ . فصادفها نائمة فكره انباهها والانصراف عنها . فاقام مكانهُ قائمًا يتوقع انتباهها حتى اصبح

٥٦ أَبْطَشُ مِنْ دَوْسَرٍ

قالوا ان دوسر احدى كتائب النعمان بن المنذر ملك العرب . وكانت لهُ خمس كتائب الرهائن والصنائع والوضائع والاشاهب ودوسر . امَّا الرهائن فانهم كانوا خمس مائة رجل رهائن لقبائل العرب يقيمون على باب الملك سنة ثم يجيء بدلهم خمسمائة أُخرى وينصرف اولئك الى احيائهم . فكان الملك يغزو بهم ويوجههم في اموره . وامَّا الصنائع فبنو قيس وكانوا خواصَّ الملك لا يبرحون بابهُ . امَّا الوضائع فانهم كانوا الف رجل من الفرس يضمهم ملك الملوك بالحيرة نجدة لملك العرب . وكانوا ايضًا يقيمون سنة ثم ياتي بدلهم الف رجل وينصرف اولئك . وامَّا الاشاهب فاخوة ملك العرب وبنو عمّهِ ومن يتبعهم من اعوانهم سُمّوا

الاشاهب لانهم كانوا بيض الوجوه . فاماً دوسر فانها كانت اخشن كتائبه واشدها بطشاً ونكاية وكانوا من كل قبائل العرب واكثرهم من ربيعة . سُمّيت دوسر اشتقاقاً من الدسر وهو الطعن بالثقال لثقل وطأتها . قال الشاعر :

ضربت دوسرُ فيهم ضربةً اثبتت اوتادَ ملكٍ فاستقر

وكان ملك العرب عند رأس كل سنة وذلك ايام الربيع يأتيه وجوه العرب واصحاب الرهائن وقد صيّر لهم اكلاً عندهُ وهم ذوو الآكال . فيقيمون عندهُ اشهراً ويأخذون أكالهم ويبدلون رهائنهم وينصرفون الى احيائهم

٥٧ أَبَأى مِمَّنْ جاءَ بِرَأْسِ خاقانَ

هذا خاقان ملكٌ من ملوك الترك خرج من ناحية باب الأبواب . وظهر على ارمينية وقتل الجرّاح بن عبد الله عامل هشام بن عبد الملك عليها . وغلظت نكايتهُ في تلك البلاد . فبعث هشام اليه سعيد بن عمرو الجُرَشي وكان مَسلمة صاحب الجيش فاوقع سعيد بخاقان ففضّ جمعهُ واحتزّ رأسهُ وبعث بهِ الى هشام . فعظم اثرهُ في قلوب المسلمين وفخم امرهُ ففخر بذلك حتى ضُرب بهِ المثل

٥٨ أَبْصَرُ مِنْ زَرْقاءِ اليَمامَةِ

هي عنزة اليامة . واليامة اسمها وبها سُمّي البلد وهي امرأة من جديس . وذكر الجاحظ انها كانت تُبصر الشيء من مسيرة ثلاثة ايام . فلما قتلت جديس طسماً خرج رجل من طسم الى حسّان بن تُبّع فاستجاشهُ ورغّبهُ في الغنائم فجهّز اليهم جيشاً . فلماّ صاروا من جو على مسيرة ثلاث ليال صعدت الزرقاء فنظرت الى الجيش . وقد امروا ان يحمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ليَلبسوا عليها . فقالت : يا قوم اتتكم الاشجار او اتتكم حِمْيَر فلم يصدقوها . فقالت على مثال رجز :

أُقسم بالله لقد دبّ الشجرْ او حِميَرٌ قد اخذت شيئاً يُجَرّ

فلم يصدقوها فقالت : بالله لقد أرى رجلاً ينهش كتفاً او يخصف النعل فلم يصدقوها . ولم يستعدوا حتى صبحهم حسّان فاجتاحهم . وكانت أوّل من اكتحل بالإثمد من العرب

٥٩ أَبْلَغُ مِنْ قُسٍّ

قسّ بن ساعدة بن حُذافة بن زهير بن إياد بن نزار الايادي اسقف نجران . وكان من حكماء العرب واعقل من سُمع بهِ منهم . وهو أوّل من كتب من فلان الى فلان . وأوّل من اقرّ بالبعث من غير علمٍ. وأوّل من قال : امّا بعدُ. وأوّل من قال : البيّنة على من ادّعى واليمين على من انكر . وقد عُمّر مائة سنة ونيفاً

٦٠ أَلْحَدِيثُ شُجُونٌ

وهذا المثل لضبَّة بن أدّ . وكان لهُ ابنان سعد وسعيد فخرجا في طلب ابل لهما فرجع سعيد ولم يرجع سعد . فكان ضبَّة لما رأى رجلاً مقبلاً قال : أسعد أم سعيد فذهبت مثلاً . ثم ان ضبَّة بيناهو يسير يوماً ومعهُ الحرث بن كعب في الشهر الحرام فأتى على مكان فقال لهُ الحرث : أترى هذا الموضع فاني لقيت فتى هيئتهُ كذا وكذا فقتلتهُ واخذت منهُ هذا السيف . فاذا بصفة سعد . فقال لهُ ضبَّة : أرني السيف انظر اليهِ فناولهُ فعرفهُ فقال لهُ : ان الحديث شجون . ثم ضربهُ بهِ حتى قتلهُ . فلامهُ الناس في ذلك وقالوا : أقتلت في الشهر الحرام . قال : سبق السيفُ العذلَ . فذهبت مثلاً

٦١ أَتانا صَكَّةَ عُمَيٍّ

عُمَي رجل من عدوان وكان يفتي في الحج فاقبل معتمرًا ومعهُ ركب حتى نزلوا بعض المنازل في يوم شديد الحرّ . فقال عُمَي : من جاءت عليهِ هذه الساعة من غد وهو حرام لم يقض عمرتهُ فهو حرام الى قابل . فوثب الناس في الظهيرة يضربون (اي يسيرون) حتى وافوا البيتَ وبينهم وبينهُ من ذلك الموضع ليلتان . فضرب مثلاً فقيل : اتانا صكَّةَ عُمَي اذا جاء في الهجيرة الحارَّة . وقيل كان عُمَي رجلاً مغوارًا فغزا قوماً عند قائم الظهيرة وصكهم صكةً شديدة فصار مثلاً لكل من جاء في ذلك الوقت

٦٢ كأَنَّهُ سِنَّوْرُ عَبْدِ ٱللهِ

يُضرَب لمن لا يزيد سنًّا الَّا ازداد نقصانًا وجهلاً . وفيهِ يقول بشَّار بن برد الأعمى :

أبا مُخلفٍ ما زلت سبَّاحَ غمرةٍ صغيرًا فلما شبتَ خيَّمتَ بالشاطي
كسنَّور عبد الله بيعَ بدرهمٍ صغيرًا فلمَّا شبَّ بيع بقيراطِ

٦٣ فِي فَمِي مَلآنُ مِنَ ٱلْماء

يُضرَب لمن يريد ان يتكلَّم ولكن لهُ ما يحجزهُ عن الكلام . وقد بعض الشعراء وقد عوتب على قلَّة كلامهِ :

قالت الضفدع قولاً فسَّرتهُ الحكماءُ
في فمي ماء وهل ينـ ـطق مَن في فيهِ ماءُ

٦٤ أَحْلَمُ مِنَ ٱلأَحْنَفِ

هو ابو بحر الضحاك بن قيس التميمي الأحنف من التابعين ومن كلامهِ : ربَّ غيظٍ تجرَّعتهُ مخافة ما هو اشدُّ منهُ . ومن قولهِ : كثرة المزاح تذهب بالهيبة . السؤدد كرم الاخلاق وحسن الفعل . الداء اللسان البذي والخلق الردي . وكان الاحنف شهد مع عليّ بن ابي طالب وقعة

بصِفّين . ولمّا استقرَّ الأمر لمعاوية دخل عليهِ يوماً . فقال لهُ معاوية : والله يا احنف ما أذكُرُ يوم صِفّين الّا كانت حَزازة في قلبي الى يوم القيامة . فقال لهُ الاحنف : والله يا معاوية ان القلوب التي ابغضناك بها لفي صدورنا . وان السيوف التي قاتلناك بها لفي أغمادها . وان تدنُ من الحرب فِترًا ندنُ منك شبرًا . وان تمشِ اليها نُهرولْ اليك . ثمّ قام وخرج . وكانت اخت معاوية من وراء حجاب تسمع كلامهُ فقالت : يا أمير المؤمنين مَن هذا الذي يتهدَّد ويتوعَّد . فقال : هذا الذي اذا غضب غضب لغضبهِ مائة الف من بني تميم ولا يَدرون لِما غضب

واخبر النُّويريّ عنهُ قال : كان معاوية قد كتب الى عمّالهِ ان يوفدوا اليهِ الوفود من الأمصار . فكان فيمَن اتاهُ محمد بن عمرو بن حزم من المدينة والاحنف بن قيس في وَفْد اهل البصرة . ثمّ ان معاوية قال للضحّاك بن قيس الفِهري : لمّا تجتمع الوفود اني متكلّم فاذا سكتُّ فكن انت الذي تدعو الى بَيْعة يزيد وتحضّ عليها . فلمّا جلس معاوية للناس تكلّم فعظّم أمر الاسلام وحُرْمة الخلافة وحقّها فحمد الله واثنى عليهِ . ثمّ قال الضحّاك : يا أمير المؤمنين انهُ لا بدّ للناس من والٍ بعدك فذلك احقن للدماء واصلح للدهماء وآمن للسبيل وخيرٌ في العاقبة . والايام عوجٌ كلٌّ يوم في شأن ويزيد ابن امير المؤمنين في حسن هديهِ . وهو من أفضلنا علماً وحلماً وأبعدنا رايًا . فولِّهِ عهدك واجعلهُ لنا علَماً بعدك ومفزعًا نلجأ اليهِ ونسكن الى ظلّهِ . وتكلّم عمرو بن سعيد الاشدق بنحوٍ من ذلك . ثمّ قام يزيد بن المقنّع العُذريّ فقال : هذا امير المؤمنين (واشار الى معاوية) فان هلك فهذا (واشار الى يزيد) ومَن أبى فهذا (واشار الى سيفهِ) . فقال معاوية : اجلس فانت سيّد الخطباء . فاذعن مَن حضر من الوفود . فقال معاوية للأحنف : ما تقول يا ابا بحر . فقال : نخافكم ان صدقنا ونخاف الله ان كذبنا . وانت يا أمير المؤمنين اعلم بيزيد في ليلهِ ونهارهِ وسرّهِ وعلانيتهِ ومَدخلهِ ومَخرجهِ . فان كنت تعلمهُ لله تعالى ولهذه الامّة رضى فلا تشاور فيهِ . وان كنت تعلم منهُ غير ذلك فانت صائر الى الآخرة وانما علينا أن نقول : سمعنا وأطعنا

٦٥ أَحْمَقُ مِنْ أَبِي غَبْشَانَ

ان خُزاعة اخذ فيها وبتٌ شديد وزعاف عمّهم بمكّة . فخرجوا منها ونزلوا الظَّهْران . وكان فيهم رجل يقال لهُ حُليل بن حُبْشيَّة وكان صاحب البيت . وكان لهُ بنون وبنت يقال لها حُبّى وهي امرأة قُصيّ بن كلاب . فمات حليل وكان اوصى ابنتهُ حُبّى بالحجابة واشرك معها ابا غبشان الملكاني . فلمّا رأى قصيّ بن كلاب ان حليلًا قد مات وبنوهُ غُيَّب والمفتاح في يد امرأتهِ طلب اليها ان تدفع المفتاح الى ابنها عبد الدار بن قصيّ وحمل بنيهِ على ذلك فقال : اطلبوا الى امكم حجابة جدّكم . ولم يزل بها حتّى سلّمت لهُ بذلك . وقالت : كيف اصنع بأبي غبشان وهو وصيّ معي . فقال قصيّ : أنا أكفيك أمرهُ . فاتفق أن اجتمع ابو غبشان مع قصيّ في شربٍ بالطائف

فخدعهُ قصيّ عن مفاتيح الكعبة بان اسكرهُ ثم اشترى منهُ المفاتيح بزقّ خمر واشهد عليهِ ودفع المفتاح الى ابنهِ عبد الدار بن قصيّ وسيّرهُ الى مكّة . فلما اشرف عبد الدار على دُور مكّة رفع عقيرتهُ وقال : معاشر قريش هذه مفاتيح بيت ابيكم اسماعيل قد ردّها الله عليكم من غير غدر ولا ظلم . فافاق ابو غبشان من سكرهِ أندمَ من الكُسَعي . فقال الناس : احمق من ابي غبشان . واندم من ابي غبشان . واخسر صفقةً من ابي غبشان . فذهبت امثالاً . واكثر الشعراء فيهِ القول

٦٦ صَفْقَةٌ لَمْ يَشْهَدْهَا حَاطِبٌ

هو حاطب بن ابي بَلْتعة وكان حازماً خبيراً . اذا باع بعض قومهِ او اشترى جعل ذلك على يده لئلا يُغبن فيهِ . فباع بعض اهلهِ بيعةً ليست عن يدهِ فغُبن فيها فقيل : هي صفقة لم يشهدها حاطب . يُضرَب لمن يقضي امرًا ليس عن يد اربابهِ

٦٧ أَحْمَقُ مِنْ هَبَنَّقَةَ

قيل انهُ جعل في عنقهِ قلادة من ودَع وعظام وخزَف وهو ذو لحية طويلة . فسُئل عن ذلك . فقال : لأعرف بها نفسي ولئلا اضلَّ . فبات ذات ليلة واخذ اخوهُ قلادتهُ فتقلّدها فلما اصبح ورأى القلادة في عنق اخيهِ فقال : يا اخي انت انا فمن انا . وقيل انهُ ضلَّ لهُ بعير فجعل ينادي : من وجد بعيري فهو لهُ . فقيل لهُ : فلِمَ تنشده . قال : فاين حلاوة الوجدان

٦٨ أَحْوَلُ مِنْ أَبِي قَلَمُونَ وَأَبِي بَرَاقِشَ

أبو براقش وابو قلمون كنية الرجل الكثير التلوّن القليل الارتباط . واصل ابي قلمون كنية لثياب أبريسم تنسج بمصر وبلاد الروم تتلوّن بالعيون الوانًا . قال بديع الزمان في بعض مقاماتهِ : أنا ابو قلمونٍ في كل لونٍ اكونُ

٦٩ قَلَبَ لَهُ ظَهْرَ ٱلْمِجَنِّ

يُضرَب لمن كان لصاحبهِ على مودّة ورعاية ثم حال عن العهد . وقد يُضرب للمحاربة بعد المسالمة . لان مُمسك المجنّ اذا جعل ظهرهُ خارجًا لم يكن الّا ليتقي بهِ ولا يفعل ذلك الّا المحارب

٧٠ هُوَ أَبْطَأُ مِنْ فِنْدٍ

اسم ابي زيد صاحب عائشة بنت سعد بن ابي وقّاص . كان من المغنين المحسنين ارسلتهُ عائشة ذات يوم ليأتيها بشعلة نار من بيوت الجيران . فوجد قوماً ذاهبين الى مصر فتبعهم من فورهِ واقام هناك سنة ثم قدم . ولمّا دخل الحي اخذ نارًا وجاء يعدو الى بيت عائشة . فعثر بحجر هناك وتبدّدت النار التي كان قد اتى بها فقال : تعِسَت العجلة . وفيهِ يقول الشاعر :

ما رأينا لغرابٍ مثلاً   اذ بعثناهُ يجيء بالمِشْمَلَه

غيرِ فندِ ارسلتِهُ قابساً   فثوى حولاً وسبَّ العجلهْ

المِشملة كساء يُتدثَّر بهِ . وغراب اسم رجل ارسلوهُ ليأتيهم بها قابطاً . فقال بعضهم البيتين مشبّهاً اياهُ بفند المذكور آنفاً

٧١ أَحَشَفاً وَسُوءَ كِيلَةٍ

حكى الاصمعي ان ابا جعفر المنصور لقي اعرابياً بالشام وقال لهُ : احمد الله يا اعرابيُّ الذي رفع عنكم الطاعون بولايتنا اهل البيت . فقال لهُ الاعرابي : ان الله أعدل من ان يجمع علينا حشفاً وسوء كيلة . فلا يجمع بين ولايتكم والطاعون . يُضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين

٧٢ كُلُّ ٱلصَّيْدِ فِي جَوْفِ ٱلْفَرَا

اصلهُ ان ثلاثة رجال خرجوا يصطادون فاصطاد احدهم ارنباً والآخر ظبياً والآخر حمار وحش . فاستبشر الاوَّلان وتطاولا . فقال الثالث : كل الصيد في جوف الفرا . يُضرب للرجل يكون لهُ حاجات كثيرة منها واحدة عظيمة فتقضى لهُ فيقول ذلك . او يُقال لهُ ذلك على معنى انهُ لم يبالِ بفوات البواقي . والفرا حمار الوحش

٧٣ أَهْدَى مِنَ ٱلْقَطَا

قيل انَّ القطا تترك فراخها في الصحراء وتذهب عند طلوع الفجر في طلب الماء من مسير ليلة فتردهُ ضحوةَ يومها فتحمل الماء الى فراخها فتنهلها . ثم ترجع بعد الزوال الى تلك المسافة فتشرب وتأتي فراخها في عشيَّة يومها فتسقيها عللاً بعد نهلٍ ولا تخطئ مواضع فراخها

٧٤ لَا تُطْعِمِ ٱلْعَبْدَ ٱلْكُرَاعَ فَيَطْمَعَ فِي ٱلذِّرَاعِ

قيل لعمرو بن عديّ ابن اخت جذيمة الابرش . وكان قد هام على وجههِ في البراريّ حتى توحَّش . واتَّفق ان رجلين من اليمن كانا يطلبانهِ جلسا في بعض الطريق يأكلان ومعهما امرأة تسقيهما الخمر فاقبل عليهما عمرو وجلس معهما على الطعام وهما لا يعرفانهِ . ثم سأل المرأة ان تسقيهُ فقالت المثل . يُضرَب لمن يرخَّص لهُ في القليل فيطمع في الكثير

٧٥ قُبَّةُ نَجْرَانَ

هي قبَّة عظيمة يُضرب بها المثل قيل انها كانت تظلّل الفَ رجل . وكان اذا نزل بها مستجير أُجير او خائف أُمِّن او جائع أُشبع او مسترفد أُعطي او طالب حاجة قُضيَت . وكانت هذه القبَّة لعبد المسيح بن دارس بن عدي . ونجران بلد في اليمن كانت هذه القبَّة بجانب نهر فيها وكانت العرب تسمّيها كعبة نجران لانهم كانوا يقصدون زيارتها كما يقصدون زيارة الكعبة . وعلى ذلك قول الاعشى يخاطب ناقتهُ :

وكعبة نجران حتمٌ عليكِ حتى تُناخي بأبوابها
تزورَ يزيدًا وعبدالمسيح وقيسًا وهم خير اربابها

٧٦ أَنْتَ تَئِقٌ وَأَنَا مَئِقٌ فَكَيْفَ نَتَّفِقُ

يُضرَب للمتنافيَين في الخلق. فان التئق هو الممتلئ غيظًا والمئق هو الباكي. فكأنَّ التئق يترع الى الشرّ لغيظهِ. والمئق يضيق ذرعًا باحتمالهِ. والتئق السريع الى الشر والمئق السريع الى البكاء

٧٧ حَالَ ٱلْجَرِيضُ دُونَ ٱلْقَرِيضِ

اصلهُ ان رجلًا كان لهُ ابنٌ نبغ في الشعر فنهاهُ عنهُ. فجاش بهِ صدرهُ ومرض حتى أشرف على الموت. فأذن لهُ ابوهُ حينئذٍ في قول الشعر فقال: حال الجريض دون القريض أي ان غصّة الموت حالت بينهُ وبين قول الشعر. يُضرَب لامرٍ يعوق دونهُ عائق

٧٨ لَيْسَ ٱلْقَوَادِمُ كَٱلْخَوَافِي

يُضرَب في تفضيل بعض الناس على بعضهم لما بينهم من التفاوت. والقوادم مقاديم ريش الطير وهي عشر ريشات في كل جناح ويقال لها القدامى. والخوافي ما دون القوادم من الريش

٧٩ أَتْبِعِ ٱلْفَرَسَ لِجَامَهُ وَٱلنَّاقَةَ زِمَامَهَا

أي انك قد جُدتَ بالفرس. واللجام ايسر خطبًا فأتمَّ الحاجة. كما ان الفرس لا غنى بهِ عن اللجام. يُضرَب لاستكمال المعروف

٨٠ أَعَزُّ مِنَ ٱلزَّبَّاءِ

الزبّاء هي فارعة ابنة مليح بن البرَّاء ملكة جزيرة العرب يُضرَب بها المثل في العزّ والمنعة. وكان أبوها الريّان الغسّاني ملكًا على الحضر وقتلهُ جذيمة الابرش وطرد الزبّاء الى الشام. فلحقت بالروم وكانت عربيَّة اللسان كبيرة الهمة. وكان لها شعر اذا مشت سحبتهُ وراءها واذا نشرتهُ جلَّلها فسُمّيت الزبّاء. والأزبّ الكثير الشعر. وبلغت من همَّتها انها جمعت الرجال وبذلت الاموال وعادت الى دار أبيها ومملكتهِ فازالت جذيمة عنها وقتلتهُ. وبنت على الفرات مدينتَين متقابلتَين وجعلت بينهما انفاقًا تحت الارض وتحصَّنت. وأمَّا مقتلها فان قصيرًا لمَّا فارق جذيمة وعاد الى بلادهِ احتال في قتلها فجدع انفهُ وضرب جسدهُ ورحل اليها زاعمًا ان عمروا ابن اخت جذيمة صنع بهِ ذلك وانهُ لجأ اليها هاربًا منهُ واستجار بها. ولم يزل يتلطّف لها بطريق التجارة وكسب الاموال الى ان وثقت وعلم خفايا قصرها وأنفاقهُ. ثم وضع رجالًا من قوم عمرو في غرائر وعليهم السلاح وحملهم على الابل على انها قافلة متجر الى ان دخل بهم مدينتها. فحلوا الغرائر وأحاطوا بقصرها وقتلها قبل ان تصل الى نفقها في حكاية مشهورة وذلك بعد مبعث المسيح

٨١ أَجْوَدُ مِنْ هَرِمٍ

هو هَرِم بن سنان بن ابي حارثة المُرّي . قال زهير بن ابي سلمى فيهِ :

ان البخيل مَلومٌ حيث كان ولكنَّ الجوادَ على علّاتهِ هَرِمُ
هو الجواد الذي يعطيك نائلَهُ عفوًا ويُظلَم احيانًا فيظّلِمُ

ووفدت ابنة هَرِمٍ على عُمَر فقال لها : ما كان الذي اعطى ابوكِ زهيرًا حتّى قابلهُ من المديح بما قد سار فيهِ . فقالت : اعطاهُ خيلًا تَنْضَى وابلًا تَتْوى وثيابًا تبلى ومالاً يفنى . فقال عمر : لكنّ ما اعطاكم زهير لا يُبليهِ الدهر ولا يُفنيهِ العصر وهو قولهُ :

قومٌ سنانٌ أبوهم حين تنسبهم طابوا وطاب من الاولاد ما وَلَدوا
مُحَسَّدون على ما كان من نعمٍ لا ينزع الله عنهم ما لهُ حُسِدوا
إنسٌ اذا أمنوا جِنٌّ اذا فزعوا مُرَزَّؤون بهاليلٌ اذا جهدوا

٨٢ إِحْتَرِسْ مِنَ ٱلْعَيْنِ فَوَٱللّٰهِ لَهِيَ أَنَمُّ عَلَيْكَ مِنَ ٱللِّسَانِ

قال ابو عُبَيدة : معناهُ رُبَّ عين انمّ من لسان . وقال الشاعر :

لا جزى الله دمعَ عينيَ خيرًا بل جزى الله كلَّ خيرٍ لساني
نمَّ طرفي فليس يكتم شيئًا ووجدتُ اللسانَ ذا كتمانِ
كنتُ مثل الكتاب اخفاهُ طيٌّ فاستدلّوا عليهِ بالعُنوانِ

قال زُهير : وان تكُ في صديقٍ أو عدوٍّ تخبّرك العيون عن القلوبِ

٨٣ أَحْزَمُ مِنَ ٱلْحِرْبَاء

لانهُ لا يخلّي عن ساق شجرة حتّى يُمسك ساق شجرة أخرى . ومنها قول الحريريّ : اعتلقنا بهِ اعتلاق الحرباء بالأعواد . وقولهُ ايضًا : ابرُزْ يا بنيَّ في بكور ابي زاجر . وجرأة أبي الحرث . وحزامة أبي قُرَّة (وهو الحرباء) . وختل أبي جَعْدة . وحرص أبي عُقْبة . ونشاط أبي وثّاب . ومكر أبي الحصين . وصبر أبي أيوب . وتلطّف أبي غَزْوان . وتلوُّن أبي براقش . وفي معناهُ قول الشاعر : أَنَّى أُتيح لهُ حِرباءُ تَنْضُبَةٍ لا يرسل الساقَ الاّ ممسكًا ساقا

٨٤ ضَرَبَ أَخْمَاسًا لِأَسْدَاسٍ

اصلهُ ان الرجل اذا اراد سفرًا بعيدًا عوّد ابلهُ ان تشرب خِمسًا أي كل خمسة أيام مرّة . ثم عوّدها على السِدس حتّى اذا أخذت في السير تصبر عن الماء . يُضرَب لمن يسعى في المكر

٨٥ آخِرُ ٱلْبَزِّ عَلَى ٱلْقَلُوصِ

يُقال فرس مقلّص اذا كان طويل القوائم . واذا كان كذلك كان اسرع . وقيل لهُ مقلّص

تشبيهاً بالرجل الذي قلّص ثيابهُ أي شمَّرها فظهرت رجلاهُ . يُضرَب عند آخر العهد بالشيء وعند انقطاع اثرهِ وذهاب امرهِ

٨٦ أَحْذَرُ مِنْ قِرِلَّى

قالوا : انهُ طير من بنات الماء صغير الجرم حديد البصر سريع الاختطاف . لا يُرى الّا مرفرفًا على وجه الماء على جانب كطيران الحِدأة . يهوي باحدى عينيهِ الى قعر الماء طمعاً ويرفع الاخرى الى الهواء حذرًا . فان ابصر في الماء ما يستقل بحملهِ من سمك او غيرهِ انقضَّ عليهِ كالسهم المرسل فاخرجهُ من قعر الماء . وان ابصر في الهواء جارحًا مرَّ في الارض . وكما ضربوا بهِ المثل في الاختطاف كذلك ضربوا بهِ المثل في الحذر والحزم فقالوا : احذر من القرلى كما قالوا : احذر من غراب . وقالوا احزم من قرلى كما قالوا احزم من حرباء . قال شاعر:

حذرًا كن كالقِرِلّى ان رأى خيرًا تدلّى أو رأى شرًّا تولّى

٨٧ أَوْفَى مِنَ ٱلسَّمَوْءَلِ

هو السموءَل بن عاديا من يهود يثرب الذي يُضرَب بهِ المثل في الوفاء . وسبب ذلك ان امرء القيس بن حُجر الكندي لمَّا قُتل أبوهُ وكان ملكًا في كندة خرج يستنجد بملك الروم فمرَّ على تيماء وفيها حصن السموءَل المسمَّى بالابلق المذكور في شعرهِ . فاودع السموءَل مائة درع وسلاحًا ومضى . فسمع الحارث بن ظالم بها فجاء ليأخذها منهُ فأبى السموءَل وتحصَّن بحصنهِ . فاخذ الحارث ابنًا للسموءَل وناداهُ اما ان تسلّم الادراع لي واما قتلت ولدك . فأبى ان يسلّم الأدراع فضرب وسط الغلام بالسيف فقطعهُ وأبوهُ يراهُ وانصرف . ومات امرؤُ القيس قبل ان يعود الى تيماء ومنع السموءَل الادراعَ الى ان مات هو أيضاً . وضرب بهِ المثل وقال الاعشى في ذلك :

كن كالسموءَل اذ طاف الهُمام بهِ في جحفلٍ كسواد الليل جرّارِ
بالأبلق الفرد من تيماء منزلهُ حصنٌ حصينٌ وجارٌ غير غدّارِ
اذ سامهُ خُطّتَي خسفٍ فقال لهُ مهما تقُلْهُ فاني سامع جارِ
فقال غدرٌ وثُكلٌ أنت بينهما فاختَرْ فما فيهما حظ لمختارِ
فشكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال لهُ اقتل أسيرك اني مانع جاري
عنديلهُ خَلَفٌ ان كنتَ قاتلهُ وان قتلت كريمًا غير خوّارِ
فسوف يُعقِبُهُ ان كنتُ قاتلهُ ربٌّ كريمٌ وقومٌ أهل أطهارِ
مالًا كثيرًا وعرضًا غير ذي دنسٍ واخوةٌ مثلهُ ليسوا بأشرارِ
جدُّوا على أدبٍ جُمٌّ بلا ترفٍ ولا اذا شمَّرت حربٌ بأغمارِ
فقال يقدمهُ إذ قام يقتلهُ أشرف سموألُ فانظر للدم الجاري

ساقتل أبنك صبرًا أو تجيءُ بها طوعاً فأنكرَ هذا أيَّ انكارِ
فشكَّ أوداجهُ والصدر في مضضٍ عليهِ منطويًا كالذرع بالنارِ
واختار أدراعَهُ ان لا يُسبَّ بها ولم يكن عندهُ فيها بختَّارِ
وقال لا نشتري عارًا بمكرُمةٍ واختار مكرُمة الدنيا على العارِ
فصانَ بالصبرِ عِرضًا لم يَشِنْهُ خنًا وزندهُ في الوفاء الثاقبُ الواري

والسموءل من شعراء الجاهلية المجيدين ولهُ في الحماسة اللاميَّة المشهورة . ومن شعرهِ ايضاً

اني إذا ما الأمرُ بيَّن شكُّهُ وبدتْ عواقبهُ لمن يتأملُ
وتبرأ الضعفاء من اخوانهم واناخ من حزِّ الصميم الكلكلُ
أدعُ التي هي أرفق الحلَّان بي عند الحفيظة للتي هي أجملُ

ولهُ: يا ليت شعري حين أندب هالكًا ماذا تؤبنني بهِ أنواحي
أيقلن لا تبعد فربَّ كريهةٍ فرَّجتها بشجاعتي وسماحي
ولقد أخذت الحقَّ غير مخاصَمٍ ولقد بذلت الحقَّ غير مُلاحي

٨٨ رَجَعَ بِخُفَّي حُنَيْنٍ

قيل كان حُنَين اسكافًا من اهل الحيرة ساومهُ اعرابيّ بخُفَّين فلم يشترِ منهُ شيئًا فغاظهُ . فخرج فعلَّق احد الخُفَّين على شجرة في طريقهِ وتقدَّم قليلًا وطرح الاخرى وكمن . فجاء الاعرابيّ فرأى أحد الخُفَّين فوق الشجرة فقال : ما اشبهُ بخفّ حُنين لو كان معهُ الآخر لتكلَّفتُ أخذهُ . وتقدَّم فرأى الخفَّ الآخر مطروحًا فنزل وعقل بعيرهُ وأخذهُ ورجع ليأخذ الاوَّل . فخرج حُنين من الكمين فاخذ بعيرهُ وذهب ورجع الاعرابيّ الى حيِّهِ بخُفَّي حُنين

٨٩ أَعْدَى مِنَ ٱلشَّنْفَرَى

هو ابن الاوس الازدي وكان من العدَّائين . ومن حديثهِ فيما ذكر ابو عمرو الشيباني انهُ خرج الشنفرى وتأبَّط شرًّا وعمرو بن براق . فأغاروا على بجيلة فوجدوا لهم رَصَدًا على الماء . فلما مالوا لهُ في جوف الليل قال لهم تأبَّط شرًّا : ان بالماء رصدًا واني لاسمع وجيب قلوب القوم . فقالا : ما سمع شيئًا وما هو الَّا قلبك يجب . فوضع ايديهما على قلبهِ وقال : والله ما يجبُ وما كان وجَّابًا . قالوا : فلا بدَّ لنا من وِرد الماء . فخرج الشنفرى فلمَّا رآهُ الرَّصد عرفوهُ فتركوهُ حتى شرب الماء ورجع الى اصحابهِ . فقال : والله ما بالماء احد . ولقد شربت من الحوض . فقال تأبَّط شرًّا : بلى ولكن القوم لا يريدونك انما يريدونني . ثم ذهب ابن براق فشرب ورجع ولم يتعرَّضوا لهُ . فقال تأبَّط شرًّا للشنفرى : اذا انا كرعت من الحوض فانَّ القوم سيشدُّون عليَّ فيأسرونني . فاذهب كانك تهرب ثم كن في اصل ذلك القرن فاذا

سمعتني اقول: خذوا خذوا فتمالَ فأَطلقني. وقال لابن برّاق: اني سآمرك لستاسر للقوم ولا تنأَ عنهم ولا تُمكّنهم من نفسك. ثم مرّ تأبط شرًّا حتى ورد الماء. فحين كرع من الحوض شدُّوا عليهِ فأخذوهُ وكتّفوهُ بوترٍ. وطار الشنفرى وأتى حيث امرهُ وانحاز ابن البرّاق حيث يرونهُ. فقال تأبط شرًّا: يا معشرَ بجيلة هل لكم في خيرٍ أن تُياسرونا في الفداء ويستأسر لكم ابن برّاق. قالوا: نعم. فقال: ويلك يا ابن برّاق أمّا الشنفرى فقد طار وهو يصطلي بنار بني فلان. وقد علمتَ ما بيننا وبين اهلك فهل لك ان تستأسر ويُياسرونا في الفداء. قال: لا والله حتى اروز نفسي شوطًا او شوطين. فجعل يستنّ نحو الجبل ويرجع حتى اذا رأوا انهُ اعيا طمعوا فيهِ فاتبعوهُ. ونادى تأبط شرًّا: خذوا خذوا. فخالف الشنفرى الى تأبط شرًّا فقطع وثاقهُ. فلما رآهُ ابن برّاق وقد خرج من وثاقهِ مال اليهِ فناداهم تأبط شرًّا: يا معشر بجيلة أأعجبكم عدوُ ابن برّاق. أمَا والله لأعدونّ لكم عدوًا يُنسيكم عدوهُ. ثم أحضر ثلاثتهم فنجوا. ففي ذلك يقول تأبط شرًّا:

ليلةَ صاحوا وأغروا بي سراعهمُ بالعيكتين لدى معدي بن برّاقِ
كأنّما حثحثوا حُصًّا قوادمهُ او امّ خِشفٍ بذي شثٍّ وطبّاقِ
لا شيء اسرعُ مني غيرُ ذي عُذَرٍ او ذي جناحٍ بجنب الريد خفّاقِ

فكل هؤلاء الثلاثة كانوا عدّائين ولم يَسرِ المثل الّا بالشنفرى

٩٠ أَندَمُ مِنَ الكُسَعِيِّ

هو غامد بن الحرث. ومن حديث الكُسَعي انهُ خرج يرعى ابلهُ في وادٍ فيهِ حمض وشوحط. فرأى قضيب شوحطٍ نابتًا في صخرة صمّاء ملساء. فقال: نِعم منبت العود. في قرار الجلمود. ثم اخذ سِقاءهُ فصبَّ ما كان فيهِ من ماء في اصلهِ فشربهُ لشدّة ظمائهِ وجعل يتعاهدهُ بالماء سنة حتى سبط العود وبسق واعتدل. فقطعهُ وجعل يقوّمهُ ويقوّم أَوَدهُ حتى صلح. فبراهُ قوسًا وهو يرتجز ويقول:

ادعوك فاسمعْ يا الهي جَرسي يا ربِّ شدِّدني لنحت قوسي
وانفع بقوسي ولدي وعرسي فانّها من لذّتي لنفسي
انحتها صفراء لون الوَرسِ صلداء ليستْ مِثل قوسِ النِكسِ

ثم برى بقيّتهُ خمسة أسهم وهو يرتجز ويقول:

هنّ لعمري خمسةٌ حسانُ يلذُّ للرمي بها البَنانُ
كأنّما قوامها ميزانُ فابشروا بالخصب يا صبيانُ
ان لم يَعقني الشؤم والحرمانُ او يرمني بكيدهِ الشيطانُ

ثم اخذ قوسهُ وأسهمهُ وخرج الى مكمن كان مورد الحُمُر في الوادي. فوارى شخصهُ حتى

اذا وردت رمى عيرًا منها بسهمٍ . فمرق منهُ بعد ان انفذهُ وضرب صخرة فقدح منها نارًا . فظنَّ انهُ قد اخطأ فقال :

اعوذ بالله العزيز الرحمانْ   من نكد الجدّ معًا والحرمانْ
ما لي رأيت السهم فوق الصفوانْ   يرمي شرارًا مثل لون العقيانْ
فاخلف اليوم رجاء الصبيانْ

ثم وردت حُمرٌ أُخرى فرمى عيرًا فصنع سهمُهُ كالاوَّل فظنهُ اخطأ فقال :

اعوذ بالرحمان من شرّ القدَرْ   أأخطأ السهمُ لارهاف الوتَرْ
ام ذاك من سوء احتيالٍ ونظرْ   وانني عهدي لرامٍ ذو ظفرْ
مطعَم بالصيد في طول الدهرْ

ثم وردت حمرٌ أُخرى فرمى عيرًا بسهمٍ . ففعل سهمهُ كالأوَّل وظنهُ أخطأ فقال :

يا حسرتا للشؤم والجدّ النكدْ   قد شفَّني القوت لاهلي والولدْ
والله ما خلَّفتُ في ذاك العمدْ   لصبيتي من سَبَدٍ ولا لبدْ
اذهبُ بالحرمان مع طول الأمدْ

ثم وردت حُمرٌ أُخرى فصنع كالاولى فقال :

ما بالُ سهمي يظهر الحباحبا   وكنت ارجو ان يكون صائبا
اذ امكنَ العيرُ وابدى جانبا   وصار ظني فيهِ ظنًا كاذبا
وخفت ان ارجع يومي خائبًا   اذ أفلتت اربعةً ذواهبا

ثم وردت اخرى فصنع كالاوَّل فقال :

أبَعْدَ خمسٍ قد حفظت عدَّها   احمل قوسي واريد ردَّها
اخزى الاله لينَها وشدَّها   والله لا تسلم عندي بعدها
ولا ارجي ما حييت رفدها   قد اعذرتْ نفسي وأبلت جهدها

ثم خرج من مكمنهِ فاعترضتهُ صخرة فضرب بالقوس عليها حتى كسرها . ثم قال : ابيت ليلتي ثم آتي اهلي . فبات فلما اصبح رأى خمسة حمرٍ مصرعةً ورأى اسهمهُ مضرجةً بالدم . فندم على ما صنع وعض على انامله حتى قطعها وقال :

ندمتُ ندامةً لو ان نفسي   تطاوعني اذا لقتلتُ نفسي
تبيَّن لي سفاهُ الرأي مني   لعمر الله حين كسرت قوسي
وقد كانت بمنزلة المُفَدَّى   لديَّ وعند صبياني وعرسي
فلم املك غداةَ رأيت حولي   حميرَ الوحش أن ضرّجت خمسي

الباب الرابع
في المقامات

نخبة من مقامات السيد الفاضل ابي بكر الحسيني الحضرمي

المقامة الشعريّة

٩١ حدّث النّاصر بن فتّاح قال: سافرت إلى جوّ نفور. مع جماعة من مند سور. ولمّا قربنا منها قلت لهم: أين تنزلون فيها. قالوا: في بعض مدارسها. فقلت لهم: أنا سأنزل في بيت واليها وحارسها. لأنّي امتدحته بأبيات رائيّة. وأرجو أن يجيزني بجائزة سنيّة. فذهبت إلى دار الأمير. فوجدتها قد جمعت الصّغير والكبير. فتأمّلته فإذا هو قد جمع بين الفقه والأدب. وحاز طرفي الكمال الغريزي والمكتسب. واحتوى على المنثور والمنظوم. ويفتي في جميع العلوم. والطّلبة واقفون بين يديه. يرفعون أسئلتهم إليه. ثمّ لمّا فرغ من الدّرس في المنقول. شرع يدرّس في علم المعقول. ثمّ قصده الشّعراء بقصائدهم وأبياتهم. وهو يعطيهم على حسب نيّاتهم. فعند ذلك صغرت نفسي في عيني. وأخفيت الأبيات خوفاً من ظهور شيني. فلم يلبث أن قام شابّ وأنشد الأبيات بعينها بعد أن نقص منها جزءين. والجماعة يبالغون في تحسينها وهي هذه:

يا صاحب النّفس الأبيّة م والنّهى حزت المدى

وَحَلَلْتَ مَوْضِعَ عِزَّةٍ فَوْقَ ٱلسُّهَى وَلَكَ ٱلنَّدَى
وَحَوَيْتَ فَضْلًا مَا لَهُ مِنْ مُنْتَهَى فِيكَ ٱلْهُدَى
فَهَبِ ٱلْأُلُوفَ تَفَضُّلًا فَلِأَنَّهَا سُمُّ ٱلْعِدَى

فَسُرَّ بِهَا ٱلْوَالِي وَأَعْطَاهُ هِبَةً جَزِيلَةً. وَخِلْعَةً جَمِيلَةً. فَقَامَ شَيْخٌ وَقَالَ: أَيُّهَا ٱلْوَالِي هٰذِهِ أَبْيَاتِي وَإِنَّهَا سُدَاسِيَّةُ ٱلْأَجْزَاءِ. فَٱنْظُرْ كَيْفَ سَرَقَهَا وَأَخَذَ عَلَيْهَا ٱلْجَزَاءَ. وَهِيَ مِنْ كَامِلِ ٱلْبَحْرِ وَمِنْ ضَرْبِهِ ٱلثَّانِي. فَرَدَّهَا إِلَى ٱلثَّامِنِ قَصْدًا لِخَفْضِ شَانِي. فَقَالَ لَهُ ٱلْوَالِي: كَيْفَ قُلْتَ. فَقَالَ:

يَا صَاحِبَ ٱلنَّفْسِ ٱلْأَبِيَّةِ وَٱلنُّهَى حُزْتَ ٱلْمَدَى فَٱشْكُرْ نَعِيمَ ٱلْبَارِي
وَحَلَلْتَ مَوْضِعَ عِزَّةٍ فَوْقَ ٱلسُّهَى وَلَكَ ٱلنَّدَى وَٱلذِّكْرُ فِي ٱلْأَمْصَارِ
وَحَوَيْتَ فَضْلًا مَا لَهُ مِنْ مُنْتَهَى فِيكَ ٱلْهُدَى وَٱلنُّورُ فِي ٱلْأَسْحَارِ
فَهَبِ ٱلْأُلُوفَ تَفَضُّلًا فَلِأَنَّهَا سُمُّ ٱلْعِدَى وَمَسَرَّةُ ٱلْأَخْيَارِ

فَٱلْتَفَتَ ٱلْوَالِي إِلَى ٱلشَّابِّ. وَقَالَ لَهُ: يَا دَنِسَ ٱلْإِهَابِ. أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ سَرِقَةَ ٱلشِّعْرِ كَسَرِقَةِ ٱلْبُرِّ وَٱلشَّعِيرِ. وَأَنَّ مَنْ تَجَرَّأَ عَلَى أَخْذِ ٱلْقَلِيلِ تَجَرَّأَ عَلَى ٱلْكَثِيرِ. فَقَالَ: أَيُّهَا ٱلْوَالِي جَعَلَ ٱللهُ كَعْبَكَ ٱلْعَالِي. إِمْتَحِنَّا فَعِنْدَ ٱلِٱمْتِحَانِ. يُكْرَمُ ٱلْمَرْءُ أَوْ يُهَانُ. وَمَعَ ٱلتَّعْدِيلِ وَٱلتَّجْرِيحِ. يُعْرَفُ ٱلْفَاسِدُ مِنَ ٱلصَّحِيحِ. فَقَالَ ٱلشَّيْخُ: لَقَدْ نَطَقْتَ بِلِسَانِي. وَعَبَّرْتَ عَمَّا فِي جَنَانِي. فَمُرْ أَيُّهَا ٱلْوَالِي مَنْ أَرَدْتَهُ أَنْ يَبْتَدِي. لِيَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلْمُعْتَدِي. وَٱشْتَغَلَ ٱلْوَالِي بِبَعْضِ شَانِهِ. عَنِ ٱلشَّابِّ وَٱمْتِحَانِهِ. فَٱضْطَرَبَ ٱلشَّيْخُ ٱضْطِرَابَ ٱلرِّشَا. وَظَنَّ أَنَّ ٱلْوَالِي مِمَّنْ يَقْبَلُ ٱلرُّشَى. فَقَالَ لَهُ ٱلْوَالِي:

دَعِ ٱلِاضْطِرَابَ. وَٱسْمَعِ ٱلْجَوَابَ. ثُمَّ ٱشْتَغَلَ عَنْهُ بِأَمْرِ رَعِيَّتِهِ. فَٱضْطَرَبَ ٱلشَّيْخُ عَلَى جَارِي سَجِيَّتِهِ. وَقَامَ مُنْتَصِبًا. وَأَنْشَدَ مُضْطَرِبًا:

أَشْكُو إِلَى حَبْرِ ٱلزَّمَانِ وَقَسِّهِ ... مِنْ جِنِّ هٰذَا ٱلْحَيِّ بَلْ مِنْ إِنْسِهِ
وَأَقُولُ يَاعَيْنَ ٱلْأُلَى عَشِقُوا ٱلنَّدَى ... صِدْقًا وَشَادُوا حِصْنَهُ مِنْ أُسِّهِ
أَبْطَا ٱلْجَوَابُ عَلَى ٱلْكَئِيبِ وَطَالَمَا ... قَدْ كَانَ يَنْثُرُ دُرَّهُ مِنْ حَدْسِهِ
وَٱلْمَرْءُ لَا يَرْجُو ٱلْكَرِيمَ سِوَى إِذَا ... سَئِمَ ٱللَّبِيبُ مِنَ ٱلْأَذَى عَنْ نَفْسِهِ
وَأَخُو ٱلنَّدَى يَسْقِي غُرُوسَ نَوَالِهِ ... سَقْيَ ٱلْحَيَا لِزُرُوعِهِ وَلِغَرْسِهِ
لَا تَطْوِ كَشْحًا عَنْ جَوَابِي إِنَّنِي ... كَٱلْمَيْتِ يَرْجُو نَشْرَهُ مِنْ رَمْسِهِ

فَقَالَ ٱلْفَتَى مُغْضَبًا. وَأَشَارَ إِلَى ٱلشَّيْخِ مُخَاطِبًا: يَا أَذَلَّ مِنْ وَتِدٍ. وَيَا كَثِيرَ ٱلْحَسَدِ. هَلِ ٱطَّلَعَ عَلَى أَبْيَاتِكَ أَحَدٌ. ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِلَى ٱلْوَالِي. وَقَالَ وَدَمْعُ خَدَّيْهِ كَٱللَّآلِي:

يَامَنْ زَكَتْ فِي ٱلْأَصْلِ دَوْحَةُ غَرْسِهِ ... وَسَمَا بِفَضْلٍ حَازَهُ وَبِحَدْسِهِ
لَا تُصْغِ لِلْعُذَّالِ فِيمَنْ قَدْ حَوَى ... فَضْلًا وَلَمْ يَرْضَ ٱلْأَذَى مِنْ نَفْسِهِ

وَأَرَادَ أَنْ يَمْشِيَ إِلَى ٱلسَّادِسِ. فَقَالَ ٱلْوَالِي: حَسْبُكَ أَيُّهَا ٱلْفَارِسُ. ثُمَّ إِنَّهُ أَعْطَى ٱلشَّيْخَ مِثْلَ مَا أَعْطَى ٱلْفَتَى. وَأَصْلَحَ بَيْنَهُمَا وَقَالَ: قَدْ ضَلَّ مَنْ بَغَى وَعَتَا. فَخَرَجَا مِنْ دَارِهِ. وَقَلْبِي يَصْلَى بِنَارِهِ. وَضَاقَ عَلَيَّ ٱلْفَضَا. وَشَبَّ فِي فُؤَادِي جَمْرُ ٱلْغَضَا. حَيْثُ سُرِقَتْ مِنِّي ٱلْأَبْيَاتُ. وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى ٱلْإِثْبَاتِ. وَأَخْفَيْتُ مَا أَجَنَّهُ ٱلضَّمِيرُ. خَوْفًا مِنْ أَنْ أَكُونَ أُضْحُوكَةً لِلْكَبِيرِ وَٱلصَّغِيرِ. وَذَهَبْتُ إِلَى رُفْقَتِي فِي ٱلْمَدْرَسَةِ. وَقَدْ

غَلَبَ عَلَيَّ ٱلْفِكْرُ وَٱلْوَسْوَسَةُ. وَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَيْهِمْ. وَنَظَرَتْ عَيْنِي إِلَيْهِمْ فَإِذَا ٱلرَّجُلُ وَٱلْفَتَى لَبِسَا أَحْسَنَ ٱلْمَلَابِسِ. وَتَصَدَّرَا أَعْلَى ٱلْمَجَالِسِ. وَتَأَمَّلْتُهُمَا وَوَقَفْتُ عَلَى ٱلتَّحْقِيقِ. أَنَّهُمَا مِنْ جُمْلَةِ أَصْحَابِي فِي ٱلطَّرِيقِ. وَأَرَدْتُ أَنْ أُظْهِرَ ٱلْقَضِيَّةَ. وَأُوَطِّنَ ٱلنَّفْسَ عَلَى ٱلْأُمْنِيَّةِ أَوِ ٱلْمَنِيَّةِ. ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّ ٱلصَّبْرَ بِمِثْلِي أَحْرَى. فَٱحْتَسَبْتُ ٱلثَّوَابَ فِي ٱلدَّارِ ٱلْأُخْرَى. ثُمَّ سَأَلْتُ عَنْهُ وَعَنِ ٱلْفَتَى. فَقِيلَ: هُمَا رِحْلَةُ ٱلصَّيْفِ وَٱلشِّتَا. أَبُو ٱلظَّفَرِ ٱلْهِنْدِيُّ وَنَجْلُهُ ٱلْأَدِيبُ. ٱللَّذَانِ عَلَيْهِمَا شَعْرَةُ ٱلذِّيبِ. فَسَأَلْتُ ٱللّٰهَ ٱلْأَمَانَ وَٱلظَّفَرَ. فِي ٱلْإِقَامَةِ وَٱلسَّفَرِ

المقامة الوعظية

٩٢ رَوَى ٱلنَّاصِرُ بْنُ فَتَّاحٍ قَالَ: ٱشْتَاقَتْ نَفْسِي إِلَى ٱلْأُتْرُجِّ. فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ لِي إِنَّهُ لَا يُوجَدُ إِلَّا فِي بَلْدَةِ صَرْنَجَ. فَسَافَرْتُ إِلَيْهَا مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ ٱلْأُدَبَاءِ. وَٱلْعُلَمَاءِ وَٱلْخُطَبَاءِ. فَلَمَّا وَصَلْنَا إِلَى فِنَائِهَا. سَأَلْنَا عَنْ عُلَمَائِهَا. فَقِيلَ لَيْسَ بِهَا إِلَّا ٱلْحَاكَةُ وَٱلصَّبَّاغُونَ. وَٱلْحَدَّادُونَ وَٱلصَّائِغُونَ. وَفِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْحُكَمَاءِ وَٱلْعُلَمَاءِ ٱلْأَعْلَامِ. وَلٰكِنَّهُمْ قَدْ تَغَيَّرُوا بِصُحْبَةِ ٱلْحُكَّامِ. وَقَدْ فَشَا فِيهَا فِعْلُ ٱلْحَرَامِ وَٱلظُّلْمِ. وَلَمْ يَنْتَظِمْ لِحَاكِمِهَا حُكْمٌ. فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: إِنِّي أَرَى فِي ٱلسَّفَرِ ٱلسَّلَامَةَ. وَٱلْعَطَبَ وَٱلضَّرَرَ فِي ٱلْإِقَامَةِ. وَأَخْشَى أَنْ يَخْسِفَ ٱللّٰهُ بِهِمِ ٱلْأَرْضَ. وَنَهْلِكَ بِسَبَبِهِمْ فَسَافِرُوا تَغْنَمُوا. وَتَجَنَّبُوا مَوَاضِعَ ٱلتُّهَمِ لِئَلَّا تُتَّهَمُوا. فَلَمَّا وَعَتْ كَلَامِي ٱلْمَسَامِعُ. قَالُوا: مَا مِنَّا إِلَّا مُطِيعٌ لَكَ وَسَامِعٌ. وَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ

اَلْبَلَدِ نَحْوَ مِيلٍ . ضَاقَ مِنْ كَثْرَةِ اَلْخَلْقِ عَلَيْنَا السَّبِيلُ . وَأَتَوْا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَمَكَانٍ . وَتَجَمَّعُوا مِنْ جَمِيعِ اَلْبُلْدَانِ . وَهُمْ قَاصِدُونَ إِلَى اَلْبَلْدَةِ اَلَّتِي خَرَجْنَا مِنْهَا . وَاَلْبُقْعَةِ اَلَّتِي تَجَاوَزْنَا عَنْهَا . وَيَقُولُونَ دَخَلَ اَلْبَلَدَ بَعْضُ اَلْوُعَّاظِ . وَقَدْ فَاقَ فِي بَلَاغَتِهِ خَطِيبَ عُكَاظَ . وَإِنَّهُ سَيَخْطُبُ وَيَعِظُ اَلنَّاسَ يَوْمَ اَلْجُمُعَةِ . فَطُوبَى لِمَنْ يَرَاهُ وَيَسْمَعُهُ . فَرَجَعْتُ دُونَ رُفْقَتِي . وَأَخَذْتُ مَعِي قَدْرَ نَفَقَتِي . وَلَمَّا قَضَيْنَا اَلنَّفْلَ وَاَلْفَرْضَ . جَلَسْتُ لِاَسْتِمَاعِ اَلْوَعْظِ . فَأَقْبَلَ اَلْوَاعِظُ يَمْشِي مَائِسًا . وَبِرِدَائِهِ مُتَطَلِّسًا وَصَعِدَ اَلْمِنْبَرَ وَقَالَ : اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلْكَبِيرِ اَلْمُتَعَالِ . اَلَّذِي جَرَتْ عَادَتُهُ بِالْإِمْهَالِ . دُونَ اَلْإِهْمَالِ . اَلَّذِي رَفَعَ اَلْعِلْمَ حَتَّى قَصَّرَ كُلُّ مُقَصِّرٍ دُونَهُ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَزَّ وَجَلَّ . شَهَادَةَ عَبْدٍ بَذَلَ لِعِبَادِهِ اَلنَّصِيحَةَ . وَحَذَّرَهُمْ مِنَ اَلْعِصْيَانِ وَاَلْوُقُوعِ فِي اَلْفَضِيحَةِ . وَبَعْدُ فَيَا أَيُّهَا اَلنَّاسُ أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اَللّٰهِ وَطَاعَتِهِ . وَاَلِاحْتِرَازِ مِنْ إِبْلِيسَ وَبِطَانَتِهِ . فَاَنْتَبِهُوا مِنْ سِنَةِ اَلْغَفْلَةِ . وَلَا تَغْتَرُّوا بِالْمُهْلَةِ . فَإِنَّ رُسُومَ اَلدِّينِ بِبَلَدِكُمْ قَدْ عَفَتْ . وَأَعْلَامَ اَلْهُدَى قَدْ طُمِسَتْ . وَأَحْكَامَ اَلشَّرِيعَةِ قَدْ عُطِّلَتْ . وَاَلْفَرَائِضَ قَدْ رُفِضَتْ . وَاَلْمَحَارِمَ قَدِ اُنْتُهِكَتْ . وَاَلْخُمُورَ قَدْ شُرِبَتْ . وَاَلْأَيْتَامَ وَاَلضُّعَفَاءَ قَدْ ظُلِمَتْ . حَتَّى لَبِسَ اَلْإِسْلَامُ فِي هٰذَا اَلزَّمَانِ اَلْفَرْوَ مَقْلُوبًا . فَجَعَلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ وَأَسْفَلَهُ أَعْلَاهُ . وَقُرِّبَ فِيهِ اَلْجَاهِلُ . وَأُبْعِدَ فِيهِ اَلْفَاضِلُ . وَاُسْتُكْمِلَ اَلْفَاجِرُ . وَاُسْتُنْقِصَ فِيهِ اَلطَّاهِرُ . وَكُذِّبَ اَلصَّادِقُ وَصُدِّقَ اَلْكَاذِبُ . وَاُسْتُؤْمِنَ اَلْخَائِنُ وَاُسْتُخْوِنَ

ٱلْأَمِينُ. وَهَاجَتِ ٱلدَّهْمَاءُ. وَكَثُرَ ٱلضَّلَالُ وَٱلْعَمَى. فَلَمْ يَبْقَ مِنَ ٱلْإِسْلَامِ إِلَّا ٱسْمُهُ. وَلَا مِنَ ٱلدِّينِ إِلَّا رَسْمُهُ. وَأَنْتُمْ عِبَادَ ٱللّٰهِ غَيْرُ مَعْذُورِينَ مِنَ ٱللّٰهِ بِتَغْيِيرِ ذٰلِكَ. وَلَا مَتْرُوكِينَ عَنِ ٱلْمُؤَاخَذَةِ بِذٰلِكَ. فَتُوبُوا وَصَحِّحُوا ٱلتَّوْبَةَ قَبْلَ إِغْلَاقِ بَابِهَا. وَقَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا. فَبَكَى ٱلْقَوْمُ حَتَّى كَادَ أَحَدُهُمْ لَا يَسْتَطِيعُ ٱلْحَرَكَةَ. إِلَّا إِذَا آخَرُ حَرَّكَهُ. وَلَقَدْ رَأَيْتُ ٱلْوَاجِدَ يَسْبَحُ فِي دُمُوعِهِ. وَكِدْتُ مِنْ زَفَرَاتِهِ أَعْلَمُ عَدَدَ ضُلُوعِهِ. وَلَمَّا رَأَى ٱلْخَطِيبُ ٱلْقَوْمَ كَجُزُوعِ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ. هَرَبَ كَٱلسَّيْلِ ٱلْمُنْهَمِرِ. وَتَبِعْتُهُ فِي طَرِيقَتِهِ. لِأَطَّلِعَ عَلَى حَقِيقَتِهِ. فَٱلْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ: يَا مَهْدِيُّ. ٱرْجِعْ أَنَا أَبُو ٱلظَّفَرِ ٱلْهِنْدِيُّ. فَرَجَعْتُ إِلَى رُفْقَتِي ٱلسَّابِقَةِ. وَجَوَانِحِي مِنْ كَثْرَةِ ٱلْبُكَاءِ وَٱلْخَوْفِ خَافِقَةٌ.

نخبة من مقامات بديع الزمان الهمذاني

المقامة القريضية

٩٣ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: طَرَحَتْنِي ٱلنَّوَى مَطَارِحَهَا حَتَّى إِذَا وَطِئْتُ جُرْجَانَ ٱلْأَقْصَى. فَٱسْتَظْهَرْتُ عَلَى ٱلْأَيَّامِ بِضِيَاعٍ أَجَلْتُ فِيهَا يَدَ ٱلْعِمَارَةِ. وَأَمْوَالٍ وَقَفْتُهَا عَلَى ٱلتِّجَارَةِ. وَحَانُوتٍ جَعَلْتُهُ مَثَابَةً. وَرُفْقَةٍ ٱتَّخَذْتُهَا صَحَابَةً. وَجَعَلْتُ لِلدَّارِ. حَاشِيَتَيِ ٱلنَّهَارِ. وَلِلْحَانُوتِ مَا بَيْنَهُمَا. فَجَلَسْنَا يَوْمًا نَتَذَاكَرُ ٱلْقَرِيضَ وَأَهْلَهُ وَتِلْقَاءَنَا شَابٌّ قَدْ جَلَسَ غَيْرَ بَعِيدٍ يُنْصِتُ وَكَأَنَّهُ يَفْهَمُ، وَيَسْكُتُ وَكَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ. حَتَّى إِذَا مَالَ ٱلْكَلَامُ بِنَا مَيْلَهُ. وَجَرَّ ٱلْجِدَالُ فِينَا ذَيْلَهُ. قَالَ: قَدْ أَصَبْتُمْ عُذَيْقَهُ. وَوَافَيْتُمْ

جُذَيْلِهِ. وَلَوْ شِئْتُ لَلَفَظْتُ وَأَفَضْتُ. وَلَوْ قُلْتُ لَأَصْدَرْتُ وَأَوْرَدْتُ. وَجَلَوْتُ الْحَقَّ فِي مَعْرِضِ بَيَانٍ يُسْمِعُ الصُّمَّ. وَيُنْزِلُ الْعُصْمَ. فَقُلْتُ: يَا فَاضِلُ أُدْنُ فَقَدْ مَنَّيْتَ. وَهَاتِ فَقَدْ أَثْنَيْتَ. فَدَنَا وَقَالَ: سَلُونِي أُجِبْكُمْ. وَاسْمَعُوا أُعْجِبْكُمْ. فَقُلْنَا: مَا تَقُولُ فِي امْرِئِ الْقَيْسِ. قَالَ: هُوَ أَوَّلُ مَنْ وَقَفَ بِالدِّيَارِ وَعَرَصَاتِهَا. وَاغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا. وَوَصَفَ الْخَيْلَ بِصِفَاتِهَا. وَلَمْ يَقُلِ الشِّعْرَ كَاسِباً. وَلَمْ يُجِدِ الْقَوْلَ رَاغِباً. فَفَضَلَ مَنْ تَفَتَّقَ لِلْحِيلَةِ لِسَانُهُ. وَانْتَجَعَ لِلرَّغْبَةِ بَنَانُهُ. قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي النَّابِغَةِ قَالَ: يَثْلِبُ إِذَا حَنِقَ. وَيَمْدَحُ إِذَا رَغِبَ. وَيَعْتَذِرُ إِذَا رَهِبَ. وَلَا يَرْمِي إِلَّا صَائِباً. قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي زُهَيْرٍ. قَالَ: يُذِيبُ الشِّعْرَ وَالشِّعْرُ يُذِيبُهُ. وَيَدْعُو الْقَوْلَ وَالسِّحْرُ يُجِيبُهُ. قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي طَرَفَةَ. قَالَ: هُوَ مَاءُ الْأَشْعَارِ وَطِينَتُهَا. وَكَنْزُ الْقَوَافِي وَمَدِينَتُهَا. مَاتَ وَلَمْ تَظْهَرْ أَسْرَارُ دَفَائِنِهِ. وَلَمْ تُفْتَحْ أَغْلَاقُ خَزَائِنِهِ. قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ. وَأَيُّهُمَا أَسْبَقُ. فَقَالَ: جَرِيرٌ أَرَقُّ شِعْراً. وَأَغْزَرُ غَزْراً. وَالْفَرَزْدَقُ أَمْتَنُ صَخْراً. وَأَكْثَرُ فَخْراً. وَجَرِيرٌ أَوْجَعُ هَجْواً وَأَشْرَفُ يَوْماً. وَالْفَرَزْدَقُ أَكْثَرُ رَوْماً وَأَكْرَمُ قَوْماً. وَجَرِيرٌ إِذَا نَسَبَ أَشْجَى. وَإِذَا ثَلَبَ أَرْدَى. وَإِذَا مَدَحَ أَسْنَى. وَالْفَرَزْدَقُ إِذَا افْتَخَرَ أَجْزَى. وَإِذَا احْتَقَرَ أَزْرَى. وَإِذَا وَصَفَ أَوْفَى. قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي الْمُحْدَثِينَ مِنَ الشُّعَرَاءِ وَالْمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ. قَالَ: الْمُتَقَدِّمُونَ أَشْرَفُ لَفْظاً. وَأَكْثَرُ مِنَ الْمَعَانِي حَظّاً. وَالْمُتَأَخِّرُونَ أَلْطَفُ صُنْعاً وَأَرَقُّ نَسْجاً. قُلْنَا: فَلَوْ أَرَيْتَ مِنْ أَشْعَارِكَ.

وَرَوَيْتَ لَنَا مِنْ أَخْبَارِكَ. قَالَ: خُذْهُمَا فِي مَعْرِضٍ وَاحِدٍ وَقَالَ:

أَمَا تَرَوْنِي أَتَغَشَّى طِمْرَا ... مُمْتَطِيًا فِي ٱلضُّرِّ أَمْرًا مُرَّا
مُضْطَبِنًا عَلَى ٱللَّيَالِي غِمْرَا ... مُلَاقِيًا مِنْهَا صُرُوفًا حُمْرَا
أَقْصَى أَمَانِيَّ طُلُوعُ ٱلشِّعْرَى ... فَقَدْ عُنِينَا بِٱلْأَمَانِي دَهْرَا
وَكَانَ هٰذَا ٱلْحُرُّ أَعْلَى قَدْرَا ... وَمَاءُ هٰذَا ٱلْوَجْهِ أَغْلَى سِعْرَا
ضَرَبْتُ لِلسَّرَّاءِ قِبَابًا خُضْرَا ... فِي دَارِ دَارًا وَإِوَانِ كِسْرَى
فَٱنْقَلَبَ ٱلدَّهْرُ لِبَطْنٍ ظَهْرَا ... وَعَادَ عُرْفُ ٱلْعَيْشِ عِنْدِي نُكْرَا
لَمْ يُبْقِ مِنْ وَفْرِيَ إِلَّا ذِكْرَا ... ثُمَّ إِلَى ٱلْيَوْمِ هَلُمَّ جَرَّا
لَوْلَا عَجُوزٌ لِي بِسُرَّ مَنْ رَا ... وَأَفْرُخٌ دُونَ جِبَالِ بُصْرَى
قَدْ جَلَبَ ٱلدَّهْرُ عَلَيْهِمْ ضُرَّا ... قَتَلْتُ يَا سَادَةُ نَفْسِي صَبْرَا

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَأَنَلْتُهُ مَا تَاحَ. وَأَعْرَضَ عَنَّا فَرَاحَ. فَجَعَلْتُ أَنْفِيهِ وَأُثْبِتُهُ. وَأُنْكِرُهُ وَكَأَنِّي أَعْرِفُهُ. ثُمَّ دَلَّتْنِي عَلَيْهِ ثَنَايَاهُ. فَقُلْتُ: ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ وَٱللهِ. فَقَدْ كَانَ فَارَقَنَا خِشْفًا. وَوَافَانَا جِلْفًا. وَنَهَضْتُ عَلَى إِثْرِهِ. ثُمَّ قَبَضْتُ عَلَى خَصْرِهِ. وَقُلْتُ: أَلَسْتَ أَبَا ٱلْفَتْحِ. أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ. فَأَيُّ عَجُوزٍ لَكَ بِسُرَّ مَنْ رَا. فَضَحِكَ إِلَيَّ وَقَالَ:

وَيْحَكَ هٰذَا ٱلزَّمَانُ زُورُ ... فَلَا يَغُرَّنَّكَ ٱلْغُرُورُ
لَا تَلْتَزِمْ حَالَةً وَلٰكِنْ ... دُرْ بِٱللَّيَالِي كَمَا تَدُورُ

المقامة الجرجانية

٩٤ حدّثنا عيسى بن هشام قال: بينا نحن بجرجان في مجمع لنا نتحدّث وما فينا إلّا منّا. إذ وقف علينا رجل ليس بالطويل المتمدّد. ولا القصير المتردّد. كثّ العُثْنون يتلوه صغار. في أطمار. فافتتح الكلام بالسلام. وتحيّة الإسلام. فولّانا جميلًا. وأوليناه جزيلًا. فقال: يا قوم إني امرؤٌ من أهل الإسكندرية من الثغور الأمويّة. نمتني سُلَيم ورحّبت بي عبس. جبت الآفاق. وتقصّيت العراق. وجلت البدو والحضر. وداري ربيعة ومضر. ما هنت حيث كنت. فلا يُزرينّ بي عندكم ما ترونه من سَمَلي وأطماري. فلقد كنّا والله من أهل ثمّ ورمّ. نُرغي لدى الصباح. ونُثغي عند الرواح:

وفينا مقامات حسانٌ وجوههم ... وأنديةٌ ينتابها القول والفعل
على مكثريهم رزق من يعتريهم ... وعند المقلّين السماحة والبذل

ثم إنّ الدهر يا قوم قلّب لي من بينهم ظهر المجنّ. فاعتضت بالنوم السهر. وبالإقامة السفر. تترامى بي المرامي. وتتهادى بي الموامي. وقلعتني حوادث الزمن قلع الصمغة. فأصبح وأمسي أنقى من الراحة وأعرى من صفحة الوليد. وأضحيت فارغ الفناء. صفر الإناء. مالي كآبة الأسفار. ومعاقرة السفار. أغاني الفقر. وأماني القفر. فراشي المدر. ووسادي الحجر:

بآمد مرّة وبرأس عين ... وأحيانًا بميّا فارقينا

لَيْلَةً بِالشَّامِ ثُمَّتَ بِالْأَهْـ وَازِ رَحْلِي وَلَيْلَةً بِالْعِرَاقِ

فَمَا زَالَتِ النَّوَى تَطْرَحُ بِي كُلَّ مَطْرَحٍ حَتَّى وَطِئْتُ بِلَادَ الْحَجَرِ وَأَحَلَّتْنِي بَلَدَ هَمَذَانَ . فَقَبِلَنِي أَحْيَاؤُهَا . وَاشْرَأَبَّ إِلَيَّ أَحِبَّاؤُهَا . وَلَكِنِّي مِلْتُ لِأَعْظَمِهِمْ جَفْنَةً . وَأَزْهَدِهِمْ جَفْوَةً :

لَهُ نَارٌ تُشَبُّ عَلَى يَفَاعٍ إِذَا النِّيرَانُ أُلْبِسَتِ الْقِنَاعَا

فَوَطَّأَ لِي مَضْجِعًا . وَمَهَّدَ لِي مَهْجَعًا . فَإِنْ وَنَى لِي وِنْيَةً هَبَّ لِي ابْنٌ كَأَنَّهُ سَيْفٌ يَمَانٍ . أَوْ هِلَالٌ بَدَا فِي غَيْرِ قَتَمَانٍ . وَأَوْلَانِي نِعَمًا ضَاقَ عَنْهَا قَدْرِي . وَاتَّسَعَ بِهَا صَدْرِي . أَوَّلُهَا فَرْشُ الدَّارِ . وَآخِرُهَا أَلْفُ دِينَارٍ . فَمَا طَيَّرَتْنِي إِلَّا النِّعَمُ . حَيْثُ تَوَالَتْ . وَالدِّيَمُ لَمَّا انْثَالَتْ . فَطَلَعْتُ مِنْ هَمَذَانَ طُلُوعَ الشَّارِدِ . وَنَفَرْتُ نِفَارَ الْآبِدِ . أَفْرِي الْمَسَالِكَ . وَأَقْتَفِرُ الْمَهَالِكَ . وَأُعَانِي الْمَمَالِكَ . عَلَى أَنِّي خَلَّفْتُ أُمَّ مَثْوَايَ وَزُغْلُولًا لِي :

كَأَنَّهُ دُمْلُجٌ مِنْ فِضَّةٍ نَبِهٌ فِي مَلْعَبٍ مِنْ عَذَارَى الْحَيِّ مَفْصُومُ

وَقَدْ هَبَّتْ بِي إِلَيْكُمْ رِيحُ الِاحْتِيَاجِ . وَنَسِيمُ الْإِلْفَاجِ . فَانْظُرُوا رَحِمَكُمُ اللهُ لِنِقْضٍ مِنَ الْأَنْقَاضِ . هَدَّتْهُ الْحَاجَةُ وَكَدَّتْهُ الْفَاقَةُ :

أَخَا سَفَرٍ جَوَّابَ أَرْضٍ تَقَاذَفَتْ بِهِ فَلَوَاتٌ فَهْوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ

جَعَلَ اللهُ لِلْخَيْرِ عَلَيْكُمْ دَلِيلًا . وَلَا جَعَلَ لِلشَّرِّ إِلَيْكُمْ سَبِيلًا . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَرَقَّتْ وَاللهِ لَهُ الْقُلُوبُ . وَاغْرَوْرَقَتْ لِلُطْفِ كَلَامِهِ الْعُيُونُ . وَنِلْنَاهُ مَا تَاحَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ . وَأَعْرَضَ عَنَّا حَامِدًا لَنَا . فَتَبِعْتُهُ فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَنْدَرِيُّ

المقامة البصريّة

٩٥ حدثنا عيسى بن هشام قال: دخلت البصرة وأنا من سنّي في فتاء. ومن الزيّ في حبر ووشاء. ومن الغنى في بقر وشاء. فأتيت المربد في رفقة تأخذهم العيون ومشينا غير بعيد إلى بعض تلك المتنزهات. في تلك المتوجهات. وملكتنا أرض فحللناها. فما كان بأسرع من ارتداد الطرف حتى عنّ لنا سواد. تخفضه وهاد وترفعه نجاد. وعلمنا أنه يهمّ بنا فأتلعنا له حتى أدّاه إلينا سيره ولقينا بتحية الإسلام. ورددنا عليه مقتضى السلام. ثم أجال فينا طرفه وقال: يا قوم ما منكم إلا من يلحظني شزرا. ويوسعني حزرا. وما ينبئكم عني. أصدق مني. أنا رجل من أهل الإسكندرية. من الثغور الأموية. قد وطأ لي الفضل ورحّب بي عيش ونماني بيت. ثم جعجع بي الدهر عن ثمّه ورمّه. وأتلاني زغاليل حمر الحواصل:

كأنهم حيّات أرض محلة ... فلو يعضّون لذكّى سمّهم

إذا نزلنا أرسلوني كاسبا ... وإن رحلنا ركبوني كلّهم

ونشزت علينا البيض وشمست منا الصفر. وأكلتنا السود وحطمتنا الحمر. وانتابنا أبو مالك. فما يلقانا أبو جابر إلا عن عفر. وهذه البصرة ماؤها هضوم. وفقيرها مهضوم. والمرء من ضرسه في شغل. ومن نفسه في كل. فكيف بمن

يطوّف ما يطوّف ثم يأوي ... إلى زغب محدّدة العيون

كَسَاهُنَّ ٱلْبِلَى شُعْثًا فَتُمْسِي ... جِيَاعَ ٱلنَّابِ ضَامِرَةَ ٱلْبُطُونِ

وَلَقَدْ أَصْبَحْنَ ٱلْيَوْمَ وَسَرَحْنَ ٱلطَّرْفَ فِي حَيٍّ كَمَيْتٍ. وَبَيْتٍ كَلَا بَيْتٍ. وَقَلَبْنَ ٱلْأَكُفَّ عَلَى لَيْتَ. فَفَضَضْنَ عِقْدَ ٱلدُّمُوعِ. وَأَفَضْنَ مَاءَ ٱلضُّلُوعِ. وَتَدَاعَيْنَ بِٱسْمِ ٱلْجُوعِ:

وَٱلْفَقْـرُ فِي زَمَنِ ٱللِّئَا ... مِ لِكُلِّ ذِي كَرَمٍ عَلَامَهْ

رَغِبَ ٱلْكِـرَامُ إِلَى ٱللِّئَا ... مِ وَتِلْكَ أَشْرَاطُ ٱلْقِيَامَهْ

وَلَقَدِ ٱخْتَرْتُكُمْ يَا سَادَةْ. وَدَلَّتْنِي عَلَيْكُمُ ٱلسَّعَادَةْ. وَقُلْتُ قَسَمًا. إِنَّ فِيهِـمْ لَدَسَمًا. فَهَلْ مِنْ فَتًى يُعَشِّيهِنَّ. أَوْ يُغَشِّيهِنَّ. وَهَلْ مِنْ حُرٍّ يُغَدِّيهِنَّ. أَوْ يُرَدِّيهِنَّ. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَوَٱللهِ مَا ٱسْتَأْذَنَ عَلَى حِجَابِ سَمْعِي كَلَامٌ رَائِعٌ أَبْرَعُ وَأَرْفَعُ وَأَبْدَعُ مِمَّا سَمِعْتُ مِنْهُ. لَا جَرَمَ إِنَّا ٱسْتَمَحْنَا ٱلْأَوْسَاطَ. وَنَفَضْنَا ٱلْأَكْمَامَ وَبَحَثْنَا ٱلْجُيُوبَ. وَنِلْتُهُ أَنَا مُطْرَفِي وَأَخَذَتِ ٱلْجَمَاعَةُ إِخْذِي. وَقُلْنَا لَهُ: ٱلْحَقْ بِأَطْفَالِكَ فَأَعْرَضَ عَنَّا بَعْدَ شُكْرٍ وَفَاهُ. وَنَشْرٍ مَلَأَ بِهِ فَاهُ

المقامة القرديّة

٩٦ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا بِمَدِينَةِ ٱلسَّلَامِ. قَافِلًا مِنَ ٱلْبَلَدِ ٱلْحَرَامِ. أَمِيسُ مَيْسَ ٱلرَّجْلَةِ. عَلَى شَاطِئِ ٱلدِّجْلَةِ. أَتَأَمَّلُ تِلْكَ ٱلطَّرَائِفَ. وَأَتَقَصَّى تِلْكَ ٱلزَّخَارِفَ. إِذِ ٱنْتَهَيْتُ إِلَى حَلْقَـةِ رِجَالٍ مُزْدَحِمِينَ يَلْوِي ٱلطَّرَبُ أَعْنَاقَهُمْ. وَيَشُقُّ ٱلضَّحِكُ أَشْدَاقَهُمْ. فَسَاقَنِي ٱلْحِرْصُ إِلَى مَا سَاقَهُمْ حَتَّى وَقَفْتُ بِمَسْمَعِ صَوْتِ ٱلرَّجُلِ دُونَ مَرْأَى

وَجهِهِ لِشِدَّةِ ٱلْهَجْمَةِ . وَفَرْطِ ٱلزَّحْمَةِ . فَإِذَا هُوَ قَرَّادٌ يُرْقِصُ قِرْدَهُ . وَيُضْحِكُ مَنْ عِنْدَهُ . فَرَقَصْتُ رَقْصَ ٱلْمُحْرِجِ . وَسِرْتُ سَيْرَ ٱلْأَعْرَجِ . فَوْقَ رِقَابِ ٱلنَّاسِ يَلْفِظُنِي عَاتِقُ هٰذَا لِسُرَّةِ ذَاكَ . حَتَّى ٱفْتَرَشْتُ لِحْيَةَ رَجُلَيْنِ . وَقَعَدتُّ بَعْدَ ٱلْأَيْنِ . وَقَدْ أَشْرَقَنِي ٱلْخَجَلُ بِرِيقِهِ . وَأَرْهَقَنِي ٱلْمَكَانُ بِضِيقِهِ . وَلَمَّا فَرَغَ ٱلْقَرَّادُ مِنْ شُغْلِهِ . وَٱنْتَفَضَ ٱلْمَجْلِسُ عَنْ أَهْلِهِ . قُمْتُ وَقَدْ كَسَانِي ٱلدَّهَشُ حُلَّتَهُ . لِأَرَى صُورَتَهُ . فَإِذَا هُوَ وَٱللهِ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ . فَقُلْتُ : مَا هٰذِهِ ٱلدَّنَاءَةُ وَيْحَكَ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَلذَّنْبُ لِلْأَيَّامِ لَا لِي   فَٱعْتِبْ عَلَى صَرْفِ ٱللَّيَالِي
بِٱلْحُمْقِ أَدْرَكْتُ ٱلْمُنَى   وَرَفَلْتُ فِي حُلَلِ ٱلْجَمَالِ

المقامة العلمية

٩٧ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ فِي بَعْضِ مَطَارِحِ ٱلْغُرْبَةِ مُجْتَازًا فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ يَقُولُ لِآخَرَ : بِمَ أَدْرَكْتَ ٱلْعِلْمَ وَهُوَ يُجِيبُهُ . قَالَ : طَلَبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ بَعِيدَ ٱلْمَرَامِ . لَا يُصْطَادُ بِٱلسِّهَامِ . وَلَا يُقْسَمُ بِٱلْأَزْلَامِ . وَلَا يُرَى فِي ٱلْمَنَامِ . وَلَا يُضْبَطُ بِٱللِّجَامِ . وَلَا يُورَثُ عَنِ ٱلْأَعْمَامِ . وَلَا يُسْتَعَارُ مِنَ ٱلْكِرَامِ . فَتَوَسَّلْتُ إِلَيْهِ بِٱفْتِرَاشِ ٱلْمَدَرِ . وَٱسْتِنَادِ ٱلْحَجَرِ . وَرَدِّ ٱلضَّجَرِ . وَرُكُوبِ ٱلْخَطَرِ . وَإِدْمَانِ ٱلسَّهَرِ . وَٱصْطِحَابِ ٱلسَّفَرِ وَكَثْرَةِ ٱلنَّظَرِ . وَإِعْمَالِ ٱلْفِكَرِ . فَوَجَدْتُهُ شَيْئًا لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلْغَرْسِ . وَلَا يُغْرَسُ إِلَّا فِي ٱلنَّفْسِ . وَصَيْدًا لَا يَقَعُ إِلَّا فِي ٱلنَّدْرِ . وَلَا يَنْشَبُ إِلَّا فِي ٱلصَّدْرِ . وَطَائِرًا لَا يَخْدَعُهُ إِلَّا قَنَصُ ٱللَّفْظِ .

وَلَا يَعْلَقُهُ إِلَّا شَرَكُ ٱلْحِفْظِ. فَحَمَلْتُهُ عَلَى ٱلرُّوحِ وَحَبَسْتُهُ عَلَى ٱلْعَيْنِ. وَأَنْفَقْتُ مِنَ ٱلْعَيْشِ وَخَزَنْتُ فِي ٱلْقَلْبِ. وَحَرَزْتُ بِٱلدَّرْسِ وَٱسْتَرَحْتُ مِنَ ٱلنَّظَرِ إِلَى ٱلتَّحْقِيقِ. وَمِنَ ٱلتَّحْقِيقِ إِلَى ٱلتَّعْلِيقِ. وَٱسْتَعَنْتُ فِي ذَٰلِكَ بِٱلتَّوْفِيقِ. فَسَمِعْتُ مِنَ ٱلْكَلَامِ مَا فَتَقَ ٱلسَّمْعَ وَوَصَلَ إِلَى ٱلْقَلْبِ. وَتَغَلْغَلَ فِي ٱلصَّدْرِ. فَقُلْتُ: يَا فَتَى وَمِنْ أَيْنَ مَطْلَعُ هٰذِهِ ٱلشَّمْسِ. فَجَعَلَ يَقُولُ:

إِسْكَنْدَرِيَّةُ دَارِي لَوْ قَرَّ فِيهَا قَرَارِي
لٰكِنَّ بِٱلشَّامِ لَيْلِي وَبِٱلْعِرَاقِ نَهَارِي

المقامة الملوكية

٩٨ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ فِي مُنْصَرَفِي مِنَ ٱلْيَمَنِ. وَتَوَجُّهِي إِلَى نَحْوِ ٱلْوَطَنِ. أَسْرِي ذَاتَ لَيْلَةٍ لَا سَانِحَ بِهَا إِلَّا ٱلضَّبُعُ. وَلَا بَارِحَ إِلَّا ٱلسَّبُعُ. فَلَمَّا ٱنْتُضِيَ نَصْلُ ٱلصَّبَاحِ. وَبَرَزَ جَبِينُ ٱلْمِصْبَاحِ. عَنَّ لِي فِي ٱلْبَرَاحِ. رَاكِبٌ شَاكِي ٱلسِّلَاحِ. فَأَخَذَنِي مِنْهُ مَا يَأْخُذُ ٱلْأَعْزَلَ. مِنْ مِثْلِهِ إِذَا أَقْبَلَ. لٰكِنِّي تَجَلَّدْتُ فَوَقَفْتُ وَقُلْتُ: أَرْضَكَ لَا أُمَّ لَكَ فَدُونِي شَرْطُ ٱلْحِدَادِ. وَخَرْطُ ٱلْقَتَادِ. وَحَمِيَّةٌ أَزْدِيَّةٌ. وَأَنَا سِلْمٌ إِنْ كُنْتَ. فَمَنْ أَنْتَ. فَقَالَ: سِلْمًا أَصَبْتَ. وَرَفِيقًا كَمَا أَحْبَبْتَ. فَقُلْتُ: خَيْرًا أَجَبْتَ. وَسِرْنَا فَلَمَّا تَخَالَيْنَا. وَحِينَ تَجَالَيْنَا. لَجْلَجْتُ ٱلْقِصَّةَ عَنْ أَبِي ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيِّ. وَسَأَلَنِي عَنْ أَكْرَمِ مَنْ لَقِيتُهُ مِنَ ٱلْمُلُوكِ فَذَكَرْتُ مُلُوكَ ٱلشَّامِ. وَمَنْ بِهَا مِنَ ٱلْكِرَامِ. وَمُلُوكَ ٱلْعِرَاقِ وَمَنْ

بها مِنَ الأَشْرافِ. وأُمَراءِ الأَطْرافِ. وسُقْتُ الذِّكْرَ. إلى مُلوكِ مِصْرَ. فَرَوَيْتُ ما رأَيْتُ وحدَّثْتُهُ بعوارِفِ مُلُوكِ اليَمَنِ ولطائِفِ مُلوكِ الطَّائِفِ وختمتُ مدحَ الجُمْلَةِ. بذكرِ سيفِ الدَّوْلَةِ. فأنشأَ يقولُ:

يا سارِيًا بِنُجُومِ اللَّيلِ يعدُّها ولو رأى الشَّمسَ لم يعرِفْ لها خطَرا
وواصِفًا للسَّواقِي هبْكَ لم تَرِدِ الـ بحرَ المُحيطَ ألَمْ تعرِفْ لهُ خبرا
مَنْ أبصرَ الدُّرَّ لم يعدِلْ بهِ حَجَرًا ومن رأى خلَفًا لم يذكُرِ البشرا
زُرْهُ تَزُرْ مَلِكًا يُعطِي بأَربَعَةٍ لم يحوِها أَحَدٌ وانظُرْ إليهِ ترى
أيّامَهُ غُرَرًا ووجهَهُ قمرًا وعزمَهُ قَدَرًا وسَيْبَهُ مطَرا
ما زِلْتُ أمدَحُ أقوامًا أظنُّهُمُ صفوَ الزَّمانِ فكانوا عِندَهُ كَدَرا

(قالَ عيسى بنُ هِشامٍ) فقُلْتُ: مَنْ هذا المَلِكُ الرَّحيمُ الكَريمُ. فقالَ: كيفَ يكونُ. ما لم تبلُغْهُ الظُّنونُ. وكيفَ أقولُ. ما لم تقبلْهُ العقولُ. ومتى كانَ مَلِكٌ يأْنَفُ الأكارِمَ. إنْ بعثَ بالدَّراهمِ. والذَّهبُ. أيسرُ ما يهبُ. والألْفُ. لا يعمُّهُ إلّا الخلفُ. وهذا جبلُ الكُحْلِ قد أضرَّ بهِ المِيلُ. فكيفَ لا يُؤثِّرُ ذلكَ العطاءُ الجزيلُ. وهل يجوزُ أنْ يكونَ مَلِكٌ يرجِعُ مِنَ البذلِ إلى سرَفِهِ. ومِنَ الخُلُقِ إلى شرَفِهِ. ومِنَ الدِّينِ إلى كَلَفِهِ. ومِنَ المُلْكِ إلى كنَفِهِ. ومِنَ الأصلِ إلى سلَفِهِ. ومِنَ النَّسلِ إلى خلَفِهِ

فليتَ شِعري مِنْ هذي مآثِرُهُ ماذا الَّذي ببلوغِ النَّجمِ ينتظِرُ

المقامة البخارية

٩٩ حدثنا عيسى بن هشام قال: أحلّني جامع بخارى وقد انتظمت مع رفقة في سلك الثريا. وحين احتفل الجامع بأهله طلع إلينا ذو طمرين قد أرسل صوانا. واستتلى طفلا عريانا. يضيق بالضر وسعه. ويأخذه القر ويدعه. لا يملك غير القشرة بردة. ولا يلتقي لحياه رعدة. فوقف الرجل وقال: لا ينظر لهذا الطفل إلا من رحم الله طفله. ولا يرق لهذا الضر إلا من لا يأمن مثله. يا أصحاب الخزوز المفروزة. والأردية المطروزة. والدور المنجدة. والقصور المشيدة. إنكم لن تأمنوا حادثا. ولن تعدموا وارثا. فبادروا الخير ما أمكن. وأحسنوا مع الدهر ما أحسن. فقد والله طعمنا السكباج. وركبنا الهملاج. ولبسنا الديباج. وافترشنا الحشايا بالعشايا. فما راعنا إلا هبوب الدهر بغدره. وانقلاب المجن لظهره. فعاد الهملاج قطوفا. والديباج صوفا. وهلم جرا إلى ما تشاهدون من حالي وزيي. فها نحن نرتضع من الدهر ثدي عقيم. ونركب من الفقر ظهر بهيم. فلا نرنو إلا بعين اليتيم. ولا نمد إلا يد العديم. فهل من كريم يجلو غياهب هذه البؤوس. ويفل شبا هذه النحوس. ثم قعد مرتفقا وقال للطفل: أنت وشأنك. فقال: ما عسى أن أقول وهذا الكلام لو لقي الشعر لحلقه. أو الصخر لفلقه. وإن قلبا لم ينضجه لني؛ وقد سمعتم يا قوم ما لم تسمعوا قبل اليوم. فليشغل كل منكم بالجود يده. وليذكر غده. واقيا بي ولده. وامنحوني

أشكُرْكُمْ . وَاذْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ . وَأَعْطُونِي أشْكُرْكُمْ . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَمَا آنسنِي فِي وَحْدَتِي إِلَّا خَاتَمٌ خَتَمْتُ بِهِ خِنْصِرَهُ . فَلَمَّا تَنَاوَلَهُ أَنْشَأَ وَجَعَلَ يَقُولُ :

وَمُمَنْطَقٍ مِنْ نَفْسِهِ بِقِلَادَةِ ٱلْجَوْزَاءِ حُسْنَا
مُتَأَلِّفٍ مِنْ غَيْرِ أُسْرَتِهِ عَلَى ٱلْأَيَّامِ خِدْنَا
عِلْقٌ سَنِيٌّ قَدْرُهُ لَكِنْ مَنْ أَهْدَاهُ أَسْنَى
أَقْسَمْتُ لَوْ كَانَ ٱلْوَرَى فِي ٱلْمَجْدِ لَفْظًا كُنْتَ مَعْنَى

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَنِلْنَاهُ مَا تَاحَ مِنَ ٱلْفَوْزِ فَأَعْرَضَ عَنَّا حَامِدًا لَنَا . فَتَبِعْتُهُ حَتَّى سَفَرَتِ ٱلْخَلْوَةُ عَنْ وَجْهِهِ . فَإِذَا هُوَ وَٱللهِ شَيْخُنَا أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ . وَإِذَا ٱلطَّلَا زُغْلُولُهُ فَقُلْتُ : أَبَا ٱلْفَتْحِ شِبْتَ وَشَبَّ ٱلْغُلَامُ . فَأَيْنَ ٱلسَّلَامُ وَأَيْنَ ٱلْكَلَامُ . فَقَالَ :

غَرِيبًا إِذَا جَمَعَتْنَا ٱلطَّرِيقُ أَلِيفًا إِذَا نَظَمَتْنَا ٱلْخِيَامُ

فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ مُخَاطَبَتِي فَتَرَكْتُهُ وَٱنْصَرَفْتُ

الباب الخامس
في المناظرة

مناظرة الازهار او المقامة الوردية

١٠٠ حدثنا الريان عن أبي الريحان. عن أبي الورد أبان. عن بلبل الأغصان. عن ناظر الإنسان. عن كوكب البستان. عن وابل الهتان. قال: مررت يوما على حديقة. خضرة نضرة أنيقة. طلولها وديقة. وأغصانها وريقة. وكوكبها أبدى بريقه. ذات ألوان وأفنان. وأكمام وأكنان. وإذا بها أزرار الأزهار مجتمعة. وأنوار الأنوار ملتمعة. وعلى منابر الأغصان أكابر الأزاهر. والصبا تضرب على رؤوسها من الأوراق الخضر بالمزاهر. فقلت لبعض من عبر: ألا تحدثوني ما الخبر. فقال: إن عساكر الرياحين قد حضرت. وأزاهر البساتين قد نظرت لما نضرت. واتفقت على عقد مجلس حافل. لاختيار من هو بالملك أحق وكافل. وها أكابر الأزهار قد صعدت المنابر. ليبدي كل حجته للناظر. ويناظر بين أهل المناظر. في أنه أحق أن يلحظ بالنواظر. من بين سائر الرياحين النواضر. وأولى بأن يتأمر على البوادي منها والحواضر. فجلست لأحضر فصل الخطاب. وأسمع ما يأتي به كل من الحديث المستطاب

١٠١ (فهجم الورد) بشوكته. ونجم من بين الرياحين معجبا بإشراق

صُورَتِهِ. وَإِفراقِ صَوْلَتِهِ. وَقَالَ: بِسْمِ ٱللهِ ٱلْمُعِينِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ. أَنَا ٱلْوَرْدُ مَلِكُ ٱلرَّيَاحِينِ. وَٱلْوَارِدُ مُنْعِشًا لِلْأَرْوَاحِ وَمَتَاعًا لَهَا إِلَى حِينٍ. وَنَدِيمُ ٱلْخُلَفَاءِ وَٱلسَّلَاطِينِ. وَٱلْمَرْفُوعُ أَبَدًا عَلَى ٱلْأَسِرَّةِ لَا أَجْلِسُ عَلَى تُرْبٍ وَلَا طِينٍ. وَٱلظَّاهِرُ لَوْنِي ٱلْأَحْمَرُ عَلَى أَزَاهِرِ ٱلْبَسَاتِينِ. وَٱلْعَزِيزُ عِنْدَ ٱلنَّاسِ. وَٱلْمَوْدُودُ بَيْنَ ٱلْجُلَّاسِ لِلْإِينَاسِ. وَٱلْعَادِلُ فِي ٱلْمِزَاجِ. وَٱلصَّالِحُ فِي ٱلْعِلَاجِ. أُسَكِّنُ حَرَارَةَ ٱلصَّفْرَاءِ. وَأُقَوِّي ٱلْبَاطِنَ مِنَ ٱلْأَعْضَاءِ. وَأُبَرِّدُ أَنْوَاعَ ٱللَّهِيبِ ٱلْكَائِنَةَ فِي ٱلرَّاسِ. وَرُبَّمَا ٱسْتَخْرَجَهَا مِنْهُ بِٱلْعُطَاسِ. وَأَنْفَعُ مِنَ ٱلْقُلَاعِ وَٱلْقُرُوحِ. وَأَنَا بِعِطْرِيَّتِي مُلَائِمٌ لِجَوْهَرِ ٱلرُّوحِ. وَمَنْ تَجَرَّعَ مِنْ مَائِي يَسِيرًا. نُفِعَ مِنَ ٱلْغَشْيِ وَٱلْخَفَقَانِ كَثِيرًا. وَدُهْنِي شَدِيدُ ٱلنَّفْعِ لِلْخُرَاجَاتِ. وَفِيهِ مَآرِبُ كَثِيرَةٌ لِذَوِي ٱلْحَاجَاتِ. وَأَنَا مَعَ ذَٰلِكَ جَلْدٌ صَبَّارٌ. أَجْرِي مَعَ ٱلْأَقْدَارِ. إِذَا صُلِيتُ بِٱلنَّارِ. فَلِهَذَا رُفِعَتْ مِنْ أَغْصَانِي ٱلْأَشْأَرُ. وَدُقَّتْ مِنْ دَارَاتِي ٱلْبَشَائِرُ. وَأُعْمِلَتْ لِيَ ٱلْمَشَاعِرُ. وَقَالَ فِيَّ ٱلشَّاعِرُ:

لِلْوَرْدِ عِنْدِي مَحَلٌّ وَرُتْبَةٌ لَا تُمَلُّ
كُلُّ ٱلرَّيَاحِينِ جُنْدٌ وَهْوَ ٱلْأَمِيرُ ٱلْأَجَلُّ
إِنْ جَاءَ عَزُّوا وَتَاهُوا حَتَّى إِذَا غَابَ ذَلُّوا

١٠٢ (فَقَامَ ٱلنَّرْجِسُ) عَلَى سَاقٍ. وَرَمَى ٱلْوَرْدَ مِنْهُ بِٱلْأَحْدَاقِ. وَقَالَ: لَقَدْ تَجَاوَزْتَ ٱلْحَدَّ يَا وَرْدُ. وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جَمْعٌ فِي فَرْدٍ. إِنِ ٱعْتَقَدْتَ أَنَّ لَكَ بِحُمْرَتِكَ فَخْرَةً. فَإِنَّهَا مِنْكَ فَجْرَةٌ. وَإِنْ قُلْتَ إِنَّكَ نَافِعٌ

فِي ٱلْعِلَاجِ . فَكَمْ لَكَ فِي مِنْهَاجِ ٱلطِّبِّ مِنْ هَاجٍ . فَٱحْفَظْ حُرْمَتَكَ . وَإِلَّا كَسَرْتُ بِقَائِمِ سَيْفِي شَوْكَتَكَ . وَيَكْفِيكَ قَوْلُ ٱلْبُسْتِيِّ فِيكَ :

لَا يَغُرَّنَّكَ أَنَّنِي لَيِّنُ ٱلْمَسِّ   لِأَنِّي إِذَا ٱنْتَضَيْتُ حُسَامُ
أَنَا كَٱلْوَرْدِ فِيهِ رَاحَةُ قَوْمٍ   ثُمَّ فِيهِ لِآخَرِينَ زُكَامُ

وَلَكِنْ أَنَا ٱلْقَائِمُ لِلّٰهِ فِي ٱلدَّيَاجِي عَلَى سَاقِي . ٱلسَّاهِرُ طُولَ ٱللَّيْلِ فِي عِبَادَةِ رَبِّي فَلَا تَطْرِفُ أَحْدَاقِي . وَأَنَا مَعَ ذٰلِكَ ٱلْمُعَدُّ لِلْحُرُوبِ . ٱلْمَدْعُوُّ عِنْدَ تَزَاحُمِ ٱلْكُرُوبِ . أَلَا تَرَى وَسَطِي لَا يَزَالُ مَشْدُودًا . وَسَيْفِي لَا يَزَالُ مَجْرُودًا . وَأَنَا فَرِيدُ ٱلزَّمَانِ . فِي ٱلْمَحَاسِنِ وَٱلْإِحْسَانِ . وَلِهٰذَا قَالَ فِيَّ كِسْرَى أَنُوشِرْوَانُ : ٱلنَّرْجِسُ يَاقُوتٌ أَصْفَرُ . بَيْنَ دُرٍّ أَبْيَضَ عَلَى زُمُرُّدٍ أَخْضَرَ . وَأَنَا ٱلْمَقْرُونُ فِي مُهِمَّاتِ ٱلْأَدْوَاءِ بِٱلصَّلَاحِ . أَنْفَعُ غَايَةَ ٱلنَّفْعِ . مِنْ دَاءِ ٱلثَّعْلَبِ وَٱلصَّرْعِ . وَمِنَ ٱلدَّلِيلِ عَلَى صَلَاحِي . أَنَّ أَبَا نُوَاسٍ غُفِرَ لَهُ أَثْنَى عَلَيَّ بِأَبْيَاتٍ قَالَهَا فِي ٱمْتِدَاحِي :

تَأَمَّلْ فِي رِيَاضِ ٱلْأَرْضِ وَٱنْظُرْ   إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ ٱلْمَلِيكُ
عُيُونٌ مِنْ لُجَيْنٍ شَاخِصَاتٌ   بِأَحْدَاقٍ كَمَا ٱلذَّهَبُ ٱلسَّبِيكُ
عَلَى قُضُبِ ٱلزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٌ   بِأَنَّ ٱللّٰهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

وَلَقَدْ أَحْسَنَ ٱبْنُ ٱلرُّومِيِّ حَيْثُ قَالَ . مُبَيِّنًا فَضْلِي عَلَى كُلِّ حَالٍ :

أَيُّهَا ٱلْمُحْتَجُّ لِلْوَرْ   دِ بِزُورٍ وَمُحَالِ
ذَهَبَ ٱلنَّرْجِسُ بِٱلْفَضْـ   لِ فَأَنْصِفْ فِي ٱلْمَقَالِ

١٠٣ (فَقَامَ ٱلْيَاسَمِينُ) وَقَالَ : آمَنْتُ بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ . لَقَدْ تَجَبَّسْتَ

يَا جِبْسُ . وَأَكْثَرُكَ رِجْسٌ نَجِسٌ . وَأَنْتَ قَلِيلُ الْحُرْمَةِ . وَأُسُّكَ مَشْمُولٌ بِالنَّجَمَةِ . وَكَيْفَ تَطْلُبُ الْمُلْكَ وَأَنْتَ بَعْدُ قَائِمٌ مَشْدُودُ الْوَسَطِ فِي الْخِدْمَةِ . رَأْسُكَ لَا يَزَالُ مَنْكُوسٌ . وَأَنْتَ الْمُهَيِّجُ لِلْقَيْءِ الْمُصَدِّعُ مِنَ الْمَخْرُورِينَ لِلرُّؤُوسِ . أَصْفَرُ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ . مَكْسُوٌّ أَحْقَرَ حُلَّةٍ . وَيَكْفِيكَ بَعْضُ وَاصِفِيكَ

أَرَى النَّرْجِسَ الْغَضَّ الزَّكِيَّ مُشَمِّرًا عَلَى سَاقِهِ فِي خِدْمَةِ الْوَرْدِ قَائِمْ
وَقَدْ ذَلَّ حَتَّى لَفَّ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ عَمَائِمَ فِيهَا لِلْيَهُودِ عَلَائِمْ

وَلَكِنْ أَنَا زَيْنُ الرِّيَاضِ . وَالْمَوْسُومُ فِي الْوَجْهِ بِالْبَيَاضِ . شَطْرُ الْحُسْنِ كَمَا وَرَدَ . وَأَنَا أَلْطَفُ مِنْ وَرْدٍ جَاوَرَدَ . وَنَشْرِي أَعْبَقُ مِنْ نَشْرِكَ صَبَاحًا وَنَدًا . فَأَنَا أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْكَ مَنْصُورًا وَمُؤَيَّدًا . وَأَنَا النَّافِعُ مِنْ أَمْرَاضِ الْعَصَبِ الْبَارِدَةِ . وَالْمُلَطِّفُ لِلرُّطُوبَاتِ الْجَامِدَةِ . أَنْفَعُ مِنَ اللَّقْوَةِ وَالشَّقِيقَةِ وَالزُّكَامِ . وَمِنْ وَجَعِ الرَّأْسِ الْبَلْغَمِيِّ وَالسَّوْدَاوِيِّ . وَدُهْنِي نَافِعٌ مِنَ الْفَالِجِ وَوَجَعِ الْمَفَاصِلِ . وَيُحَلِّلُ الْأَعْضَاءَ وَيَجْلِبُ الْعَرَقَ الْفَاضِلَ . يَقُولُ لِي لِسَانُ الْحَالِ : لَسْتَ الْهَزِيلَ مَقَامًا يَا سَمِينُ . وَيَشْهَدُ لِسَانُ الْأَنَمِ بِأَنِّي الدُّرُّ الْغَالِي إِذَا قَالَ : يَا ثَمِينُ

أَنَا الْيَاسَمِينُ الَّذِي لَطُفْتُ فَنِلْتُ الْمُنَى
فَرِيحِي لِمَنْ قَدْ نَأَى وَعَيْنِي إِلَى مَنْ دَنَا
وَقَدْ شَرُفَتْ حَضْرَتِي لِصَبْرِي عَلَى مَنْ جَنَى

١٠٤ (فَقَامَ الْبَانُ) وَأَبْدَى غَايَةَ الْغَضَبِ وَأَبَانَ وَقَالَ : لَقَدْ تَعَدَّيْتَ

يا ياسمين طورك. وأبعدت في المداغورك. وكونك أضعف الكون. وكثرة شمك تصفر اللون. وإذا سحق اليابس منك ورض. وذر على الشعر الأسود ابيض. وإذا قسم اسمك قسمين صار ما بين يأس ومين. وإن ذكرت نفعك. فأنت كما قيل لا تساوي جمعك. ولقد صدق القائل. من الأوائل:

لا مرحبا بالياسمين وإن غدا في الروض زينا
صحفته فوجدته متضمنا يأسا ومينا

ولكن أنا ذو الاسمين. والظافر بالأصل والفرع بالقسمين. والقريب من الباز. والمضروب بقدي المثل في الاهتزاز. أزهاري عالية وأدهاني غالية. وقد ألبست خلعة السنجاب. واتفق على فضلي الأنجاب. أنفع بالشم من مزاجه حار. وأرطب دماغه وأسكن صداعه. ودهني نافع لكل وجع بارد. وتحت ذلك صور كثيرة الموارد. من الراس والضرس. ويكفي في وردي. قول ابن الوردي:

تجادلنا أماء الزهر أذكى أم الخلاف أم ورد القطاف
وعقبى ذلك الجدل اصطلحنا وقد وقع الوفاق على الخلاف

١٠٥ (فقام النسرين) بين القائمين. منتصرا لأخيه الياسمين. وقال: أتتعدى يا بان على شقيقي. وأين القري من الذهب الدقيق. ألم يعرفك الحال. قول من قال:

لله بستان حللنا دوحه في جنة قد فتحت أبوابها

وَٱلْبَانُ تَحْسَبُهُ سَنَانِيرًا رَأَتْ بَعْضَ ٱلْكِلَابِ فَنَفَّشَتْ أَذْنَابَهَا

وَلٰكِنْ أَنَا زَيْنُ ٱلْبُسْتَانِ . وَفِيَّ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ لَوْنَانِ . أَنْفَعُ مِنْ أَوْرَامِ ٱلْحَلْقِ وَٱللَّوْزَتَيْنِ وَوَجَعِ ٱلْأَسْنَانِ . وَمِنْ بَرْدِ ٱلْعَصَبِ وَٱلدَّوِيِّ وَٱلطَّنِينِ فِي ٱلْآذَانِ . وَأُسَكِّنُ ٱلْقَيْءَ وَٱلْفُوَاقَ . وَأُقَوِّي ٱلْقَلْبَ وَٱلدِّمَاغَ عَلَى ٱلْإِطْلَاقِ . وَبِي غَايَةُ ٱلِٱنْتِفَاعِ . وَٱلْبَرِّيُّ مِنِّي إِذَا لُطِخَ بِهِ ٱلْجَبْهَةُ سَكَّنَ ٱلصُّدَاعَ . وَيَكْفِيكَ مِنَ ٱلْمَعَانِي . قَوْلُ مَنْ عَنَانِي :

مَا أَحْسَنَ ٱلنَّسْرِينَ عِنْدِي وَمَا أَمْلَحَهُ مُذْ كَانَ فِي عَيْنِي

زَهْرٌ إِذَا مَا أَنَا صَحَّفْتُهُ وَجَدْتُهُ بُشْرَى وَيُسْرَيْنِ

١٠٦ (فَقَامَ ٱلْبَنَفْسَجُ) وَقَدِ ٱلْتَهَبَ . وَلَاحَتْ عَلَيْهِ زُرْقَةُ ٱلْغَضَبِ . وَقَالَ : أَيُّهَا ٱلنَّسْرِينُ لَسْتَ عِنْدَنَا مِنَ ٱلْمَعْدُودِينَ . وَلَا فِي ٱلصَّلَاحِ مِنَ ٱلْمَحْمُودِينَ . لِأَنَّكَ حَارٌّ يَابِسٌ إِنَّمَا تُوَافِقُ ٱلْمَبْرُودِينَ . وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلْمَشَايِخِ ٱلْمُبْلَغَمِينَ . وَأَنْتَ كَثِيرُ ٱلْإِذَاعَةِ فَلَسْتَ عَلَى حِفْظِ ٱلْأَسْرَارِ بِأَمِينٍ . وَيُعْجِبُنِي مَا قَالَ فِيكَ بَعْضُ ٱلْمُتَقَدِّمِينَ :

وَلَمْ أَنْسَ قَوْلَ ٱلْوَرْدِ لَا تَرْكَنُوا إِلَى مُعَاهَدَةِ ٱلنَّسْرِينِ فَهْوَ يَمِينُ

أَلَا تَنْظُرُوا مِنْهُ بَنَانًا مُخَضَّبًا وَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ ٱلْبَنَانِ يَمِينُ

وَلٰكِنْ أَنَا ٱللَّطِيفُ ٱلذَّاتِ . ٱلْبَدِيعُ ٱلصِّفَاتِ . ٱلْمُشَبَّهُ بِزُرْقِ ٱلْيَوَاقِيتِ . وَأَعْنَاقِ ٱلْفَوَاخِيتِ . وَمِزَاجِي رَطْبٌ بَارِدٌ . وَمَنَافِعِي كَثِيرَةُ ٱلْمَوَارِدِ . أُوَلِّدُ دَمًا فِي غَايَةِ ٱلِٱعْتِدَالِ . وَأَنْفَعُ ٱلْحَارَّ مِنَ ٱلرَّمَدِ وَٱلسُّعَالِ . وَأُسَكِّنُ ٱلصُّدَاعَ ٱلصَّفْرَاوِيَّ وَٱلدَّمَوِيَّ لِمَنْ شَمَّ أَوْ ضَمَّدَ .

وألين الصدر وأنفع من التهاب المعد. وكفاني شرفا بين الإخوان. أن دهني سيد الأدهان. بارد في الصيف حار في الشتاء فهو صالح في كل الأزمان. وذلك لأنه يسكن القلق. وينوم أصحاب الأرق. ومنافعي لا تحصى. وما أودعه خالقي في لا يستقصى. من رآني أذن بالإنشراح. وتفاءل بالإنفساح. ألا تسمع قول من باح وصاح:

يا مهديا لي بنفسجا أرجا   يرتاح صدري له وينشرح
بشرني عاجلا مصحفه   بأن ضيق الأمور ينفسح

١٠٧ (فقام النينوفر) على ساق. وحشد الجيوش وساق. وأنشد بعد إطراق:

بنفسج الروض تاه عجبا   وقال طيبي للجو ضمخ
فأقبل الزهر في احتفال   والبان في غيظه تنفخ

ثم قال للبنفسج: بأي شيء تدعي الإمارة. وتطاوع نفسك والنفس أمارة. وأكثر ما عندك أنك تشبه بالعذار وبالنار في الكبريت. وحاصل هذين يرجع إلى أشنع صيت. وما من نفع ذكرته عنك إلا وأنا أفعل مثله وأكثر. وأنا أحرى بسلامة العاقبة منك وأجدر. من شرب اليابس منك ولده قبضا على القلب. وربى في معدته وأمعائه وأحدث له الكرب. وقد كفانا الورد مؤونة الرد عليك. وحذرنا من القرب منك والإصغاء إليك. فقال:

أعلي يفتخر البنفسج جاهلا   وإلي يعزى كل فضل يبهر

وَأَنَا ٱلْمُحِبُّ لِلْقُلُوبِ زَمَانُهُ وَبِمَقْدَمِي أَهْلُ ٱلْمَسَرَّةِ تَفْخَرُ

وَقَالَ ٱلْحَاكِي عَنِ ٱلْوَرْدِ ٱلْبَاكِي:

عَايَنْتُ وَرْدَ ٱلرَّوْضِ يَلْطِمُ خَدَّهُ وَيَقُولُ وَهُوَ عَلَى ٱلْبَنَفْسَجِ مُحْنَقُ
لَا تَقْرَبُوهُ وَإِنْ تَضَوَّعَ نَشْرُهُ مَا بَيْنَكُمْ فَهُوَ ٱلْعَدُوُّ ٱلْأَزْرَقُ

وَلَكِنْ أَنَا ٱللَّطِيفُ ٱلْغَوَّاصُ. ٱلْكَثِيرُ ٱلْخَوَاصِ. أُسَكِّنُ ٱلصُّدَاعَ ٱلْحَارَّ. وَأُذْهِبُ بِٱلْأَرَقِ وَٱلْأَسْهَارِ. وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ فِيَّ بَعْضُ وَاصِفِيَّ:

يَرْتَاحُ لِلَّيْنُوفَرِ ٱلْقَلْبُ ٱلَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنَ ٱلْغَرَامِ وَجَهْدِهِ
وَٱلْوَرْدُ أَصْبَحَ فِي ٱلرَّوَائِحِ عَبْدَهُ وَٱلنَّرْجِسُ ٱلْمِسْكِيُّ خَادِمَ عَبْدِهِ
يَا حُسْنَهُ فِي بِرْكَةٍ قَدْ أَصْبَحَتْ مَحْشُوَّةً مِسْكًا تُشَابُ بِنَدِّهِ

وَمِنِّي صِنْفٌ يُقَالُ لَهُ ٱلْبَشْنِينُ. يُشَابِهُنِي فِي ٱلتَّكْوِينِ. لَا فِي ٱلتَّلْوِينِ. وَيَحْدُثُ عِنْدَ إِطْبَاقِ ٱلنِّيلِ. وَلَهُ فِي مَنَافِعِ ٱلطِّبِّ تَنْوِيلٌ. دُهْنُهُ مَحْمُودٌ فِي ٱلْبِرْسَامِ. إِذَا تَسَعَّطَ بِهِ ذُو ٱلْأَسْقَامِ. وَقَدْ أَنْشَدَ فِيهِ. مَنْ أَرَادَ أَنْ يُوصِلَهُ حَقَّهُ وَيُوفِيَهُ:

وَبِرْكَةٍ بِغَدِيرِ ٱلْمَاءِ قَدْ طَفَحَتْ بِهَا عُيُونٌ مِنَ ٱلْبَشْنِينِ قَدْ فُتِحَتْ
كَأَنَّهَا وَهِيَ تَزْهُو فِي جَوَانِبِهَا مِثْلُ ٱلسَّمَاءِ وَفِيهَا أَنْجُمٌ سَبَحَتْ

١٠٨ (فَقَامَ ٱلْآسُ) وَقَدِ ٱسْتَعَدَّ. وَقَالَ: لَقَدْ تَجَاوَزْتَ يَا لَيْنُوفَرُ ٱلْحَدَّ. أَلَسْتَ ٱلْمُضْعِفَ لِلْمَرْءِ فِي قُوَاهُ. ٱلْجَالِبَ لَهُ صِفَةَ ٱلشَّيْخُوخَةِ فِي صِبَاهُ. وَلَقَدْ عَرَفَكَ. مَنْ قَالَ حِينَ وَصَفَكَ:

وَلَيْنُوفَرٍ أَبْدَى لَنَا بَاطِنٌ لَهُ مَعَ ٱلظَّاهِرِ ٱلْمُخْضَرِّ حُمْرَةَ عَنْدَمِ

فَشَبَّهْتُهُ لَمَّا قَصَدتُ هِجَاءَهُ … بِكَاسَاتِ حَجَّامٍ بِهَا لَوْنَةُ الدَّمِ

أَنَا الْمُقَوِّي لِلْأَبْدَانِ. الْحَابِسُ لِلْإِسْهَالِ وَالْعَرَقِ وَكُلِّ سَيَلَانٍ. الْمُنَشِّفُ مِنَ الرُّطُوبَاتِ. الْمَانِعُ مِنَ الصُّنَانِ. الْمُسَكِّنُ لِلْأَوْرَامِ وَالْحُمْرَةِ وَالشَّرَى وَالصُّدَاعِ وَالْخَفَقَانِ. وَأَنَا الْبَاقِي فِي طُولِ الزَّمَانِ. وَقَالَ فِي بَعْضِ الْأَعْيَانِ:

أَلْآسُ سَيِّدُ أَنْوَاعِ الرَّيَاحِينِ … فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ فِي الْبَسَاتِينِ
يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ لَا تَبْلَى نَضَارَتُهُ … لَا فِي الْمَصِيفِ وَلَا فِي بَرْدِ كَانُونِ

وَقَالَ آخَرُ:

لِلْآسِ فَضْلُ بَقَائِهِ وَوَفَائِهِ … وَدَوَامُ مَنْظَرِهِ عَلَى الْأَوْقَاتِ
قَامَتْ عَلَى أَغْصَانِهِ وَرَقَاتُهُ … كَنُصُولِ نَبْلٍ جُنِّنَ مُؤْتَلِفَاتِ

١٠٩ (فَقَامَ الرَّيْحَانُ) وَقَالَ: يَا آسُ. لَأُجَرِّحَنَّكَ جُرْحًا مَا لَهُ مِنْ آسٍ:

إِذَا قَالَتْ حَذَامِ فَصَدِّقُوهَا … فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامِ

وَأَنَا الْوَارِدُ فِي: عَلَيْكُمْ بِالْمَرْزَنْجُوشِ. فَشُمُّوهُ فَإِنَّهُ جَيِّدٌ لِلْخُشَامِ وَأَنَا أَنْفَعُ مِنْ لَسْعَةِ الْعَقْرَبِ لِمَنْ بِالْخَلِّ ضُمِّدَ. وَدُهْنِي يَدْخُلُ فِي الضِّمَادَاتِ لِلْفَالِجِ الَّذِي يَعْرِضُ فِيهِ مَيْلُ الرَّقَبَةِ إِلَى خَلْفٍ وَفِي تَشَنُّجِ الْأَعْصَابِ. وَمَعَ هٰذَا فَأَنَا الْمُنَوَّهُ بِاسْمِي فِي الْقُرْآنِ. حَيْثُ يُقَالُ: فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ. وَحَسْبُكَ مِنِّي فِي التَّشْبِيهِ. قَوْلُ مَنْ قَالَ عَلَى الْبَدِيهِ:

أَمَا تَرَى الرَّيْحَانَ أَهْدَى لَنَا … حَمَاحِمًا مِنْهُ فَأَحْيَانَا
كَأَنَّهُ فِي ظِلِّهِ وَالنَّدَى … زُمُرُّدٌ يَحْمِلُ مَرْجَانَا

فَعَطَفَ عَلَيْهِ الآسُ ، وَقَالَ : يَا رَيْحَانُ أَتُرِيدُ أَنْ تَسُودَ ، وَأَنْتَ تَشْبَهُ بِهَامَاتِ الْعَبِيدِ السُّودِ ، أَلَمْ يُغْنِكَ عَنْ مَقْصُورِي ، قَوْلُ الشِّهَابِ الْمَنْصُورِي :

وَرَيْحَانٍ يَمِيسُ بِهِ غُصُونٌ ... يَطِيبُ بِشَمِّهِ لَثْمُ الْكُؤُوسِ
كَسُودَانٍ لَبِسْنَ ثِيَابَ خَزٍّ ... وَقَدْ قَامُوا مَكَاشِيفَ الرُّؤُوسِ

١١٠ قَالَ الرَّاوِي : فَلَمَّا أَبْدَى كُلٌّ مَا لَدَيْهِ ، وَقَالَ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ ، اتَّفَقَ رَأْيُ النَّاظِرِينَ ، وَأَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنَ الْحَاضِرِينَ ، عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا بَيْنَهُمْ حَكَمًا عَادِلًا ، يَكُونُ لِقَطْعِ النِّزَاعِ بَيْنَهُمْ فَاصِلًا ، فَقَصَدُوا رَجُلًا عَالِمًا بِالْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ ، حَافِظًا لِلْآثَارِ الْمَوْقُوفِ مِنْهَا وَالْمَرْفُوعِ ، عَارِفًا بِالْأَنْسَابِ ، مُمَيِّزًا بَيْنَ الْأَسْمَاءِ وَالْأَلْقَابِ ، وَالْأَتْبَاعِ وَالْأَصْحَابِ ، مَدِيدَ الْبَاعِ ، بَسِيطَ الْيَدَيْنِ فِي مَعْرِفَةِ الْخِلَافِ وَالْإِجْمَاعِ ، خَبِيرًا بِمَبَاحِثِ الْجَدَلِ ، وَاسْتِخْرَاجِ مَسَالِكِ الْعِلَلِ ، مُتَبَحِّرًا فِي عُلُومِ اللُّغَةِ وَالْإِعْرَابِ ، مُطَّلِعًا بِعُلُومِ الْبَلَاغَةِ وَالْخِطَابِ ، مُحِيطًا بِفُنُونِ الْبَدِيعِ ، حَافِظًا لِلشَّوَاهِدِ الشِّعْرِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَبْهَى مِنْ زَهْرِ الرَّبِيعِ ، شَدِيدَ الرَّمْيَةِ ، سَدِيدَ الْإِصَابَةِ ، الشِّعْرُ وَالنَّظْمُ صَوْغُ بَيَانِهِ ، وَالنَّثْرُ وَالْإِنْشَاءُ طَوْعُ بَنَانِهِ ، وَالتَّارِيخُ الَّذِي هُوَ فَضِيلَةُ غَيْرِهِ فَضْلَةُ دِيوَانِهِ ، فَلَمَّا مَثَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَوَقَعَتْ أَعْيُنُهُمْ عَلَيْهِ ، قَالُوا : يَا فَرِيدَ الْأَرْضِ ، يَا عَالِمَ الْبَسِيطَةِ مَا بَيْنَ طُولِهَا وَالْعَرْضِ ، إِنَّا أَخْصَامٌ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ، فَانْظُرْ فِي حَالِنَا لِتَكُونَ لَكَ ذَخِيرَةً يَوْمَ الْعَرْضِ ، وَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ،

وَاقْضِ لِأَيِّنَا بِالْمُلْكِ أَحَقُّ . فَقَالَ : أَيَّتُهَا الْأَزْهَارُ إِنِّي لَسْتُ كَالَّذِي تَحَاكَمَ إِلَيْهِ الْعِنَبُ وَالرُّطَبُ . وَلَا الَّذِي تَقَاضَى إِلَيْهِ الْمِشْمِشُ وَالتُّوتُ وَلَا التِّينُ وَالْعِنَبُ . إِنِّي لَا أَقْبَلُ الرُّشَا . وَلَا أَطْوِي عَلَى الْغِلِّ الْحَشَا وَلَا أَمِيلُ مَعَ صَاحِبِ رُشْوَةٍ . وَلَا أَسْتَحِلُّ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ حُسْوَةً . إِنَّمَا أَحْكُمُ بِمَا ثَبَتَ فِي السُّنَّةِ . وَلَا أَسْلُكُ إِلَّا طَرِيقًا مُوصِلًا لِلْجَنَّةِ . فَقُصُّوا عَلَيَّ الْخَبَرَ . لِأَعْرِفَ مَنْ فَجَرَ مِنْكُمْ وَبَرَّ . فَلَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ كُلٌّ قَوْلَهُ . وَأَبْدَى هَيْنَهُ وَهَوْلَهُ . قَالَ : لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ عِنْدِي مُسْتَحِقًّا لِلْمُلْكِ . وَلَا صَالِحًا لِلِانْخِرَاطِ فِي هٰذَا السِّلْكِ . وَلٰكِنِ الْمَلِكُ الْأَكْبَرُ . وَالسَّيِّدُ الْأَبَرُّ . وَصَاحِبُ الْمِنْبَرِ ذُو النَّشْرِ الْأَعْطَرِ . وَالْقَدْرِ الْأَخْطَرِ . السَّيِّدُ الْأَيِّدُ الصَّالِحُ الْجَيِّدُ هُوَ الْفَاغِيَةُ . وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : إِنَّ سَيِّدَ الرَّيَاحِينِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْفَاغِيَةُ اشْتَمَلَ عَلَى مَا فِي الرَّيَاحِينِ مِنَ الْحُسْنَى وَحَكَمَ لَهُ بِالسِّيَادَةِ . وَشَهِدَ لَهُ بِهَا وَنَاهِيكَ بِالشَّهَادَةِ

(قَالَ) فَلَمَّا سَمِعَتِ الرَّيَاحِينُ الْأَحَادِيثَ فِي فَضْلِ الْفَاغِيَةِ أَطْرَقُوا رُؤُوسَهُمْ خَاشِعِينَ . وَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ . وَدَخَلُوا تَحْتَ أَمْرِهِ سَامِعِينَ طَائِعِينَ . وَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ لَهَا مُبَايِعِينَ بِالْإِمْرَةِ وَمُتَابِعِينَ . وَقَالُوا : لَقَدْ كُنَّا قَبْلُ فِي غَفْلَةٍ عَنْ هٰذَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ . وَإِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ . وَقَضَى بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

مناظرة بين فصول العام

١١١ حَضَرَ فُصُولُ الْعَامِ مَجْلِسَ الْأَدَبِ . فِي يَوْمٍ بَلَغَ مِنْهُ الْأَدِيبُ

نِهَايَةَ ٱلْأَرَبِ . بِمَشْهَدٍ مِنْ ذَوِي ٱلْبَلَاغَةِ . وَمُتْقِنِي صِنَاعَةِ ٱلصِّيَاغَةِ . فَقَامَ كُلٌّ مِنْهُمْ يُعْرِبُ عَنْ نَفْسِهِ . وَيَفْتَخِرُ عَلَى أَبْنَاءِ جِنْسِهِ

(فَقَالَ ٱلرَّبِيعُ) :

أَنَا شَابُّ ٱلزَّمَانِ . وَرُوحُ ٱلْحَيَوَانِ . وَإِنْسَانُ عَيْنِ ٱلْإِنْسَانِ . أَنَا حَيَاةُ ٱلنُّفُوسِ . وَزِينَةُ عَرُوسِ ٱلْغُرُوسِ . وَنُزْهَةُ ٱلْأَبْصَارِ . وَمَنْطِقُ ٱلْأَطْيَارِ . عَرْفُ أَوْقَاتِي نَاسِمٌ . وَأَيَّامِي أَعْيَادٌ وَمَوَاسِمُ . فِيهَا يَظْهَرُ ٱلنَّبَاتُ . وَتُنْشَرُ ٱلْأَمْوَاتُ . وَتُرَدُّ ٱلْوَدَائِعُ . وَتَتَحَرَّكُ ٱلطَّبَائِعُ . وَيَمْرَحُ جَنِيبُ ٱلْجَنُوبِ . وَيَنْتَزِحُ وَجِيبُ ٱلْقُلُوبِ . وَتَفِيضُ عُيُونُ ٱلْأَنْهَارِ . وَيَعْتَدِلُ ٱللَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ . كَمْ لِي عِقْدٌ مَنْظُومٌ . وَطِرَازُ وَشْيٍ مَرْقُومٌ . وَحُلَّةٌ فَاخِرَةٌ . وَحِلْيَةٌ ظَاهِرَةٌ . وَنَجْمُ سَعْدٍ يُدْنِي رَاعِيَهُ مِنَ ٱلْأَمَلِ . وَشَمْسُ حُسْنٍ تُنْشِدُ : يَا بُعْدَ مَا بَيْنَ بُرْجِ ٱلْجَدْيِ وَٱلْحَمَلِ . عَسَاكِرِي مَنْصُورَةٌ . وَأَسْلِحَتِي مَشْهُورَةٌ . فَمِنْ سَيْفِ غُصْنٍ مُجَوْهَرٍ . وَدِرْعِ بَنَفْسَجٍ مُشَهَّرٍ . وَمِغْفَرِ شَقِيقٍ أَحْمَرَ . وَتُرْسِ بَهَارٍ يَبْهَرُ . وَسَهْمِ آسٍ يَرْشُقُ فَيَنْشَقُّ . وَرُمْحِ سُوسَنٍ سِنَانُهُ أَزْرَقُ . تَحْرُسُهَا آيَاتٌ . وَتَكْنُفُهَا أَلْوِيَةٌ وَرَايَاتٌ . بِي تَحْمَرُّ مِنَ ٱلْوَرْدِ خُدُودُهُ . وَتَهْتَزُّ مِنَ ٱلْبَانِ قُدُودُهُ . وَيَخْضَرُّ عِذَارُ ٱلرَّيْحَانِ . وَيَنْتَبِهُ مِنَ ٱلنَّرْجِسِ طَرْفُهُ ٱلْوَسْنَانُ . وَتَخْرُجُ ٱلْخَبَايَا مِنَ ٱلزَّوَايَا . وَيَفْتَرُّ ثَغْرُ ٱلْأُقْحُوَانِ قَائِلًا : أَنَا ٱبْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ ٱلثَّنَايَا

إِنَّ هٰذَا ٱلرَّبِيعَ شَيْءٌ عَجِيبٌ تَضْحَكُ ٱلْأَرْضُ مِنْ بُكَاءِ ٱلسَّمَاءِ
ذَهَبٌ حَيْثُمَا ذَهَبْنَا وَدُرٌّ حَيْثُ دُرْنَا وَفِضَّةٌ فِي ٱلْفَضَاءِ

١١٢ (وَقَالَ ٱلصَّيْفُ) :

أَنَا ٱلْخِلُّ ٱلْمُوَافِقُ . وَٱلصَّدِيقُ ٱلصَّادِقُ . وَٱلطَّبِيبُ ٱلْحَاذِقُ . أَجْتَهِدُ فِي مَصْلَحَةِ ٱلْأَصْحَابِ . وَأَرْفَعُ عَنْهُمْ كُلْفَةَ حَمْلِ ٱلثِّيَابِ . وَأُخَفِّفُ أَثْقَالَهُمْ . وَأُوَفِّرُ أَمْوَالَهُمْ . وَأَكْفِيهِمِ ٱلْمُؤُونَةَ . وَأُجْزِلُ لَهُمُ ٱلْمَعُونَةَ . وَأُغْنِيهِمْ عَنْ شِرَاءِ ٱلْفِرَا . وَأُحَقِّقُ عِنْدَهُمْ أَنَّ كُلَّ ٱلصَّيْدِ فِي جَوْفِ ٱلْفَرَا . نُصِرْتُ بِٱلصَّبَا . وَأُوتِيتُ ٱلْحِكْمَةَ فِي زَمَنِ ٱلصِّبَا . بِي تَنْضَجُ ٱلْجَاذَّةُ . وَتَنْضَجُ مِنَ ٱلْفَوَاكِهِ ٱلْمَادَّةُ . وَيَزْهُو ٱلْبُسْرُ وَٱلرُّطَبُ . وَيَنْصَلِحُ مِزَاجُ ٱلْعِنَبِ . وَيَقْوَى قَلْبُ ٱللَّوْزِ . وَيَلِينُ عِطْفُ ٱلتِّينِ وَٱلْمَوْزِ . وَيَنْعَقِدُ حَبُّ ٱلرُّمَّانِ . فَيَقْمَعُ ٱلصَّفْرَاءَ وَيُسَكِّنُ ٱلْخَفَقَانَ . وَتَخْضَبُ وَجَنَاتُ ٱلتُّفَّاحِ . وَيَذْهَبُ عَرْفُ ٱلسَّفَرْجَلِ مَعَ هُبُوبِ ٱلرِّيَاحِ . وَتَسْوَدُّ عُيُونُ ٱلزَّيْتُونِ . وَتُخَلَّقُ تِيجَانُ ٱلنَّارَنْجِ وَٱللَّيْمُونِ . مَوَاعِدِي مَنْقُودَةٌ . وَمَوَائِدِي مَمْدُودَةٌ . أَلْخَيْرُ مَوْجُودٌ فِي مَقَامِي . وَٱلرِّزْقُ مَقْسُومٌ فِي أَيَّامِي . أَلْفَقِيرُ يَنْصَاعُ بِمِلْءِ مُدِّهِ وَصَاعِهِ . وَٱلْغَنِيُّ يَرْتَعُ فِي مُلْكِهِ وَأَقْطَاعِهِ . وَٱلْوَحْشُ تَأْتِي زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا . وَٱلطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا . قَالَ ٱبْنُ حَبِيبٍ :

مَصِيفٌ لَهُ ظِلٌّ مَدِيدٌ عَلَى ٱلْوَرَى ... وَمَنْ حَلَا طَعْمًا وَحَلَّلَ أَخْلَاطَا
يُعَالِجُ أَنْوَاعَ ٱلْفَوَاكِهِ مُبْدِيًا ... لِصِحَّتِهَا حِفْظًا يُعَجِّزُ بُقْرَاطَا

١١٣ (وَقَالَ ٱلْخَرِيفُ):

أَنَا سَائِقُ ٱلْغُيُومِ . وَكَاسِرُ جَيْشِ ٱلْغُمُومِ . وَهَازِمُ أَحْزَابِ

السَّمُومِ . وَحَادِي نَجَائِبِ السَّحَائِبِ . وَحَاسِرُ نِقَابِ الْمَنَاقِبِ . أَنَا أَصْدُ الصَّدَى . وَأَجُودُ بِالنَّدَى . وَأُظْهِرُ كُلَّ مَعْنًى جَلِيٍّ . وَأَسْمُو بِالْوَسْمِيِّ وَالْوَلِيِّ . فِي أَيَّامِي تُقْطَفُ الثِّمَارُ . وَتَصْفُو الْأَنْهَارُ مِنَ الْأَكْدَارِ . وَيَتَرَقْرَقُ دَمْعُ الْعُيُونِ . وَيَتَلَوَّنُ وَرَقُ الْغُصُونِ . طَوْرًا يُحَاكِي الْبَقَمَ . وَتَارَةً يُشْبِهُ الْأَرْقَمَ . وَحِينًا يَبْدُو فِي حُلَّتِهِ الذَّهَبِيَّةِ . فَيَجْذِبُ إِلَى خِلَّتِهِ الْقُلُوبَ الْأَبِيَّةَ . وَفِيهَا يُكْفَى النَّاسُ هَمَّ الْهَوَامِّ . وَيَتَسَاوَى فِي لَذَّةِ الْمَاءِ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ . وَتَقْدَمُ الْأَطْيَارُ مُطَرَّبَةً بِنَشِيشِهَا . رَافِلَةً فِي الْمَلَابِسِ الْمُجَدَّدَةِ فِي رِيشِهَا . وَتُعْصَرُ بِنْتُ الْعُنْقُودِ . وَتُوثَقُ فِي سِجْنِ الدَّنِّ بِالْقُيُودِ . عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَجْتَرِحْ إِثْمًا . وَلَمْ تُعَاقَبْ إِلَّا عُدْوَانًا وَظُلْمًا . بِي تَطِيبُ الْأَوْقَاتُ وَتَحْصُلُ اللَّذَّاتُ . وَتَرِقُّ النَّسَمَاتُ . وَتُرْمَى حَصَى الْجَمَرَاتِ . وَتَسْكُنُ حَرَارَةُ الْقُلُوبِ . وَتَكْثُرُ أَنْوَاعُ الْمَطْعُومِ وَالْمَشْرُوبِ . كَمْ لِي مِنْ شَجَرَةٍ أُكُلُهَا دَائِمٌ . وَحَمْلُهَا لِلنَّفْعِ الْمُتَعَدِّي لَازِمٌ . وَوَرَقُهَا غَيْرُ زَائِلٍ . وَقُدُودُ أَغْصَانِهَا تُخَجِّلُ كُلَّ رُمْحٍ ذَابِلٍ . وَلِابْنِ حَبِيبٍ :

إِنَّ فَصْلَ الْخَرِيفِ وَافَى إِلَيْنَا ... يَتَهَادَى فِي حَلْيِهِ كَالْعَرُوسِ

غَيْرَهُ كَانَ لِلْعُيُونِ رَبِيعًا ... وَهُوَ مَا بَيْنَنَا رَبِيعُ النُّفُوسِ

١١٤ (وَقَالَ الشِّتَاءُ):

أَنَا شَيْخُ الْجَمَاعَةِ . وَرَبُّ الْبِضَاعَةِ . وَالْمُقَابَلُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ . أَجْمَعُ شَمْلَ الْأَصْحَابِ . وَأُسْبِلُ عَلَيْهِمُ الْحِجَابَ . وَأُتْحِفُهُمْ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . وَمَنْ لَيْسَ لَهُ بِي طَاقَةٌ أُغْلِقُ مِنْ دُونِهِ الْبَابَ . أَمِيلُ إِلَى

المطيع . أالقادر المستطيع . ألمعتضد بالبرود والفرا . ألمستمسك من الدثار بأوثق العرى . ألمرتقب قدومي ومواقاتي . ألمتأهب للسبعة المشهورة من كافاتي . ومن يعش عن ذكري . ولم يمتثل أمري . أرجفته بصوت الرعد . وأنجزت له من سيف البرق صادق الوعد . وسرت إليه بعساكر السحاب . ولم أقنع من الغنيمة بالإياب . معروفي معروف . ونيل نيلي موصوف . وثمار إحساني دانية القطوف . كم لي من وابل طويل المدى وجود وافر الجدا . وقطر حلا مذاقه . وغيث قيد العفاة إطلاقه . وديمة تطرب السمع بصوتها . وحيا يحيي الأرض بعد موتها . أيامي وجيزة . وأوقاتي عزيزة . ومجالسي معمورة . بذوي السيادة مغمورة . بالخير والمير والسعادة . نقلها يأتي من أنواعه بالعجب . ومناقلها تسمح بذهب اللهب . وراحها تنعش الأرواح . وتفتن العقول الصحاح . إن ردتها وجدت مالاً ممدودا . وإن زرتها شاهدت لها بنين شهودا :

وإذا رميت بفضل كأسك في الهوا عادت عليك من العقيق عقودا
يا صاحب العودين لا تهملهما حرك لنا عودا وحرق عودا

فلما نظم كل منهم سلك مقاله . وفرغ من الكلام على شرح حاله . أخذ الجماعة من الطرب ما يأخذ أهل السكر . وتجاذبوا أطراف مطارف الثناء والشكر . وظهرت أسرار السرور . وانشرحت صدور الصدور . وهبت نسمات قبول الإقبال . وأنشد لسان الحال :

وَمَاذَا يَعِيبُ ٱلْمَرْءَ فِي مَدْحِ نَفْسِهِ   إِذَا لَمْ يَكُـنْ فِي قَوْلِهِ بِكَذُوبِ

ثُمَّ ٱنْفَضَّ ٱلْمَجْلِسُ وَحُلَّ ٱلنِّطَاقُ . وَتَفَرَّقَ شَمْلُ أَهْلِهِ وَآخِرُ ٱلصُّحْبَـةِ ٱلْفِرَاقُ

(نسيم الصبا لابن حبيب الحلبي)

البحر والبرّ

١١٥ قَدْ تَفَاوَضَ لِسَانُ حَالِ ٱلْبَحْرِ وَلِسَانُ حَالِ ٱلْـبَرِّ . وَهُمَا فِي مُحَاوَرَةٍ بَيْنَ عِيدِ ٱلْفِطْرِ وَعِيدِ ٱلنَّحْرِ . بِعِتَابٍ فِي ٱلسِّرِّ مُنَزَّهٍ عَنِ ٱلشَّرِّ . (فَقَالَ ٱلْبَرُّ): يَا صَاحِبَ ٱلدُّرِّ وَمَعْدِنَ ٱلدُّرِ أَغْرَقْتَ رِيَاضِي . وَمَزَّقْتَ جُسُورِي وَأَحْوَاضِي . وَأَغْرَقْتَ جُثَّتِي وَدَخَلْتَ جَنَّتِي . وَتَـلَاطَمَتْ أَمْوَاجُكَ عَلَى جُنَّتِي . وَأَكَلْتَ جَزَائِرِي وَجُرُوفِي . وَأَهْلَكْتَ مَرْعَى فَصِيلِي وَخَرُوفِي . وَأَهْزَلْتَ ثَوْرِي وَجَمَلِي . وَفَرَسِي وَحَمَلِي . وَأَجْرَيْتَ سُفُنَكَ عَلَى أَرْضٍ لَمْ تَجْرِ عَلَيْهَا . وَلَمْ يَمُرَّ طَرْفُ غُرَابِهَا إِلَيْهَا . وَغَرَسْتَ أَوْتَادَهَا عَلَى أَوْتَادِ ٱلْأَرْضِ . وَعَرَّسْتَ فِي مَوَاطِنِ ٱلنَّفْلِ وَٱلْفَرْضِ . وَجَعَلْتَ مَجْرَى مَرَاكِبِكَ فِي مَجْرَى مَرَاكِبِي . وَمَشَى حُوتُكَ عَلَى بَطْنِهِ فِي سَعْدِ أَخْبِيَةِ مَضَارِبِي . وَغَاصَ مَلَّاحُكَ فِي دِيَارِ فَرَحِي . وَهَاجَرْتَ مِنَ ٱلْقُرَى إِلَى أُمِّ ٱلْقُرَى . وَحَمَلْتَ فَلَاحِي أَثْقَالَهُ عَلَى ٱلْقَرَى . وَقَدْ تَلَقَّيْتُكَ مِنَ ٱلْجَنَادِلِ بِصَدْرِي . وَحَمَلْتُكَ إِلَى بَرْزَخِكَ عَلَى ظَهْرِي . وَقَبَّلَتْ أَمْوَاجُكَ بِثَغْرِي . وَخَلَّقْتُ مِقْيَاسِي فَرَحًا بِقُدُومِكَ إِلَى مِصْرِي . وَقَدْ جُرْتَ وَعَدَلْتَ . وَفَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ . وَأَخْرَبْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَـكَ . وَٱخْتَرْتُ رَحِيلَكَ وَبَيْنَكَ . فَلَعَلَّكَ تَغِيضُ . وَلَا يَكُـونُ ذَهَابُكَ عَلَيَّ

ذهابَ بغيضٍ. أو نفارقَ هذهِ الفجاجَ. وتختلطَ بالبحرِ العجاجِ. وإن لم تفعلْ شكوناكَ إلى من أنزلكَ من السماءِ. وأنعمَ بكَ علينا من خزائنِ الماءِ:

إذا لم تكنْ ترحمْ بلادًا ولم تغثْ عبادًا فمولاهمْ يغيثُ ويرحمُ
وإن صدرتْ منهمْ ذنوبٌ عظيمةٌ فعفوُ الذي أجراكَ يا بحرُ أعظمُ
نمدُّ إليهِ أيديًا لم نمدَّها إلى غيرهِ واللهُ بالحالِ أعلمُ

(قال البحر): يا برُّ ياذا البرِ. ومنبتَ البرِ. هكذا تخاطبُ ضيفكَ. وهو يخصبُ شتاءكَ وصيفكَ. وقد ساقني اللهُ إلى أرضكَ الجرزِ. ومعدنِ الدرِ والخرزِ. لأبهجَ زرعها وأحييها. وأخرجَ أبَّها ونخيلها. وأكرمَ مثوى ساكنيكَ. وأنزلَ البركةَ في أماكنكَ. وأثبتَ لكَ في قلبِ أهلكَ أحكامَ المحبةِ. وأنبتَ بكَ لهمْ في كلِّ سنبلةٍ مائةَ حبةٍ. وأحييكَ حياةً طيبةً يبتهجُ بها عمركَ الجديدُ. ويتلو كذلكَ يحيي اللهُ الموتى ألسنةُ العبيدِ. وأطهركَ من الأوساخِ. وأحملُ إليكَ الإبليزَ فأطيبكَ بهِ من عرقِ السباخِ. وأنا هديةُ اللهِ إلى مصركَ. وملكِ عصركَ القائمِ بنصركَ. وكذلكَ أنمي مالَ السلطانِ. ولولا بركاتي عليكَ ومسيري في كلِّ مسرى إليكَ لكنتَ واديًا غيرَ ذي زرعٍ. وصاديًا غيرَ ذي ضرعٍ. هذا ولم أتحركْ إليكَ إلا بإذنِ أسمعهُ بأذنٍ. وأخرجُ لأجلكَ من جناتِ عدنٍ. وأدخلُ بعدَ إحيائكَ في البحرِ الأعظمِ. وقيلَ إنهُ جهنمُ. وتهتزُّ طربًا إذا رحلتُ

عَنكَ بِأَمرِ مَن أَرسَلَنِي إِلَيكَ وَتَتَبَسَّمُ فَلَا أَقَلَّ مِن أَن تُزَوِّدَنِي بِشُكرٍ. فِي صَحوٍ وَسُكرٍ. فَإِلَى اللهِ البَرِّ. أُحَاكِمُكَ أَيُّهَا البَرُّ. وَأَسأَلُهُ أَن يُسَخِّرَكَ وَيُسَخِّرَنِي لِأَهلِ الخَيرِ وَالبِرِّ. فَأَنَا وَأَنتَ إِلَى خَيرِهِ فَقِيرَانِ. وَتُرَابُكَ وَمَائِي لِأَهلِ عِبَادِهِ طَهُورَانِ. وَبَعدَ ذَلِكَ فَأَقُولُ لَكَ يَا مُبَارَكَ المَسَالِكِ. وَكِنَانَةَ اللهِ المَحرُوسَةَ بِالمَلَائِكِ:

سَرَيتُ أَنَا مَاءُ الحَيَاةِ فَلَا أَذًى ... إِذَا عِشتُ لِلأَصحَابِ فَالمَالُ هَيِّنُ
فَكُن خَضِرًا يَا بَرُّ وَاعلَم بِأَنَّنِي ... إِلَى طِينِكَ الظَّمآنِ بِالرِّيِّ أَحسَنُ
وَأَسعَى إِلَيهِ مِن بِلَادٍ بَعِيدَةٍ ... وَأُحسِنُ أُجرِي بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ
إِذَا طَافَ طُوفَانِي بِمِقيَاسِكَ الَّذِي ... يُسَرُّ بِإِتيَانِ الوَفَاءِ وَيُعلِنُ
فَقُم وَتَلَقَّاهُ بِبَسطَتِكَ الَّتِي ... لِرَوضَتِهَا فَضلٌ عَلَى الرَّوضِ بَيِّنُ

وَلَعَمرِي لَقَد تَلَطَّفَ البَرُّ فِي عِتَابِهِ وَأَحسَنَ. وَدَفَعَ البَحرُ فِي جَوَابِهِ بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ. وَقَدِ اصطَلَحنَا عَلَى مَصَالِحِنَا بَينَ العِيدَينِ. وَصَارَا بِفَضلِ اللهِ لَنَا كَالعَبدَينِ. وَهُمَا بِحَمدِ اللهِ خَوَّانَانِ لِعِبَادِهِ. أَو أَخَوَانِ مُتَظَافِرَانِ عَلَى عِمَارَةِ بِلَادِهِ. فَاللهُ تَعَالَى يُخصِبُ مَرعَاهُمَا. وَيَحرُسُهُمَا وَيَرعَاهُمَا. وَيُثَبِّتُهُمَا بِالجِبَالِ الشَّوَاهِقِ. وَيُقِرُّ بِهِمَا جُفُونَ الأَحدَاقِ وَعُيُونَ الحَدَائِقِ (الكنز المدفون للسيوطي)

وفود العرب على كسرى

١١٦ رَوَى ابنُ القَطَامِيِّ عَنِ الكَلبِيِّ قَالَ: قَدِمَ النُّعمَانُ بنُ المُنذِرِ عَلَى كِسرَى وَعِندَهُ وُفُودُ الرُّومِ وَالهِندِ وَالصِّينِ. فَذَكَرُوا مِن

مُلُوكِهِمْ وَبِلَادِهِمْ. فَافْتَخَرَ ٱلنُّعْمَانُ بِٱلْعَرَبِ وَفَضَّلَهُمْ عَلَى جَمِيعِ ٱلْأُمَمِ لَا يَسْتَثْنِي فَارِسَ وَلَا غَيْرَهَا. فَقَالَ كِسْرَى وَأَخَذَتْهُ عِزَّةُ ٱلْمُلْكِ: يَا نُعْمَانُ لَقَدْ فَكَّرْتُ فِي أَمْرِ ٱلْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ ٱلْأُمَمِ. وَنَظَرْتُ فِي حَالِ مَنْ يَقْدَمُ عَلَيَّ مِنْ وُفُودِ ٱلْأُمَمِ. فَوَجَدْتُ ٱلرُّومَ لَهَا حَظًّا فِي ٱجْتِمَاعِ أُلْفَتِهَا وَعِظَمِ سُلْطَانِهَا. وَكَثْرَةِ مَدَائِنِهَا وَوَثِيقِ بُنْيَانِهَا. وَأَنَّ لَهَا دِينًا يُبَيِّنُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا. وَيَرُدُّ سَفِيهَهَا وَيُقِيمُ جَاهِلَهَا. وَرَأَيْتُ ٱلْهِنْدَ نَحْوًا مِنْ ذٰلِكَ فِي حِكْمَتِهَا وَطِبِّهَا مَعَ كَثْرَةِ أَنْهَارِ بِلَادِهَا وَثِمَارِهَا. وَعَجِيبِ صِنَاعَاتِهَا وَطِيبِ أَشْجَارِهَا. وَدَقِيقِ حِسَابِهَا وَكَثْرَةِ عَدَدِهَا. وَكَذٰلِكَ ٱلصِّينُ فِي ٱجْتِمَاعِهَا وَكَثْرَةِ صِنَاعَاتِ أَيْدِيهَا وَفُرُوسِيَّتِهَا وَهِمَّتِهَا فِي آلَةِ ٱلْحَرْبِ وَصِنَاعَةِ ٱلْحَدِيدِ. وَأَنَّ لَهَا مَلِكًا يَجْمَعُهَا. وَٱلتُّرْكُ وَٱلْخَزَرُ عَلَى مَا بِهِمْ مِنْ سُوءِ ٱلْحَالِ فِي ٱلْمَعَاشِ وَقِلَّةِ ٱلرِّيفِ وَٱلثِّمَارِ وَٱلْحُصُونِ وَمَا هُوَ رَأْسُ عِمَارَةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْمَسَاكِنِ وَٱلْمَلَابِسِ لَهُمْ مُلُوكٌ تَضُمُّ قَوَاصِيَهُمْ وَتُدَبِّرُ أَمْرَهُمْ. وَلَمْ أَرَ لِلْعَرَبِ شَيْئًا مِنْ خِصَالِ ٱلْخَيْرِ فِي أَمْرِ دِينٍ وَلَا دُنْيَا وَلَا حَزْمٍ وَلَا قُوَّةٍ. وَمَعَ أَنَّ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى مَهَانَتِهَا وَذُلِّهَا وَصِغَرِ هِمَّتِهَا مَحَلَّتَهُمُ ٱلَّتِي هُمْ بِهَا مَعَ ٱلْوُحُوشِ ٱلنَّافِرَةِ وَٱلطَّيْرِ ٱلْحَائِرَةِ. يَقْتُلُونَ أَوْلَادَهُمْ مِنَ ٱلْفَاقَةِ. وَيَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنَ ٱلْحَاجَةِ. قَدْ خَرَجُوا مِنْ مَطَاعِمِ ٱلدُّنْيَا وَمَلَابِسِهَا وَمَشَارِبِهَا وَلَهْوِهَا وَلَذَّاتِهَا. فَأَفْضَلُ طَعَامٍ ظَفِرَ بِهِ نَاعِمُهُمْ لُحُومُ ٱلْإِبِلِ ٱلَّتِي يَعَافُهَا كَثِيرٌ مِنَ ٱلسِّبَاعِ لِثِقَلِهَا وَسُوءِ طَعْمِهَا وَخَوْفِ دَائِهَا. وَإِنْ قَرَى أَحَدُهُمْ ضَيْفًا عَدَّهَا مَكْرُمَةً. وَإِنْ أَطْعَمَ أَكْلَةً عَدَّهَا غَنِيمَةً.

تنطق بذلك أشعارهم وتفتخر بذلك رجالهم. ما خلا هذه التنوخية التي أسس جدي اجتماعها وشد مملكتها ومنعها من عدوها. فجرى لها ذلك إلى يومنا هذا. وإن لها مع ذلك آثارا ولبوسا وقرى وحصونا وأمورا تشبه بعض أمور الناس (يعني اليمن). ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من الذلة والقلة والفاقة والبؤس حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس. قال النعمان: أصلح الله الملك. حق لأمة الملك منها أن يسمو فضلها ويعظم خطبها وتعلو درجتها. إلا أن عندي جوابا في كل ما نطق به الملك في غير رد عليه ولا تكذيب له. فإن أمنني من غضبه نطقت به. قال كسرى: قل فأنت آمن. قال النعمان: أما أمتك أيها الملك فليست تنازع في الفضل لموضعها الذي هي به من عقولها وأحلامها وبسطة محلها وبحبوحة عزها. وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك. وأما الأمم التي ذكرت فأي أمة تقرنها بالعرب إلا فضلتها. قال كسرى: بماذا. قال النعمان: بعزها ومنعتها وحسن وجوهها وبأسها وسخائها وحكمة ألسنتها وشدة عقولها وأنفتها ووفائها. فأما (عزها ومنعتها) فإنها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد ووطدوا الملك وقادوا الجند. ولم يطمع فيهم طامع ولم ينلهم نائل. حصونهم ظهور خيلهم ومهادهم الأرض وسقوفهم السماء. وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر. إذ غيرهم من الأمم إنما عزها الحجارة والطين وجزائر البحور. وأما (حسن وجوهها وألوانها) فقد يعرف فضلهم في

ذلك على غيرهم من الهند المنخرفة. والصين المنخفة. والترك المشوهة. والروم المقشرة. وأما (أنسابها وأحسابها) فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيراً من أولها وآخرها. حتى أن أحدهم يسأل عمن وراء أبيه دنيا فلا ينسبه ولا يعرفه. وليس أحد من العرب إلا يسمي آباءه أباً فأباً. أحاطوا بذلك أحسابهم. وحفظوا به أنسابهم. فلا يدخل رجل في غير قومه. ولا ينتسب إلى غير نسبه ولا يدعي إلى غير أبيه. وأما (سخاؤها) فإن أدناهم رجلاً الذي تكون عنده البكرة أو الناب. عليها بلاغه في حمولته وشبعه وريه. فيطرقه الطارق الذي يكتفي بالفلذة ويجتزئ بالشربة. فيعقرها له ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الأحدوثة وطيب الذكر. وأما (حكمة ألسنتهم) فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم بالإشارة وضربهم للأمثال وإبلاغهم في الصفات ما ليس لشيء من ألسنة الأجناس. ثم خيلهم أفضل الخيل ونساؤهم أعف النساء. ولباسهم أفضل اللباس. ومعادنهم الذهب والفضة. وحجارة جبالهم الجزع. ومطاياهم التي لا يبلغ على مثلها سفر ولا يقطع بمثلها بلد قفر. وأما (دينها وشريعتها) فإنهم متمسكون به حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدينه أن لهم أشهراً حرماً وبلداً محرماً وبيتاً محجوجاً. ينسكون فيه مناسكهم ويذبحون فيه ذبائحهم. فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه وهو قادر على أخذ ثأره وإدراك رغمه منه

فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله بأذى . وأما (وفاؤها) فإن أحدهم يلحظ اللحظة ويومئ الإيماء فهي ولث وعقدة لا يحلها إلا خروج نفسه . وإن أحدهم ليرفع عودا من الأرض فيكون رهنا بدينه فلا يغلق رهنه ولا تخفر ذمته . وإن أحدهم ليبلغه أن رجلا استجار به وعسى أن يكون نائيا عن داره فيصاب . فلا يرضى حتى يفني تلك القبيلة التي أصابته أو تفنى قبيلته لما أخفر من جواره . وإنه ليلجأ إليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة فتكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون ماله . وأما قولك أيها الملك (يئدون أولادهم) فإنما يفعله بعض جهلتهم بالإناث أنفة من العار . وأما قولك (إن أفضل طعامهم لحوم الإبل على ما وصفت منها) فما تركوا ما دونها إلا احتقارا له . فعمدوا إلى أجلها وأفضلها فكانت مراكبهم وطعامهم . مع أنها أكثر البهائم شحوما وأطيبها لحوما . وأرقها ألبانا وأقلها غائلة . وأحلاها مضغة . وإنه لا شيء من اللحمان يعالج بما يعالج به لحمها إلا استبان فضلها عليه . وأما (تحاربهم وأكل بعضهم بعضا وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم) . فإنما يفعل ذلك من يفعله من الأمم إذا آنست من نفسها ضعفا وتخوفت نهوض عدوها إليها بالزحف . وإنه إنما يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم فيلقون إليهم أمورهم وينقادون لهم بأزمتهم . وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكا

أجمعين مع أنفتهم من أداء الخراج والعشر والصبر على القسر. أما اليمن التي وصفها الملك فلما أتى جد الملك الذي أتاه عند غلبة الجيش له على ملك متسق وأمر مجتمع فأتاه مسلوبا طريدا مستصرخا قد تقاصر عن إيوانه. وصغر في عينه ما شيد من بنائه. ولولا ما وتر به من يليه من العرب لمال إلى مجال. ولوجد من يجيد الطعان ويغضب للأحرار من غلبة العبيد الأشرار. (قال) فعجب كسرى لما أجابه النعمان به وقال: إنك لأهل لموضعك من الرئاسة في أهل إقليمك ولما هو أفضل. ثم كساه من كسوته وسرحه إلى موضعه من الحيرة

فلما قدم النعمان الحيرة وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقص العرب وتهجين أمرهم بعث إلى أكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة التميميين وإلى الحارث بن ظالم وقيس بن مسعود البكريين وإلى عمرو بن معدي كرب الزبيدي والحارث بن ظالم المري. فلما قدموا عليه في الخورنق قال لهم: قد عرفتم هذه الأعاجم وقرب جوار العرب منها. وقد سمعت من كسرى مقالات تخوفت أن يكون لها غور. أو يكون إنما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خولا كبعض طماطمته في تأديتهم الخراج إليه كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله. فاقتص عليهم مقالات كسرى وما رد عليه. فقالوا: أيها الملك وفقك الله ما أحسن ما رددت وأبلغ ما أجبت به. فمرنا بأمرك وادعنا إلى ما شئت. قال: إنما أنا رجل منكم وإنما ملكت

وَعَزَزْتُ بِمَكَانِكُمْ وَمَا يُتَخَوَّفُ مِنْ نَاحِيَتِكُمْ . وَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا سَدَّدَ اللهُ بِهِ أَمْرَكُمْ وَأَصْلَحَ بِهِ شَأْنَكُمْ وَأَدَامَ بِهِ عِزَّكُمْ . وَالرَّأْيُ أَنْ تَسِيرُوا بِجَمَاعَتِكُمْ أَيُّهَا الرَّهْطُ وَتَنْطَلِقُوا إِلَى كِسْرَى . فَإِذَا دَخَلْتُمْ نَطَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا حَضَرَهُ لِيَعْلَمَ أَنَّ الْعَرَبَ عَلَى غَيْرِ مَا ظَنَّ أَوْ حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ . وَلَا يَنْطِقُ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِمَا يُغْضِبُهُ فَإِنَّهُ مَلِكٌ عَظِيمُ السُّلْطَانِ كَثِيرُ الْأَعْوَانِ مُتْرَفٌ مُعْجَبٌ بِنَفْسِهِ . وَلَا تَنْخَزِلُوا لَهُ انْخِزَالَ الْخَاضِعِ الذَّلِيلِ . وَلْيَكُنْ أَمْرٌ بَيْنَ ذَلِكَ تَظْهَرُ بِهِ وَثَاقَةُ حُلُومِكُمْ وَفَضْلُ مَنْزِلَتِكُمْ وَعَظِيمُ أَخْطَارِكُمْ . وَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَنْ يَبْدَأُ مِنْكُمْ بِالْكَلَامِ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ لِسَنِّيِّ حَالِهِ ثُمَّ تَتَابَعُوا عَلَى الْأَمْرِ مِنْ مَنَازِلِكُمُ الَّتِي وَضَعْتُكُمْ بِهَا . فَإِنَّمَا دَعَانِي إِلَى التَّقْدِمَةِ إِلَيْكُمْ عِلْمِي بِجَمِيلِ كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ عَلَى التَّقَدُّمِ قَبْلَ صَاحِبِهِ . فَلَا يَكُونَنَّ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَيَجِدَ فِي آدَابِكُمْ مَطْعَنًا . فَإِنَّهُ مَلِكٌ مُتْرَفٌ وَقَادِرٌ مُسَلَّطٌ . ثُمَّ دَعَا لَهُمْ بِمَا فِي خَزَائِنِهِ مِنْ طَرَائِفِ حُلَلِ الْمُلُوكِ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ حُلَّةً وَعَمَّمَهُ عِمَامَةً وَخَتَّمَهُ بِيَاقُوتَةٍ . وَأَمَرَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بِنَجِيبَةٍ مَهْرِيَّةٍ وَفَرَسٍ نَجِيبَةٍ وَكَتَبَ مَعَهُمْ كِتَابًا : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَلِكَ أَلْقَى إِلَيَّ مِنْ أَمْرِ الْعَرَبِ مَا قَدْ عَلِمَ . وَأَجَبْتُهُ بِمَا قَدْ فَهِمَ . بِمَا أَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ عَلَى عِلْمٍ . وَلَا يَتَلَجْلَجَ فِي نَفْسِهِ أَنَّ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي احْتَجَزَتْ دُونَهُ بِمَمْلَكَتِهَا وَحَمَتْ مَا يَلِيهَا بِفَضْلِ قُوَّتِهَا تَبْلُغُهَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَتَعَزَّزُ بِهَا ذَوُو الْحَزْمِ وَالْقُوَّةِ وَالتَّدْبِيرِ وَالْمَكِيدَةِ . وَقَدْ أَوْفَدْتُ أَيُّهَا الْمَلِكُ رَهْطًا مِنَ الْعَرَبِ لَهُمْ

فضلٌ في أحسابِهِم وأنسابِهِم وعقولِهِم وآدابِهِم. فليَسَعْهُم المَلِكُ وليُغامِضْ عن جَفاءٍ إنْ ظَهَرَ مِن منطقِهِم. وليُكرِمْني بإكرامِهِم وتَعجيلِ سَراحِهِم. وقد نَسبتُهُم في أسفلِ كتابي هذا إلى عشائرِهِم

فخرجَ القومُ في أُهبتِهِم حتى وقفوا بِبابِ كِسرى بالمدائن. فدفعوا إليهِ الكتابَ فقرأهُ وأمرَ بإنزالِهِم إلى أن يجلسَ لهم مجلساً يسمعُ مِنهم. فلمّا أن كانَ بعدَ ذلكَ بأيّامٍ أمرَ مَرازِبَتَه ووجوهَ أهلِ مملكتِهِ فحضروا وجلسوا على كراسيّ عن يمينِهِ وشمالِهِ. ثُمَّ دعا بِهِم على الولاءِ والمراتبِ التي وصفَهُم النُّعمانُ بها في كتابِهِ. وأقامَ التَّرجمانَ ليؤدّي إليهِ كلامَهُم فأقامَ كُلٌّ مِنهم خُطبةً أخذَتْ بمجامعِ قلبِ الملكِ.... فلمّا انتهوا عن الكلامِ. قالَ كسرى: قد فهمتُ ما نطقتْ بهِ خطباؤكُم وتفنَّنَ فيهِ متكلّمكُم. ولولا أنّي أعلمُ أنَّ الأدبَ لم يُثقِّفْ أوَدَكُم ولم يُحكِمْ أمرَكُم وأنّه ليسَ لكم ملكٌ يجمعُكُم فتنطقونَ عندَهُ منطقَ الرَّعيّةِ الخاضعةِ الباخعةِ فنطقتُم بما استولى على ألسنتِكُم وغلبَ على طباعِكُم. لم أُجِزْ لكم كثيراً مِمّا تكلَّمتُم بهِ وإنّي لأكرهُ أن أَجبَهَ وفودي أو أُحنِقَ صدورَهُم. والذي أُحِبُّ هو إصلاحُ مُدَبِّرِكُم وتألُّفُ شواذِّكُم والإعذارُ إلى اللهِ فيما بيني وبينَكُم. وقد قَبِلتُ ما كانَ في منطقِكُم مِن صوابٍ وصفحتُ عمّا كانَ فيهِ مِن خَلَلٍ. فانصرِفوا إلى ملكِكُم فأحسِنوا موازرتَهُ والتزِموا طاعتَهُ واردَعوا سفهاءَكُم وأقيموا أوَدَهُم. وأحسِنوا أدبَهُم فإنَّ في ذلكَ صلاحَ العامّةِ (لابن عبد ربه)

الباب السادس
في الحكايات واللطائف

الاعرابي ومعن بن زائدة

١١٧ كَانَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ أَمِيرًا عَلَى ٱلْعِرَاقِ وَكَانَ لَهُ فِي ٱلْكَرَمِ ٱلْيَدُ ٱلْبَيْضَاءُ وَهُوَ مِنَ ٱلْحِلْمِ عَلَى أَعْظَمِ جَانِبٍ. فَقَدِمَ عَلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ ذَاتَ يَوْمٍ يَمْتَحِنُ حِلْمَهُ. فَلَمَّا وَقَفَ قَالَ:

أَتَذْكُرُ إِذْ لِحَافُكَ جِلْدُ شَاةٍ   وَإِذْ نَعْلَاكَ مِنْ جِلْدِ ٱلْبَعِيرِ

قَالَ مَعْنٌ: أَذْكُرُ ذٰلِكَ وَلَا أَنْسَاهُ. فَقَالَ ٱلْأَعْرَابِيُّ:

فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي أَعْطَاكَ مُلْكًا   وَعَلَّمَكَ ٱلْجُلُوسَ عَلَى ٱلسَّرِيرِ

قَالَ مَعْنٌ: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فَقَالَ ٱلْأَعْرَابِيُّ:

فَلَسْتُ مُسَلِّمًا إِنْ عِشْتُ دَهْرًا   عَلَى مَعْنٍ بِتَسْلِيمِ ٱلْأَمِيرِ

قَالَ مَعْنٌ: يَا أَخَا ٱلْعَرَبِ ٱلسَّلَامُ سُنَّةٌ وَشَأْنُكَ فِي ٱلْأَمِيرِ. فَقَالَ ٱلْأَعْرَابِيُّ:

سَأَرْحَلُ عَنْ بِلَادٍ أَنْتَ فِيهَا   وَلَوْ جَارَ ٱلزَّمَانُ عَلَى ٱلْفَقِيرِ

قَالَ مَعْنٌ: يَا أَخَا ٱلْعَرَبِ إِنْ جَاوَرْتَنَا فَمَرْحَبًا بِكَ وَإِنْ رَحَلْتَ فَمَصْحُوبٌ بِٱلسَّلَامَةِ. فَقَالَ ٱلْأَعْرَابِيُّ:

فَجُدْ لِي يَا ٱبْنَ نَاقِصَةٍ بِشَيْءٍ   فَإِنِّي قَدْ عَزَمْتُ عَلَى ٱلْمَسِيرِ

قَالَ معنٌ: أعطوهُ ألفَ دِينارٍ يستعينُ بها على سفرِهِ. فأخذها وقالَ:

قليلٌ ما أتيتَ بهِ وإنّي   لأطمعُ منكَ بالمالِ الكثيرِ

قَالَ معنٌ: أعطوهُ ألفاً آخر. فأخذها وقالَ:

سألتُ اللهَ أن يُبقيكَ ذُخراً   فما لكَ في البريّةِ من نظيرِ

فقالَ معنٌ: أعطوهُ ألفاً آخر. فقالَ الأعرابيُّ: يا أميرَ المؤمنينَ ما جئتُ إلّا مختبراً حِلمكَ لِما بلغني عنهُ. فلقد جمعَ اللهُ فيكَ من الحِلمِ ما لو قُسِمَ على أهلِ الأرضِ لكفاهم. فقالَ معنٌ: يا غلامُ كم أعطيتَهُ على نظمِهِ قالَ: ثلاثةَ آلافِ دينارٍ. فقالَ: أعطِهِ على نثرِهِ مثلَها. فأخذها ومضى في طريقِهِ شاكراً

الشاعر المتعصّب للعجم

١١٨ (قالَ بديعُ الزمانِ الهمذانيُّ) كنتُ عندَ الصاحبِ كافي الكُفاةِ أبي القاسمِ إسماعيلَ بنِ عبّادٍ يوماً وقد دخلَ عليهِ شاعرٌ من شعراءِ العجمِ. فأنشدهُ قصيدةً يُفضّلُ فيها قومهُ على العربِ وهي:

غَنينا بالطبولِ عنِ الطلولِ   وعن عنسٍ عُذافِرةٍ ذَمولِ

فلستُ بتاركٍ إيوانَ كسرى   لِتُوضحَ أو لِحوملَ فالدَّخولِ

وضبٍّ بالفلا ساعٍ وذئبٍ   بها يعوي وليثٍ وسطَ غيلِ

يَسُلّونَ السيوفَ لرأسِ ضبٍّ   حِراشاً بالغداةِ وبالأصيلِ

إذا ذبحوا فذلكَ يومُ عيدٍ   وإن نحروا ففي عرسٍ جليلِ

أما لو لم يكن للفُرسِ إلّا   نِجارُ الصاحبِ القرمِ النبيلِ

لَكَانَ لَهُمْ بِذٰلِكَ خَيْرُ فَخْرٍ وَجِيلُهُمْ بِذٰلِكَ خَيْرَ جِيلِ

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ مِنْ إِنْشَادِهِ قَالَ لَهُ ٱلصَّاحِبُ: قَدْكَ. ثُمَّ ٱشْرَأَبَّ يَنْظُرُ إِلَى ٱلزَّوَايَا وَأَهْلِ ٱلْمَجْلِسِ وَكُنْتُ جَالِسًا فِي زَاوِيَةِ ٱلْبَهْوِ فَلَمْ يَرَنِي. فَقَالَ: ٱبْنُ أَبِي ٱلْفَضْلِ. فَقُمْتُ وَقَبَّلْتُ ٱلْأَرْضَ وَقُلْتُ: أَمْرَكَ. قَالَ: أَجِبْ عَنْ ثَلَاثَتِكَ. قُلْتُ: وَمَا هِيَ. قَالَ: أَدَبُكَ وَنَسَبُكَ وَمَذْهَبُكَ. فَأَقْبَلْتُ عَلَى ٱلشَّاعِرِ فَقُلْتُ: لَا فُسْحَةَ لِلْقَوْلِ وَلَا رَاحَةَ لِلطَّبْعِ إِلَّا ٱلسَّرْدُ كَمَا تَسْمَعُ ثُمَّ أَنْشَدْتُ أَقُولُ:

أَرَاكَ عَلَى شَفَا خَطَرٍ مَهُولِ بِمَا أَوْدَعْتَ لَفْظَكَ مِنْ فُضُولِ

تُرِيدُ عَلَى مَكَارِمِنَا دَلِيلًا مَتَى ٱحْتَاجَ ٱلنَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ

أَلَسْنَا ٱلضَّارِبِينَ جِزًى عَلَيْكُمْ وَإِنَّ ٱلْجِزْيَ أَوْلَى بِٱلذَّلِيلِ

مَتَى قَرَعَ ٱلْمَنَابِرَ فَارِسِيٌّ مَتَى عَرَفَ ٱلْأَغَرَّ مِنَ ٱلْحُجُولِ

مَتَى عَرَفَتْ وَأَنْتَ بِهَا زَعِيمٌ أَكُفُّ ٱلْفُرْسِ أَعْرَافَ ٱلْخُيُولِ

فَخَرْتَ بِمِلْءِ مَاضِغَتَيْكَ هُجْرًا عَلَى قَحْطَانَ وَٱلْبَيْتِ ٱلْأَصِيلِ

وَتَفْخَرُ أَنْ مَأْكُولًا وَلُبْسًا وَذٰلِكَ فَخْرُ رَبَّاتِ ٱلْحُجُولِ

فَفَاخِرْهُنَّ فِي خَدٍّ أَسِيلٍ وَفَرْعٍ فِي مَفَارِقِهَا رَسِيلِ

وَأَمْجَدُ مِنْ أَبِيكَ إِذَا تَزَيَّا عُرَاةٌ كَٱللُّيُوثِ عَنِ ٱلْخُيُولِ

(قَالَ) فَلَمَّا أَتْمَمْتُ إِنْشَادِي ٱلْتَفَتَ إِلَيْهِ ٱلصَّاحِبُ. وَقَالَ لَهُ: كَيْفَ رَأَيْتَ. قَالَ: لَوْ سَمِعْتُ بِهِ مَا صَدَّقْتُ. قَالَ: فَإِذَنْ جَائِزَتُكَ جَوَازُكَ. إِنْ رَأَيْتُكَ بَعْدَهَا ضَرَبْتُ عُنُقَكَ. ثُمَّ قَالَ: لَا أَدْرِي أَحَدًا يُفَضِّلُ ٱلْعَجَمَ عَلَى

العرب إلا وفيه عرق من المجوسية ينزع إليه (بدائع البدائه للازدي)

١١٩ روى عقيل بن خالد عن ابن شهاب أن مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير اجتمعا ذات يوم في حجرة عائشة والحجاب بينهما وبينها يحدثانها ويسألانها. فجرى الحديث بين مروان وابن الزبير ساعة وعائشة تسمع. فقال مروان:

فمن يشإ الرحمان يخفض بقدره وليس لمن لم يرفع الله رافع

فقال ابن الزبير:

فقوض إلى الله الأمور إذا اعترت وبالله لا بالأقربين أدافع

فقال مروان:

وداو ضمير القلب بالبر والتقى فلا يستوي قلبان قاس وخاشع

فقال ابن الزبير:

ولا يستوي عبدان هذا مكذب عتل لأرحام العشيرة قاطع

فقال مروان:

وعبد يجافي جنبه عن فراشه يبيت يناجي ربه وهو راكع

فقال ابن الزبير:

وللخير أهل يعرفون بهديهم إذا اجتمعت عند الخطوب المجامع

فقال مروان:

وللشر أهل يعرفون بشكلهم تشير إليهم بالفجور الأصابع

فسكت ابن الزبير ولم يجب فقالت عائشة: يا عبد الله ما لك

لَمْ تُجِبْ صاحِبَكَ. فَوَاللهِ ما سَمِعْتُ تَجاوُلاً فِي نَحْوٍ ما تَجاوَلْتُما فِيهِ أَعْجَبَ إِلَيَّ مِنْ تَجاوُلِكُما. فَقالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: إِنِّي خِفْتُ عَوادَ القَوْلِ فَكَفَفْتُ

١٢٠ جلسَ أبو إسحاقَ النجيرميُّ عِندَ كافورٍ الإخشيديِّ فَدَخَلَ عَلَيهِ أبو الفضلِ بنُ عَيّاشٍ فقالَ: أَدامَ اللهُ أيّامَ مَولانا (وكَسَرَ مِيمَ أيّامِ) فَتَبَسَّمَ كافورٌ إلى أبي إسحاقَ. فَفَطِنَ لِذلِكَ فَقالَ ارتِجالاً:

لا غَرْوَ أَنْ لَحَنَ الدّاعي لِسَيِّدِنا ... وَغَصَّ مِنْ دَهَشٍ بِالرِّيقِ أَوْ بَهَرِ
فَمِثْلُ سَيِّدِنا حالَتْ مَهابَتُهُ ... بَيْنَ الأَدِيبِ وَبَيْنَ الفَتْحِ بِالحَصَرِ
وَإِنْ يَكُنْ خَفَضَ الأَيّامَ عَنْ غَلَطٍ ... فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ لا عَنْ قِلَّةِ البَصَرِ
فَإِنَّ أَيّامَهُ خَفْضٌ بِلا نَصَبٍ ... وَإِنَّ دَوْلَتَهُ صَفْوٌ بِلا كَدَرِ

فَأَمَرَ لَهُ بِثَلاثِمائَةِ دِينارٍ وَلِلنَّجِيرَمِيِّ بِمائَتَيْنِ

١٢١ أخبرَ الشَّيخُ تاجُ الدِّينِ العَلّامَةُ أبو اليُمْنِ الكِنْدِيُّ قالَ: بَلَغَنِي أنَّ عَلْقَمَةَ بنَ عبدِ الرَّزّاقِ العُلَيْمِيَّ لَمّا قَصَدَ بَدْرًا الجَمالِيَّ بِمِصْرَ رَأَى عَلَى بابِهِ أَشْرافَ النّاسِ وَكُبَراءَهُمْ وَشُعَراءَهُمْ. فَسَأَلَهُمْ عَنْ حالِهِمْ فَكُلٌّ أَخْبَرَهُ عَنْ طُولِ مُقامِهِ بِبابِهِ وَتَعَذُّرِ لِقائِهِ لَهُ. وَسَأَلُوهُ عَنْ حالِهِ فَأَخْبَرَهُمْ بِقُدُومِهِ قاصِدًا لَهُ. فَكُلٌّ أَيْسَهُ مِنْ لِقائِهِ. فَبَيْنا هُمْ كَذلِكَ إِذْ خَرَجَ بَدْرٌ يُرِيدُ الصَّيْدَ. فَلَمّا رَآهُ مُقْبِلاً عَلا نَشْزًا مِنَ الأَرْضِ ثُمَّ جَعَلَ فِي عِمامَتِهِ رِيشَةَ نَعامٍ يَشْهَرُ بِها نَفْسَهُ. فَلَمّا قَرُبَ إِلَيْهِ أَوْمَأَ بِرُقْعَةٍ كانَتْ مَعَهُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

نَحْنُ التِّجارُ وَهذِهِ أَعْلاقُنا ... دُرَرٌ وَجُودُ يَمِينِكَ المُبْتاعُ

قَلْبٌ وَفَتِّشْهَا بِسَمْعِكَ إِنَّمَا هِيَ جَوْهَرٌ تَخْتَارُهُ ٱلْأَسْمَاعُ
كَسَدَتْ عَلَيْنَا بِٱلشَّآمِ وَكُلَّمَا قَلَّ ٱلنَّفَاقُ تَعَطَّلَ ٱلصُّنَّاعُ
فَأَتَاكَ يَحْمِلُهَا إِلَيْكَ تِجَارُهَا وَمَطِيُّهَا ٱلْآمَالُ وَٱلْأَطْمَاعُ
حَتَّى أَنَاخُوهَا بِبَابِكَ وَٱلرَّجَا مِنْ دُونِهَا ٱلسِّمْسَارُ وَٱلْبَيَّاعُ
فَوَهَبْتَ مَا لَمْ يُعْطِهِ فِي دَهْرِهِ هَرِمٌ وَلَا كَعْبٌ وَلَا ٱلْقَعْقَاعُ
وَسَبَقْتَ هٰذَا ٱلنَّاسَ فِي طَلَبِ ٱلْعُلَى فَٱلنَّاسُ بَعْدَكَ كُلُّهُمْ أَتْبَاعُ
يَا بَدْرُ أُقْسِمُ لَوْ بِكَ ٱعْتَصَمَ ٱلْوَرَى وَلَجَوْا إِلَيْكَ جَمِيعُهُمْ مَا ضَاعُوا

(قَالَ) وَكَانَ عَلَى يَدِ بَدْرٍ بَازٌ فَدَفَعَهُ إِلَى ٱلْبَازْدَارِ فَضَرَبَ عَلَى يَدِهِ وَٱنْفَرَدَ بِهِ عَنِ ٱلْجَيْشِ وَجَعَلَ يَسْتَعِيدُهُ ٱلْأَبْيَاتَ وَهُوَ يُنْشِدُهَا إِلَى أَنِ ٱسْتَقَرَّ فِي مَجْلِسِهِ. ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِلَى جَمَاعَةِ غِلْمَانِهِ وَخَاصَّتِهِ وَأَصْحَابِهِ وَقَالَ: مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيَخْلَعْ عَلَى هٰذَا ٱلشَّاعِرِ. قَالَ عَلْقَمَةُ: فَوَٱللهِ لَقَدْ خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ وَمَعِي سَبْعُونَ بَغْلًا تَحْمِلُ ٱلْخِلَعَ

١٢٢ أَهْدَى ٱبْنُ عَبَّادٍ إِلَى فَخْرِ ٱلدَّوْلَةِ ٱبْنِ بُوَيْهِ دِينَارًا وَزْنُهُ أَلْفُ مِثْقَالٍ. وَكَانَ عَلَى أَحَدِ جَانِبَيْهِ مَكْتُوبًا:

وَأَحْمَرَ يَحْكِي ٱلشَّمْسَ شَكْلًا وَصُورَةً فَأَوْصَافُهُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ صِفَاتِهِ
فَإِنْ قِيلَ دِينَارٌ فَقَدْ صَدَقَ ٱسْمُهُ وَإِنْ قِيلَ أَلْفٌ كَانَ بَعْضَ سِمَاتِهِ
بَدِيعٌ وَلَمْ يُطْبَعْ عَلَى ٱلدَّهْرِ مِثْلُهُ وَلَا ضُرِبَتْ أَضْرَابُهُ لِسَرَاتِهِ
فَقَدْ أَبْرَزَتْهُ دَوْلَةٌ فَلَكِيَّةٌ أَقَامَ بِهَا ٱلْإِقْبَالُ صَدْرَ قَنَاتِهِ
وَصَارَ إِلَى شَاهِنْشَاهَ ٱنْتِسَابُهُ عَلَى أَنَّهُ مُسْتَصْغَرٌ لِعُفَاتِهِ

يُخَيَّرُ أَنْ يَبْقَى سِنِينَ كَوَزْنِهِ ... لِتَسْتَبْشِرَ ٱلدُّنْيَا بِطُولِ حَيَاتِهِ
تَأَنَّقَ فِيهِ عَبْدُهُ وَٱبْنُ عَبْدِهِ ... وَغَرْسُ أَيَادِيهِ وَكَافِي كُفَاتِهِ

وَكَانَ عَلَى ٱلْجَانِبِ ٱلْآخَرِ سُورَةُ ٱلْإِخْلَاصِ وَلَقَبُ ٱلْخَلِيفَةِ ٱلطَّائِعِ لِلّٰهِ وَلَقَبُ فَخْرِ ٱلدَّوْلَةِ وَٱسْمُ جُرْجَانَ لِأَنَّهُ ضُرِبَ بِهَا

١٢٣ كَتَبَ ٱلْبَهَاءُ زُهَيْرٌ إِلَى نَجْمِ ٱلدِّينِ ٱلْبَادَرَانِيِّ رَسُولِ ٱلدِّيوَانِ يَعْتَذِرُ لِتَأْخِيرِهِ عَنْ لِقَائِهِ لَمَّا وَصَلَ إِلَى ٱلدِّيَارِ ٱلْمِصْرِيَّةِ قَصِيدَةً مِنْهَا:

عَلَى ٱلطَّائِرِ ٱلْمَأْمُونِ تَأْخِيرُ قَادِمِ ... وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِٱلْعُلَى وَٱلْمَكَارِمِ
قَدِمْتَ بِحَمْدِ ٱللّٰهِ أَكْرَمَ مَقْدَمِ ... مَدَى ٱلدَّهْرِ يَبْقَى ذِكْرُهُ فِي ٱلْمَوَاسِمِ
قُدُومًا بِهِ ٱلدُّنْيَا أَضَاءَتْ وَأَشْرَقَتْ ... بِبِشْرِ وُجُوهٍ أَوْ بِضَوْءِ مَبَاسِمِ
فَيَا حُسْنَ رَكْبٍ جِئْتَ فِيهِ مُسَلَّمًا ... وَيَا طِيبَ مَا أَهْدَتْهُ أَيْدِي ٱلرَّوَاسِمِ
أَمَوْلَايَ سَامِحْنِي فَإِنَّكَ أَهْلُهُ ... وَإِنْ لَمْ تُسَامِحْنِي فَمَا أَنْتَ ظَالِمِي
وَوَٱللّٰهِ مَا حَالَتْ عُهُودُ مَوَدَّتِي ... وَتِلْكَ يَمِينٌ لَسْتُ فِيهَا بِآثِمِ
مُقِيمٌ وَقَلْبِي فِي رِحَالِكَ سَائِرٌ ... لَعَلَّكَ تَرْضَاهُ لِبَعْضِ ٱلْمَوَاسِمِ
وَلَوْ كُنْتُ عَنْهُ سَائِلًا لَوَجَدْتَهُ ... عَلَى بَابِكَ ٱلْمَيْمُونِ أَوَّلَ قَادِمِ
وَإِلَّا فَسَلْ عَنْهُ رِكَابَكَ فِي ٱلدُّجَى ... لَقَدْ بَرِيَتْ مِنْ لَثْمِهِ لِلْمَنَاسِمِ

البنديجي والحمامة

إِجْتَازَ ٱلْمَنَازِي ٱلْبَنْدَنِيجِيُّ ٱلشَّاعِرُ (وَبَنْدَنِيجُ قَصْرٌ بِٱلرَّافِقَانِ بَيْنَ بَغْدَادَ وَحُلْوَانَ) بِسُوقِ بَابِ ٱلطَّاقِ بِبَغْدَادَ حَيْثُ تُبَاعُ ٱلطَّيْرُ. فَسَمِعَ حَمَامَةً تَلْحَنُ فِي قَفَصٍ فَٱشْتَرَاهَا وَأَرْسَلَهَا وَقَالَ:

نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ بِبَابِ ٱلطَّاقِ فَجَرَى سَوَابِقُ مَدْمَعِي ٱلْمُهَرَاقِ
حَنَّتْ إِلَى أَرْضِ ٱلْحِجَازِ بِحُرْقَةٍ تُشْجِي فُؤَادَ ٱلْهَائِمِ ٱلْمُشْتَاقِ
إِنَّ ٱلْحَمَائِمَ لَمْ تَزَلْ بِحَنِينِهَا قِدَمًا تُبَكِّي أَعْيُنَ ٱلْعُشَّاقِ
كَانَتْ تُفَرِّخُ فِي ٱلْأَرَاكِ وَرُبَّمَا كَانَتْ تُفَرِّخُ فِي فُرُوعِ ٱلسَّاقِ
تَعِسَ ٱلْفِرَاقُ وَجُذَّ حَبْلُ وَتِينِهِ وَسَقَاهُ مِنْ سُمِّ ٱلْأَسَاوِدِ سَاقِي
يَا وَيْحَهُ مَا بَالُهُ قُمْرِيَّةً لَمْ تَدْرِ مَا بَغْدَادُ فِي ٱلْآفَاقِ
فَأَتَى ٱلْفِرَاقُ بِهَا ٱلْعِرَاقَ فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ ٱلْأَرَاكِ تَنُوحُ فِي ٱلْأَسْوَاقِ
فَشَرَيْتُهَا لَمَّا سَمِعْتُ حَنِينَهَا وَعَلَى ٱلْحَمَامَةِ عُدْتُ بِٱلْإِطْلَاقِ
بِي مِثْلُ مَا بِكِ يَا حَمَامَةُ فَاسْأَلِي مَنْ فَكَّ أَسْرَكِ أَنْ يَحُلَّ وَثَاقِي

(نثار الازهار لابن منظور)

الفرزدق والاسير

١٢٤ حُكِيَ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ أَمَرَ ٱلْفَرَزْدَقَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِ أَسَارَى مِنَ ٱلرُّومِ فَٱسْتَعْفَاهُ ٱلْفَرَزْدَقُ فَلَمْ يَفْعَلْ. فَقَامَ فَضَرَبَ عُنُقَ رُومِيٍّ مِنْهُمْ فَنَبَا ٱلسَّيْفُ عَنْهُ. فَضَحِكَ سُلَيْمَانُ وَمَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ ٱلْفَرَزْدَقُ:

أَيَعْجَبُ ٱلنَّاسُ إِنْ أَضْحَكْتُ سَيِّدَهُمْ خَلِيفَةَ ٱللهِ يُسْتَسْقَى بِهِ ٱلْمَطَرُ
لَمْ يَنْبُ سَيْفِي مِنْ رُعْبٍ وَلَا دَهَشٍ عَنِ ٱلْأَسِيرِ وَلٰكِنْ أَخَّرَ ٱلْقَدَرُ
وَلَنْ يُقَدِّمَ نَفْسًا قَبْلَ مِيتَتِهَا جَمْعُ ٱلْيَدَيْنِ وَلَا ٱلصَّمْصَامَةُ ٱلذَّكَرُ

ثُمَّ أَغْمَدَ سَيْفَهُ وَهُوَ يَقُولُ:

مَا إِنْ يُعَابُ سَيِّدٌ إِذَا صَبَا وَلَا يُعَابُ صَارِمٌ إِذَا نَبَا
وَلَا يُعَابُ شَاعِرٌ إِذَا كَبَا

ثُمَّ جَلَسَ وَهُوَ يَقُولُ :

كَذَاكَ سُيُوفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُبَاتُهَا وَتَقْطَعُ أَحْيَانًا مَنَاطَ التَّمَائِمِ
وَلَنْ نَقْتُلَ الْأَسْرَى وَلَكِنْ نَفُكُّهُمْ إِذَا أَثْقَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْمَغَارِمِ
وَهَلْ ضَرْبَةُ الرُّومِيِّ جَاعِلَةٌ لَكُمْ أَبًا عَنْ كُلَيْبٍ أَوْ أَخًا مِثْلَ دَارِمِ .

فَشَاعَ حَدِيثُ الْفَرَزْدَقِ بِهَذَا حَتَّى حُكِيَ أَنَّ الْمَهْدِيَّ أَتَى بِأَسْرَى مِنَ الرُّومِ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ وَكَانَ عِنْدَهُ شَبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ فَقَالَ لَهُ : اضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْعِلْجِ . فَقَالَ : يَا أَمِيرُ قَدْ عَلِمْتَ مَا ابْتُلِيَ بِهِ الْفَرَزْدَقُ فَعَيَّرَهُ بِهِ قَوْمٌ إِلَى الْيَوْمِ . فَقَالَ : إِنَّمَا أَرَدْتُ تَشْرِيفَكَ وَقَدْ أَعْفَيْتُكَ . وَكَانَ أَبُو الْهَوْلِ الشَّاعِرُ حَاضِرًا فَقَالَ :

جَزِعْتَ مِنَ الرُّومِيِّ وَهُوَ مُقَيَّدٌ فَكَيْفَ وَلَوْ لَاقَيْتَهُ وَهُوَ مُطْلَقُ
دَعَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِقَتْلِهِ فَكَادَ شَبِيبٌ عِنْدَ ذَلِكَ يَفْرَقُ
فَنَحِّ شَبِيبًا عَنْ قِرَاعِ كَتِيبَةٍ وَأَدْنِ شَبِيبًا مِنْ كَلَامٍ يُلَفَّقُ

(ادب الدنيا والدين للماوردي)

١٢٥ كتاب ابن التعاويذي الشاعر الى الامام الناصر لدين الله يسأله ان يجدد له راتبا لمعاشه :

خَلِيفَةَ اللهِ أَنْتَ بِالدِّينِ وَالدُّنْيَا وَأَمْرِ الْإِسْلَامِ مُضْطَلِعُ
أَنْتَ لِمَا سَنَّهُ الْأَئِمَّةُ أَعْلَامُ الْهُدَى مُقْتَفٍ وَمُتَّبِعُ

فَٱلنَّاسُ فِي ٱلشَّرْعِ وَٱلسِّيَاسَةِ وَٱلْإِ ... إِحْسَانِ وَٱلْعَدْلِ كُلُّهُمْ شَرَعُ
يَا مَلِكًا يَرْدَعُ ٱلْحَوَادِثَ وَٱلْأَ ... أَيَّامَ عَنْ ظُلْمِهَا فَتَرْتَدِعُ
أَرْضِي قَدْ أَجْدَبَتْ وَلَيْسَ لِمَنْ ... أَجْدَبَ يَوْمًا سِوَاكَ مُنْتَجَعُ
وَلِي عِيَالٌ لَا دَرَّ دَرُّهُمُ ... قَدْ أَكَلُوا دَهْرَهُمْ وَمَا شَبِعُوا
إِذَا رَأَوْنِي ذَا ثَرْوَةٍ جَلَسُوا ... حَوْلِي وَمَالُوا إِلَيَّ وَٱجْتَمَعُوا
وَطَالَمَا قَطَعُوا حِبَالِيَ إِعْ ... رَاضًا إِذَا لَمْ تَكُنْ مَعِي قِطَعُ
يَمْشُونَ حَوْلِي شَتَّى كَأَنَّهُمُ ... عَقَارِبٌ كُلَّمَا سَعَوْا لَسَعُوا
فَمِنْهُمُ ٱلطِّفْلُ وَٱلْمُرَاهِقُ وَٱلرَّ ... مْضِيعُ يَحْبُو وَٱلْكَهْلُ وَٱلْيَفَعُ
لَا قَارِحٌ مِنْهُمُ أُؤَمِّلُ أَنْ ... يَنَالَنِي خَيْرُهُ وَلَا جَذَعُ
لَهُمْ حُلُوقٌ تُفْضِي إِلَى مِعَدٍ ... تَحْمِلُ فِي ٱلْأَكْلِ فَوْقَ مَا تَسَعُ
مِنْ كُلِّ رَحْبِ ٱلْمِعَاءِ أَجْوَفِهِ ... نَادِي ٱلْحَشَا لَا يَمَسُّهُ ٱلشِّبَعُ
لَا يُحْسِنُ ٱلْمَضْغَ فَهُوَ يَتْرُكُ فِي ... فِيهِ بِلَا كُلْفَةٍ وَيَبْتَلِعُ
فَٱسْتَأْنِفُوا لِي رَسْمًا أَعُودُ عَلَى ... ضَنْكِ مَعَاشِي بِهِ فَيَتَّسِعُ
وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنِّي أَتَيْتُ بِهَا ... خَدِيعَةً فَٱلْكَرِيمُ يَنْخَدِعُ
حَاشَا لِرَسْمِ ٱلْكَرِيمِ يُنْسَخُ مِنْ ... نَسْخِ دَوَاوِينِكُمْ فَيَنْقَطِعُ
فَوَقِّعُوا لِي بِمَا سَأَلْتُ فَقَدْ ... أَطْمَعْتُ نَفْسِي وَٱسْتَحْكَمَ ٱلطَّمَعُ
وَلَا تُطِيلُوا مَعِي فَلَسْتُ وَلَوْ ... دَفَعْتُمُونِي بِٱلرَّاحِ أَنْدَفِعُ

الباب السابع
في الفكاهات

بغلة ابي دلامة

١٢٦ كَانَ أَبُو دُلَامَةَ كُوفِيًّا أَسْوَدَ مَوْلًى لِبَنِي أَسَدٍ أَدْرَكَ آخِرَ أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةَ وَنَبَغَ فِي أَيَّامِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَمَدَحَ السَّفَّاحَ وَالْمَنْصُورَ وَالْمَهْدِيَّ. وَكَانَ صَاحِبَ نَوَادِرَ وَمُلَحٍ . وَأَمَّا بَغْلَتُهُ فَكَانَتْ جَامِعَةً لِعُيُوبِ الدَّوَابِّ كُلِّهَا. وَكَانَتْ أَشْوَهَ الدَّوَابِّ خَلْقًا فِي مَنْظَرِ الْعَيْنِ وَأَسْوَأَهَا خُلُقًا فِي مَخْبَرِهَا. فَكَانَ إِذَا رَكِبَهَا تَبِعَهُ الصِّبْيَانُ يَتَضَاحَكُونَ بِهِ. وَكَانَ يَقْصِدُ رُكُوبَهَا فِي مَوَاكِبِ الْخُلَفَاءِ وَالْكُبَرَاءِ لِيُضْحِكَهُمْ بِشِمَاسِهَا حَتَّى نَظَمَ فِيهَا قَصِيدَتَهُ الْمَشْهُورَةَ وَهِيَ :

أَبَعْدَ الْخَيْلِ أَرْكَبُهَا كِرَامًا ... وَبَعْدَ الْفُرْهِ مِنْ خُضْرِ الْبِغَالِ
رُزِقْتُ بُغَيْلَةً فِيهَا وِكَالٌ ... وَلَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ الْوِكَالِ
رَأَيْتُ عُيُوبَهَا كَثُرَتْ وَلَيْسَتْ ... وَإِنْ أَكْثَرْتُ ثَمَّ مِنَ الْمَقَالِ
لِيُحْصِيَ مَنْطِقِي وَكَلَامُ غَيْرِي ... عَشِيرَ خِصَالِهَا شَرَّ الْخِصَالِ
فَأَهْوَنُ عَيْبِهَا أَنِّي إِذَا مَا ... نَزَلْتُ وَقُلْتُ إِمْشِي لَا تُبَالِي
تَقُومُ فَمَا تَبِتُّ هُنَاكَ شِبْرًا ... وَتَرْمَحُنِي وَتَأْخُذُ فِي قِتَالِي
وَإِنِّي إِنْ رَكِبْتُ أَذَيْتُ نَفْسِي ... بِضَرْبٍ بِالْيَمِينِ وَبِالشِّمَالِ
وَبِالرِّجْلَيْنِ أَرْكُلُهَا جَمِيعًا ... فَيَا لَكَ فِي الشَّقَاءِ وَفِي الْكَلَالِ

أتاني خائبٌ يستامُ مني … عريقٌ في الخسارةِ والضلالِ
وقالَ تبيعها قلتُ ارتبطها … بحكمك إنّ بيعي غيرُ غالِ
فأقبلَ ضاحكاً نحوي سروراً … وقالَ أراكَ سهلاً ذا جمالِ
هلمّ إليّ يخلو بي خداعاً … وما يدري الشقيُّ لمن يخالي
فقلتُ بأربعينَ فقالَ أحسنْ … إليّ فإنّ مثلكَ ذو سجالِ
فأتركُ خمسةً منها لعلمي … بما فيهِ يصيرُ من الخبالِ
فلمّا ابتاعها مني وبتّتْ … له في البيعِ غيرِ المستقالِ
أخذتُ بثوبهِ أبرأتُ مما … أعدُّ عليهِ من سوءِ الخلالِ
برئتُ إليكَ من مششٍ يديها … ومن جرذٍ ومن بللِ المخالي
ومن فتقٍ بها في البطنِ ضخمٍ … ومن عقالها ومن انفتالِ
ومن قطعِ اللسانِ ومن بياضٍ … بعينيها ومن قرضِ الحبالِ
ومن عضِّ الغلامِ ومن خراطٍ … إذا ما هم صحبكَ بارتحالِ
وأقطى من فريخِ الذرِّ مشياً … بها عرنٌ وداءٌ من سلالِ
وتكسرُ سرجها أبداً شماساً … وتقمصُ للإكافِ على اغتيالِ
ويدبرُ ظهرها من مسِّ كفٍّ … وتهرمُ في الجمامِ وفي الجلالِ
تظلُّ لركبةٍ منها وقيذاً … يُخافُ عليكَ من ورمِ الطحالِ
ومشغارٌ تقدّمُ كلَّ سرجٍ … تصيّرُ دفتيهِ على القذالِ
وتحفى لو تسيرُ على الحشايا … ولو تمشي على دمثِ الرمالِ
وترمحُ أربعينَ إذا وقفنا … على أهلِ المجالسِ بالسؤالِ

فَتَقْطَعُ مَنْطِقِي وَتَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ حَدِيثِهِمْ فِيمَا تُوَالِي
وَتَذْعَرُ لِلدَّجَاجَةِ إِذْ تَرَاهَا وَتَنْفِرُ لِلصَّفِيرِ وَلِلْخَيَالِ
فَأَمَّا الْإِعْتِلَافُ فَأَدْنِ مِنْهَا مِنَ الْأَتْبَانِ أَمْثَالَ الْجِبَالِ
وَأَمَّا الْقَتُّ فَأْتِ بِأَلْفِ وِقْرٍ كَأَعْظَمِ حِمْلٍ أَحْمَالِ الْجِمَالِ
فَلَسْتَ بِعَالِفٍ مِنْهُ ثَلَاثًا وَعِنْدَكَ مِنْهُ عُودٌ لِلْخِلَالِ
وَإِنْ عَطِشَتْ فَأَوْرِدْهَا دُجَيْلًا إِذَا أَوْرَدْتَ أَوْ نَهْرَيْ بِلَالِ
فَذَاكَ لِرِيِّهَا سُقِيَتْ حَمِيمًا وَإِنْ مَدَّ الْفُرَاتُ فَلِلنِّهَالِ
وَكَانَتْ قَارِحًا أَيَّامَ كِسْرَى وَتَذْكُرُ تُبَّعًا عِنْدَ الْفِصَالِ
وَقَدْ دِيرَتْ وَنُعْمَانُ صَبِيٌّ وَقَبْلَ فِصَالِهِ تِلْكَ اللَّيَالِي
وَتَذْكُرُ إِذْ نَشَا بَهْرَامُ جُورٍ وَعَامِلُهُ عَلَى خَرْجِ الْجَوَالِي
وَقَدْ مَرَّتْ بِقَرْنٍ بَعْدَ قَرْنٍ وَآخِرُ عَهْدِهَا لِهَلَاكِ مَالِي
فَأَبْدِلْنِي بِهَا يَا رَبِّ طِرْفًا يَزِينُ جَمَالُ مَرْكَبِهِ جَمَالِي

وَأَنْشَدَهَا الْمَهْدِيَّ فَقَالَ: لَقَدْ أُقِلْتَ مِنْ بَلَاءٍ عَظِيمٍ. فَقَالَ: وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ مَكَثْتُ شَهْرًا أَتَوَقَّعُ صَاحِبَهَا أَنْ يَرُدَّهَا. فَقَالَ الْمَهْدِيُّ لِصَاحِبِ دَوَابِّهِ: خَيِّرْهُ بَيْنَ مَرْكَبَيْنِ فِي الْإِصْطَبْلِ. فَقَالَ: إِنْ كَانَ الْاخْتِيَارُ إِلَيَّ فَقَدْ وَقَعْتُ فِي شَرٍّ مِنَ الْبَغْلَةِ وَلَكِنْ مُرْهُ يَخْتَرْ لِي. فَفَعَلَ (شرح مقامات الحريري للشريشي ووافي الوفيات للصفدي)

الخليفة والأصمعي

١٢٧ مِنْ أَلْطَفِ مَا اتَّفَقَ أَنَّ بَعْضَ الْخُلَفَاءِ كَانَ يَحْفَظُ الشِّعْرَ مِنْ

مرّةٍ. وعندَهُ مملوكٌ يحفظُهُ مِن مرّتينِ وجاريةٌ مِن ثلاثِ مرّاتٍ. وكانَ بخيلًا جدًّا فكانَ الشاعرُ إذا أتاهُ بقصيدةٍ قالَ له: إنْ كانتْ مطروقةً بأنْ يكونَ أحدٌ منّا يحفظُها نعلمُ أنّها ليستْ لكَ فلا نعطيكَ لها جائزةً. وإن لم نكنْ نحفظُها فنعطيكَ وزنَ ما هيَ فيهِ مكتوبةٌ. فيقرأُ الشاعرُ القصيدةَ فيحفظُها الخليفةُ مِن أوّلِ مرّةٍ ولو كانتْ ألفَ بيتٍ. ويقولُ للشاعرِ: اسمعها عليَّ فإنّي أحفظُها وينشدُها بكمالِها. ثمّ يقولُ: وهذا المملوكُ أيضًا يحفظُها. وقد سمعها المملوكُ مرّتينِ مرّةً مِن الشاعرِ ومرّةً مِن الخليفةِ فيحفظُها ويقرأُها. ثمّ يقولُ الخليفةُ: وهذهِ الجاريةُ التي وراءَ السترِ تحفظُها أيضًا. وقد سمعتها ثلاثَ مرّاتٍ مرّةً مِن الشاعرِ ومرّةً مِن الخليفةِ ومرّةً مِن المملوكِ فتقرأُها بحروفِها. فيخرجُ الشاعرُ صفرَ اليدينِ. وكانَ الأصمعيُّ مِن جلسائِهِ وندمائِهِ. فنظمَ أبياتًا مستصعبةً ونقشَها في أسطوانةٍ ولفَّها في ملاءةٍ وجعلَها على ظهرِ بعيرٍ. ولبسَ جوخةً بدويّةً مفرجةً مِن وراءٍ ومن قدّامٍ. وضربَ لهُ لثامًا لم يبنْ منهُ غيرُ عينيهِ وجاءَ إلى الخليفةِ وقالَ: إنّي امتدحتُ أميرَ المؤمنينَ بقصيدةٍ. فقالَ: يا أخا العربِ إنْ كانتْ لغيرِكَ فلا نعطيكَ لها جائزةً. وإنْ كانتْ لكَ نعطيكَ زنةَ ما هيَ مكتوبةٌ فيهِ. قالَ: قد رضيتُ وأنشدَ:

صوتُ صفيرِ البلبلِ هيّجَ قلبَ الثملِ
الماءُ والزهرُ معًا معْ حسنِ لحظِ المقلِ

وَأَنْتَ حَقًّا سَيِّدِي وَسُؤْدُدِي وَمَوْئِلِي
وَطَابَ لِي نَوْحُ ٱلْحَمَا مِ قُوقُقُو بِٱلزَّجَلِ
قَدْ فَاحَ مِنْ لَحَظَاتِهَا عَبِيرُ وَرْدِ ٱلْخَجَلِ
وَقُلْتُ وَصْوَصْ وَصْوَصُ فَجَاءَ صَوْتٌ مِنْ عَلِ
وَقَالَ لَا لَا لَا لَا وَقَدْ غَدَا يُهَرْوِلِي
وَفِتْيَةٍ يَسْقُونَنِي قُهَيْوَةً كَٱلْعَسَلِ
شَمِمْتُهَا فِي أَنْفِي أَذْكَى مِنَ ٱلْقَرَنْفُلِ
فِي بُسْتَانٍ حَسَنٍ بِٱلزَّهْرِ وَٱلسُّرْوَلِ
وَٱلْعُودُ دَنْدَنْ دَنْدَنُ وَٱلطَّبْلُ طَبْطَبْ طَبَ لِي
وَٱلرَّقْصُ أَرْطَبْ طَبْطَبُ وَٱلْمَاءُ شَقْشَقْشَقَ لِي
شَوَوْا شَوَوْا شَوَوْا عَلَى وُرَيْقِ ٱلسَّفَرْجَلِ
وَغَرَّدَ ٱلْقُمْرِي يَصِحْ مِنْ مَلَلٍ مِنْ مَلَلِي
فَلَوْ تَرَانِي رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ أَعْزَلِ
أَمْشِي عَلَى ثَلَاثَةٍ كَمِشْيَةِ ٱلْعَرَنْجَلِي
وَٱلنَّاسُ قَدْ تَرْجُمُنِي فِي ٱلسُّوقِ بِٱلْبَقَلَّلِ
وَٱلْكُلُّ كَعْ كَعِ كَكَعْ خَلْفِي وَمِنْ حُوَيْلَلِي
لَكِنْ مَشَيْتُ هَارِبًا مِنْ خَشْيَةٍ فِي عَقْلَلِي
إِلَى لِقَاءِ مَلِكٍ مُعَظَّمٍ مُبَجَّلِ
يَأْمُرُ لِي . بِخِلْعَةٍ حَمْرَاءَ كَٱلدَّمْلَمَلِ

أجرْ فيهَا مَأربَا ببغْدَدِ كالدَّلدلِ

(قَالَ) فلمَّا فرَغَ مِنْ إنشادِهَا بُهِتَ ٱلْمَلِكُ فيهَا ولَمْ يَحفظهَا ٱلْخَليفةُ لِصُعوبتِهَا. ثُمَّ نظَرَ إلى ٱلْمَملوكِ فأشارَ إليهِ أنَّهُ ما حَفِظَ مِنهَا شيئًا. وفهِمَ مِنَ ٱلْجارِيةِ أنهَا ما حفِظَتْ مِنهَا شيئًا. فقَالَ ٱلْخَليفَةُ: يا أخَا ٱلْعرَبِ إنَّكَ صادِقٌ وهِيَ لَكَ بلاشَكٍّ فإنِّي ما سمِعتُهَا قبلَ ذٰلِكَ. فَهاتِ ٱلرُّقعَةَ ٱلَّتي هِيَ مكتوبَةٌ فيهَا حتَّى نُعطِيكَ زِنتَهَا. فقَالَ: يا مولايَ إنِّي لَمْ أجِدْ ورَقًا أكتُبُ فيهِ. وكانَ عِندِي قِطعَةُ عمودِ رُخامٍ مِنْ عهْدِ أبي وهِيَ مُلقاةٌ في ٱلدَّارِ لَيسَ لِي بِهَا حاجةٌ فنقَشتُهَا فيهَا. ولَمْ يَسعِ ٱلْخَليفةَ إلَّا أنْ أعطاهُ زِنتَهَا ذهَبًا. فنفِدَ جميعُ مَا في خِزانَةِ ٱلْمُلْكِ مِنَ ٱلْمالِ فأخَذَ ٱلأصمعِيُّ ذٰلِكَ وٱنصرَفَ. فلمَّا ولَّى قالَ: يَغلِبُ على ظنِّي أنَّ هٰذَا ٱلإعرابِيَّ هوَ ٱلأصمعِيُّ. فأحضرَهُ وكشَفَ عنْ وجهِهِ فإذَا هوَ ٱلأصمعِيُّ. فتعجَّبَ مِنْ صنيعِهِ ورجَعَ عمَّا كانَ يُعامِلُ بِهِ ٱلشُّعراءَ وأجراهُمْ على عوائِدِ ٱلْمُلوكِ (حلبة الكميت للنواجي)

١٢٨ قالَ أبو ٱلْفَتحِ كُشاجِمُ يرثِي سِكِّينًا سُرِقَتْ لهُ في قَصيدَةٍ بديعَةٍ مِنهَا:

يا قاتَلَ ٱللهُ كُتَّابَ ٱلدَّواوينِ ما يستحِلُّونَ مِنْ أخذِ ٱلسَّكاكينِ
لَقدْ دَهاني لَطيفٌ مِنهُمْ خَتِلٌ في ذاتِ حَدٍّ كَحدِّ ٱلسَّيفِ مسنونِ
فأقفَرَتْ بعدَ عُمرانٍ بِمَوقِعهَا مِنهَا دَواةُ فَتًى بِٱلْكُتْبِ مفتونِ
تَبكي على مُديَةٍ أودَى ٱلزَّمانُ بِهَا كانَتْ على جائِرِ ٱلأقلامِ تُعدِينِي

كَانَتْ تُقَوِّمُ أَقْلَامِي وَتَنْحِتُهَا نَحْتًا وَتُسْخِطُهَا بَرْيًا فَتُرْضِينِي
وَأُضْحِكُ الطِّرْسَ وَالْقِرْطَاسَ عَنْ حُلَلٍ تَنُوبُ لِلْعَيْنِ عَنْ نَوْرِ الْبَسَاتِينِ
هَيْفَاءُ مُرْهَفَةٌ بَيْضَاءُ مُذْهَبَةٌ قَالَ الْإِلٰهُ لَهَا سُبْحَانَهُ كُونِي
لٰكِنْ مِقَطِّي أَمْسَى شَامِتًا جَذِلًا وَكَانَ فِي ذِلَّةٍ مِنْهَا وَفِي هُونِ
فَصِينَ حَتَّى يُضَاهِي فِي صِيَانَتِهِ جَاهِي لِصَوْنِيهِ عَمَّنْ لَا يُدَانِينِي
وَلَسْتُ عَنْهَا بِسَالٍ مَا حَيِيتُ وَلَا بِوَاجِدٍ عِوَضًا مِنْهَا بِسِكِّينِ

رثاء هر لابن العلاف

١٢٩ قَالَ ٱلصَّاحِبُ ٱبْنُ عَبَّادٍ: أَنْشَدَنِي أَبُو ٱلْحَسَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ٱلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ٱلْعَلَّافِ ٱلْبَغْدَادِيُّ ٱلْمُقْرِيُّ ٱلْأَدِيبُ قَصِيدَةَ وَالِدِهِ فِي ٱلْهِرِّ كَنَى بِهِ عَنِ ٱبْنِ ٱلْمُعْتَزِّ حِينَ قَتَلَهُ ٱلْمُقْتَدِرُ. فَخَشِيَ مِنَ ٱلْمُقْتَدِرِ وَنَسَبَهَا إِلَى ٱلْهِرِّ وَعَرَّضَ بِهِ فِي أَبْيَاتٍ مِنْهَا. وَقِيلَ إِنَّمَا كَنَى بِٱلْهِرِّ عَنِ ٱلْمُحَسِّنِ ٱبْنِ ٱلْوَزِيرِ أَبِي ٱلْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ ٱلْفُرَاتِ أَيَّامَ مِحْنَتِهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَجْسُرْ أَنْ يَذْكُرَهُ وَيَرْثِيَهُ. وَقِيلَ كَانَ لَهُ هِرٌّ يَأْنَسُ بِهِ فَكَانَ يَدْخُلُ أَبْرَاجَ ٱلْحَمَامِ ٱلَّتِي لِجِيرَانِهِ وَيَأْكُلُ فِرَاخَهَا. فَأَمْسَكَهُ أَرْبَابُهَا فَذَبَحُوهُ فَرَثَاهُ بِقَصِيدَةٍ. وَقَالَ ٱبْنُ خِلِّكَانَ: وَهِيَ مِنْ أَحْسَنِ ٱلشِّعْرِ وَأَبْدَعِهِ وَعَدَدُهَا خَمْسَةٌ وَسِتُّونَ بَيْتًا. وَطُولُهَا يَمْنَعُ مِنَ ٱلْإِتْيَانِ بِجَمِيعِهَا فَنَأْتِي بِمَحَاسِنِهَا فِيهَا أَبْيَاتٌ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى حِكَمٍ أَوَّلُهَا:

يَا هِرُّ فَارَقْتَنَا وَلَمْ تَعُدِ وَكُنْتَ عِنْدِي بِمَنْزِلِ ٱلْوَلَدِ
فَكَيْفَ نَنْفَكُّ عَنْ هَوَاكَ وَقَدْ كُنْتَ لَنَا عُدَّةً مِنَ ٱلْعُدَدِ

تَطْرُدُ عَنَّا ٱلأَذَى وَتَحْرُسُنَا ... بِٱلْغَيْبِ مِنْ حَيَّةٍ وَمِنْ جُرَدِ
وَتُخْرِجُ ٱلْفَأْرَ مِنْ مَكَامِنِهَا ... مَا بَيْنَ مَفْتُوحِهَا إِلَى ٱلسُّدَدِ
يَلْقَاكَ فِي ٱلْبَيْتِ مِنْهُمْ مَدَدٌ ... وَأَنْتَ تَلْقَاهُمُ بِلَا مَدَدِ
لَا عَدَدٌ كَانَ مِنْكَ مُنْفَلِتًا ... مِنْهُمْ وَلَا وَاحِدٌ مِنَ ٱلْعَدَدِ
لَا تَرْهَبُ ٱلصَّيْفَ عِنْدَ هَاجِرَةٍ ... وَلَا تَهَابُ ٱلشِّتَاءَ فِي ٱلْجَمَدِ
وَكَانَ يَجْرِي وَلَا سَدَادَ لَهُمْ ... أَمْرُكَ فِي بَيْتِنَا عَلَى سَدَدِ
حَتَّى ٱعْتَقَدْتَ ٱلأَذَى لِجِيرَتِنَا ... وَلَمْ تَكُنْ لِلأَذَى بِمُعْتَقِدِ
وَحُمْتَ حَوْلَ ٱلرَّدَى لِظُلْمِهِمِ ... وَمَنْ يَحُمْ حَوْلَ حَوْضِهِ يَرِدِ
وَكَانَ قَلْبِي عَلَيْكَ مُرْتَعِدًا ... وَأَنْتَ تَنْسَابُ غَيْرَ مُرْتَعِدِ
تَدْخُلُ بُرْجَ ٱلْحَمَامِ مُتَّئِدًا ... وَتَبْلَعُ ٱلْفَرْخَ غَيْرَ مُتَّئِدِ
وَتَطْرَحُ ٱلرِّيشَ فِي ٱلطَّرِيقِ لَهُمْ ... وَتَبْلَعُ ٱللَّحْمَ بَلْعَ مُزْدَرِدِ
أَطْعَمَكَ ٱلْغَيُّ لَحْمَهَا فَرَأَى ... قَتْلَكَ أَرْبَابُهَا مِنَ ٱلرَّشَدِ
حَتَّى إِذَا دَاوَمُوكَ وَٱجْتَهَدُوا ... وَسَاعَدَ ٱلنَّصْرُ كَيْدَ مُجْتَهِدِ
كَادُوكَ دَهْرًا فَمَا وَقَعْتَ وَكَمْ ... أَفْلَتَّ مِنْ كَيْدِهِمْ وَلَمْ تُكَدِ
فَحِينَ أَخْفَرْتَ وَٱنْهَمَكْتَ وَكَا ... شَفْتَ وَأَسْرَفْتَ غَيْرَ مُقْتَصِدِ
صَادُوكَ غَيْظًا عَلَيْكَ وَٱنْتَقَمُوا ... مِنْكَ وَزَادُوا وَمَنْ يَصِدْ يُصَدِ
ثُمَّ شَفَوْا بِٱلْحَدِيدِ أَنْفُسَهُمْ ... مِنْكَ وَلَمْ يَرْعَوُا عَلَى أَحَدِ
فَلَمْ تَزَلْ لِلْحَمَامِ مُرْتَصِدًا ... حَتَّى سُقِيتَ ٱلْحِمَامَ بِٱلرَّصَدِ
لَمْ يَرْحَمُوا صَوْتَكَ ٱلضَّعِيفَ كَمَا ... لَمْ تَرْثِ مِنْهَا لِصَوْتِهَا ٱلْغَرِدِ

أَذَاقَكَ ٱلْمَوتَ رَبُّهُنَّ كَمَا   أَذَقْتَ أَفْرَاخَهُ يَدًا بِيَدِ
كَأَنَّ حَبْلًا حَوَى بِجُودَتِهِ   جِيدَكَ لِلْخَنْقِ كَانَ مِنْ مَسَدِ
كَأَنَّ عَيْنِي تَرَاكَ مُضْطَرِبًا   فِيهِ وَفِي فِيكَ رَغْوَةُ ٱلزَّبَدِ
وَقَدْ طَلَبْتَ ٱلْخَلَاصَ مِنْهُ فَلَمْ   تَقْدِرْ عَلَى حِيلَةٍ وَلَمْ تَجِدِ
فَمَا سَمِعْنَا بِمِثْلِ مَوْتِكَ إِذْ   مُتَّ وَلَا مِثْلِ عَيْشِكَ ٱلنَّكِدِ
فَجُدْتَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْبَخِيلُ بِهَا   أَنْتَ وَمَنْ لَمْ يَجُدْ بِهَا يَجُدِ
عِشْتَ حَرِيصًا يَقُودُهُ طَمَعٌ   وَمُتَّ ذَا قَاتِلٍ بِلَا قَوَدِ
يَا مَنْ لَذِيذُ ٱلْفِرَاخِ أَوْقَعَهُ   وَيْحَكَ هَلَّا قَنِعْتَ بِٱلْغُدَدِ
أَلَمْ تَخَفْ وَثْبَةَ ٱلزَّمَانِ كَمَا   وَثَبْتَ فِي ٱلْبُرْجِ وَثْبَةَ ٱلْأَسَدِ
عَاقِبَةُ ٱلظُّلْمِ لَا تَنَامُ وَإِنْ   تَأَخَّرَتْ مُدَّةً مِنَ ٱلْمُدَدِ
أَرَدْتَ أَنْ تَأْكُلَ ٱلْفِرَاخَ وَلَا   يَأْكُلُكَ ٱلدَّهْرُ أَكْلَ مُضْطَهِدِ
هٰذَا بَعِيدٌ مِنَ ٱلْقِيَاسِ وَمَا   أَعَزَّهُ فِي ٱلدُّنُوِّ وَٱلْبُعُدِ
لَا بَارَكَ ٱللهُ فِي ٱلطَّعَامِ إِذَا   كَانَ هَلَاكُ ٱلنُّفُوسِ فِي ٱلْمِعَدِ
كَمْ دَخَلَتْ لُقْمَةٌ حَشَا شَرِهٍ   فَأَخْرَجَتْ رُوحَهُ مِنَ ٱلْجَسَدِ
مَا كَانَ أَغْنَاكَ عَنْ تَسَوُّرِكَ ٱلْـ   بُرْجَ وَلَوْ كَانَ جَنَّةَ ٱلْخُلْدِ
قَدْ كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ وَفِي دَعَةٍ   مِنَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْمُهَيْمِنِ ٱلصَّمَدِ
تَأْكُلُ مِنْ فَارِ بَيْتِنَا رَغَدًا   فَأَيْنَ بِٱلشَّاكِرِينَ لِلرَّغَدِ
وَكُنْتَ بَدَّدْتَ شَمْلَهُمْ زَمَنًا   فَٱجْتَمَعُوا بَعْدَ ذٰلِكَ ٱلْبَدَدِ
فَلَمْ يُبْقُوا لَنَا عَلَى سَبَدٍ   فِي جَوْفِ أَبْيَاتِنَا وَلَا لَبَدِ

وَفَتُّوا الْخُبْزَ فِي السِّلَالِ وَكَمْ   تَفَتَّتَتْ لِلْعِيَالِ مِنْ كَبِدِ
وَفَرَّغُوا قَعْرَهَا وَمَا تَرَكُوا   مَا عَلَّقَتْهُ يَدٌ عَلَى وَتَدِ
وَمَزَّقُوا مِنْ ثِيَابِنَا جُدُدًا   فَكُلُّنَا فِي الْمَصَائِبِ الْجُدُدِ

١٣٠ رثاء ديكٍ لابن معمعة الحمصي

يَا ابْنَ أَقْيَالِ وَائِلٍ وَالْكِرَامِ الـ   ـصِّيدِ مِنْ تَغْلِبٍ قُرُومِ الْقُرُومِ
وَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَيْهِ أَمَارَا   تُ الْمَعَالِي مِنْ حَادِثٍ وَقَدِيمِ
قَدْ مَدَحْتُ الْأَمِيرَ بِالْأَمْسِ مَنْثُو   رًا وَجِئْتُ الْغَدَاةَ بِالْمَنْظُومِ
فَاسْتَمِعْ قِصَّتِي وَفَرِّجْ بِإِحْسَا   نِكَ مَا بِي مِنْ طَارِقَاتِ الْهُمُومِ
لِيَ دِيكٌ حَضَنْتُهُ وَهْوَ فِي الْبَيْـ   ـضَةِ مِنْ مَنْصِبٍ كَرِيمِ الْخِيمِ
ثُمَّ رَبَّيْتُهُ كَتَرْبِيَةِ الطِّـ   ـفْلِ رَضِيعًا وَعِنْدَ حَالِ الْفَطِيمِ
يَأْكُلُ الْعَفْوَ كَيْفَ مَا شَاءَ مِنْ مَا   لِي أَكْلَ الْوَلِيِّ مَالَ الْيَتِيمِ
هُوَ عِنْدِي بِصُورَةِ الْوَلَدِ الْبَرْ   رِ وَفِي صُورَةِ الصَّدِيقِ الْحَمِيمِ
أَبْيَضُ اللَّوْنِ أَفْرَقُ الْعُرْفِ نَظَّا   رٌ بِعَيْنٍ كَأَنَّهَا عَيْنُ رِيمِ
وَعَلَى نَحْرِهِ وِشَاحَانِ مِنْ شَذْ   رٍ بَدِيعٍ وَلُؤْلُؤٍ مَنْظُومِ
رَافِعٌ رَايَةً مِنَ الذَّنَبِ الْمُشْـ   ـرِفِ يَسْعَى بِهَا كَسَعْيِ الظَّلِيمِ
وَإِذَا مَا مَشَى تَبَخْتَرَ مَشْيَ الـ   ـطَّرِبِ الْمُنْتَشِي مِنَ الْخُرْطُومِ
وَسَمَ الْأَرْضَ وَسْمَ طِينِ كِتَابٍ   بِخَوَاتِيمِ كَاتِبٍ مَخْتُومِ
وَلَهُ خِنْجَرَانِ فِي قَصَبِ السَّا   قَيْنِ قَدْ رُكِّبَا لِحِفْظِ الْحَرِيمِ
وَعَلَيْهِ مِنْ رِيشِهِ طَيْلَسَانٌ   صِيغَ مِنْ صِبْغَةِ اللَّطِيفِ الْحَكِيمِ

وَجَمِيعُ الدُّيُوكِ تَشْهَدُ فِي خَمْسٍ لَهُ بِالْجَلَالِ وَالتَّعْظِيمِ
يَتَجَاوَبْنَ بِالصِّيَاحِ مُشِيرَا تٍ إِلَيْهِ فِي ذَاكَ بِالتَّسْلِيمِ
وَإِذَا مَا رَأَيْتَهُ بَيْنَ خَمْسٍ مِنْ دَجَاجَاتِهِ كِبَارِ الْجُسُومِ
قُلْتَ مَلْكٌ يَخْدُمْنَهُ فَتَيَاتٌ يَتَهَادَيْنَ بَيْنَ زَنْجٍ وَرُومِ
وَتَرَى عُرْفَهُ فَتَحْسَبُهُ التَّا جَ عَلَى رَأْسِ كِسْرَوِيٍّ كَرِيمِ
ثَاقِبِ الْعِلْمِ بِالْمَوَاقِيتِ لَيْلًا وَنَهَارًا وَحَاذِقٍ بِالنُّجُومِ
وَيَحُثُّ الْجِيرَانَ حَوْلِي عَلَى الْبِرِّ مِ كَحَثِّ الْمُدِيرِ كَأْسَ النَّدِيمِ
وَلَهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ عَلَيَّ الْـ عَهْدُ فِي سَالِفِ الزَّمَانِ الْقَدِيمِ
أَنَّهُ آمِنٌ مِنَ الشَّرِّ عِنْدِي غَيْرَ يَوْمِ الْمَشِيئَةِ الْمَحْتُومِ
وَقَدِ احْتَجْتُ أَنْ أُضَحِّيَ فِي الْعِيدِ بِهِ حَاجَةَ الْأَدِيبِ الْعَدِيمِ
وَبَنَاتِي يَقُلْنَ يَا أَبَتَانَا أَنْتَ فِي ذَاكَ بَيْنَ عُذْرٍ وَلَوْمِ
وَتَرَاهُنَّ حَوْلَهُ يَتَبَاكَيْنَ م بِدَمْعٍ لِفَقْدِهِ مَسْجُومِ
وَعَزِيزٌ سِوَاكَ مَنْ يَفْتَدِيهِ فَافْدِهِ سَيِّدِي بِذِبْحٍ عَظِيمِ
تَبْقَ فِي ذَاكَ سُنَّةٌ لَكَ يُبْقِي ذِكْرَهَا ذِكْرُ كَبْشِ إِبْرٰهِيمِ

١٣١ قصيدة مساور الورّاق في وصف وليمة

إِسْتَمِعْ نَعْتِي لِلْمُلُوكِ وَلَا تَرَى فِيمَا سَمِعْتَ كَمَيِّتِ الْأَحْيَاءِ
إِنَّ الْمُلُوكَ لَهُمْ طَعَامٌ طَيِّبٌ يَسْتَأْثِرُونَ بِهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ
إِنِّي نَعَتُّ لَذِيذَ عَيْشِي كُلَّهُ وَالْعَيْشُ لَيْسَ لَذِيذُهُ بِسَوَاءِ
ثُمَّ اخْتَصَصْتُ مِنَ اللَّذِيذِ وَعَيْشِهِ صِفَةَ الطَّعَامِ بِشَهْوَةِ الْحَلْوَاءِ

فَبَدَأْتُ بِالْعَسَلِ الشَّدِيدِ بَيَاضُهُ   شَهْدٌ تُبَاكِرُهُ بِمَاءِ سَمَاءِ
إِنِّي سَمِعْتُ لِقَوْلِ رَبِّكَ فِيهِمَا   فَجَمَعْتُ بَيْنَ مُبَارَكٍ وَشِفَاءِ
أَيَّامَ أَنْتَ هُنَاكَ بَيْنَ عِصَابَةٍ   حَضَرُوا لِيَوْمِ تَنَعُّمِ الْأَكْفَاءِ
لَا يَنْطِقُونَ إِذَا جَلَسْتُ إِلَيْهِمِ   فِيمَا يَكُونُ بِلَفْظَةٍ عَوْرَاءِ
مُتَنَسِّمِينَ رِيَاحَ كُلِّ هَبُوبَةٍ   بَيْنَ النَّخِيلِ بِغُرْفَةٍ فَيْحَاءِ
فَقَعَدْتُ ثُمَّ دَعَوْتُ لِي بِمُبَذْرِقٍ   مُتَشَمِّرًا يَسْعَى بِغَيْرِ رِدَاءِ
قَدْ لَفَّ كُمَّيْهِ عَلَى عَضَلَاتِهِ   قَلِصِ الْقَمِيصِ مُشَمِّرٍ سَعَّاءِ
فَأَتَى بِخُبْزٍ كَالْمُلَاءِ مُنَقَّطٍ   فَبَنَاهُ فَوْقَ أَخَاوِنِ السِّيرَاءِ
حَتَّى مَلَاهَا ثُمَّ تَرْجَمَ عِنْدَهَا   بِالْفَارِسِيَّةِ دَاعِيًا بِوِجَاءِ
فَإِذَا الْقِصَاعُ مِنَ الْخَلِيجِ لَدَيْهِمِ   تَبْدُو جَوَانِبُهَا مَعَ الْوُصَفَاءِ
إِرْفَعْ وَضَعْ وَهُنَا وَهَاكَ وَهَهُنَا   قَصْفُ الْمُلُوكِ وَنَهْمَةُ الْقُرَّاءِ
يَأْتُونَ ثُمَّ يَلُونَ كُلَّ طَرِيفَةٍ   قَدْ حَالَفَتْهُ مَوَائِدُ الْخُلَفَاءِ
مِنْ كُلِّ ذِي قَرْنٍ وَجَدْيٍ رَاضِعٍ   وَدَجَاجَةٍ مَرْبُوبَةٍ عَشْوَاءِ
وَثَرِيدَةٍ مَلْمُومَةٍ قَدْ صُفِّفَتْ   مِنْ فَوْقِهَا بِأَطَايِبِ الْأَعْضَاءِ
هَذَا الثَّرِيدُ وَمَا سِوَاهُ تَعَلُّلٌ   ذَهَبَ الثَّرِيدُ بِنَهْمَتِي وَهَوَائِي
وَلَقَدْ كَلِفْتُ بِنَعْتِ جَدْيٍ رَاضِعٍ   قَدْ صَنَّتْهُ شَهْرَيْنِ بَيْنَ رِعَاءِ
قَدْ نَالَ مِنْ لَبَنٍ كَثِيرٍ طَيِّبٍ   حَتَّى تَفَتَّقَ مِنْ رِضَاعِ الشَّاءِ
مِنْ كُلِّ أَحْمَرَ لَا يَقَرُّ إِذَا ارْتَوَى   مِنْ بَيْنِ رَقْصٍ دَائِمٍ وَثُغَاءِ
مُتَمَكِّنِ الْجَنْبَيْنِ صَافٍ لَوْنُهُ   عَبِلِ الْقَوَائِمِ مِنْ غِذَاءِ رَخَاءِ

فَإِذَا مَرِضْتُ فَدَاوِنِي بِلُحُومِهَا ... إِنِّي وَجَدْتُ لُحُومَهُنَّ دَوَائِي
وَدَعِ ٱلطَّبِيبَ وَلَا تَثِقْ بِدَوَائِهِ ... مَا خَالَفَتْكَ رَوَاضِعُ ٱلْأَجْدَاءِ
إِنَّ ٱلطَّبِيبَ إِذَا حَبَاكَ بِشَرْبَةٍ ... تَرَكَتْكَ بَيْنَ مَخَافَةٍ وَرَجَاءِ
وَإِذَا تَنَطَّعَ فِي دَوَاءِ صَدِيقِهِ ... لَمْ يَعْدُ مَا فِي جُونَةِ ٱلرَّقَّاءِ
نَعَتَ ٱلطَّبِيبُ هَلِيلَجًا وَبَلِيلَجًا ... وَنَعَتُّ غَيْرَهُمَا مِنَ ٱلْأَدْوَاءِ
رُطَبَ ٱلْمُشَانِ مُجَزَّعًا يُؤْتَى بِهِ ... وَٱلرَّازِقِيُّ فَمَا هُمَا بِسَوَاءِ
وَصَآنِيًا زُرْقًا كَأَنَّ بُطُونَهَا ... قِطَعُ ٱلثُّلُوجِ نَقِيَّةَ ٱلْأَمْعَاءِ

محمد بن بشير والشاة

١٣٢ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ مِنْ شُعَرَاءِ أَهْلِ ٱلْبَصْرَةِ وَأُدَبَائِهِمْ وَهُوَ مِنْ خَثْعَمٍ وَكَانَ مِنْ بُخَلَاءِ ٱلنَّاسِ. وَكَانَ لَهُ فِي دَارِهِ بُسْتَانٌ قَدْرُهُ أَرْبَعُ طَوَابِيقَ قَلَعَهَا مِنْ دَارِهِ فَغَرَسَ فِيهِ أَصْلَ رُمَّانٍ وَفَسِيلَةً لَطِيفَةً وَزَرَعَ حَوَالَيْهِ بَقْلًا. فَأَفْلَتَتْ شَاةٌ لِمَنِيعٍ جَارٍ لَهُ. فَأَكَلَتِ ٱلْبَقْلَ وَمَضَغَتِ ٱلْخُوصَ وَدَخَلَتْ إِلَى بَيْتِهِ فَلَمْ تَجِدْ فِيهِ إِلَّا ٱلْقَرَاطِيسَ فِيهَا شِعْرُهُ وَأَشْيَاءُ مِنْ سَمَاعَاتِهِ فَأَكَلَتْهَا. وَخَرَجَتْ فَعَدَا إِلَى ٱلْجِيرَانِ فِي ٱلْمَسْجِدِ يَشْكُو مَا جَرَى عَلَيْهِ وَعَادَ فَزَرَعَ ٱلْبُسْتَانَ. وَقَالَ يَصِفُهُ وَيَهْجُو شَاةَ مَنِيعٍ:

لِي بُسْتَانٌ أَنِيقٌ زَاهِرٌ ... نَاضِرُ ٱلْخُضْرَةِ رَيَّانٌ تَرِفْ
رَاسِخُ ٱلْأَعْرَاقِ رَيَّانُ ٱلثَّرَى ... غَدِقٌ تُرْبَتُهُ لَيْسَتْ تَجِفْ
مُشْرِقُ ٱلْأَنْوَارِ مَيَّادُ ٱلنَّدَى ... مُنْثَنٍ فِي كُلِّ رِيحٍ مُنْعَطِفْ
تَمْلِكُ ٱلرِّيحُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ ... فَإِذَا لَمْ يُؤْنِسِ ٱلرِّيحَ وَقَفْ

يَكْتَسِي فِي ٱلشَّرْقِ ثَوْبِيَّ يَمْنِهِ   وَمَعَ ٱللَّيْلِ عَلَيْهَا يَلْتَحِفْ
يَنْطَوِي ٱللَّيْلُ عَلَيْهِ فَإِذَا   وَاجَهَ ٱلشَّرْقَ تَجَلَّى وَٱنْكَشَفْ
صَابِرٌ لَيْسَ يُبَالِي كَثْرَةً   حَزَّ بِٱلْمِنْجَلِ أَوْ مِنْهُ نُتِفْ
لَا تَرَى لِلْكَفِّ فِيهِ أَثَرًا   فِيهِ بَلْ يَنْمِي عَلَى مَسِّ ٱلْأَكُفْ
فَتَرَى ٱلْأَطْبَاقَ لَا تُمْهِلُهُ   صَادِرَاتٍ وَارِدَاتٍ تَخْتَلِفْ
فِيهِ لِلْخَارِفِ مِنْ جِيرَانِهِ   كُلُّ مَا ٱحْتَاجَ إِلَيْهِ مُخْتَرِفْ
أُقْحُوَانٌ وَبَهَارٌ مُونِقٌ   وَسِوَى ذٰلِكَ مِنْ كُلِّ ٱلطُّرَفْ
وَهُوَ زَهْرٌ لِلنَّدَامَى أُصُلًا   بِرِضَى قَاطِفِهِمْ مِمَّا قُطِفْ
وَهُوَ فِي ٱلْأَيْدِي يُحَيُّونَ بِهِ   وَعَلَى ٱلْآنَافِ طَوْرًا يُسْتَشَفْ
أَعْفِهِ يَا رَبِّ مِنْ وَاحِدَةٍ   ثُمَّ لَا أَحْفِلُ أَنْوَاعَ ٱلتَّلَفْ
إِكْفِهِ شَاةَ مَنِيعٍ وَحْدَهَا   يَوْمَ لَا يُصْبِحُ فِي ٱلْبَيْتِ عَلَفْ
إِكْفِهِ ذَاتَ سُعَالٍ شَهْلَةً   مُتِّعَتْ فِي شَرِّ عَيْشٍ بِٱلْخَرَفْ
إِكْفِهِ يَا رَبِّ وَقْصَاءَ ٱلطُّلَى   أَلْحِمِ ٱلْكَتِفَيْنِ مِنْهَا بِٱلْكَتِفْ
وَغَدَا ٱلصِّبْيَةُ مِنْ جِيرَانِهَا   لِيَجُرُّوهَا إِلَى مَأْوَى ٱلْجِيَفْ
فَتَرَاهَا بَيْنَهُمْ مَسْحُوبَةً   تَجْرُفُ ٱلتُّرْبَ بِجَنْبٍ مُنْحَرِفْ
فَإِذَا صَارُوا إِلَى ٱلْمَأْوَى بِهَا   أَعْمَلُوا ٱلْآجُرَّ فِيهَا وَٱلْخَزَفْ
ثُمَّ قَالُوا ذَا جَزَاءٌ لِلَّذِي   تَأْكُلُ ٱلْبُسْتَانَ مِنَّا وَٱلصُّحُفْ
لَا تَلُومُونِي فَلَوْ أَبْصَرْتُ ذَا   كُلَّهُ فِيهَا إِذَنْ لَمْ أَنْتَصِفْ

البابُ الثامنُ
في المديح

١٣٣ قالَ أبو تمّام يمدحُ أبا سعيد :

أبا سعيدٍ وما وصفي بمتّهمٍ … على المعالي وما شكري بمخترمِ
لئن جحدتُكَ ما أوليتَ من حسنٍ … إنّي لفي اللّوم أحظى منكَ في الكرمِ
أمسى ابتسامُكَ والألوانُ كاسفةٌ … تبسّمَ الصّبحِ في داجٍ من الظّلَمِ
كذا أخوكَ النّدى لو أنّهُ بشرٌ … لم يلفَ طرفةَ عينٍ غيرَ مبتسمِ
رددتَ رونقَ وجهي في صحيفتهِ … ردَّ الصّقالِ بهاءَ الصّارمِ الخذمِ
وما أبالي وخيرُ القولِ أصدقُهُ … حقنتَ لي ماءَ وجهي أو حقنتَ دمي

قصيدة خلف بن خليفة مولى قيس بن ثعلبة في قومه

عدلتُ إلى فخرِ العشيرةِ والهوى … إليهم وفي تعدادِ مجدِهم شغلُ
إلى هضبةٍ من آلِ شيبانَ أشرفتْ … لها الذروةُ العلياءُ والكاهلُ العبلُ
إلى النّفرِ البيضِ الألاءِ كأنّهم … صفائحُ يومَ الرّوعِ أخلصَها الصّقلُ
إلى معدنِ العزِّ المؤيّدِ والنّدى … هناكَ هناكَ الفضلُ والخلقُ الجزلُ
أحبُّ بقاءَ القومِ للنّاسِ إنّهم … متى يظعنوا من مصرِهم ساعةً يخلوا
عذابٌ على الأفواهِ ما لم يذقهم … عدوٌّ وبالأفواهِ أسماؤهم تحلو
عليهم وقارُ الحلمِ حتّى كأنّما … وليدُهم من أجلِ هيبتهِ كهلُ
إذا استجهلوا لم يعزبِ الحلمُ عنهم … وإن آثروا أن يجهلوا عظمَ الجهلُ

هُمُ ٱلْجَبَلُ ٱلأَعْلَى إِذَا مَا تَنَاكَرَتْ مُلُوكُ ٱلرِّجَالِ أَوْ تَخَاطَرَتِ ٱلبُزْلُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْقَتْلَ غَالٍ إِذَا رَضُوا وَإِنْ غَضِبُوا فِي مَوْطِنٍ رَخُصَ ٱلْقَتْلُ
لَنَا فِيهِمِ حِصْنٌ حَصِينٌ وَمَعْقِلٌ إِذَا حَرَّكَ ٱلنَّاسَ ٱلْمَخَاوِفُ وَٱلأَزْلُ
لَعَمْرِي لَنِعْمَ ٱلْحَيُّ يَدْعُو صَرِيخُهُمْ إِذَا ٱلْجَارُ وَٱلْمَأْكُولُ أَرْهَقَهُ ٱلأَكْلُ
سُعَاةٌ عَلَى أَفْنَاءِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَتَبْلُ أَقَاصِي قَوْمِهِمْ لَهُمُ تَبْلُ
إِذَا طَلَبُوا ذَحْلًا فَلَا ٱلذَّحْلُ فَائِتٌ وَإِنْ ظَلَمُوا أَكْفَاءَهُمْ بَطَلَ ٱلذَّحْلُ
مَوَاعِيدُهُمْ فِعْلٌ إِذَا مَا تَكَلَّمُوا بِتِلْكَ ٱلَّتِي إِنْ سُمِّيَتْ وَجَبَ ٱلْفِعْلُ
بُحُورٌ تُلَاقِيهَا بُحُورٌ غَزِيرَةٌ إِذَا زَخَرَتْ قَيْسٌ وَإِخْوَتُهَا ذُهْلُ

١٣٤ قصيدة محمد بن هانى. في جعفر بن عليّ بن غلبون

فُتِقَتْ لَكُمْ رِيحُ ٱلْجِلَادِ بِعَنْبَرِ وَأَمَدَّكُمْ فَلَقُ ٱلصَّبَاحِ ٱلْمُسْفِرِ
وَجَنَيْتُمُ ثَمَرَ ٱلْوَقَائِعِ يَانِعًا بِٱلنَّصْرِ مِنْ وَرَقِ ٱلْحَدِيدِ ٱلأَخْضَرِ
وَضَرَبْتُمُ هَامَ ٱلْكُمَاةِ وَرُعْتُمُ بِيضَ ٱلْخُدُورِ بِكُلِّ لَيْثٍ مُخْدِرِ
أَبَنِي ٱلْعَوَالِي ٱلسَّمْهَرِيَّةِ وَٱلسُّيُو فِ ٱلْمَشْرَفِيَّةِ وَٱلْعَدِيدِ ٱلأَكْثَرِ
مَنْ مِنْكُمُ ٱلْمَلِكُ ٱلْمُطَاعُ كَأَنَّهُ تَحْتَ ٱلسَّوَابِغِ تُبَّعٌ فِي حِمْيَرِ
أَلْقَائِدُ ٱلْخَيْلَ ٱلْعِتَاقَ شَوَازِبًا خُزْرًا إِلَى لَحْظِ ٱلسِّنَانِ ٱلأَخْزَرِ
شُعْثَ ٱلنَّوَاصِي حَشْرَةً آذَانُهَا قُبَّ ٱلأَيَاطِلِ دَامِيَاتِ ٱلأَنْسُرِ
تَنْبُو سَنَابِكُهُنَّ عَنْ عَفْرِ ٱلثَّرَى فَيَطَأْنَ فِي خَدِّ ٱلْعَزِيزِ ٱلأَصْعَرِ
فِي فِتْيَةٍ صَدَأُ ٱلدُّرُوعِ عَبِيرُهُمْ وَخَلُوقُهُمْ عَلَقُ ٱلنَّجِيعِ ٱلأَحْمَرِ
لَا يَأْكُلُ ٱلسِّرْحَانُ شِلْوَ طَعِينِهِمْ مِمَّا عَلَيْهِ مِنَ ٱلْقَنَا ٱلْمُتَكَسِّرِ

أَنِسُوا بِهِجْرَانِ ٱلْأَنِيسِ كَأَنَّهُمْ　　فِي عَبْقَرِيِّ ٱلْبِيدِ جِنَّةُ عَبْقَرِ
وَمَشَوْا عَلَى قِطَعِ ٱلنُّفُوسِ كَأَنَّمَا　　تَمْشِي سَنَابِكُ خَيْلِهِمْ فِي مَرْمَرِ
قَوْمٌ يَبِيتُ عَلَى ٱلْحَشَايَا غَيْرُهُمْ　　وَمَبِيتُهُمْ فَوْقَ ٱلْجِيَادِ ٱلضُّمَّرِ
وَتَظَلُّ تَسْبَحُ فِي ٱلدِّمَاءِ قِبَابُهُمْ　　فَكَأَنَّهُنَّ سَفَائِنٌ فِي أَبْحُرِ
فَحِيَاضُهُمْ مِنْ كُلِّ مُهْجَةِ ضَالِعٍ　　وَخِيَامُهُمْ مِنْ كُلِّ لِبْدَةِ قَسْوَرِ
وَكَفَاكَ مِنْ حُبِّ ٱلسَّمَاحَةِ أَنَّهَا　　مِنْهُمْ بِمَوْضِعِ مُقْلَةٍ مِنْ مَحْجِرِ

١٣٥　قصيدة المتنبي في شجاع بن محمد الطائي المنبجي

إِلَى وَاحِدِ ٱلدُّنْيَا إِلَى ٱبْنِ مُحَمَّدٍ　　شُجَاعَ ٱلَّذِي لِلّٰهِ ثُمَّ لَهُ ٱلْفَضْلُ
إِلَى ٱلثَّمَرِ ٱلْحُلْوِ ٱلَّذِي طَيِّئٌ لَهُ　　فُرُوعٌ وَقَحْطَانُ بْنُ هُودٍ لَهَا أَصْلُ
إِلَى ٱلْقَابِضِ ٱلْأَرْوَاحِ وَٱلضَّيْغَمِ ٱلَّذِي　　تُحَدِّثُ عَنْ وَقَفَاتِهِ ٱلْخَيْلُ وَٱلرَّجْلُ
إِلَى رَبِّ مَالٍ كُلَّمَا شَتَّ شَمْلُهُ　　تَجَمَّعَ فِي تَشْتِيتِهِ لِلْعُلَى شَمْلُ
هُمَامٌ إِذَا مَا فَارَقَ ٱلْغِمْدَ سَيْفُهُ　　وَعَايَنْتَهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا ٱلنَّصْلُ
رَأَيْتُ ٱبْنَ أُمِّ ٱلْمَوْتِ لَوْ أَنَّ بَأْسَهُ　　فَشَا بَيْنَ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ لَٱنْقَطَعَ ٱلنَّسْلُ
عَلَى سَابِحٍ مَوْجُ ٱلْمَنَايَا بِنَحْرِهِ　　غَدَاةَ كَأَنَّ ٱلنَّبْلَ فِي صَدْرِهِ وَبْلُ
وَكَمْ عَيْنِ قِرْنٍ حَدَّقَتْ لِنِزَالِهِ　　فَلَمْ تُغْضِ إِلَّا وَٱلسِّنَانُ لَهَا كُحْلُ
إِذَا قِيلَ رِفْقًا قَالَ لِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ　　وَحِلْمُ ٱلْفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ
وَلَوْلَا تَوَلِّي نَفْسِهِ حَمْلَ حِلْمِهِ　　عَنِ ٱلْأَرْضِ لَٱنْهَدَّتْ وَنَاءَ بِهَا ٱلْحِمْلُ
تَبَاعَدَتِ ٱلْآمَالُ عَنْ كُلِّ مَقْصِدٍ　　وَضَاقَتْ بِهَا إِلَّا إِلَى بَابِهِ ٱلسُّبْلُ
وَنَادَى ٱلنَّدَى بِٱلنَّائِمِينَ عَنِ ٱلسُّرَى　　فَأَسْمَعَهُمْ هُبُّوا فَقَدْ هَلَكَ ٱلْبُخْلُ

وَحَالَتْ عَطَايَا كَفِّهِ دُونَ وَعْدِهِ … فَلَيْسَ لَهُ إِنْجَازُ وَعْدٍ وَلَا مَطْلُ
فَأَقْرَبُ مِنْ تَحْدِيدِهَا رَدُّ فَائِتٍ … وَأَيْسَرُ مِنْ إِحْصَائِهَا الْقَطْرُ وَالرَّمْلُ
وَمَا تَنْقِمُ الْأَيَّامُ مِمَّنْ وُجُوهُهَا … لِأَخْمَصِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ نَعْلُ
وَمَا عَزَّهُ فِيهَا مُرَادٌ أَرَادَهُ … وَإِنْ عَزَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ
كَفَى ثُعَلًا فَخْرًا بِأَنَّكَ مِنْهُمُ … وَدَهْرٌ لِأَنْ أَمْسَيْتَ مِنْ أَهْلِهِ أَهْلُ
وَوَيْلٌ لِنَفْسٍ حَاوَلَتْ مِنْكَ غِرَّةً … وَطُوبَى لِعَيْنٍ سَاعَةً مِنْكَ لَا تَخْلُو
فَمَا بِفَقِيرٍ شَامَ بَرْقَكَ فَاقَةٌ … وَلَا فِي بِلَادٍ أَنْتَ صَيِّبُهَا مَحْلُ

١٣٦ جمالية ابن نباتة في ابن الشهاب محمود

كَمْ مِنْ جَمَالٍ عِنْدَهُ ضُرُّ الْفَتَى … وَلَكَمْ جَمَالٍ عِنْدَهُ السَّرَّاءُ
كَجَمَالِ دِينِ اللهِ وَابْنِ شِهَابِهِ … لَا الظُّلْمُ حَيْثُ يُرَى وَلَا الظَّلْمَاءُ
أَلْمَاجِدُ الرَّاقِي مَرَاتِبَ سُؤْدَدٍ … قَدْ رُصِّعَتْ بِجِوَارِهِ الْجَوْزَاءُ
ذَاكَ الَّذِي أَمْسَى السُّهَى جَارًا لَهُ … لَكِنَّ حَاسِدَ مَجْدِهِ الْعَوَّاءُ
عَمَّتْ مَكَارِمُهُ وَسَارَ حَدِيثُهُ … فَبِكُلِّ أَرْضٍ نِعْمَةٌ وَثَنَاءُ
وَسَعَتْ يَرَاعَتُهُ بِأَرْزَاقِ الْوَرَى … فَكَأَنَّهَا قَلْبٌ وَتِلْكَ رِشَاءُ
وَحَمَى الْعَوَاصِمَ رَأْيُهُ وَلَطَالَمَا … قَعَدَ الْحُسَامُ وَقَامَتِ الْآرَاءُ
عَجَبًا لِنَارِ ذَكَائِهِ مَشْبُوبَةً … وَبِظِلِّهِ تَتَفَيَّأُ الْأَفْيَاءُ
غَنَّى الْيَرَاعُ بِهِ وَأَزْهَرَ طِرْسُهُ … وَكَذَا تَكُونُ الرَّوْضَةُ الْغَنَّاءُ
يَا رَاكِبَ الْعَزَمَاتِ غَايَاتُ الْمُنَى … مَغْنَى شِهَابِ الدِّينِ وَالشَّهْبَاءُ
ذِي الْمَجْدِ لَا فِي سَاعِدَيْهِ عَنِ الْعُلَا … قِصَرٌ وَلَا فِي عَزْمِهِ إِعْيَاءُ

وَٱلْعَدْلُ يَرْدَعُ قَادِرًا عَنْ عَاجِزٍ ... فَٱلذِّئْبُ هَاجِعَةٌ لَدَيْهِ ٱلشَّاءُ
وَٱلْحِلْمُ يَزْوِي جَابِرٌ عَنْ فَضْلِهِ ... وَٱلْفَضْلُ يَزْوِي عَنْ يَدَيْهِ عَطَاءُ
يَا أَكْمَلَ ٱلرُّؤَسَاءِ لَا مُسْتَثْنِيًا ... أَحَدًا إِذَا مَا عُدَّتِ ٱلرُّؤَسَاءُ
يَا مَنْ مَلَكْتُ مِنَ ٱلْمَعَادِ لَهُ وَمَا ... مَلَكَتْ لَدَيَّ مَعَادَهَا ٱلنَّعْمَاءُ
إِنْ لَمْ يَقُمْ بِحُقُوقِ مَا أَوْلَيْتَنِي ... مَدْحِي فَأَرْجُو أَنْ يَقُومَ دُعَاءُ
شَهِدَتْ مَعَالِيكَ ٱلرَّفِيعَةُ وَٱلنَّدَى ... أَنَّ ٱلْوَرَى أَرْضٌ وَأَنْتَ سَمَاءُ

١٣٧ من قصيدة ابن مطروح في الوزير عماد الدين

وَهَبَّتْ عَلَيْنَا نَفْحَةٌ عَنْبَرِيَّةٌ ... كَعَرْفِ عِمَادِ ٱلدِّينِ حِينَ تُقَابِلُهْ
فَقُمْتُ مِنَ ٱلْإِجْلَالِ أُنْشِدُ مَدْحَهُ ... وَقَدْ سَبَقَتْنِي قَبْلَ ذَاكَ فَوَاضِلُهْ
تَكَافَأَ فِي ٱلْإِحْسَانِ شِعْرِي وَمَدْحُهُ ... وَلَكِنْ بِخَصْلِ ٱلسَّبْقِ فَازَتْ أَنَامِلُهْ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا ٱلرَّوْضَ بَاكَرَهُ ٱلْحَيَا ... فَأَيْنَعَ ذَاوِيهِ وَرَقَّتْ خَمَائِلُهْ
وَضَاعَ شَذَا أَزْهَارِهِ وَتَدَفَّقَتْ ... بِمَدْحِكَ مِنْ هٰذَا ٱلثَّنَاءِ جَدَاوِلُهْ
تَخَافُ عِدَاهُ مِنْ تَوَقُّدِ عَزْمِهِ ... وَتَأْمَنُ إِذْ يَطْفُو وَيَطْفَحُ نَائِلُهْ
يُبَشِّرُ مِنْهُ ٱلْبِشْرُ رَاجِي نَوَالِهِ ... كَذَا ٱلْغَيْثُ لَا تَخْفَى عَلَيْنَا مَخَايِلُهْ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْبَرْقَ يَبْدُو أَمَامَهُ ... وَتَتْبَعُهُ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ هَوَاطِلُهْ
لَمْ أَرَ غَيْثًا مِثْلَ غَيْثِ سَمَاحَةٍ ... تَيَمَّمَ مِصْرًا مِنْ ذُرَى ٱلشَّرْقِ وَابِلُهْ
كَفَى وَالِدًا مِنْ حَمْلِ هَمٍّ لِوُلْدِهِ ... فَكُلُّ ٱلْوَرَى أَيْتَامُهُ وَأَرَامِلُهْ
عَلَى مَهَلٍ يَا مَنْ يُحَاوِلُ مَجْدَهُ ... فَبَيْنَ ٱلثُّرَيَّا وَٱلسِّمَاكِ مَنَازِلُهْ
كَرِيمٌ لَهُ بَيْتٌ كَرِيمٌ تَقَاسَمَتْ ... أَوَاخِرُهُ إِرْثَ ٱلْعُلَى وَأَوَائِلُهْ

لَهُ شِيَمٌ لَوْ أَنَّ فِي ٱلدَّهْرِ بَعْضَهَا لَمَا غَالَتِ ٱلْحُرَّ ٱلْكَرِيمَ غَوَائِلُهْ
بَلِيغٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ ٱللَّفْظَ خِلْتَهُ عَنِ ٱلْوَحْيِ يُمْلِينَا ٱلَّذِي هُوَ قَائِلُهْ
تَحَلَّى بِهِ ٱلدَّهْرُ ٱلَّذِي كَانَ عَاطِلاً فَأَضْحَى مَلِيًّا بِٱلنَّبَاهَةِ خَامِلُهْ
وَأَثْنَى عَلَيْهِ لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ وَطَابَتْ بِهِ أَسْحَارُهُ وَأَصَائِلُهْ
وَإِنِّي وَإِنْ أَتْحَفْتُهُ بِمَدَائِحٍ هِيَ ٱلسِّحْرُ إِلَّا أَنَّ فِكْرِي بَابِلُهْ
فَمَا تَعِبَتْ لِي فِكْرَةٌ فِي مَدِيحِهِ لِأَنِّي رَاوِي ٱلْفَضْلِ عَنْهُ وَنَاقِلُهْ
فَلَا حَمْدَ لِي فِيمَا أَقُولُ وَإِنَّمَا كَتَبْتُ ٱلَّذِي أَمْلَتْ عَلَيَّ فَضَائِلُهْ
عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَنَائِلٌ أَلَا فِي سَبِيلِ ٱلْمَجْدِ مَا أَنْتَ فَاعِلُهْ
إِذَا سَارَ فَوْقَ ٱلرَّاسِيَاتِ تَزَعْزَعَتْ وَصَدَّعَتِ ٱلسَّبْعَ ٱلشِّدَادَ صَوَاهِلُهْ
وَرُبَّ خَمِيسٍ طَبَّقَ ٱلسَّهْلَ وَٱلرُّبَى وَزَاحَمَتِ ٱلْجَوْزَاءَ مِنْهُ عَوَامِلُهْ
بِكُمْ يَا بَنِي شَيْخِ ٱلشُّيُوخِ تَأَيَّدَتْ قَوَاعِدُ هٰذَا ٱلدِّينِ وَٱشْتَدَّ كَاهِلُهْ
وَقَدْ عَلِمَ ٱلسُّلْطَانُ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ بِأَنَّكَ كَافِيهِ وَأَنَّكَ كَافِلُهْ
وَأَخْلِقْ بِمُلْكٍ أَنْتَ حَارِسُ سَرْحِهِ وَحَامِي حِمَاهُ أَنْ تُصَانَ مَعَاقِلُهْ

١٣٨ قصيدة ابن الحسن القاضي في الوزير الحسن بن اضحى

يَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ مَضْمُونٌ لَكَ ٱلظَّفَرُ أَبْشِرْ فَمِنْ جُنْدِكَ ٱلتَّأْيِيدُ وَٱلْقَدَرُ
وَأُبْ لَنَا سَالِمًا وَٱلسَّعْدُ مُقْتَبِلٌ وَٱلدِّينُ مُنْتَظِمٌ وَٱلْكُفْرُ مُنْتَثِرُ
وَقَدْ طَلَعْتَ عَلَى ٱلْبَيْضَاءِ مِنْ كَثَبٍ كَمَا تَطَلَّعَ فِي جُنْحِ ٱلدُّجَى ٱلْقَمَرُ
حَلَّتْ فِي أَرْضِهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبٍ كَمَا يَحِلُّ بِهَا فِي ٱلْأَزْمَةِ ٱلْمَطَرُ
وَحَوْلَكَ ٱلصِّيدُ مِنْ لَمْتُونَةٍ وَهُمْ أَبْطَالُ يَوْمِ ٱلْوَغَى وَٱلْأَنْجُمُ ٱلزُّهُرُ

وَٱلْعُرْبُ تَرْفُلُ فَوْقَ ٱلْعُرْبِ سَابِحَةً ... كَٱلْأُسْدِ لَيْسَ لَهَا إِلَّا ٱلْقَنَا ظُفُرُ
مِنْ كُلِّ أَرْوَعَ وَضَّاحٍ عِمَامَتُهُ ... كَٱلْبَدْرِ نَحْوَ لِقَاءِ ٱلْجَيْشِ يَبْتَدِرُ
شِعَارُهُ ٱلْبِرُّ وَٱلتَّقْوَى وَمُؤْنِسُهُ ... فِي لَيْلِهِ رُمْحُهُ وَٱلصَّارِمُ ٱلذَّكَرُ
ذُؤَابَةُ ٱلْمَجْدِ مِنْ قَحْطَانَ كُلُّهُمُ ... أَبُوهُمُ حِمْيَرٌ ذُو ٱلْمَجْدِ أَوْ مُضَرُ
وَمِنْ زَنَاتَةَ أَبْطَالٌ غَطَارِفَةٌ ... ذَوُوا تَجَارِبَ فِي يَوْمِ ٱلْوَغَى صُبُرُ
وَلَمْطَةٍ وَهُمُ أَهْلُ ٱلطِّعَانِ لَدَى ٱلْـ ... هَيْجَاءِ فِي زُمَرٍ تَقْتَادُهَا زُمَرُ
كَأَنَّهُمْ فِي جَبِينِ ٱلْمَجْدِ إِذْ رَكِبُوا ... مُصَمِّمِينَ إِلَى أَعْدَائِهِمْ غُرَرُ

١٣٩ وقعت حربٌ بالجزيرة بين بني تغلب فتولى الإصلاح بينهم الفتح بن خاقان فقال البحتري فيما تعلّق بعضه بذكر الهيبة :

بَنِي تَغْلِبٍ أَعْزِزْ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَى ... دِيَارَكُمُ أَمْسَتْ وَلَيْسَ لَهَا أَهْلُ
خَلَتْ دِمْنَةٌ مِنْ سَاكِنِيهَا وَأَوْحَشَتْ ... مَرَابِعُ مِنْ سِنْجَارَ يَبْكِي بِهَا ٱلْوَبْلُ
إِذَا مَا ٱلْتَقَوْا يَوْمَ ٱلْهِيَاجِ تَحَاجَزُوا ... وَلِلْمَوْتِ فِيمَا بَيْنَهُمْ قِسْمَةٌ عَدْلُ
كَفِيٌّ مِنَ ٱلْأَحْيَاءِ لَاقَى كَفِيَّهُ ... وَمِثْلٌ مِنَ ٱلْأَقْوَامِ رَاجَعَهُ مِثْلُ
إِذَا مَا أَخٌ جَرَّ ٱلرِّمَاحَ ٱنْتَهَى لَهُ ... أَخٌ لَا بَلِيدٌ فِي ٱلطِّعَانِ وَلَا وَغْلُ
تَحُوطُهُمُ ٱلْبِيضُ ٱلرِّقَاقُ وَضُمَّرٌ ... عِتَاقٌ وَأَحْسَابٌ بِهَا يُدْرَكُ ٱلتَّبْلُ
بِطَعْنٍ يَكُبُّ ٱلدَّارِعِينَ دِرَاكُهُ ... وَضَرْبٍ كَمَا تَرْغُو ٱلْمُخَزَّمَةُ ٱلْبُزْلُ
تَجَافَى أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَنِ ٱلَّتِي ... عَلِمْتُمْ وَلِلْجَانِينَ فِي مِثْلِهَا ٱلنَّكْلُ
وَكَانَتْ يَدُ ٱلْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ عِنْدَكُمْ ... يَدَ ٱلْغَيْثِ عِنْدَ ٱلْأَرْضِ أَجْدَبَهَا ٱلْمَحْلُ
وَلَوْلَاهُ طُلَّتْ بِٱلْعُقُوقِ دِمَاؤُكُمْ ... فَلَا قَوَدٌ يُعْطَى ٱلْأَذَلَّ وَلَا عَقْلُ

تَلافيتَ يا فتحُ الأراقمَ بعد ما سقاهم بأوحى سَمّه الأرقمُ الصِّلُّ
وهبتَ لهم بالسِّلم باقي نفوسهم وقد أشرفوا أن يستتمّهمُ القتلُ
أتاكَ وفودُ الشكرِ يثنون بالذي تقدّمَ من نُعماكَ عندهمُ قبلُ
فلم أرَ يوماً كان أكثرَ سُودداً من اليومِ ضمّتهم إلى بابكَ السُّبْلُ
تراءوكَ من أقصى السِّماطِ فقصّروا خُطاهم وقد جازوا السُّتورَ وهم عُجْلُ
ولمّا قضوا صدرَ السلامِ تهافتوا على يدِ بسّامٍ سجيّتُه البَذْلُ
إذا شرعوا في خُطبةٍ قطعتهمُ جلالةُ طلقِ الوجهِ جانبُه سهلُ
إذا نكسوا أبصارَهم من مهابةٍ ومالوا بلحظٍ خِلتَ أنّهمُ قُبْلُ
نصبتَ لهم طرفاً حديداً ومنطقاً سديداً ورأياً مِثلَ ما انتُضيَ النَّصلُ
وسَلَّ سخيماتِ الصدورِ فعالُكَ الْـ كريمُ وأبرى غِلَّها قولُكَ الفصلُ
بكَ التأمَ الشَّعبُ الذي كان بينهم على حينِ بُعدٍ منه واجتمعَ الشَّملُ
فما برِحوا حتّى تعاطتْ أكفُّهم قِراكَ فلا ضِغنٌ لديهم ولا ذَحْلُ
وجرّوا برودَ العَصْبِ تضفو ذيولُها عطاءُ كريمٍ ما تكاءدَه بُخلُ
وما عمّهم عمرُو بنُ غنمٍ بنسبةٍ كما عمّهم بالأمسِ نائلُكَ الجَزْلُ
فمهما رأوا من غبطةٍ في اصطلاحهم فمنكَ بها النُّعمى جرتْ ولكَ الفضلُ

١٤٠ من قصيدة لابرهيم بن العباس في الفضل بن سهل

يمضي الأمورَ على بديهتهِ وتُريه فِكرتُه عواقبَها
فيظلُّ يُصدرها ويوردُها فيعمُّ حاضرَها وغائبَها
وإذا ألمّتْ صعبةٌ عظُمتْ فيها الرزيّةُ كان صاحبَها

أَلْمُسْتَقِلُّ بِهَا وَقَدْ رَسَبَتْ وَلَوَتْ عَلَى ٱلْأَيَّامِ جَانِبَهَا
وَعَدَلْتَهَا بِٱلْحَقِّ فَٱعْتَدَلَتْ وَوَسِعْتَ رَاغِبَهَا وَرَاهِبَهَا
وَإِذَا ٱلْحُرُوبُ بَدَتْ بَعَثْتَ لَهَا رَأْيًا تَفُلُّ بِهَا كَتَائِبَهَا
رَأْيًا إِذَا نَبَتِ ٱلسُّيُوفُ مَضَى عَزْمٌ بِهَا فَشَفَى مَضَارِبَهَا
وَإِذَا ٱلْخُطُوبُ تَأَثَّلَتْ وَرَسَتْ هَدَّتْ فَوَاضِلُهُ نَوَائِبَهَا
وَإِذَا جَرَتْ بِضَمِيرِهِ يَدُهُ أَبْدَتْ بِهِ ٱلدُّنْيَا مَنَاقِبَهَا

١٤١ قصيدة ابي محمّد عبد الله بن ايوب التيمي في عمرو بن مسعدة

غَرِيبٌ يَحِنُّ لِأَوْطَانِهِ وَيَبْكِي عَلَى عَصْرِهِ ٱلذَّاهِبِ
كَفَاكَ أَبُو ٱلْفَضْلِ عَمْرُو ٱلنَّدَى مُطَالَعَةَ ٱلْأَمَلِ ٱلْكَاذِبِ
وَصِدْقُ ٱلرَّجَاءِ وَحُسْنُ ٱلْوَفَاءِ لِعَمْرِو بْنِ مُسْعَدَةَ ٱلْكَاتِبِ
عَرِيضُ ٱلْفِنَاءِ طَوِيلُ ٱلْبِنَاءِ فِي ٱلْعِزِّ وَٱلشَّرَفِ ٱلثَّاقِبِ
هُوَ ٱلْمُرْتَجَى لِصُرُوفِ ٱلزَّمَانِ وَمُعْتَصَمُ ٱلرَّاغِبِ ٱلرَّاهِبِ
جَوَادٌ بِمَا مَلَكَتْ كَفُّهُ عَلَى ٱلضَّيْفِ وَٱلْجَارِ وَٱلصَّاحِبِ
تُؤَمِّلُهُ لِجِسَامِ ٱلْأُمُورِ وَتَرْجُوهُ لِلْجَلَلِ ٱلْكَارِبِ
خَصِيبُ ٱلْجَنَابِ مَطِيرُ ٱلسَّحَابِ بِشِيمَتِهِ لَيِّنُ ٱلْجَانِبِ
يُرَوِّي ٱلْقَنَا مِنْ نُحُورِ ٱلْعِدَى وَيَغْرَقُ فِي ٱلْجُودِ كَٱللَّاعِبِ
إِلَيْكَ تَبَدَّتْ بِأَكْوَارِهَا حَرَاجِيجُ فِي مَهْمَهٍ لَاحِبِ
كَأَنَّ نَعَامًا تُبَارِي بِنَا بَوَابِلِ مِنْ بَرَدٍ عَاصِبِ
يَرِدْنَ نَدَى كَفِّكَ ٱلْمُرْتَجَى وَيَقْضِينَ مِنْ حَقِّكَ ٱلْوَاجِبِ

وَلِلّٰهِ مَا أَنتَ مِنْ خَابِرٍ بِسَجْلِ لِقَوْمٍ وَمِنْ خَارِبِ
فَتَسْقِي ٱلْعِدَى بِكُؤُوسِ ٱلرَّدَى وَتَسْبِقُ مَسْأَلَةَ ٱلطَّالِبِ
وَكَمْ رَاغِبٍ نِلْتَهُ بِٱلْعَطَا وَكَمْ نِلْتَ بِٱلْعَطْفِ مِنْ هَارِبِ
وَتِلْكَ ٱلْخَلَائِقُ أُعْطِيتَهَا وَفَضْلٌ مِنَ ٱلْمَانِعِ ٱلْوَاهِبِ
كَسَبْتَ ٱلثَّنَاءَ وَكَسْبُ ٱلثَّنَا ءِ أَفْضَلُ مَكْسَبَةِ ٱلْكَاسِبِ
يَقِينُكَ يَجْلُو سُتُورَ ٱلدُّجَا وَظَنُّكَ يُخْبِرُ بِٱلْغَائِبِ

وَهٰذَا ٱلشِّعْرُ يَتَدَفَّقُ طَبْعًا وَسَلَاسَةً

١٦٢ لما خلَّص محمدُ بنُ عبد الله بن طاهر إبرهيمَ بن المُدَبِّر جوَّد المسألة في امرِه وبذل أن يُحتمَل في مالِهِ كل ما يطالب بهِ فأعفاهُ المتوكل من ذلك ولم يلتفت الى عبيد الله ووهبهُ لابن طاهر وكان ابرهيم استغاث بهِ ومدحهُ بقولهِ:

دَعَوْتُكَ مِنْ كَرْبٍ وَلَبَّيْتَ دَعْوَتِي وَلَمْ تَعْتَرِضْنِي إِذْ دَعَوْتُ ٱلْمَعَاذِرُ
إِلَيْكَ وَقَدْ جَلَّيْتَ أَوْرَدْتُ هِمَّتِي وَقَدْ أَعْجَزَتْنِي عَنْ هُمُومِي ٱلْمَصَادِرُ
نَمَى بِكَ عَبْدُ ٱللّٰهِ فِي ٱلْعِزِّ وَٱلْعُلَا وَحَازَ لَكَ ٱلْمَجْدَ ٱلْمُؤَثَّلَ طَاهِرُ
فَأَنْتُمْ بَنُو ٱلدُّنْيَا وَأَمْلَاكُ جَوِّهَا وَسَاسَتُهَا وَٱلْأَعْظَمُونَ ٱلْأَكَابِرُ
مَآثِرُ كَانَتْ لِلْحُسَيْنِ وَمُصْعَبٍ وَطَلْحَةَ لَا تَحْوِي مَدَاهَا ٱلْمَفَاخِرُ
إِذَا بَذَلُوا قِيلَ ٱلْغُيُوثُ ٱلْبَوَاكِرُ وَإِنْ غَضِبُوا قِيلَ ٱللُّيُوثُ ٱلْهَوَاصِرُ
تُطِيعُكُمُ يَوْمَ ٱللِّقَاءِ ٱلْبَوَاتِرُ وَتَزْهُو بِكُمْ يَوْمَ ٱلْمَقَامِ ٱلْمَنَابِرُ
وَمَا لَكُمُ غَيْرَ ٱلْأَسِرَّةِ مَجْلِسٌ وَلَا لَكُمُ غَيْرَ ٱلسُّيُوفِ مَخَاصِرُ
وَلِي حَاجَةٌ إِنْ شِئْتَ أَحْرَزْتَ مَجْدَهَا وَسِرُّكَ مِنْهَا أَوَّلٌ ثُمَّ آخِرُ
كَلَامُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَعَطْفُهُ فَمَا لِي بُعَيْدَ ٱللّٰهِ غَيْرَكَ نَاصِرُ

وَإِنْ سَاعَدَ ٱلْمَقْدُورُ فَٱلنُّجْحُ وَاقِعٌ ... وَإِلَّا فَإِنِّي مُخْلِصُ ٱلْوِدِّ شَاكِرُ

١٤٣ قال عنتر بن شدّاد يمدح الملك كسرى انوشروان

يَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي رَاحَاتُهُ ... قَامَتْ مَقَامَ ٱلْغَيْثِ فِي أَزْمَانِهِ
يَا قِبْلَةَ ٱلْقُصَّادِ يَا تَاجَ ٱلْعُلَى ... يَا بَدْرَ هٰذَا ٱلْعَصْرِ فِي كَيْوَانِهِ
يَا مُخْجِلًا نَوْءَ ٱلسَّمَاءِ بِجُودِهِ ... يَا مُنْقِذَ ٱلْمَحْزُونِ مِنْ أَحْزَانِهِ
يَا سَاكِنِينَ دِيَارَ عَبْسٍ إِنَّنِي ... لَاقَيْتُ مِنْ كِسْرَى وَمِنْ إِحْسَانِهِ
مَا لَيْسَ يُوصَفُ أَوْ يُقَدَّرُ أَوْ يَفِي ... أَوْصَافَهُ أَحَدٌ بِوَصْفِ لِسَانِهِ
مَلِكٌ حَوَى رُتَبَ ٱلْمَعَالِي كُلَّهَا ... بِسُمُوِّ مَجْدٍ حَلَّ فِي إِيوَانِهِ
مَوْلًى بِهِ شَرُفَ ٱلزَّمَانُ وَأَهْلُهُ ... وَٱلدَّهْرُ نَالَ ٱلْفَخْرَ مِنْ تِيجَانِهِ
وَإِذَا سَطَا خَافَ ٱلْأَنَامُ جَمِيعُهُمْ ... مِنْ بَأْسِهِ وَٱللَّيْثُ عِنْدَ عِيَانِهِ
أَلْمُظْهِرُ ٱلْإِنْصَافَ فِي أَيَّامِهِ ... بِخِصَالِهِ وَٱلْعَدْلَ فِي بُلْدَانِهِ
أَمْسَيْتُ فِي رَبْعٍ خَصِيبٍ عِنْدَهُ ... مُتَنَزِّهًا فِيهِ وَفِي بُسْتَانِهِ
وَنَظَرْتُ بِرْكَتَهُ تَفِيضُ وَمَاؤُهَا ... يَحْكِي مَوَاهِبَهُ وَجُودَ بَنَانِهِ
فِي مَرْبَعٍ جَمَعَ ٱلرَّبِيعَ بِرَبْعِهِ ... مِنْ كُلِّ فَنٍّ لَاحَ فِي أَفْنَانِهِ
وَطُيُورُهُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ أَنْشَدَتْ ... جَهْرًا بِأَنَّ ٱلدَّهْرَ طَوْعُ عِنَانِهِ
مَلِكٌ إِذَا مَا جَالَ فِي يَوْمِ ٱللِّقَا ... وَقَفَ ٱلْعَدُوُّ مُحَيَّرًا فِي شَانِهِ
وَٱلنَّصْرُ مِنْ جُلَسَائِهِ دُونَ ٱلْوَرَى ... وَٱلسَّعْدُ وَٱلْإِقْبَالُ مِنْ أَعْوَانِهِ
فَلَأَشْكُرَنَّ صَنِيعَهُ بَيْنَ ٱلْمَلَا ... وَأُطَاعِنُ ٱلْفُرْسَانَ فِي مَيْدَانِهِ

قَالَ أَبُو نُوَاسٍ فِي ٱلْبَرَامِكَةِ :

إنَّ ٱلبرامكةَ ٱلكرامَ تعلّموا فِعلَ ٱلجميلِ وعلّموهُ ٱلنّاسا
كانُوا إذا غرسوا سقَوا وإذا بنَوا لا يهدِمونَ لِما بنَوهُ أساسا
وإذا هُمُ صنعوا ٱلصنائعَ في ٱلورى جعلوا لها طِيبَ ٱلبقاءِ لِباسا

١٤٤ لشمس الدين القادريّ الشاعر المفلق في جلال الدين السيوطي

إمامُ ٱجتهادٍ عالِمُ ٱلعصرِ عامِلٌ بجامعِ فضلٍ ناسِكٌ مُتهجِّدُ
ويَحسُدُ طرْفُ ٱلنجمِ بٱلعلمِ طرْفَهُ إذا باتَ ليلًا فيهِ وهْوَ مُسهَّدُ
ويَقدحُ زَندُ ٱلعزمِ زَندُ ذكائِهِ فيُصبِحُ مِنهُ فِكرُهُ يتوقّدُ
ومِن مددِ ٱلمولَى وعينِ عِنايةٍ وتوفيقِهِ يحيا ويُحيي ويُحمَدُ
ومُجتهدٌ قد طالَ في ٱلعِلمِ مُدرِكًا وباعًا ففي كلِّ ٱلعلومِ لهُ يدُ
فحقَّ لهُ دعوى ٱجتهادٍ لأنّهُ هوَ ٱلبحرُ عِلمًا زاخِرُ ٱللجِّ مُزبِدُ
فمِن ذاكَ عِلمٌ بٱلكتابِ وسُنّةٍ تَبيَّنَ ما في بحرِهِ فهْوَ مَورِدُ
وفحوى خِطابٍ ثُمَّ مفهومُ ما بِهِ يدلُّ على مفهومِهِ حيثُ يُوجَدُ
ومعرفةُ ٱلأخبارِ ثُمَّ رُواتِها عُدولًا ومَن بٱلطعنِ فيهِ تردُّدُ
وفي ٱلنحوِ وٱلتصريفِ لِلمرءِ عِصمةٌ مِنَ ٱللحنِ فٱللحّانُ بٱللحنِ مُكمَدُ
ومعرفةُ ٱلإعرابِ أرفعُ مُرتقًى فطُوبى لِمَن يرقى إليهِ ويَصعدُ
وعِلمُ ٱلمعاني وٱلبيانِ كِلاهُما مَراقٍ إلى عِلمِ ٱلبديعِ ومَصعدُ
وسُلطانُ منقولِ ٱلفقيهِ متى يجِدْ وزيرًا مِنَ ٱلمعقولِ فهْوَ مُؤيَّدُ
وإنَّ ٱلجلالَ ٱلسُّيوطيَّ لِلهُدى كَكَوكبِ عِلمٍ بٱلضيا يتوقّدُ
وقد جادَ صَوبُ ٱلعِلمِ روضةَ أصلِهِ فطابَ لهُ بٱلعِلمِ فرعٌ ومَحتِدُ

وَذِي حَسَدٍ مُغْرًى بِتَعْدَادِ فَضْلِهِ   عَلَى نَفْسِهِ يَبْكِي أَسًى وَيُعَدِّدُ
فَلَوْ أَبْصَرَ الْكُفَّارُ فِي الْعِلْمِ دَرْسَهُ   وَقَدْ شَاهَدُوا تَقْرِيرَهُ لَتَشَهَّدُوا
فَخُذْهَا جَلَالَ الدِّينِ فِي الْمَدْحِ كَاعِبًا   لَهَا جِيدُ حُسْنٍ بِالنُّجُومِ مُقَلَّدُ
وَلَا تَبْتَئِسْ مِنْ قَوْلِ وَاشٍ وَحَاسِدٍ   فَمَا بَرِحَتْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ تُحْسَدُ
وَمَنْ لَحَظَتْ مَسْعَاهُ عَيْنُ عِنَايَةٍ   فَطَرْفُ أَعَادِيهِ مَدَى الدَّهْرِ أَرْمَدُ
فَهَذَا اعْتِقَادُ الْمُؤْمِنِينَ أُولِي النُّهَى   فَلَا يَكُ فِي هَذَا لَدَيْكَ تَرَدُّدُ
وَإِنَّ جَلَالَ الدِّينِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ   بِيُمْنَى عُلُومِ الدِّينِ سَيْفٌ مُجَرَّدُ
وَإِنَّ الْقَوَافِي ضِقْنَ ذَرْعًا عَنِ الَّذِي   لَهُ مِنْ تَصَانِيفٍ فَلَيْسَتْ تَعَدَّدُ
وَإِنَّ الْفَقِيرَ الْقَادِرِيَّ لَعَاجِزٌ   عَنِ الْمَدْحِ فِي عَلْيَاهُ إِذْ يَتَقَصَّدُ
وَقَاهُ إِلَهُ الْعَرْشِ مِنْ كُلِّ مِحْنَةٍ   وَمَا أَضْمَرَتْ يَوْمًا عِدَاهُ وَحُسَّدُ

مديح الخلفاء

١٤٥ مديح معاوية لابن ارطاة

وَإِنِّي امْرُؤٌ أَنْمِي إِلَى أَفْضَلِ الْوَرَى   عَدِيدًا إِذَا ارْفَضَّتْ عَصَا الْمُتَخَلِّفِ
إِلَى نَضَدٍ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ كَأَنَّهُمْ   هِضَابُ أَجَا أَرْكَانُهَا لَمْ تَقَصَّفِ
مَيَامِينُ يَرْضَوْنَ الْكِفَايَةَ إِنْ كُفُوا   وَيَكْفُونَ مَا وَلُّوا بِغَيْرِ تَكَلُّفِ
غَطَارِفَةٌ سَاسُوا الْبِلَادَ فَأَحْسَنُوا   سِيَاسَتَهَا حَتَّى أَقَرَّتْ لِمُرْدِفِ
فَمَنْ يَكُ مِنْهُمْ مُوسِرًا يَفْشُ فَضْلُهُ   وَمَنْ يَكُ مِنْهُمْ مُعْسِرًا يَتَعَفَّفِ
وَإِنْ تَبْسُطِ النُّعْمَى لَهُمْ يَبْسُطُوا بِهَا   أَكُفًّا سِبَاطًا نَفْعُهَا غَيْرُ مُقْرِفِ
وَإِنْ تَزْوِ عَنْهُمْ لَا يَضِجُّوا وَتُلْفِهِمْ   قَلِيلِي التَّشَكِّي عِنْدَهَا وَالتَّكَلُّفِ

إذا انصرفوا للحق يوماً تصرفوا   إذا الجاهل الحيران لم يتصرف
سموا فعلوا فوق البرية كلها   ببنيان عال من منيف ومشرف

١٤٦ دخل كثير ابو صخر والأحوص على عمر بن عبد العزيز فانشده كثير :

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف   بذياً ولم تتبع مقالة مجرم
وقلت فصدقت الذي قلت بالذي   فعلت فأضحى راضياً كل مسلم
ألا إنما يكفي الفتى بعد زيغه   من الأود البادي ثقاف المقوم
لقد لبست لبس الملوك ثيابها   تراءت لك الدنيا بكف ومعصم
وتومض أحياناً بعين مريضة   وتبسم عن مثل الجمان المنظم
فأعرضت عنها مشمئزاً كأنما   سقتك مدوفاً من سمام وعلقم
وقد كنت من أجبالها في ممنع   ومن بحرها في مزبد الموج مفعم
وما زلت سباقاً إلى كل غاية   صعدت بها أعلى البناء المقدم
فلما أتاك الملك عفواً ولم يكن   لطالب دنيا بعده من تكلم
تركت الذي يفنى وإن كان مونقاً   وآثرت ما يبقى برأي مصمم
فأضررت بالفاني وشمرت للذي   أمامك في يوم من الهول مظلم
وما لك إذ كنت الخليفة مانع   سوى الله من مال رغيب ولا دم
سما لك هم في الفؤاد مؤرق   صعدت به أعلى المعالي بسلم
فلو يستطيع المسلمون تقسموا   لك الشطر من أعمارهم غير ندم
فعشت به ما حج لله راكب   مغذ مطيف بالمقام وزمزم
فأربح بها من صفقة لمبايع   وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم

فقال له: يا كُثَيِّر إنَّ الله سائلك عن كل ما قلتَ. ثم تقدَّم إليه الأحوص فاستأذنه فقال: قُل ولا تقُل إلَّا حقًّا فإنَّ الله سائلك فأنشده:

وَمَا ٱلشِّعْرُ إلَّا خُطْبَةٌ مِنْ مُؤَلِّفٍ ... بِمَنْطِقِ حَقٍّ أَوْ بِمَنْطِقِ بَاطِلِ
فَلَا تَقْبَلَنْ إلَّا ٱلَّذِي وَافَقَ ٱلرِّضَا ... وَلَا تُرْجِعَنَّا كَٱلنِّسَاءِ ٱلْأَرَامِلِ
رَأَيْنَاكَ لَمْ تَعْدِلْ عَنِ ٱلْحَقِّ يَمْنَةً ... وَلَا يَسْرَةً فِعْلَ ٱلظَّلُومِ ٱلْمُجَادِلِ
وَلٰكِنْ أَخَذْتَ ٱلْحَقَّ جُهْدَكَ كُلَّهُ ... وَتَقْفُو مِثَالَ ٱلصَّالِحِينَ ٱلْأَوَائِلِ
فَقُلْنَا وَلَمْ نَكْذِبْ بِمَا قَدْ بَدَا لَنَا ... وَمَنْ ذَا يَرُدُّ ٱلْحَقَّ مِنْ قَوْلِ عَاذِلِ
وَمَنْ ذَا يَرُدُّ ٱلسَّهْمَ بَعْدَ صُدُوفِهِ ... عَلَى فُوقِهِ إنْ عَادَ مِنْ نَزْعِ نَابِلِ
وَلَوْلَا ٱلَّذِي قَدْ عَوَّدَتْنَا خَلَائِفٌ ... غَطَارِيفُ كَانَتْ كَٱللُّيُوثِ ٱلْبَوَاسِلِ
لَمَا وَخَدَتْ شَهْرًا بِرَحْلِي جَسْرَةٌ ... تَقُدُّ مُتُونَ ٱلْبِيدِ بَيْنَ ٱلرَّوَاحِلِ
وَلٰكِنْ رَجَوْنَا مِنْكَ مِثْلَ ٱلَّذِي بِهِ ... صُرِفْنَا قَدِيمًا مِنْ ذَوِيكَ ٱلْأَفَاضِلِ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلشِّعْرِ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ ... وَإِنْ كَانَ مِثْلَ ٱلدُّرِّ مِنْ قَوْلِ قَائِلِ
وَكَانَ مُصِيبًا صَادِقًا لَا يَعِيبُهُ ... سِوَى أَنَّهُ يُبْنَى بِنَاءَ ٱلْمَنَازِلِ
فَإِنَّ لَنَا قُرْبَى وَمَحْضَ مَوَدَّةٍ ... وَمِيرَاثَ آبَاءٍ مَشَوْا بِٱلْمَنَاصِلِ
فَذَادُوا عَدُوَّ ٱلسِّلْمِ عَنْ عُقْرِ دَارِهِمْ ... وَأَرْسَوْا عَمُودَ ٱلدِّينِ بَعْدَ تَمَايُلِ
فَقَبْلَكَ مَا أَعْطَى ٱلْهُنَيْدَةَ جِلَّةً ... عَلَى ٱلشِّعْرِ كَعْبًا مِنْ سَدِيسٍ وَبَازِلِ
فَكُلُّ ٱلَّذِي عَدَّدْتُ يَكْفِيكَ بَعْضُهُ ... وَنَيْلُكَ خَيْرٌ مِنْ بُحُورٍ سَوَائِلِ

١٦٧ أخبر عليُّ بن سليمان الأخفش قال: كان الرشيد قد أخذ صالح بن عبد القدّوس وعليّ بن الخليل في الزندقة وكان عليّ بن الخليل استأذن أبا نُواس في الشعر فأنشده عليّ بن الخليل قصيدةً منها:

خَيْرُ ٱلْـبَرِيَّةِ أَنْتَ كُلِّهِمِ ... فِي يَوْمِكَ ٱلْغَادِي وَفِي أَمْسِ
وَكَذَاكَ لَنْ تَنْفَـكَّ خَيْرَهُمُ ... تُمْسِي وَتُصْبِحُ فَوْقَ مَا تُمْسِي
لِلّٰهِ مَا هَارُونُ مِنْ مَلِكٍ ... بَرِّ ٱلسَّرِيرَةِ طَاهِرِ ٱلنَّفْسِ
مَلِكٌ عَلَيْـهِ لِرَبِّهِ نِعَـمٌ ... تَزْدَادُ جِدَّتُهَـا عَلَى ٱللُّبْسِ
تَحْكِي خِلَافَتُهُ بَهْجَتَهَـا ... أُنُقَ ٱلسُّرُورِ صَبِيحَـةَ ٱلْعُرْسِ
مِنْ عِتْرَةٍ طَابَتْ أَرُومَتُهَـا ... أَهْلِ ٱلْعَفَافِ وَمُنْتَهَى ٱلْقُدْسِ
نُطُقٍ إِذَا ٱحْتُضِرَتْ مَجَالِسُهُمْ ... وَعَنِ ٱلسَّفَاهَةِ وَٱلْخَنَا خُرْسِ
إِنِّي إِلَيْكَ لَجَأْتُ مِنْ هَرَبٍ ... قَدْ كَانَ شَرَّدَنِي وَمِنْ لَبْسِ
وَٱخْتَرْتُ حِلْمَكَ لَا أُجَاوِزُهُ ... حَتَّى أُوَسَّدَ فِي ثَرَى رَمْسِي
لَمَّا ٱسْتَخَرْتُ ٱللّٰهَ فِي مَهَلٍ ... يَمَّمْتُ نَحْوَكَ رِحْلَـةَ ٱلْعَنْسِ
كَمْ قَدْ قَطَعْتُ إِلَيْكَ مُدَّرِعًا ... لَيْلًا بَهِيمَ ٱللَّوْنِ كَٱلنِّقْسِ
إِنْ هَاجَنِي مِنْ هَاجِسٍ جَزَعٌ ... كَانَ ٱلتَّوَكُّلُ عِنْدَهُ تُرْسِي

فأطلقهُ الرشيد وقتل صالح بن عبد القدّوس واحتجّ عليه في أنهُ لا يقبل لهُ توبةً بقولِهِ:

والشيخُ لا يتركُ أخلاقَـهُ ... حتى يُوارى في ثرى رمسِهِ

١٦٨ أخبر محمد بن العبّاس اليزيديّ قال: حدّثني عمّي عبد الله وأخي أحمد قالا: لمّا بلغ المأمون وصار في حدّ الرجال أمرنا الرشيد أن نعمل لهُ خطبةً يقوم بها يوم الجمعة. فعملنا لهُ خطبتهُ المشهورة وكان جهير الصوت حسن اللهجة. فلمّا خطب بها رقّت لهُ قلوب الناس وابكى من سمعهُ. فقال أبو محمد اليزيديّ يمدح المأمون:

لِتَهْنِ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ كَرَامَةٌ ... عَلَيْهِ بِهَا شُكْرُ ٱلْإِلٰهِ وُجُوبُ
بِأَنَّ وَلِيَّ ٱلْعَـهْدِ مَأْمُونَ هَاشِمٍ ... بَدَا فَضْـلُهُ إِذْ قَامَ وَهْوَ خَطِيبُ
وَلَمَّا رَمَاهُ ٱلنَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... بِأَبْصَارِهِمْ وَٱلْعُودُ مِنْـهُ صَلِيبُ

رَمَاهُمْ بِقَوْلٍ أَنْصَتُوا عَجَباً لَهُ ... وَفِي دُونِهِ لِلسَّامِعِينَ عَجِيبُ
وَلَمَّا وَعَتْ آذَانُهُمْ مَا أَتَى بِهِ ... أَنَابَتْ وَرَقَّتْ عِنْدَ ذَاكَ قُلُوبُ
فَأَبْكَى عُيُونَ النَّاسِ أَبْلَغُ وَاعِظٍ ... أَغَرُّ بِطَاحِيٌّ النِّجَارِ نَجِيبُ
مَهِيبٌ عَلَيْهِ لِلْوَقَارِ سَكِينَةٌ ... جَرِيءُ جَنَانٍ لَا أَكَمُّ هَيُوبُ
وَلَا وَاجِبٌ فَوْقَ الْمَنَابِرِ قَلْبُهُ ... إِذَا مَا اعْتَرَى قَلْبَ النَّجِيبِ وَجِيبُ
إِذَا مَا عَلَا الْمَأْمُونُ أَعْوَادَ مِنْبَرٍ ... فَلَيْسَ لَهُ فِي الْعَالَمِينَ ضَرِيبُ
تَصَدَّعَ عَنْهُ النَّاسُ وَهْوَ حَدِيثُهُمْ ... تَحَدَّثَ عَنْهُ نَازِحٌ وَقَرِيبُ
شَبِيهُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَزَامَةً ... إِذَا وَرَدَتْ يَوْماً عَلَيْهِ خُطُوبُ
إِذَا طَابَ أَصْلٌ فِي عُرُوقِ مَنَاجِهِ ... فَأَغْصَانُهُ مِنْ طِيبِهِ سَتَطِيبُ
فَقُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي بِهِ ... يُقَدَّمُ عَبْدُ اللهِ فَهْوَ أَدِيبُ
كَأَنْ لَمْ تَغِبْ عَنْ بَلْدَةٍ كَانَ وَالِياً ... عَلَيْهَا وَلَا التَّدْبِيرُ مِنْكَ يَغِيبُ
تَتَبَّعَ مَا يُرْضِيكَ فِي كُلِّ أَمْرِهِ ... فَسِيرَتُهُ تَشْخَصْ إِلَيْكَ حَبِيبُ
وَرِثْتُمْ بَنِي الْعَبَّاسِ إِرْثَ مُحَمَّدٍ ... فَلَيْسَ لِحَيٍّ فِي التُّرَاثِ نَصِيبُ

فلمَّا وصلت هذه الأبيات الى الرشيد أمر لأبي محمد بخمسين الف درهم ولابنه محمد بن ابي محمد بمثله (الاغاني)

١٤٩ انشد حسين بن الضحاك يوم بُويع بالخلافة للمعتصم

خَيْرُ الْوُفُودِ مُبَشِّرٌ بِخِلَافَةٍ ... خَصَّتْ بِبَهْجَتِهَا أَبَا إِسْحَاقِ
وَافَتْهُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ سَلِيمَةً ... مِنْ كُلِّ مُشْكِلَةٍ وَكُلِّ شِقَاقِ
أَعْطَتْهُ صَفْقَتَهَا الضَّمَائِرُ طَاعَةً ... قَبْلَ الْأَكُفِّ بِأَوْكَدِ الْمِيثَاقِ

سكَنَ ٱلأنامُ إلى إمامِ سلامةٍ   عفِّ ٱلضميرِ مهذَّبِ ٱلأخلاقِ
فحمى رعيّتَهُ ودافعَ دونها   وأجارَ مُملقها مِنَ ٱلإملاقِ
قُلْ لِلأُولى صرفوا ٱلوجوهَ عنِ ٱلهدى   مُتعسِّفينَ تعسُّفَ ٱلمُرّاقِ
إنّي أحذِّرُكُم بوادرَ ضيغمٍ   دَرِبٍ بحطْمِ موائلِ ٱلأعناقِ
مُتأهِّبٍ لا يستفزُّ جنانَهُ   زجلُ ٱلرعودِ ولامعُ ٱلأبراقِ
لَمْ يُبقِ مِن مُتعزِّمينَ توثّبوا   بِالشأمِ غيرَ جماجمٍ أفلاقِ
مِن بينِ مُنجدلٍ تمجُّ عروقُهُ   علقَ ٱلأخادعِ أو أسيرِ وثاقِ
وثنى ٱلخيولَ إلى معاقلِ قيصرٍ   تختالُ بينَ أجرّةٍ ودقاقِ
يحملنَ كلَّ مشمّرٍ متغشّمٍ   ليثٍ هزبرٍ أهرتِ ٱلأشداقِ
حتّى إذا أمَّ ٱلحصونَ منازلًا   وٱلموتُ بينَ ترائبٍ وتراقي
هرَّتْ بطارقُها هريرَ قساورٍ   بُدِهتْ بأكرهِ منظرٍ ومذاقِ
ثُمَّ ٱستكانَتْ للحصارِ ملوكُها   ذُلًّا وناطَ حلوقَها بخناقِ
هربَتْ وأسلمتِ ٱللواءَ عشيّةً   لَمْ يبقَ غيرُ حشاشةِ ٱلأرماقِ

حتى أتمّها فقال لهُ المعتصم: ادنُ مني. فدنا منهُ فملأ فهُ جوهرًا من جوهرٍ كان بين يديهِ. ثمّ أمرهُ بان يُخرجهُ من فيهِ فاخرجهُ وأمر بان يُنظَم ويدفع اليهِ. ويخرج الى الناس وهو في يدهِ ليعلموا موقعهُ من رأيهِ ويعرفوا فعلهُ فكان أحسن ما مُدح بهِ يومئذٍ (الاغاني)

١٥٠ أخبر إبرهيم بن حسن بن سهل قال: كنّا مع الواثق بالقاطول وهو يتصيَّد فصاد صيدًا حسنًا وهو في الزوِّ من الإوزّ والدرّاج وطير الماء وغير ذلك. ثمّ رجع فتغدَّى ودعا بالجلساء والمغنّين وطرب وقال: مَن يُنشد. فقام الحسين بن الضحَّاك فانشده:

سقى ٱللهُ بِٱلقاطولِ مسرحَ طرفِكا   وخصَّ بسقياهُ مناكبَ قصرِكا

حتّى ٱنتهى إلى قولهِ:

تحِنُّ لِلدُّرَّاج في جنباته ... وللغُزِّ آجالٌ قُدِرْنَ بكفّكا
حُتوفًا إذا وجّهتهنّ قواضبًا ... عجالًا إذا أغريتهنّ بزجركا
أبحتَ حمامًا مُصعِدًا ومُصوِّبا ... وما رُمتَ في حاليك مجلس لهوكا
تَصرَّفُ فيه بين ناي ومُسمِع ... ومشمولةٍ من كفّ ظبيٍ لسقيكا
قضيتَ لُباناتٍ وأنت مُخيِّم ... مُريحٌ وإن شطّت مسافة عزمكا
وما نال طيبَ العيش إلّا مُودِّعٌ ... وما طاب عيشٌ نال مجهودَ كدِّكا

فقال الواثق: ما يعدل الراحة ولذّة الدعة شيءٌ. فلمّا انتهى الى قوله:

خُلقتَ أمينَ الله للخلق عصمةً ... وأمنًا فكلٌّ في ذَراك وظلِّكا
وثقتَ بمن سمّاك بالغيب واثقًا ... وثبّتَ بالتأييد أركانَ مُلكِكا
فأعطاك مُعطيك الخلافة شكرَها ... وأسعدَ بالتقوى سريرةَ قلبِكا
وزادك من أعمارنا غيرَ منّةٍ ... عليك بها أضعافَ أضعافِ عُمرِكا
ولا زالت الأقدارُ في كلّ حالةٍ ... عُداةً لمن عاداك سِلمًا لسِلمِكا
إذا كنتُ من جدواك في كلّ نعمةٍ ... فلا كنتُ إن لم أفنِ عُمري بشكركا

فطرب الواثق فضرب الأرض بمخصرةٍ كانت في يده وقال: لله درّك يا حسين ما أقرب قلبك من لسانك. فقال: يا أمير المؤمنين جودك يُنطق المفحَم بالشعر والجاحد بالشكر. فقال له: لن تنصرف إلّا مسرورًا. ثمّ أمر له بخمسين الف درهم.

١٥١ قصيدة ابي بكر بن عمّار في الخليفة المعتضد بالله العبّادي

ملكٌ إذا ازدحم الملوك بموردٍ ... ونحاه لا يردون حتّى يصدرا
أندى على الأكباد من قطر الندى ... وألذّ في الأجفان من سِنة الكرى
قدّاحُ زندِ المجد لا ينفكّ عن ... نار الوغى إلّا إلى نار القِرى

لَا خَلْقَ أَقْرَأُ مِنْ شِفَارِ حُسَامِهِ … إِنْ كُنْتَ شَبَّهْتَ الْمَوَاكِبَ أَسْطُرَا
أَيْقَنْتُ أَنِّي مِنْ ذَرَاهُ بِجَنَّةٍ … لَمَّا سَقَانِي مِنْ نَدَاهُ الْكَوْثَرَا
وَعَلِمْتُ حَقًّا أَنَّ رَبْعِي مُخْصِبٌ … لَمَّا سَأَلْتُ بِهِ الْغَمَامَ الْمُمْطِرَا
مَنْ لَا تُوَازِنُهُ الْجِبَالُ إِذَا احْتَبَى … مَنْ لَا تُسَابِقُهُ الرِّيَاحُ إِذَا جَرَى
مَاضٍ وَصَدْرُ الرُّمْحِ يَكْهَمُ وَالظُّبَى … تَنْبُو وَأَيْدِي الْخَيْلِ تَعْثُرُ فِي الْبُرَى
فَإِذَا الْكَتَائِبُ كَالْكَوَاكِبِ فَوْقَهُمْ … مِنْ لَامِهِمْ مِثْلُ السَّحَابِ كَنَهْوَرَا
مِنْ كُلِّ أَبْيَضَ قَدْ تَقَلَّدَ أَبْيَضًا … عَضْبًا وَأَسْمَرَ قَدْ تَأَبَّطَ أَسْمَرَا
مَلِكٌ يَرُوقُكَ خَلْقُهُ أَوْ خُلْقُهُ … كَالرَّوْضِ يَحْسُنُ مَنْظَرًا أَوْ مَخْبَرَا
أَقْسَمْتُ بِاسْمِ الْفَضْلِ حَتَّى شِمْتُهُ … فَرَأَيْتُهُ فِي بُرْدَتَيْهِ مُصَوَّرَا
وَجَهِلْتُ مَعْنَى الْجُودِ حَتَّى زُرْتُهُ … فَقَرَأْتُهُ فِي رَاحَتَيْهِ مُفَسَّرَا
فَاحَ الثَّرَى مُتَعَطِّرًا بِثَنَائِهِ … حَتَّى حَسِبْنَا كُلَّ تُرْبٍ عَنْبَرَا
وَتَتَوَّجَتْ بِالزَّهْرِ صُلْعُ هِضَابِهِ … حَتَّى ظَنَنَّا كُلَّ هَضْبٍ قَيْصَرَا
هَصَرَتْ يَدِي غُصْنَ النَّدَى مِنْ كَفِّهِ … وَجَنَتْ بِهِ رَوْضَ السُّرُورِ مُنَوَّرَا
حَسْبِي عَلَى الصُّنْعِ الَّذِي أَوْلَاهُ أَنْ … أَسْعَى بِجِدٍّ أَوْ أَمُوتَ فَأُعْذَرَا
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي حَازَ الْمُنَى … وَحَبَاهُ مِنْهُ بِمِثْلِ حَمْدِي أَنْوَرَا
السَّيْفُ أَفْصَحُ مِنْ زِيَادٍ خُطْبَةً … فِي الْحَرْبِ إِنْ كَانَتْ يَمِينُكَ مِنْبَرَا
مَا زِلْتَ تُغْنِي مَنْ عَنَى لَكَ رَاجِيًا … نَيْلًا وَتُفْنِي مَنْ عَتَا وَتَجَبَّرَا
حَتَّى حَلَلْتَ مِنَ الرِّئَاسَةِ مَحْجِرًا … رَحْبًا وَضَمَّتْ مِنْكَ طَرْفًا أَحْوَرَا
شَقِيَتْ بِسَيْفِكَ أُمَّةٌ لَمْ تَعْتَقِدْ … إِلَّا الْيَهُودَ وَإِنْ تَسَمَّتْ بَرْبَرَا

أَثْمَرَتْ رُمْحُكَ مِنْ رُؤُوسِ كُمَاتِهِمْ   لَمَّا رَأَيْتَ ٱلْغُصْنَ يُعْشَقُ مُثْمِرَا
وَصَبَغْتَ دِرْعَكَ مِنْ دِمَاءِ مُلُوكِهِمْ   لَمَّا عَلِمْتَ ٱلْحُسْنَ يَلْبَسُ أَحْمَرَا
نَمَّقْتَهَا وَشْيًا بِذِكْرِكَ مُذْهَبًا   وَفَتَقْتَهَا مِسْكًا بِحَمْدِكَ أَذْفَرَا
مَنْ ذَا يُنَافِحُنِي وَذِكْرُكَ صَنْدَلٌ   أَوْرَدْتُهُ مِنْ نَارِ فِكْرِي مِجْمَرَا
فَلَئِنْ وَجَدْتَ نَسِيمَ حَمْدِي عَاطِرًا   فَلَقَدْ وَجَدْتُ نَسِيمَ بِرِّكَ أَعْطَرَا
وَإِلَيْكَهَا كَٱلرَّوْضِ زَارَتْهُ ٱلصَّبَا   وَحَنَا عَلَيْهِ ٱلنَّوْرُ حَتَّى نَوَّرَا

١٥٢ لمّا عقد المتوكل لوُلاة العهود من وُلده ركب بسُرَّ مَن رأى ركبةً لم يُرَ أحسن منها وركب وُلاة العهود بين يديه والأتراك بين أيديهم الطَّبَرْزينات المحلَّاة بالذهب. ثم نزل في الماء فجلس فيه والجيش معهُ في الجوانحيات وسائر السفن. وجاء حتى نزل في القصر الذي يُقال لهُ العروس وأذن للناس فدخلوا اليه. فلمّا تكاملوا بين يديه مثَل ابرهيم بن العبّاس بين الصفَّين فاستأذن في الإنشاد فأذن لهُ فأنشد:

وَلَمَّا بَدَا جَعْفَرٌ فِي ٱلْخَمِيسِ   بَيْنَ ٱلْمُطَلِّ وَبَيْنَ ٱلْعَرُوسِ
بَدَا لَابِسًا بِهِمَا حُلَّةً   أُزِيلَتْ بِهَا طَالِعَاتُ ٱلنُّحُوسِ
وَلَمَّا بَدَا بَيْنَ أَحْبَابِهِ   وُلَاةِ ٱلْعُهُودِ وَعِزِّ ٱلنُّفُوسِ
غَدَا قَمَرًا بَيْنَ أَقْمَارِهِ   وَشَمْسًا مُكَلَّلَةً بِٱلشُّمُوسِ
لِإِيقَادِ نَارٍ وَإِطْفَائِهَا   وَيَوْمِ أَنِيقٍ وَيَوْمِ عَبُوسِ

ثم أقبل على وُلاة العهود فقال:

أَضْحَتْ عُرَى ٱلْإِسْلَامِ وَهْيَ مَنُوطَةٌ   بِٱلنَّصْرِ وَٱلْإِعْزَازِ وَٱلتَّأْيِيدِ
بِخَلِيفَةٍ مِنْ هَاشِمٍ وَثَلَاثَةٍ   كَنَفُوا ٱلْخِلَافَةَ مِنْ وُلَاةِ عُهُودِ
قَمَرٌ تَوَافَتْ حَوْلَهُ أَقْمَارُهُ   فَحَفَفْنَ مَطْلِعَ سَعْدِهِ بِسُعُودِ
رَفَعَتْهُمُ ٱلْأَيَّامُ وَٱرْتَفَعُوا بِهَا   فَسَمَوْا بِأَكْرَمِ أَنْفُسٍ وَجُدُودِ

فأمر له المتوكل بمائة الف درهم وأمر له ولاة العهود بمثلها

١٥٣ قصيدة البحتريّ في الخليفة المتوكل لما دخل الموصل يوم الفطر

أَللهُ مَكَّنَ لِلْخَلِيفَةِ جَعْفَرٍ مُلْكاً يُحَسِّنُهُ ٱلْخَلِيفَةُ جَعْفَرُ
نُعْمَى مِنَ ٱللهِ ٱصْطَفَاهُ بِفَضْلِهَا وَٱللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ
فَٱسْلَمْ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَزَلْ تُعْطَى ٱلزِّيَادَةَ فِي ٱلْبَقَاءِ وَتُشْكَرُ
عَمَّتْ فَوَاضِلُكَ ٱلْبَرِيَّةَ فَٱلْتَقَى فِيهَا ٱلْمُقِلُّ عَلَى ٱلْغِنَى وَٱلْمُكْثِرُ
بِٱلْبِرِّ صُمْتَ وَأَنْتَ أَفْضَلُ صَائِمٍ وَبِسُنَّةِ ٱللهِ ٱلرَّضِيَّةِ تُفْطِرُ
فَٱنْعَمْ بِيَوْمِ ٱلْفِطْرِ عَيْنًا إِنَّهُ يَوْمٌ أَغَرُّ مِنَ ٱلزَّمَانِ مُشَهَّرُ
أَظْهَرْتَ عِزَّ ٱلْمُلْكِ فِيهِ بِجَحْفَلٍ لَجِبٍ يُحَاطُ ٱلدِّينُ فِيهِ وَيُنْصَرُ
خِلْنَا ٱلْجِبَالَ تَسِيرُ فِيهِ وَقَدْ غَدَتْ عَدَدًا يَسِيرُ بِهَا ٱلْعَدِيدُ ٱلْأَكْثَرُ
فَٱلْخَيْلُ تَصْهَلُ وَٱلْفَوَارِسُ تَدَّعِي وَٱلْبِيضُ تَلْمَعُ وَٱلْأَسِنَّةُ تَزْهَرُ
وَٱلْأَرْضُ خَاشِعَةٌ تَمِيدُ بِثِقْلِهَا وَٱلْجَوُّ مُعْتَكِرُ ٱلْجَوَانِبِ أَغْبَرُ
وَٱلشَّمْسُ مَاتِعَةٌ تَوَقَّدُ فِي ٱلضُّحَى طَوْرًا وَيُطْفِئُهَا ٱلْعَجَاجُ ٱلْأَكْدَرُ
حَتَّى طَلَعْتَ بِضَوْءِ وَجْهِكَ فَٱنْجَلَى ذَاكَ ٱلدُّجَى وَٱنْجَابَ ذَاكَ ٱلْعِثْيَرُ
وَٱفْتَنَّ فِيكَ ٱلنَّاظِرُونَ فَإِصْبَعٌ يُومَا إِلَيْكَ بِهَا وَعَيْنٌ تَنْظُرُ
يَجِدُونَ رُؤْيَتَكَ ٱلَّتِي فَازُوا بِهَا مِنْ أَنْعُمِ ٱللهِ ٱلَّتِي لَا تُكْفَرُ
ذَكَرُوا بِطَلْعَتِكَ ٱلنَّبِيَّ فَهَلَّلُوا لَمَّا طَلَعْتَ مِنَ ٱلصُّفُوفِ وَكَبَّرُوا
حَتَّى ٱنْتَهَيْتَ إِلَى ٱلْمُصَلَّى لَابِسًا نُورَ ٱلْهُدَى يَبْدُو عَلَيْكَ وَيَظْهَرُ
وَمَشَيْتَ مِشْيَةَ خَاشِعٍ مُتَوَاضِعٍ لِلهِ لَا يُزْهَى وَلَا يَتَكَبَّرُ

فَلَوَ انَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّفَ غَيْرَ مَا فِي وُسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ ٱلْمِنْبَرُ
أَبْدَتْ مِنْ فَصْلِ ٱلْخِطَابِ بِحِكْمَةٍ تُنْبِي عَنِ ٱلْحَقِّ ٱلْمُنِيرِ وَتُخْبِرُ
وَوَقَفْتَ فِي بُرْدِ ٱلْخَطِيبِ مُذَكِّرًا بِٱللهِ تُنْذِرُ تَارَةً وَتُبَشِّرُ
صَلَّوْا وَرَاءَكَ آخِذِينَ بِعِصْمَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ وَبِذِمَّةٍ لَا تُخْفَرُ
وَمَوَاعِظٍ شَفَتِ ٱلصُّدُورَ مِنَ ٱلَّذِي يَعْتَادُهَا وَشِفَاؤُهَا مُتَعَذِّرُ
حَتَّى لَقَدْ عَلِمَ ٱلْجَهُولُ وَأَخْلَصَتْ نَفْسُ ٱلْمُرَائِي وَٱهْتَدَى ٱلْمُتَحَيِّرُ
فَأَسْعَدْ بِمَغْفِرَةِ ٱلْإِلٰهِ فَلَمْ يَزَلْ يَهَبُ ٱلذُّنُوبَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ
أَللهُ أَعْطَاكَ ٱلْمَحَبَّةَ فِي ٱلْوَرَى وَحَبَاكَ بِٱلْفَضْلِ ٱلَّذِي لَا يُنْكَرُ
وَلَأَنْتَ أَمْلَأُ لِلْعُيُونِ لَدَيْهِمِ وَأَجَلُّ قَدْرًا فِي ٱلصُّدُورِ وَأَكْبَرُ

١٥٤ من قصيدة لكمال الدين المعروف بابن النبيه في الناصر احمد امير المومنين

إِمَامُ عَدْلٍ لِتَقْوَى ٱللهِ بَاطِنُهُ وَلِلْجَلَالَةِ وَٱلْإِحْسَانِ ظَاهِرُهُ
تَجَسَّدَ ٱلْحَقُّ فِي أَثْنَاءِ بُرْدَتِهِ وَتُوِّجَتْ بِٱسْمِهِ ٱلْعَالِي مَنَابِرُهُ
لَهُ عَلَى سَتْرِ سِرِّ ٱلْغَيْبِ مُطَّلَعٌ فَمَا مَوَارِدُهُ إِلَّا مَصَادِرُهُ
رَاعٍ بِطَرْفٍ حِمَى ٱلْإِيمَانِ سَاهِرُهُ سَاطٍ بِسَيْفٍ أَبَادَ ٱلْجَوْرَ شَاهِرُهُ
فِي صَدْرِهِ ٱلْبَحْرُ أَوْ فِي بَطْنِ رَاحَتِهِ كِلَاهُمَا يَغْمُرُ ٱلسُّؤَّالَ زَاخِرُهُ
مُحَجَّبٌ فِي سُجُوفِ ٱلْعِزِّ لَوْ فُرِجَتْ عَنْ نُورِ وَجْهٍ يُبَاهِي ٱلصُّبْحَ بَاهِرُهُ
نَضَاهُ سَيْفًا عَلَى أَعْدَاءِ دَوْلَتِهِ مَا كُلُّ سَيْفٍ لَهُ تُثْنَى خَنَاصِرُهُ
فَضْلُ ٱصْطِفَاءٍ أَتَى مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ يَغْنَى بِهِ عَنْ أَخٍ بَرٍّ يُؤَازِرُهُ
تَهَنَّ نُعْمَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَدُمْ يَا أَيُّهَا ٱلْأَشْرَفُ ٱلْمَيْمُونُ طَائِرُهُ

بِحَدِّ سَيْفِكَ آيَاتُ ٱلْعِصِيِّ نُسِخَتْ إِذَا تَفَرْعَنَ يَوْمَ ٱلرَّوْعِ كَافِرُهُ
سَلِ ٱلْكُلَى وَٱلطُّلَى يَا مَنْ يُسَاجِلُهُ فَٱلرُّمْحُ نَاظِمُهُ وَٱلسَّيْفُ نَاثِرُهُ
تَنَجَّسَتْ بِدَمِ ٱلْقَتْلَى صَوَارِمُهُ وَطُهِّرَتْ بِيَدِ ٱلتَّقْوَى مَآزِرُهُ
جَمُّ ٱلنَّوَالِ سَرِيعُ ٱلْبَطْشِ مُتَّئِدٌ كَالدَّهْرِ يُرْجَى كَمَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ
إِذَا حَبَا أَغْنَتِ ٱلْأَيْدِي مَوَاهِبُهُ وَإِنْ سَطَا سَدَّتِ ٱلدُّنْيَا عَسَاكِرُهُ
أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ لِمَنْ عَادَاهُ مِنْ يَدِهِ وَٱلْوَحْشُ وَٱلطَّيْرُ أَتْبَاعٌ تُسَايِرُهُ
إِنْ يَصْعَدِ ٱلْجَوَّ نَاشَتْهُ خَوَاطِفُهُ أَوْ يَهْبِطِ ٱلْأَرْضَ غَالَتْهُ كَوَاسِرُهُ
يَا جَامِعًا بِٱلْعَطَايَا شَمْلَ عِتْرَتِهِ كَٱلْقُطْبِ لَوْلَاهُ مَا صَحَّتْ دَوَائِرُهُ
إِنْ جَادَ شِعْرِي فَهٰذَا ٱلْفَضْلُ عَلَّمَنِي مَنْ غَاصَ فِي ٱلْبَحْرِ جَاءَتْهُ جَوَاهِرُهُ

١٥٥ وقال ايضاً يمدح السلطان موسى الاشرف

يَسْتَوْجِبُ ٱلنَّصْرَ مَنْ صَحَّتْ عَزَائِمُهُ وَيَقْتَنِي ٱلشُّكْرَ مَنْ عَمَّتْ مَكَارِمُهُ
بِٱلْمَالِ وَٱلنَّفْسِ نَالَ ٱلْمَجْدَ طَالِبُهُ إِنَّ ٱلْعَظِيمَ لِمَنْ هَانَتْ عَظَائِمُهُ
فِي كُلِّ دَوْرٍ لِهٰذَا ٱلدِّينِ مُنْتَظَرٌ يَشِيدُهُ بَعْدَ مَا تَخْفَى مَعَالِمُهُ
فَٱلْيَوْمَ كُلُّ إِمَامِيٍّ يُوَافِقُنَا بِأَنَّ شَاهَ أَرْمَنَ ٱلْمَهْدِيَّ قَائِمُهُ
مَنْ يَمْلَأُ ٱلْأَرْضَ عَدْلًا بَعْدَ مَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَكَشَّفُ غَمَّاهَا صَوَارِمُهُ
يَا يَوْمَ دِمْيَاطَ مَا أَبْقَيْتَ مِنْ شَرَفٍ لِمَنْ تَقَدَّمَ إِلَّا أَنْتَ هَادِمُهُ
رَأَتْ بَنُو ٱلْأَصْفَرِ ٱلْأَعْلَامَ طَالِعَةً وَٱلنَّقْعُ يُرْمِدُ عَيْنَ ٱلشَّمْسِ فَاحِمُهُ
وَٱلْجَيْشُ يَلْتَفُّ مِرْطَاهُ عَلَى مَلِكٍ كَٱللَّيْثِ تَزْأَرُ حَوْلَيْهِ ضَرَاغِمُهُ
وَٱلْجَوُّ يَبْكِي سِهَامًا كُلَّمَا ضَحِكَتْ عَنْ كُلِّ بَرْقٍ يَمَانِيٍّ غَمَائِمُهُ

وَكُلُّ طِرْفٍ إِذَا طَالَ ٱلطِّرَادُ بِهِ ... يَطِيرُ مِنْ حِدَّةٍ لَوْلَا شَكَائِمُهُ
وَدُونَ دِمْيَاطَ بَحْرٌ حَالَ بَيْنَهُمُ ... مِنَ ٱلظُّبَا لَيْسَ يَنْجُو مِنْهُ عَائِمُهُ
ذَلُّوا لِمَلْكٍ أَعَانَ ٱللهُ صَاحِبَهُ ... مُوسَى سُلَيْمَانُهُ وَٱلسَّيْفُ خَاتِمُهُ
وَسَلَّمُوهَا وَرَدُّوا أَهْلَهَا وَمَضَوْا ... وَٱلثَّغْرُ مِنْ فَرَحٍ يَفْتَرُّ بَاسِمُهُ
كَأَنَّهُمْ أَبْصَرُوا مَا قَدْ مَضَى زَمَنًا ... كَمَا يَرَى مُزْعِجَ ٱلْأَحْلَامِ نَائِمُهُ
أَشْبَهْتَ جَدَّكَ إِبْرٰهِيمَ وَٱتَّفَقَتْ ... عَلَى عَزَائِمِكَ ٱلْعُلْيَا عَزَائِمُهُ
قُلْ لِلْكُمَاةِ وَسَرَّتْهُ سَلَامَتُهُ ... هٰذَا هُوَ ٱلْمَوْتُ فَٱحْذَرْ أَنْ تُلَائِمَهُ
عَادُوا بِحُزْنٍ إِلَى أَوْطَانِهِمْ وَمَضَوْا ... وَكُلُّ بَيْتٍ وَقَاهُمْ فِيهِ مَأْتَمُهُ
تَبْكِي ٱلنِّسَاءُ عَلَى أَسْرَى مُلُوكِهِمِ ... وَذَاكَ أَمْرٌ قَضَى بِٱلْعَدْلِ حَاكِمُهُ
يَا بَاذِلًا فِي سَبِيلِ ٱللهِ مُهْجَتَهُ ... لِلّٰهِ لَا لِلَّذِي جَادَتْ مَعَالِمُهُ
لَوْلَاكَ زُلْزِلَ دِينُ ٱلْمُصْطَفَى وَوَهَى ... وَأَصْبَحَ ٱلْبَيْتُ قَدْ حَلَّتْ مَحَارِمُهُ
أَقُولُ لِلْحَاسِدِ ٱلْمَحْزُونِ ذَا مَلِكٌ ... وَٱلنَّجْمُ وَٱلْفَلَكُ ٱلدَّوَّارُ خَادِمُهُ
هٰذَا ٱخْتِصَاصٌ إِلٰهِيٌّ وَمَرْتَبَةٌ ... مَا فِي ٱلْمُلُوكِ عَلَيْهَا مَنْ يُزَاحِمُهُ
لَا فَارَقَتْ أَلْسُنَ ٱلْمُدَّاحِ دَوْلَتُهُ ... فَأَحْسَنُ ٱلرَّوْضِ مَا غَنَّتْ حَمَائِمُهُ

١٥٦ وله فيه ايضاً

حَظِّي مِنَ ٱلزَّمَنِ ٱلْقَلِيلُ وَهٰذِهِ ... نَفَثَاتُ فِيَّ وَهٰذِهِ كَلِمَاتِي
أَشْكُو إِلَى شَاهِ أَرْمَنَ مُوسَى ٱلْمَلِـ ... ـكِ ٱلْأَشْرَفِ ٱلسَّبَّاقِ لِلْغَايَاتِ
مَلِكٌ إِذَا ٱعْتَكَرَ ٱلْعَجَاجُ رَأَيْتَهُ ... طَلْقَ ٱلْمُحَيَّا وَاضِحَ ٱلْقَسَمَاتِ
لَوْ كَانَ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ كَانَ جَبِينُهُ ... أَوْلَى مِنَ ٱلتَّشْبِيهِ بِٱلْمِشْكَاةِ

جَرَّارُ أَذْيَالِ ٱلْجُيُوشِ يَحُفُّهَا   طَيْرُ ٱلسَّمَاءِ وَكَاسِرُ ٱلْفَلَوَاتِ

ضَمِنَتْ لَهَا عَادَاتُ نَصْرِ ٱللهِ أَنْ   تَجْرِي جَرَايَتُهَا عَلَى ٱلْعَادَاتِ

أُسْدٌ بَرَاثِنُهَا ٱلنِّصَالُ تَقَحَّمَتْ   أَجَمَ ٱلْوَشِيجِ فَهُنَّ فِي غَابَاتِ

طَلَعَتْ مِنَ ٱلْخُوذِ ٱلْحَدِيدِ وُجُوهُهُمْ   فَكَأَنَّهَا ٱلْأَقْمَارُ فِي ٱلْهَالَاتِ

وَٱسْتَلْأَمَتْ حَلَقَ ٱلدُّرُوعِ عَلَيْهِمِ   فَكَأَنَّهَا لُجَجٌ عَلَى هَضَبَاتِ

يَرْمِي بِهَا سُبُلَ ٱلْمَهَالِكِ مَاجِدٌ   كَمْ خَاضَ دُونَ ٱلْمَوْتِ فِي غَمَرَاتِ

كَمْ رَكْعَةٍ لِقَنَاهُ فِي ثُغَرِ ٱلْعِدَى   وَلِسَيْفِهِ فِي ٱلْهَامِ مِنْ سَجَدَاتِ

سُمْرٌ ذَوَابِلُ لَا يُبَلُّ غَلِيلُهَا   إِلَّا إِذَا سُقِيَتْ دَمَ ٱلْمُهُجَاتِ

يُلْهِي مَسَامِعَهُ ٱلصَّلِيلُ وَأَيْنَ مِنْ   طَبْعِ ٱلْقُيُونِ تَطَبُّعُ ٱلْقَيْنَاتِ

ظِلُّ ٱلْبُنُودِ مَقِيلُهُ وَمِهَادُهُ   جُرْدٌ تَطِيرُ بِهِ إِلَى ٱلْغَايَاتِ

دُهْمٌ تُخَيِّرُهَا ٱلصَّبَاحُ عَلَى ٱلدُّجَى   فَغَدَا وَمَطْلِعُهُ مِنَ ٱلْجَبَهَاتِ

حُمْرٌ تُرِبَتْ بَيْنَ مُشْتَجَرِ ٱلْقَنَا   لَا بُدَّ دُونَ ٱلْوَرْدِ مِنْ شَوْكَاتِ

شُهْبٌ بِهَا قُذِفَتْ شَيَاطِينُ ٱلْعِدَى   فَجَرَتْ كَجَرْيِ ٱلشُّهْبِ مُشْتَعِلَاتِ

هٰذَا ٱلَّذِي أَرْضَى ٱلْعِبَادَ وَرَبَّهُمْ   بِغَرَائِبِ ٱلْإِحْسَانِ وَٱلْحَسَنَاتِ

هٰذَا ٱلَّذِي ٱسْتَغْنَى عَنِ ٱلْوُزَرَاءِ فِي   تَدْبِيرِ عَقْدِ ٱلرَّأْيِ وَٱلرَّايَاتِ

سُبْحَانَ مَنْ جَمَعَ ٱلْمَكَارِمَ عِنْدَهُ   وَقَضَى عَلَى أَمْوَالِهِ بِشَتَاتِ

١٥٧ وقال ايضاً يمدحهُ

قَدْ مَسَّنِي ٱلضُّرُّ وَمَا لِي سِوَى   مَنْ يَمْنَعُ ٱلْجَارَ وَلَا يُمْنَعُ

أَلْمَلِكُ ٱلْأَشْرَفُ شَاهُ أَرْمَنٍ   مُظَفَّرُ ٱلدِّينِ ٱلْفَتَى ٱلْأَرْوَعُ

إنْ غاضَ ماءُ الرِّزقِ موسى وإنْ شَمْسِي تَغرُبْ إنَّهُ يُوشَعُ
لَهُ يَدٌ ظاهِرُها كَعْبَةٌ وفي النَّدى باطِنُها مَشْرَعُ
بَيضاءُ في السِّلْمِ ولكنَّها حَمراءُ إذْ سِنُّ القَنا يَقْرَعُ
إذا دَجا النَّقْعُ وصَلَّتْ بِهِ بِيضٌ سُجودٌ وقَنًا رُكَّعُ
سَلَّ حُساماً وامْتطى أشْقَراً فأيُّ بَرْقَيْهِ بِهِ أسْرَعُ
طِرْفٌ مِنَ الصُّبْحِ لَهُ غُرَّةٌ ومِنْ رِياحٍ أرْبَعٍ أرْبَعُ
في جَحْفَلٍ يُحْمَدُ يومَ الوَغى في جَمْعِهِ تَفريقُ ما يَجْمَعُ
بَحْرُ حَديدٍ مَوْجُ أبْطالِهِ تُزْبِدُ بِيضاً وقَناً يَلْمَعُ
مَلْكٌ لَهُ الأمْلاكُ مِنْ رَهْبَةٍ ورَغْبَةٍ أعْناقُها خُضَّعُ
يُخيفُها السَّطْوةُ مِنْ بأسِهِ لكِنَّها في جُودِهِ تَطْمَعُ
لا تَرْتَضِي هِمَّتُهُ غايَةً مِنْ رُتَبِ المَجْدِ ولا تَقْنَعُ
مُبْتَكِرٌ لِلْمَجْدِ مُدّاحُهُ تَبْتَكِرُ المَدْحَ الَّذي يَصْنَعُ
تَنَزَّهَتْ أفْعالُهُ فَهْوَ عَنْ ما تَمْدَحُ النَّاسُ بِهِ أرْفَعُ
يا ابْنَ الَّذي لَوْ كادَهُ تُبَّعٌ لَكانَ كالعَبْدِ لَهُ يَتْبَعُ
كَفاهُ فَخْراً أنْ تَكونَ ابْنَهُ وأنْتَ في أوْلادِهِ إنْ دُعوا
بَقيتَ لِلإسْلامِ ما غَرَّدَتْ قُمْرِيَّةٌ في دَوْحِها تَسْجَعُ

١٥٨ وقال يمدحه ويستعطفه

اللهُ أبْدى البَدْرَ مِنْ أزْرارِهِ والشَّمْسَ مِنْ قَسَماتِ موسى أطْلَعا
الأشْرَفُ المَلِكُ الَّذي سادَ الوَرى كَهْلاً ومُكْتَمِلَ الشَّبابِ ومُرْضَعا

رُدَّتْ بِهِ شَمْسُ ٱلسَّمَاحِ عَلَى ٱلْوَرَى فَٱسْتَبْشَرُوا وَرَأَوْا بِمُوسَى يُوشَعَا
سَهْلٌ إِذَا لَمَسَ ٱلصَّفَا سَالَ ٱلنَّدَى صَعْبٌ إِذَا لَحَظَ ٱلْأَصَمَّ تَصَدَّعَا
دَانٍ وَلٰكِنْ مِنْ سُؤَالِ عُفَاتِهِ سَامٍ عَلَى سَمْكِ ٱلسَّمَاءِ تَرَفُّعَا
يَا بَرْقُ هٰذَا مِنْكَ أَصْدَقُ شِيمَةً يَا غَيْثُ هٰذَا مِنْكَ أَحْسَنُ مَوْقِعَا
يَا رَوْضُ هٰذَا مِنْكَ أَبْهَجُ مَنْظَرًا يَا بَحْرُ هٰذَا مِنْكَ أَعْذَبُ مَشْرَعَا
يَا سَهْمُ هٰذَا مِنْكَ أَصْوَبُ مَقْصِدًا يَا سَيْفُ هٰذَا مِنْكَ أَسْرَعُ مَقْطَعَا
يَا صُبْحُ هٰذَا مِنْكَ أَسْفَرُ غُرَّةً يَا نَجْمُ هٰذَا مِنْكَ أَهْدَى مَطْلَعَا
حَلَتْ أَنَامِلُهُ ٱلسُّيُوفَ فَلَمْ تَزَلْ شُكْرًا لِذٰلِكَ سُجَّدًا أَوْ رُكَّعَا
حَلَّتْ فَلَا بَرِحَتْ مَكَانًا لَمْ يَزَلْ مِنْ دُرِّ أَفْوَاهِ ٱلْمُلُوكِ مُرَصَّعَا
أَمُظَفَّرَ ٱلدِّينِ ٱسْتَمِعْ قَوْلِي وَقُلْ لِعِثَارِ عَبْدٍ أَنْتَ مَالِكُهُ لَعَا
أَيَضِيقُ بِي حَرَمُ ٱصْطِنَاعِكَ بَعْدَمَا قَدْ كَانَ مُنْفَرِجًا عَلَيَّ مُوَسَّعَا
وَعَلَى كِلَا ٱلْحَالَيْنِ إِنِّي شَاكِرٌ دَاعٍ لِأَنَّ ٱللّٰهَ يَسْمَعُ مَنْ دَعَا

١٥٩ وقال يمدحه وهي من القصائد المرقصة

وَٱللّٰهِ لَوْ قِيسَ بِهِ حَاتِمٌ لَقَلَّ مَا قَدْ قِيلَ فِيهِ وَهَانْ
ذَا يَمْلَأُ ٱلْأَرْضَ بِإِحْسَانِهِ وَذَاكَ يَمْتَنُّ بِمِلْءِ ٱلْجِفَانْ
يَرْوِي ٱلْعُلَى عَنْ نَفْسِهِ عَنْ أَبٍ عَالٍ فَمَا فِي نَصِّهِ عَنْ فُلَانْ
قَدْ نَظَمَ ٱلْمَجْدُ لَهُ نِسْبَةً كَٱلدُّرِّ تَجْلُوهُ وُجُوهُ ٱلْحِسَانْ
طَلْقُ ٱلنَّدَى طَلْقُ ٱلْحَيَا طَلْقُ نَصْـ ـلِ ٱلسَّيْفِ طَلْقُ ٱلْأَمْرِ طَلْقُ ٱللِّسَانْ
يَقُولُ مَنْ يَسْمَعُ أَلْفَاظَهُ هٰذَا جَنِيٌّ يَانِعٌ أَمْ جِنَانْ

لَهُ عَلَى وَقْعِ ٱلظُّبَى هِزَّةٌ إِذَا ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ يَوْمَ ٱلرِّهَانْ
صَالَتْ وَصَلَّتْ فِي رُؤُوسِ ٱلْعِدَى كَأَنَّ فِي ٱلْآذَانِ مِنْهَا أَذَانْ
مَوْلَايَ جُدْ وَٱنْعِمْ وَصِلْ وَٱقْتَدِرْ وَٱفْتِكْ فَمَا تَفْرَحُ أُمُّ ٱلْجَبَانْ
وَٱرْكَبْ جَوَادَ ٱلدَّهْرِ وَٱسْبِقْ إِلَى مَا تَشْتَهِيهِ قَدْ مَلَكْتَ ٱلْعِنَانْ
دُمْتُمْ بَنِي أَيُّوبَ فِي نِعْمَةٍ تَجُوزُ فِي ٱلتَّخْلِيدِ حَدَّ ٱلزَّمَانْ
وَٱللهِ مَا زِلْتُمْ مُلُوكَ ٱلْوَرَى شَرْقًا وَغَرْبًا وَعَلَيَّ ٱلضَّمَانْ

١٦٠ قال ابن عُنَينٍ في الملك العادل وفي اولاده

وَلَهُ ٱلْبَنُونَ بِكُلِّ أَرْضٍ مِنْهُمُ مَلِكٌ يَقُودُ إِلَى ٱلْأَعَادِي عَسْكَرَا
مِنْ كُلِّ وَضَّاحِ ٱلْجَبِينِ تَخَالُهُ بَدْرًا وَإِنْ شَهِدَ ٱلْوَغَى فَغَضَنْفَرَا
مُتَقَدِّمٌ حَتَّى إِذَا ٱلنَّقْعُ ٱنْجَلَى بِٱلْبِيضِ عَنْ سَبْيِ ٱلْحَرِيمِ تَأَخَّرَا
قَوْمٌ زَكَوْا أَصْلًا وَطَابُوا مَحْتِدًا وَتَدَفَّقُوا جُودًا وَرَاقُوا مَنْظَرَا
وَتَعَافُ خَيْلُهُمُ ٱلْوُرُودَ بِمَنْهَلٍ مَا لَمْ يَكُنْ بِدَمِ ٱلْوَقَائِعِ أَحْمَرَا
يَعْشُو إِلَى نَارِ ٱلْوَغَى شَغَفًا بِهَا وَيَجِلُّ أَنْ يَعْشُو إِلَى نَارِ ٱلْقِرَى
أَلْعَادِلُ ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي أَسْمَاؤُهُ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ تُشَرِّفُ مِنْبَرَا
وَبِكُلِّ أَرْضٍ جَنَّةٌ مِنْ عَدْلِهِ ٱلصَّافِي أَسَالَ نَدَاهُ فِيهَا كَوْثَرَا
عَدْلٌ يَبِيتُ ٱلذِّئْبُ مِنْهُ عَلَى ٱلطَّوَى غَرْثَانَ وَهْوَ يَرَى ٱلْغَزَالَ ٱلْأَعْفَرَا
مَا فِي أَبِي بَكْرٍ لِمُعْتَقِدِ ٱلْهُدَى شَكٌّ مُرِيبٌ أَنَّهُ خَيْرُ ٱلْوَرَى
سَيْفٌ صِقَالُ ٱلْمَجْدِ أَخْلَصَ مَتْنَهُ وَأَبَانَ طِيبُ ٱلْأَصْلِ مِنْهُ ٱلْجَوْهَرَا
مَا مَدْحُهُ بِٱلْمُسْتَعَارِ لَهُ وَلَا آيَاتُ سُؤْدُدِهِ حَدِيثٌ يُفْتَرَى

بَيْنَ ٱلْمُلُوكِ ٱلْغَابِرِينَ وَبَيْنَهُ ... فِي ٱلْفَضْلِ مَا بَيْنَ ٱلثُّرَيَّا وَٱلثَّرَى
نَسَخَتْ خَلَائِقُهُ ٱلْحَمِيدَةُ مَا أَتَى ... فِي ٱلْكُتْبِ عَنْ كِسْرَى ٱلْمُلُوكِ وَقَيْصَرَا
مَلِكٌ إِذَا خَفَّتْ حُلُومُ ذَوِي ٱلنُّهَى ... فِي ٱلرَّوْعِ زَادَ رَصَانَةً وَتَوَقُّرَا
ثَبْتُ ٱلْجَنَانِ تُرَاعُ مِنْ وَثَبَاتِهِ ... وَثَبَاتِهِ يَوْمَ ٱلْوَغَى أُسْدُ ٱلشَّرَى
يَقِظٌ يَكَادُ يَقُولُ عَمَّا فِي غَدٍ ... بَبَدِيهَةٍ أَغْنَتْهُ أَنْ يَتَفَكَّرَا
حِلْمٌ تَخِفُّ لَهُ ٱلْحُلُومُ وَرَاءَهُ ... رَأْيٌ وَعَزْمٌ يَحْقِرُ ٱلْإِسْكَنْدَرَا
يَعْفُو عَنِ ٱلذَّنْبِ ٱلْعَظِيمِ تَكَرُّمًا ... وَيَصُدُّ عَنْ قَوْلِ ٱلْخَنَا مُتَكَبِّرَا
لَا تَسْمَعَنَّ حَدِيثَ مَلْكٍ غَيْرِهِ ... يُرْوَى فَكُلُّ ٱلصَّيْدِ فِي جَوْفِ ٱلْفَرَا

١٦١ قال الصاحب جمال الدين يحيي بن مطروح يمدح المستنصر بالله

لَا دَرَّ دَرِّي إِنْ وَنَتْ بِي هِمَّةٌ ... عَنْ قَصْدِ دَارٍ ظِلُّهَا لَا يَبْرَحُ
بَغْدَادُ أَيَّتُهَا ٱلْمُذَاكِي إِنَّهَا ... أَنْجَى وَأَنْجَعُ لِلشُّؤُونِ وَأَنْجَحُ
خَبَبًا وَتَقْرِيبًا وَإِنْضَاءً فَبِي ... شَوْقٌ إِلَى ذَاكَ ٱلْجَنَابِ مُبَرِّحُ
هٰذَا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي لَا يُبْتَغَى ... لِسِوَاكَ وَٱلشَّرَفُ ٱلَّذِي لَا يُرْجَحُ
مُسْتَنْصِرًا بِٱللهِ يُمْسِي دَائِبًا ... فِيمَا يَعِزُّ بِهِ لَدَيْهِ وَيُصْبِحُ
تَعْرُو ٱلْمَنَابِرَ حِينَ يُذْكَرُ هَيْبَةٌ ... حَتَّى ٱلْجَمَادُ لِذِكْرِهِ يَتَرَنَّحُ
تُغْشَى ٱلنَّوَاظِرُ إِنْ بَدَتْ أَنْوَارُهُ ... فَٱلطَّرْفُ يَطْرِفُ وَٱلْجَوَانِحُ تَجْنَحُ
يَعْفُو وَيَصْفَحُ قَادِرًا عَمَّنْ جَنَى ... عَمَلًا بِقَوْلِ ٱللهِ فَٱعْفُوا وَٱصْفَحُوا
مَنْ مُبْلِغٌ قَوْمًا بِمِصْرَ تَرَكْتُهُمْ ... فِرَقًا وَأَعْيُنُهُمْ لِعَوْدِي تَطْمَحُ
مَا نِلْتُ مِنْ شَرَفٍ وَمَجْدٍ بَاذِخٍ ... وَغَدَا بِنَا فَوْقَ ٱلْكَوَاكِبِ مَطْرَحُ

فبذلك الشرف الذي أوتيته ... وبحسن منقلبي إذا فليفرحوا
إني لأربح متجرا من معشر ... أضحت بضائعهم تذال وتطرح
جلبوا الذي يفنى وينفد عاجلا ... وجلبت ما يبقى فمن هو أربح
الله حسبك يا ابن عم محمد ... فلسمط مدحك ذي اللآلي تصلح
لا ثل عرش خلافة مذ حطتها ... قرأت على أعدائها لن تفلحوا
وقد استقر الملك فوق سريرها ... والعز تحت لوائها لا يبرح
في ظله للائذين فلذ به ... إن كنت تقبل من نصيح ينصح
ما لا رأت عين ولا سمعت به ... أذن ولا أمسى ببال يسنح
إن الخلافة لم تكن إلا لكم ... من آدم وهلم جرا تصلح

١٦٢ وقال يمدح الملك الأشرف مظفر الدين ابا الفتح موسى اخا الملك الكامل

لا شيء يطرب سامعا لحديثه ... إلا الثناء على علاشاه ارمن
الأشرف الملك الكريم المجتبى ... موسى وتمم بالرحيم المحسن
ملك إذا أنفقت عمرك كله ... في نظرة من وجهه لم تغبن
وإذا انتخبت له دعاء صالحا ... لم تلق غير مشارك ومؤمن
يا أيها الملك الذي من فاته ... نظر إليك فما أراه بمؤمن
أفنيت خيلك والصوارم والقنا ... وعداك والأموال ماذا تقتني
أبقت لك الذكر الجميل مخلدا ... شيم لها الأملاك لم تفطن
وشجاعة رجف العراق لذكرها ... وتهامة وبلاد عبد المؤمن
ولى الخوارزمي منها هاربا ... وهلم جرا قلبه لم يسكن

وَدُعَاؤُهُ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ   يَا رَبِّ مِنْ سَطَوَاتِ مُوسَى نَجِّنِي
مَا كَانَ أَشْوَقَنِي لِلَثْمِ بَنَانِهِ   وَلَقَدْ ظَفِرْتُ بِلَثْمِهَا فَلْيَهْنِنِي
وَدَخَلْتُ مِنْ أَبْوَابِهِ فِي جَنَّةٍ   يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِأَنَّنِي
يَا مُكْثِرِي الدَّعْوَى اخْفِضُوا أَصْوَاتَكُمْ   مَا كُلُّ رَافِعِ صَوْتِهِ بِمُؤَذِّنِ
أَنَا مَنْ يُحَدَّثُ عَنْهُ فِي أَقْطَارِهَا   مَنْ كَانَ فِي شَكٍّ بِهِ فَلْيُوقِنِ
هٰذَا مَقَامٌ لَا الْفَرَزْدَقُ مَاهِرٌ   فِيهِ وَلَا نُظَرَاؤُهُ لٰكِنَّنِي
مَلِكُ الْمُلُوكِ إِلَيْكَهَا مِنْ نَاظِمٍ   مُتَرَسِّلٍ مُتَنَوِّعٍ مُتَفَنِّنِ
إِنْ شِئْتَ نَظْمًا فَالَّذِي أَمْلَيْتُهُ   أَوْ شِئْتَ نَثْرًا فَاقْتَرِحْ وَاسْتَحْسِنِ
لَا تَخْدَعَنَّ بِظَاهِرٍ عَنْ بَاطِنٍ   قَدْ يُظْهِرُ الْإِنْسَانُ مَا لَمْ يُبْطِنِ
وَالسَّبْعَةُ الْأَفْلَاكُ مَا حَرَكَاتُهَا   إِلَّا مَخَافَةَ أَنْ تَقُولَ لَهَا اسْكُنِي
عَاشَتْ عِدَاكَ وَلَا أَشَحُّ عَلَيْهِمِ   عُمْيُ النَّوَاظِرِ عَنْكَ خُرْسُ الْأَلْسُنِ

١٦٣ حدَّث العلامة لسان الدين بن الخطيب قال: نظمتُ للسلطان الظافر وأنا بمدينة سلا لمَّا انفصل طالبًا حقَّهُ بالأندلس قصيدةً كان صُنْعُ الله مطابقًا لاستهلالها. ووجهتُ بها إلى رُندة قبل الفتح. ثمَّ لمَّا قدِمتُ أنشدتها بين يديهِ بعد الفتح وفاءً بنذري. وسمَّيتها الفتح الغريب في الفتح القريب:

الْحَقُّ يَعْلُو وَالْأَبَاطِلُ تَسْفُلُ   وَالْحَقُّ عَنْ أَحْكَامِهِ لَا يُسْأَلُ
فَإِذَا اسْتَحَالَتْ حَالَةٌ وَتَبَدَّلَتْ   فَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَبَدَّلُ
وَالْيُسْرُ بَعْدَ الْعُسْرِ مَوْعُودٌ بِهِ   وَالصَّبْرُ بِالْفَرَجِ الْقَرِيبِ مُوَكَّلُ
وَالْمُسْتَعِدُّ بِمَا يُؤَمِّلُ ظَافِرٌ   وَكَفَاكَ شَاهِدُ قَيَّدُوا وَتَوَكَّلُوا
أَمُحَمَّدٌ وَالْحَمْدُ مِنْكَ سَجِيَّةٌ   بِحُلِيِّهَا بَيْنَ الْوَرَى يَتَجَمَّلُ

أمّا سُعُودُكَ فهو دُونَ مُنازِعٍ ... عَقْدٌ بأحكامِ القَضاءِ يُسَجَّلُ
ولكَ السَّجايا الغُرُّ والشِّيَمُ الَّتي ... بغَرِيبِها يَتَمَثَّلُ المُتَمَثِّلُ
ولكَ الوَقارُ إذا تَزَلْزَلَتِ الرُّبى ... وهَفَتْ مِنَ الرَّوْعِ الهِضابُ المُثَّلُ
عَوِّذْ كَمالَكَ ما اسْتَطَعْتَ فإنَّهُ ... قَدْ تَنْقُصُ الأشياءُ مِمّا تَكْمُلُ
إنْ كانَ ماضٍ مِنْ زَمانِكَ قَدْ مَضَى ... بإساءةٍ قَدْ سَرَّكَ المُسْتَقْبَلُ
هٰذا بذاكَ فَشَفَّعِ الثّاني الَّذي ... أرْضاكَ فِيما قَدْ جَناهُ الأوَّلُ
واللهُ قَدْ وَلّاكَ أمْرَ عِبادِهِ ... لَمّا ارْتَضاكَ وِلايَةً لا تُعْزَلُ
وإذا تَعَمَّدَكَ الإلٰهُ بنَصْرِهِ ... وقَضَى لكَ الحُسْنَى فَمَنْ ذا يَخْذُلُ
وظَعَنْتَ عَنْ أوْطانِ مُلْكِكَ راكِبًا ... مَتْنَ العُبابِ فأيُّ صَبْرٍ يَجْمُلُ
والبَحْرُ قَدْ حُنِيَتْ عَلَيْكَ ضُلوعُهُ ... والرِّيحُ تَقْطَعُ للزَّفيرِ وتُرْسِلُ
ولكَ الجَواري المُنْشآتُ قَدِ اغْتَدَتْ ... تَخْتالُ في بُرْدِ الشَّبابِ وتَرْفُلُ
غَرِقَتْ بصَفْحَتِهِ النِّمالُ وأوْشَكَتْ ... تَبْغي النَّجاةَ فأوْثَقَتْها الأرْجُلُ
فالصَّرْحُ مِنْهُ مُمَرَّدٌ والصَّفْحُ مِنْهُ مُوَرَّدٌ والشَّطُّ مِنْهُ مُهَدَّلُ
وبِكُلِّ أزْرَقَ إنْ شَكَتْ ألْحاظُهُ ... مَرَهَ العُيونِ فبالعَجاجَةِ يُكْحَلُ
مُتَأوِّدًا أعْطافُهُ في نَشْوَةٍ ... مِمّا يُعَلُّ مِنَ الدِّماءِ ويُنْهَلُ
عَجَبًا لهُ إنَّ النَّجيعَ بطَرْفِهِ ... رَمَدٌ ولا يَخْفَى عَلَيْهِ مَقْتَلُ
للهِ مَوْقِفُكَ الَّذي وثَباتُهُ ... وثَباتُهُ مَثَلٌ بهِ يُتَمَثَّلُ
والخَيْلُ خَطٌّ والمَجالُ صَحيفَةٌ ... والسُّمْرُ تَنْقُطُ والصَّوارِمُ تَشْكُلُ
والبِيضُ قَدْ كُسِرَتْ حُروفُ جُفونِها ... وعَوامِلُ الأسَلِ المُثَقَّفِ تَعْمَلُ

١٦٤ لابن رشيد يمدح امير المؤمنين عبد المؤمن الكومي

دَرَارِيُّ مِنْ نُورِ ٱلْهُدَى تَتَوَقَّدُ   مَطَالِعُهَا فَوْقَ ٱلْمَجَرَّةِ أَسْعُدُ
وَأَنْهَارُ جُودٍ كُلَّمَا أَمْسَكَ ٱلْحَيَا   يُمِدُّ بِهَا طَامِي ٱلْغَوَارِبِ مُزْبِدُ
وَآسَادُ حَرْبٍ غَابُهَا شَجَرُ ٱلْقَنَا   وَلَا لَبْدُ إِلَّا ٱلْعَجَاجُ ٱلْمُلَبَّدُ
مَسَاعِيرُ فِي ٱلْهَيْجَا مَسَاعِيرُ لِلنَّدَى   بِأَيْدِيهِمِ يَحْمَى ٱلْهَجِيرُ وَيَبْرُدُ
تُشَبُّ بِهِمْ نَارَانِ لِلْحَرْبِ وَٱلْقِرَى   وَيَجْرِي بِهِمْ سَيْلَانِ جَيْشٌ وَعَسْجَدُ
وَيَسْتَمْطِرُونَ ٱلْبَرْقَ وَٱلْبَرْقُ عِنْدَهُمْ   سُيُوفٌ عَلَى أُفْقِ ٱلْعُدَاةِ تُجَرَّدُ
سَلَامٌ عَلَى ٱلْمَهْدِيِّ أَمَّا قَضَاؤُهُ   فَحَتْمٌ وَأَمَّا أَمْرُهُ فَمُؤَكَّدُ
إِمَامُ ٱلْوَرَى عَمَّ ٱلْبَسِيطَةَ عَدْلُهُ   عَلَى حِينِ وَجْهُ ٱلْأَرْضِ بِٱلْجَوْرِ أَرْبَدُ
بَصِيرٌ رَأَى ٱلدُّنْيَا بِعَيْنِ جَلِيَّةٍ   فَلَمْ يُغْنِهِ إِلَّا ٱلْمَقَامُ ٱلْمُمَجَّدُ
وَلَمَّا مَضَى وَٱلْأَمْرُ لِلهِ وَحْدَهُ   وَبُلِّغَ مَأْمُولٌ وَأُنْجِزَ مَوْعِدُ
تَرَدَّى أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِدَاءَهُ   وَقَامَ بِأَمْرِ ٱللهِ وَٱلنَّاسُ هُجَّدُ
بِعَزْمَةِ شَيْحَانِ ٱلْفُؤَادِ مُصَمِّمٍ   يَقُومُ بِهِ أَقْصَى ٱلْوُجُودِ وَيَقْعُدُ
مَشِيئَتُهُ مَا شَاءَهُ ٱللهُ إِنَّهُ   إِذَا هَمَّ فَٱلْحُكْمُ ٱلْإِلٰهِيُّ يُسْعِدُ
كَتَائِبُهُ مَشْفُوعَةٌ بِمَلَائِكٍ   تُرَادُ بِهَا فِي كُلِّ حَالٍ وَتُرْفَدُ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا نِيَّةٌ خَلَصَتْ لَهُ   فَلَيْسَ لَهُ فِيهَا سِوَى ٱللهِ مَقْصِدُ
إِذَا خَطَبَتْ رَايَاتُهُ وَسْطَ مَحْفِلٍ   تَرَى قِمَمَ ٱلْأَعْدَاءِ فِي ٱلتُّرْبِ تَسْجُدُ
وَإِنْ نَطَقَتْ بِٱلْفَصْلِ فِيهِمْ سُيُوفُهُ   أَقَرَّ بِأَمْرِ ٱللهِ مَنْ كَانَ يَجْحَدُ
مُعِيدُ عُلُومِ ٱلدِّينِ بَعْدَ ٱرْتِفَاعِهَا   وَمُبْدِي عُلُومٍ لَمْ تَكُنْ قَبْلُ تُعْهَدُ

جَزَى ٱللهُ عَنْ هٰذَا ٱلْأَنَامِ خَلِيفَةً ... بِهِ شَرِبُوا مَاءَ ٱلْحَيَاةِ فَخُلِّدُوا
وَحَيَّاهُ مَا دَامَتْ مَحَاسِنُ ذِكْرِهِ ... عَلَى مُدْرَجِ ٱلْأَيَّامِ تُتْلَى وَتُنْشَدُ
فَدُمْ لِلْوَرَى غَيْثًا وَعِزًّا وَرَحْمَةً ... فَقُرْبُكَ فِي ٱلدَّارَيْنِ مَنْحٌ وَمَسْعَدُ
وَزَادَتْ بِكَ ٱلْأَعْيَادُ حُسْنًا وَبَهْجَةً ... كَأَنَّكَ لِلْأَعْيَادِ زِيٌّ مُجَدَّدُ
وَلَا زِلْتَ لِلْأَيَّامِ تُبْلِي جَدِيدَهَا ... وَعُمْرُكَ فِي رَيْعَانِهِ لَيْسَ يَنْفَدُ

١٦٥ قال ابن صردر يمدح السلطان ملكشاه

قَدْ رَجَعَ ٱلْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ ... وَأَنْتَ مِنْ كُلِّ ٱلْوَرَى أَوْلَى بِهِ
مَا كُنْتَ إِلَّا ٱلسَّيْفَ سَلَّتْهُ يَدٌ ... ثُمَّ أَعَادَتْهُ إِلَى قِرَابِهِ
هَزَّتْهُ حَتَّى أَبْصَرَتْهُ صَارِمًا ... رَوْنَقُهُ يُغْنِيهِ عَنْ ضِرَابِهِ
أَكْرِمْ بِهَا وِزَارَةً مَا سَلَّمَتْ ... مَا ٱسْتُودِعَتْ إِلَّا إِلَى أَصْحَابِهِ
مَشُوقَةٌ إِلَيْكَ مُذْ فَارَقْتَهَا ... شَوْقَ أَخِي ٱلشَّيْبِ إِلَى شَبَابِهِ
مِثْلُكَ مَحْسُودٌ وَلٰكِنْ مُعْجِزٌ ... أَنْ يُدْرِكَ ٱلْبَارِقُ فِي سَحَابِهِ
حَاوَلَهَا قَوْمٌ وَمَنْ هٰذَا ٱلَّذِي ... يُخْرِجُ لَيْثًا خَادِرًا مِنْ غَابِهِ
يُدْمِي أَبُو ٱلْأَشْبَالِ مَنْ زَاحَمَهُ ... فِي جَيْشِهِ بِظُفْرِهِ وَنَابِهِ
وَهَلْ رَأَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ لَابِسًا ... مَا خَلَعَ ٱلْأَرْقَمُ مِنْ إِهَابِهِ
تَيَقَّنُوا لَمَّا رَأَوْهَا ضَيْعَةً ... أَنْ لَيْسَ لِلْجَوِّ سِوَى عُقَابِهِ
إِنَّ ٱلْهِلَالَ يُرْتَجَى طُلُوعُهُ ... بَعْدَ ٱلسِّرَارِ لَيْلَةَ ٱحْتِجَابِهِ
وَٱلشَّمْسُ لَا يُؤْيَسُ مِنْ طُلُوعِهَا ... وَإِنْ طَوَاهَا ٱللَّيْلُ فِي جِنَابِهِ
مَا أَطْيَبَ ٱلْأَوْطَانَ إِلَّا أَنَّهَا ... لِلْمَرْءِ أَحْلَى أَثَرَ ٱغْتِرَابِهِ

كَمْ عَوْدَةٍ دَلَّتْ عَلَى مَآبِهَا وَالْخُلْدُ لِلْإِنْسَانِ فِي مَآبِهِ
لَوْ قَرُبَ الدُّرُّ عَلَى طَالِبِهِ مَا نَجَحَ الْغَائِصُ فِي طِلَابِهِ
وَلَوْ أَقَامَ لَازِمًا أَصْدَافَهُ لَمْ تَكُنِ التِّيجَانُ فِي حِسَابِهِ
مَا لُؤْلُؤُ الْبَحْرِ وَلَا مَنْ صَانَهُ إِلَّا وَرَاءَ الْهَوْلِ مِنْ عُبَابِهِ

١٦٦ قال أحمد بن ابي القاسم الخلوف في الملك المسعود

وَافْتَرَّ ثَغْرُ الزَّهْرِ بِشْرًا إِذْ رَأَى وَجْهَ الْمَلِيكِ تَحُفُّهُ الْبُشَرَاءُ
سَاسَ الْخِلَافَةَ بِالْمَكَارِمِ وَالْحِجَى إِذْ لَمْ يَسُسْهَا مِثْلَهُ الْخُلَفَاءُ
تَعْلُو السَّمَاءَ ثَلَاثَةٌ مِنْ أَرْضِهِ أَلْفَضْلُ وَالْإِفْضَالُ وَالنَّعْمَاءُ
وَثَلَاثَةٌ تَغْشَاكَ أَنَّى زُرْتَهُ أَلْبِرُّ وَالْإِرْفَادُ وَالسَّرَّاءُ
وَثَلَاثَةٌ قَدْ جُنِّبَتْ أَخْلَاقَهُ أَلْخُلْفُ وَالْآثَامُ وَالشَّحْنَاءُ
وَثَلَاثَةٌ فِي الْعَزْمِ مِنْ أَفْعَالِهِ أَلنَّقْضُ وَالْإِبْرَامُ وَالْآرَاءُ
وَالْمَجْدُ وَهْوَ اثْنَانِ أَحْرَزَ وَاحِدًا أَعْمَامُهُ وَالْآخَرَ الْآبَاءُ
يَقَظَاتُهُ وَاللَّيْلُ مُرْخٍ سَجْفَهُ تَرَكَتْ عُيُونًا مَا لَهَا إِغْفَاءُ
بَحْرٌ لِكَفِّي تَجْرِهِ نَعْمَاؤُهُ بَدْرٌ لِعَيْنِي تَبْدِهِ الْأَضْوَاءُ
لَوْ عَايَنَتْ مِنْهُ السَّحَائِبُ مَا أَرَى حَارَتْ فَلَمْ تَتَبَجَّسِ الْأَنْوَاءُ
وَإِذَا اخْتَفَى عَنْ مُنْكِرِيهِ فَعَاذِرٌ أَنْ لَا تَرَاهُ مُقْلَةٌ عَمْيَاءُ
هٰذِي الْمَآثِرُ لَيْسَ يُنْشِي مِثْلَهَا بَانٍ وَلَمْ يَسْمُو بِهَا النُّظَرَاءُ
تَتَحَيَّرُ الشُّعَرَاءُ فِيهَا إِذْ تَذِلُّ م بِبَحْرِهَا الْكُبَرَاءُ وَالْعُظَمَاءُ
لَمْ يَثْنِ فِي طَلَبٍ أَعِنَّةَ خَيْلِهِ لَمَّا اعْتَرَتْ هَزْوَهَا النُّكَبَاءُ

أَوَمَا سَمِعْتَ بِيَوْمِهِ ٱلْمَشْهُودِ فِي ... مُرَّاطَ إِذْ سَارَتْ بِهِ ٱلْأَنْبَاءُ
مَلِكُ ٱلْعِبَادِ فَأَظْهَرَتْ آرَاؤُهُ ... عَفْواً فَتَمَّمَ فَضْلَهُ ٱلْإِبْدَاءُ
فَضْلٌ أَقَرَّ بِهِ ٱلْعُدَاةُ وَلَمْ أَجِدْ ... كَالْفَضْلِ قَدْ شَهِدَتْ بِهِ ٱلْأَعْدَاءُ
لَا يَعْدَمَنْكَ ٱلسَّائِلُونَ فَإِنَّهُمْ ... فِي ظِلِّ عِزٍّ أَدْرَكُوا مَا شَاءُوا
كُنْ حَيْثُ شِئْتَ أَسِرْ إِلَيْكَ فَإِنَّنِي ... أَهْدَى إِلَيْكَ وَلِمْ وَأَنْتَ ذُكَاءُ
فَنَظَمْتُ فِيكَ بَدِيعَ شِعْرٍ فَاتَ أَنْ ... تَرْقَى إِلَى حُجُرَاتِهِ ٱلشُّعَرَاءُ

١٦٧ وقال ايضاً فيه

مَلِيكٌ تَصَدَّى يَنْصُرُ ٱلْحَقَّ فِي ٱلْوَرَى ... إِذَا عُصْبَةٌ مِنْهُمْ لِظُلْمٍ تَصَدَّتِ
زَعِيمٌ بِهِ أَيْدِي ٱلْمَكَارِمِ أُيِّدَتْ ... وَلَيْثٌ بِهِ كَفُّ ٱلْمَظَالِمِ كُفَّتِ
أَخُو ٱلْبَأْسِ وَٱلنُّعْمَى يُرَجَّى وَيُخْتَشَى ... لِأَيَّامِ سِلْمٍ أَوْ لِأَيَّامِ فِتْنَةِ
رَؤُوفٌ عَلَى ٱلْعَانِي إِذَا ٱلدَّهْرُ خَانَهُ ... صَفُوحٌ عَنِ ٱلْجَانِي إِذَا ٱلرِّجْلُ زَلَّتِ
هَجُومٌ عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... شَفُوقٌ عَلَى ٱلْأَصْحَابِ مِنْ كُلِّ وِجْهَةِ
مُدَبِّرُ أَمْرٍ لَيْسَ يُصْدِرُ رَأْيَهُ ... فَيَقْرَعُ فِي إِصْدَارِهِ سِنَّ غَفْلَةِ
حَلِيفُ نَدًى يَأْوِي إِلَى بَيْتِ سُؤْدُدٍ ... دَعَائِمُهُ مِثْلُ ٱلسِّمَاكِ تَعَلَّتِ
تَرَقَّى مَحَلًّا لَوْ تَرَقَّتْ لِبَابِهِ ... بُدُورُ ٱلدَّيَاجِي رِفْعَةً مَا تَهَدَّتِ
جَوَادٌ يُعِيدُ ٱلْجَدْبَ خِصْباً كَأَنَّمَا ... أَيَادِيهِ بِٱلْغَيْثِ ٱلسَّكُوبِ ٱسْتَهَلَّتِ
وَلَا عَيْبَ فِي نَعْمَائِهِ غَيْرَ أَنَّهَا ... لِسَائِلِهِ قَبْلَ ٱلسُّؤَالِ أُعِدَّتِ
لَهُ هِمَّةٌ فَاقَتْ عَلَى كُلِّ هِمَّةٍ ... بِدَوْلَةِ مَلْكٍ أَخْجَلَتْ كُلَّ دَوْلَةِ
هَنِيئاً لِوَفْدٍ سَائِرِينَ لِبَابِهِ ... لَقَدْ حَمِدُوا ٱلْمَسْرَى بِصُبْحِ ٱلْمَسَرَّةِ

أَمولايَ إِنَّ ٱلقَصدَ آلَ مآلُهُ   إِلَيكَ وَأَيدي ٱلحالِ نَحوكَ مُدَّتِ
فَجُد لِلخَلوفِ ٱلنازِحِ ٱلدارِ بِٱلرِضا   عَلى مُهجَةٍ لِلهُلكِ فيكَ ٱستَعَدَّتِ
فَأَنتَ مَلاذي وَٱعتِمادي وَغايَتي   وَعِزّي وَسُلطاني وَذُخري وَعُمدَتي
وَلا زِلتَ في أَمنٍ وَيُمنٍ وَبَهجَةٍ   وَيُسرٍ وَخَيرٍ وَٱرتِقاءٍ وَعِزَّةٍ
وَجاهٍ وَنَصرٍ وَٱعتِلاءٍ وَسُؤدُدٍ   وَفَخرٍ وَمَجدٍ وَٱقتِدارٍ وَرِفعَةِ

١٦٨ وله فيه ايضاً من قصيدة

مَلِكٌ سَمَت أَخلاقُهُ فَتَرَفَّعَت   عَن رُتبَةِ ٱلأَشباهِ وَٱلأَمثالِ
قَمَرٌ جَلا ظُلَمَ ٱلخُطوبِ ضِياؤُهُ   عَنّا وَبَدرٌ كامِلُ ٱلإِجلالِ
إِن كانَ عالٍ في ٱلخِلافَةِ قَدرُهُ   فَأَبوهُ مِنها في مَحَلٍّ عالِ
ذو هِمَّةٍ رَفَعَت عَوامِلَ نَصبِها   فَقَضَت بِجَزمِ ٱلخَفضِ لِلأَفعالِ
وَعَوامِلٍ حُدَّت لِقَطعِ مَكيدِها   فَهِيَ ٱلقَواضِبُ في مَضاً وَصِقالِ
لا عَيبَ في نُعماهُ إِلّا أَنَّها   تُوفيكَ ما وَعَدَت بِغَيرِ مِطالِ
عَجَباً لَها وَهِيَ ٱلَّتي مَعَ عَدلِها   ظَلّامَةٌ في بَذلِها لِلمالِ
تُولي ٱلعَطايا بِغَيرِ مَنٍّ مُتبَعٍ   وَتُجيبُ راجيها بِغَيرِ سُؤالِ
حَسُنَت مَعاليهِ فَلَيسَ لِلُطفِها   حَدٌّ فَيُعرِبَهُ لِسانُ مَقالِ
هٰذا هُوَ ٱلشَرَفُ ٱلَّذي قَد جَلَّ أَن   تُطرى لَدَيهِ غَرائِبُ ٱلأَمثالِ
مِن مَعشَرٍ هُم في ٱلنَدى سُحُبٌ وَفي   نَقعِ ٱلحُروبِ هُمُ حِمى ٱلأَبطالِ
فَهُمُ هُمُ ٱلآسادُ في يَومِ ٱلوَغى   وَهُمُ هُمُ ٱلأَقيالُ يَومَ سِجالِ
شادوا حِمى ٱلإِسلامِ بِٱلبيضِ ٱلَّتي   مِنها تُهَلُّ سَحائِبُ ٱلآجالِ

أَللهُ أَعْلَى قَدْرَهُمْ وَأَحَلَّهُمْ رُتَبَ ٱلْوَفَا وَٱلْجُودِ وَٱلْإِفْضَالِ
يَا مَالِكًا عَوَّذْتُ طَلْعَتَهُ وَجُو دَ بَنَانِهِ بِٱلشَّمْسِ وَٱلْأَنْفَالِ
قُلْ لِلَّذِي قَدْ رَاحَ يُنْكِرُ أَنَّنِي فِي ٱلنَّظْمِ غَيْرُ مُصَدَّقِ ٱلْأَقْوَالِ
قَامَ ٱلدَّلِيلُ عَلَى ٱفْتِرَاهُ وَقَدْ مَحَا فَلَقُ ٱلْبَيَانِ غَيَاهِبَ ٱلْإِشْكَالِ
فَدَعِ ٱسْتِمَاعَ مَقَالِ حَاسِدِ نِعْمَةٍ يَسْعَى لَعَمْرُ أَبِيكَ سَعْيَ ضَلَالِ
فَهُوَ ٱلْحَسُودُ وَهَلْ سَمِعْتُمْ حَاسِدًا قَدْ سَادَ فِي حَالٍ مِنَ ٱلْأَحْوَالِ
وَهُوَ ٱلْكَذُوبُ تَعَرُّضًا وَخِيَانَةً صَبَّ ٱلْإِلٰهُ عَلَيْهِ صَوْبَ نَكَالِ
وَٱلْبَدْرُ مَا أَبْدَى لِعَيْنِكَ عَاطِلًا إِلَّا لِتَعْلَمَ قَدْرَ قَدْرِ ٱلْحَالِي
فَأَنَا ٱلَّذِي أَوْضَحْتُ غَيْرَ مُدَافِعٍ سُبُلَ ٱلظَّلَامِ لِغَازِلِ ٱلْأَغْزَالِ
وَشُهِرْتُ فِي شَرْقِ ٱلْبِلَادِ وَغَرْبِهَا بِعُلُومِ آدَابِ ٱلْقَرِيضِ ٱلْعَالِي
فَٱحْفَظْ نَفِيسَ عُقُودِ نَظْمِي إِنَّهُ نِعْمَ ٱلنَّفِيسُ وَأَنْتَ نِعْمَ ٱلْكَالِي
وَٱسْتَجْلِ مِنْهُ كُلَّ نَسَمَاتٍ غَدَتْ تَفْتَرُّ عَنْ وَصْفِ ٱلسَّنَاءِ ٱلْعَالِي
وَتَلَقَّهَا بِٱلرَّحْبِ مِنْكَ فَإِنَّمَا قَدْ قَابَلَتْكَ بِأَوْجُهِ ٱلْإِقْبَالِ
لِمْ لَا وَمَدْحُكَ قَدْ كَفَاهَا حُلَّةً فَاقَتْ بِهَا فَخْرًا عَلَى ٱلْأَمْثَالِ
فَلَكَ ٱلسَّلَامَةُ وَٱلْهَنَا مَا أَنْشَدَتْ سَفَرَتْ وُجُوهُ ٱلْحُسْنِ عَنْ تِمْثَالِ

١٦٩ قصيدة خطيب مكة الشيخ محيي الدين الشهاب العُلَيْف في السلطان بايزيد

فَيَا رَاكِبًا يَسْرِي عَلَى ظَهْرِ ضَامِرٍ إِلَى ٱلرُّومِ يُهْدِي نَحْوَهَا طِيبَ ٱلنَّشْرِ
لَكَ ٱلْخَيْرُ إِنْ وَافَيْتَ بُرْسَا فَسِرْ بِهَا رُوَيْدًا لِإِسْطَنْبُولَ سَامِيَةِ ٱلذِّكْرِ
لَدَى مَلِكٍ لَا يَبْلُغُ ٱلْوَصْفُ كُنْهَهُ شَرِيفِ ٱلْمَسَاعِي نَافِذِ ٱلنَّهْيِ وَٱلْأَمْرِ

إلى بايزيد الخير الملك الذي ... حمى بيضة الإسلام بالبيض والسمر
وجرد للدين الحنيفي صارماً ... أباد به جمع الطواغيت والكفر
وجاهدهم في الله حق جهاده ... رجاء بما يبغي من الفوز والأجر
له هيبة ملء الصدور وصولة ... مقسمة بين المخافة والذعر
أطاع له ما بين روم وفارس ... ودان له ما بين بصرى إلى مصر
هو البحر إلا أنه دائم العطا ... وذلك لا يخلو من المد والجزر
هو البدر إلا أنه كامل الضيا ... وذا الحليف النقص في معظم الشهر
هو الغيث إلا أن للغيث مسكة ... وذا لا يزال الدهر ينهل بالقطر
هو السيف إلا أن للسيف نبوة ... وفلا وذا ماضي العزيمة في الأمر
سليل بني عثمان والسادة الألى ... علا مجدهم فوق السماكين والنسر
ملوك كرام الأصل طابت فروعهم ... وهل ينسب الدينار إلا إلى التبر
محوا أثر الأعداء بالسيف فاغتدت ... بهم حوزة الإسلام سامية القدر
فيا ملكاً فاق الملوك مكارماً ... فكل إلى أدنى مكارمه يجري
فدتك ملوك الأرض طراً لأنها ... سرار وأنت البدر في غرة الشهر
تعاليت عنهم رفعة ومكانة ... وذاتاً وأوصافاً تجل عن الحصر
لك العزة القعساء والرتبة التي ... قواعدها تسمو على منكب النسر
سموت علواً إذ دنوت تواضعاً ... وقمت بحق الله في السر والجهر
غدت بك أرض الروم تزهو ملاحة ... وترفل في ثوب الجلالة والفخر
ألست ابن عثمان الذي سار ذكره ... مسير ضياء الشمس في البر والبحر

يمينك تروي عن يسار ونائل ... ووجهك يروي في البشاشة عن بشر
وإني لصوان لدر قلائدي ... عن المدح إلا فيك يا ملك العصر
فقابل رعاك الله شكري بمثله ... فإنك للمعروف من أكرم الذخر
فلا زلت محروس الجناب مؤيدا ... من الله بالتوفيق والعز والنصر

١٧٠ قصيدة الشيخ قطب الدين النهروالي في السلطان سليم خان

لك الحمد يا مولاي في السر والجهر ... على عزة الإسلام والفتح والنصر
كذا فليكن فتح البلاد إذا سعت ... له الهمم العليا إلى أشرف الذكر
جنود رمت في كوكبان خيامها ... وآخرها بالنيل من شاطئي مصر
تجر من الأبطال كل غضنفر ... بصارمه يسطو على مفرق الدهر
عساكر سلطان الزمان مليكنا ... خليفة هذا العصر في البر والبحر
حمى حوزة الدين الحنيفي بالقنا ... وبيض المواضي والمثقفة السمر
له في سرير الملك أصل مؤثل ... تلقاه عن أسلافه السادة الغر
ملوك تساموا للعلا وخلائف ... أولو العزم في أزمانهم وأولو الأمر
شموس بفيض النور تمحو غياهبا ... من الكفر منهم يستمد ضيا البدر
هم ملؤوا عين الزمان وقلبه ... فقرت عيون العالمين من البشر
هم العقد من أغلى اللآلي منظما ... وسلطاننا في الملك واسطة الدر
شهنشاه سلطان الملوك جميعهم ... سليم كريم أصله أطيب النجر
عماد يلوذ المسلمون بظله ... وسد منيع للأنام من الكفر
وحين أتاه أن قد احتل جانب ... من اليمن الأقصى أصر على القهر

وَساقَ لَها جَيشاً خَميساً عَرَمرَماً	يَدُكُّ فِجاجَ الأَرضِ في السَّهلِ وَالوَعرِ
لَهُم أَسَدٌ شاكي السِّلاحِ عَرينُهُ	طِوالُ الرِّماحِ السَّمهَرِيَّةِ وَالبُترِ
وَزيرٌ عَظيمُ الشّانِ ثاقِبُ رَأيِهِ	يُجَهِّزُ في آنٍ جُيوشاً مِنَ الفِكرِ
يَقومُ بِأَعباءِ الوِزارَةِ قَومَةً	يَشُدُّ جُيوشَ الدّينِ بِالأَيدِ وَالأَزرِ
أَيادٍ لَهُ بِالبَأسِ كاسِرَةُ العِدا	وَلَكِنَّها بِالجودِ جابِرَةُ الكَسرِ
بِهِ أَمِنَ اللهُ البِلادَ وَطَمَّنَ الـ	ـعِبادَ وَأَضحى الدّينُ مُنشَرِحَ الصَّدرِ
سِنانٌ عَزيزُ القَدرِ يوسُفُ عَصرِهِ	أَلَم تَرَهُ في مِصرَ أَحكامُهُ تَجري
تَدَلّى إِلى أَقصى البِلادِ بِجَيشِهِ	وَمَهَّدَ مُلكاً قَد تَمَزَّقَ بِالشَّرِّ
وَقَطَّعَ رُؤساً مِن كِبارِ رُؤوسِهِم	لَهُم باطِنُ السِّرحانِ وَالطَّيرِ كَالقَبرِ
وَكانَ عَصا موسى تَلَقَّفُ كُلَّما	بَدا مِن صَنيعِ المُلحِدينَ مِنَ السِّحرِ
وَلا زالَ فيهِم عامِلُ الرُّمحِ عامِلاً	وَلا بَرِحوا في الذُّلِّ بِالقَتلِ وَالأَسرِ
وَما يَمَنٌ إِلّا مَمالِكُ تُبَّعٍ	وَناهيكَ مِن مُلكٍ قَديمٍ وَمِن فَخرِ
وَقَد مَلَكَتها آلُ عُثمانَ إِذ مَضَت	بَنو طاهِرٍ أَهلُ الشَّهامَةِ وَالذِّكرِ
فَهَل يَطمَعُ الزَّيدِيُّ في مُلكِ تُبَّعٍ	وَيَأخُذُهُ مِن آلِ عُثمانَ بِالمَكرِ
أَبى اللهُ وَالإِسلامُ وَالسَّيفُ وَالقَنا	وَسِرُّ أَميرِ المُؤمِنينَ أَبي بَكرِ

الباب التاسع
في الهجو

١٧١ قالَ بعضُ الشعراء في عذول:

وقالوا فلانٌ في الورى لكَ شاتمٌ ... وأنتَ لهُ دونَ الخلائقِ تمدحُ
فقلتُ ذروهُ ما بهِ وطباعهُ ... فكلُّ إناءٍ بالذي فيهِ ينضحُ
إذا الكلبُ لا يؤذيكَ عندَ نبيحهِ ... فذرهُ إلى يومِ القيامةِ ينبحُ

١٧٢ قالَ آخرُ في طبيب:

يا ملكَ الموتِ وابنَ زهرٍ ... جاوزتما الحدَّ والنهايه
ترفقا بالورى قليلاً ... في واحدٍ منكما الكفايه

١٧٣ قالَ غيرهُ في قاضٍ يحبُّ الرشوة:

رأيتُ شاةً وذئباً وهيَ ماسكةٌ ... بأذنهِ وهوَ منقادٌ لها ساري
فقلتُ أعجوبةٌ ثمَّ التفتُّ أرى ... ما بينَ نابيهِ ملقى نصفَ دينارِ
فقلتُ للشاةِ ماذا الإلفُ بينكما ... والذئبُ يسطو بأنيابٍ وأظفارِ
تبسمتْ ثمَّ قالتْ وهيَ ضاحكةٌ ... بالتبرِ يكسرُ ذاكَ الضيغمُ الضاري

١٧٤ قال خفاف بن ندبة يهجو العباس بن مرداس

أرى العباسَ ينقصُ كلَّ يومٍ ... ويزعمُ أنهُ جهلاً يزيدُ
فلو نقصتْ غرائزهُ وبادتْ ... سلامتهُ لكانَ كما يريدُ
ولكنَّ المعائبَ أفسدتهُ ... وكذبُ المرءِ أقبحُ ما يفيدُ

فَأَبشِرْ إِنْ بَقِيتَ بِيَوْمِ سَوْءٍ يَشِيبُ لَهُ مِنَ ٱلْخَوْفِ ٱلْوَلِيدُ
كَيَوْمِكَ إِذْ خَرَجْتَ تَفُوقُ رَكْضًا وَطَارَ ٱلْقَلْبُ وَٱنْتَفَخَ ٱلْوَرِيدُ
وَدَعْ قَوْلَ ٱلسَّفَاهَةِ لَا تَقُلْهُ فَقَدْ طَالَ ٱلتَّهَدُّدُ وَٱلْوَعِيدُ

وَقَالَ: أَعَبَّاسُ إِنَّا وَمَا بَيْنَنَا كَصَدْعِ ٱلزُّجَاجَةِ لَا يُجْبَرُ
فَلَسْتَ بِكُفْءٍ لِأَمْثَالِنَا وَشَتْمُكَ أَنْتَ بِهِ أَجْدَرُ
وَلَسْنَا بِأَهْلٍ لِمَا قُلْتَهُ وَنَحْنُ بِشَتْمِكُمُ نُعْذَرُ
فَقَصْرُكَ مِنِّي رَقِيقُ ٱلذُّبَا بِ عَضْبٌ كَرِيهَتُهُ تُحْذَرُ
وَأَزْرَقُ فِي رَأْسِ خَطِّيَّةٍ إِذَا هُزَّ كُعْبٌ لَهَا تَخْطِرُ
يَلُوحُ ٱلسِّنَانُ عَلَى مَتْنِهَا كَنَارٍ عَلَى مَرْقَبٍ تُسْعَرُ

فأجابهُ العباس

خُفَافُ أَلَمْ تَرَ مَا بَيْنَنَا يَزِيدُ ٱسْتِعَارًا إِذَا يُسْعَرُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّا نُهِينُ ٱلْبِلَا دَ لِلسَّائِلِينَ وَمَا نَغْدِرُ
لَنَا شِيَمٌ غَيْرُ مَجْهُولَةٍ تَوَارَثَهَا ٱلْأَكْبَرُ ٱلْأَكْبَرُ
فَقَدْ يَعْلَمُ ٱلْحَيُّ عِنْدَ ٱلصَّبَا حِ أَنَّ ٱلْعَقِيلَةَ بِي تَسْتُرُ
وَقَدْ يَعْلَمُ ٱلْحَيُّ عِنْدَ ٱلرِّهَا نِ أَنِّي أَنَا ٱلشَّامِخُ ٱلْمُخْطِرُ
فَأَنَّى تُعَيِّرُنِي بِٱلْفَخَارِ أَرَى أَنَّ هٰذَا هُوَ ٱلْمُنْكَرُ

١٧٠ لابي المُصبح اعشى همْدان يهجو مدينة مكران وكان الحجاج أتى بهِ اليها اسيرًا

وَلَمْ تَكُ مِنْ حَاجَتِي مُكْرَانُ وَلَا ٱلْغَزْوُ فِيهَا وَلَا ٱلْمَتْجَرُ
وَخُبِّرْتُ عَنْهَا وَلَمْ آتِهَا فَمَا زِلْتُ مِنْ ذِكْرِهَا أُذْعَرُ

بِأَنَّ ٱلْكَثِيرَ بِهَا جَائِعٌ وَأَنَّ ٱلْقَلِيلَ بِهَا مُقْتِرُ
وَأَنَّ لِحَى ٱلنَّاسِ مِنْ حَرِّهَا تَطُولُ فَتُجْلَمُ أَوْ تُضْفَرُ
وَيَزْعُمُ مَنْ جَاءَهَا قَبْلَنَا بِأَنَّا سَنُنْسَخُ أَوْ نُنْحَرُ
أَعُوذُ بِرَبِّي مِنَ ٱلْمُخْزِيَا تِ فِيمَا أُسِرُّ وَمَا أُجْهِرُ
وَحُدِّثْتُ أَنْ مَا لَنَا رَجْعَةٌ سِنِينَ وَمِنْ بَعْدِهَا أَشْهُرُ
إِلَى ذَاكَ مَا شَابَ أَبْنَاؤُنَا وَبَادَ ٱلْأَخِلَّاءُ وَٱلْمَعْشَرُ
وَمَا كَانَ بِي مِنْ نَشَاطٍ لَهَا وَإِنِّي لَذُو عُدَّةٍ مُوسِرُ
وَلٰكِنْ بُعِثْتُ لَهَا كَارِهًا وَقِيلَ ٱنْطَلِقْ كَالَّذِي يُؤْمَرُ
فَكَانَ ٱلنَّجَاءُ وَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ وَشَرُّهُمُ مُنْكَرُ
هُوَ ٱلسَّيْفُ جُرِّدَ مِنْ غِمْدِهِ فَلَيْسَ عَنِ ٱلسَّيْفِ مُسْتَأْخَرُ
وَكَمْ مِنْ أَخٍ لِي مُسْتَأْنِسٍ يَظَلُّ بِهِ ٱلدَّمْعُ يَسْتَحْسِرُ
يُوَدِّعُنِي أَنْتَحِبُ عَبْرَةً لَهُ كَٱلْجَدَاوِلِ أَوْ أَغْزَرُ
فَلَسْتُ بِلَاقِيهِ مِنْ بَعْدِهَا يَدَ ٱلدَّهْرِ مَا هَبَّتِ ٱلصَّرْصَرُ
وَقَدْ قِيلَ إِنَّكُمُ عَابِرُو نَ بَحْرًا لَهَا لَمْ يَكُنْ يُعْبَرُ
إِلَى ٱلسِّنْدِ وَٱلْهِنْدِ فِي أَرْضِهِمْ هُمُ ٱلْجِنُّ لٰكِنَّهُمْ أَنْكَرُ
وَمَا رَامَ غَزْوًا لَهَا قَبْلَنَا أَكَابِرُ عَادٍ وَلَا حِمْيَرُ
وَلَا رَامَ سَابُورُ غَزْوًا لَهَا وَلَا ٱلشَّيْخُ كِسْرَى وَلَا قَيْصَرُ
وَمِنْ دُونِهَا مَعْبَرٌ وَاسِعٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ لِمَنْ يُؤْجَرُ

هجو طيلسان ابن حرب

١٧٦ كان أحمد بن حرب المهلّبي من المنعمين على الحمدوني الشاعر والمحسنين اليه وله فيه مدائح كثيرة . فوهب له طَيْلسانًا أخضر لم يرضهُ . قال أبو العباس المبرّد : فأنشد فيه عشر مقطعات فاستحلينا مذهبهُ فيه فحملناها فوق الحسين فطارت كلّ مطارٍ وسارت كل مسارٍ فمنها :

يَا ٱبْنَ حَرْبٍ كَسَوْتَنِي طَيْلَسَانًا مَلَّ مِنْ صُحْبَةِ ٱلزَّمَانِ وَصَدَا
فَحَسِبْنَا نَسْجَ ٱلْعَنَاكِبِ قَدْ جِيـ ـلَ إِلَى ضُعْفِ طَيْلَسَانِكَ سَدَا
طَالَ تَرْدَادُهُ إِلَى ٱلرَّفْوِ حَتَّى لَوْ بَعَثْنَاهُ وَحْدَهُ لَتَهَدَّى

وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا :

يَا طَيْلَسَانَ ٱبْنِ حَرْبٍ قَدْ هَمَمْتَ بِأَنْ تُودِي بِجِسْمِي كَمَا أَوْدَى بِكَ ٱلزَّمَنُ
مَا فِيكَ مِنْ مَلْبَسٍ يُغْنِي وَلَا ثَمَنٍ قَدْ أَوْهَنَتْ حِيلَتِي أَرْكَانَكَ ٱلْوُهُنُ
فَلَوْ تَرَانِي لَدَى ٱلرَّفَّاءِ مُرْتَبِطًا كَأَنَّنِي فِي يَدَيْهِ ٱلدَّهْرَ مُرْتَهَنُ
أَقُولُ حِينَ رَآنِي ٱلنَّاسُ أَلْزَمُهُ كَأَنَّمَا لِي فِي حَانُوتِهِ وَطَنُ
مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنَّا أَيْنَ مَنْزِلُنَا فَٱلْأُقْحُوَانَةُ مِنَّا مَنْزِلٌ قَمِنُ

وَقَالَ أَيْضًا :

قُلْ لِٱبْنِ حَرْبٍ طَيْلَسَا نُكَ قَوْمُ نُوحٍ مِنْهُ أَحْدَثْ
أَفْنَى ٱلْقُرُونَ وَلَمْ يَزَلْ عَمَّنْ مَضَى مِنْ قَبْلُ يُورَثْ
وَإِذَا ٱلْعُيُونُ لَحَظْنَهُ فَكَأَنَّهُ بِٱللَّحْظِ يُحْرَثْ
يُودِي إِذَا لَمْ أَرْفُهُ فَإِذَا رَفَوْتُ فَلَيْسَ يَلْبَثْ
كَٱلْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْـ ـهِ ٱلدَّهْرَ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ

وَقَالَ أَيْضًا :

قُلْ لِٱبْنِ حَرْبٍ طَيْلَسَانُكَ قَدْ أَوْهَى قُوَايَ بِكَثْرَةِ ٱلْغُرْمِ
مُتَبَيِّنٌ فِيهِ لِمُبْصِرِهِ آثَارُ رَفْوِ أَوَائِلِ ٱلْأُمَمِ
وَكَأَنَّهُ ٱلْخَمْرُ ٱلَّتِي وُصِفَتْ فِي يَا شَقِيقَ ٱلرُّوحِ مِنْ حَكَمِ
فَإِذَا رَمَمْنَاهُ فَقِيلَ لَنَا قَدْ صَحَّ قَالَ لَهُ ٱلْبِلَى ٱنْهَدِمِ
مِثْلُ ٱلسَّقِيمِ بَرَا فَرَاجَعَهُ نُكْسٌ فَأَسْلَمَهُ إِلَى سَقَمِ
أَنْشَدْتُ حِينَ طَغَى فَأَعْجَزَنِي وَمِنَ ٱلْعَنَاءِ رِيَاضَةُ ٱلْهَرِمِ

وَلَهُ: طَيْلَسَانٌ لِٱبْنِ حَرْبٍ جَاءَنِي خِلْعَةً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرْ
فَإِذَا مَا صِحْتُ فِيهِ صَيْحَةً تَرَكَتْهُ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرْ
وَإِذَا مَا ٱلرِّيحُ هَبَّتْ نَحْوَهُ طَيَّرَتْهُ كَٱلْجَرَادِ ٱلْمُنْتَشِرْ
مُهْطِعَ ٱلدَّاعِي إِلَى ٱلرَّافِي إِذَا مَا رَآهُ قَالَ ذَا شَيْءٌ نُكُرْ
وَإِذَا رَفَّاؤُهُ حَاوَلَ أَنْ يَتَلَافَاهُ تَعَاطَى فَعَقَرْ

١٧٧ قال الفرزدق يهجو إبليس

أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي فَإِنَّنِي لَبَيْنَ رِتَاجٍ قَائِمٌ وَمُقَامِ
عَلَى قَسَمٍ لَا أَشْتِمُ ٱلدَّهْرَ مُسْلِمًا وَلَا خَارِجًا مِنْ فِيَّ سُوءُ كَلَامِ
أَطَعْتُكَ يَا إِبْلِيسُ سَبْعِينَ حِجَّةً فَلَمَّا ٱنْتَهَى شَيْبِي وَتَمَّ تَمَامِي
فَرَرْتُ إِلَى رَبِّي وَأَيْقَنْتُ أَنَّنِي مُلَاقٍ لِأَيَّامِ ٱلْمَنُونِ حِمَامِي
وَلَمَّا دَنَا رَأْسُ ٱلَّتِي كُنْتُ خَائِفًا وَكُنْتُ أَرَى فِيهَا لِقَاءَ لِزَامِ
حَلَفْتُ عَلَى نَفْسِي لَأَجْتَهِدَنَّهَا عَلَى حَالِهَا مِنْ صِحَّةٍ وَسَقَامِ
أَلَا طَالَمَا قَدْ بِتُّ يُوضِعُ نَاقَتِي أَبُو ٱلْجِنِّ إِبْلِيسُ بِغَيْرِ خِطَامِ

يَظَلُّ يُمَنِّينِي عَلَى ٱلرَّحْلِ وَارِكًا ... يَكُونُ وَرَائِي مَرَّةً وَأَمَامِي
يُبَشِّرُنِي أَنْ لَنْ أَمُوتَ وَأَنَّهُ ... سَيُخْلِدُنِي فِي جَنَّةٍ وَسَلَامِ
فَقُلْتُ لَهُ هَلَّا أُخَيَّكَ أَخْرَجْتَ ... يَمِينُكَ مِنْ خُضْرِ ٱلْبُحُورِ طَوَامِي
رَمَيْتَ بِهِ فِي ٱلْيَمِّ لَمَّا رَأَيْتَهُ ... كَفِرْقَةِ طَوْدَيْ يَذْبُلٍ وَشَمَامِ
فَلَمَّا تَلَاقَى فَوْقَهُ ٱلْمَوْجُ طَامِيًا ... نَكَصْتَ وَلَمْ تَحْتَلْ لَهُ بِمَرَامِ
أَلَمْ تَأْتِ أَهْلَ ٱلْحِجْرِ وَٱلْحِجْرُ أَهْلُهُ ... بِأَنْعَمِ عَيْشٍ فِي بُيُوتِ رُخَامِ
فَقُلْتَ ٱعْقِرُوا هٰذِي ٱللَّقُوحَ فَإِنَّهَا ... لَكُمْ أَوْ تُنِيخُوهَا لَقُوحُ غَرَامِ
فَلَمَّا أَنَاخُوهَا تَبَرَّأْتَ مِنْهُمُ ... وَكُنْتَ نَكُوصًا عِنْدَ كُلِّ ذِمَامِ
وَآدَمُ قَدْ أَخْرَجْتَهُ وَهْوَ سَاكِنٌ ... وَزَوْجَتُهُ مِنْ خَيْرِ دَارِ مُقَامِ
وَأَقْسَمْتَ يَا إِبْلِيسُ أَنَّكَ نَاصِحٌ ... لَهُ وَلَهَا إِقْسَامَ غَيْرِ أَثَامِ
فَظَلَّا يَخِيطَانِ ٱلْوِرَاقَ عَلَيْهِمَا ... بِأَيْدِيهِمَا مِنْ أَكْلِ شَرِّ طَعَامِ
وَكَمْ مِنْ قُرُونٍ قَدْ أَطَاعُوكَ أَصْبَحُوا ... أَحَادِيثَ كَانُوا فِي ظِلَالِ غَمَامِ
وَمَا أَنْتَ يَا إِبْلِيسُ بِٱلْمَرْءِ أَبْتَغِي ... رِضَاهُ وَلَا يَقْتَادُنِي بِزِمَامِ
سَأَجْزِيكَ مِنْ سَوْآتِ مَا كُنْتَ سُقْتَنِي ... إِلَيْهِ جُرُوحًا فِيكَ ذَاتَ كِلَامِ
تُعَيَّرُهَا فِي ٱلنَّارِ وَٱلنَّارُ تَلْتَقِي ... عَلَيْكَ بِزَقُّومٍ لَهَا وَضِرَامِ
وَإِنَّ ٱبْنَ إِبْلِيسٍ وَإِبْلِيسَ أَلْبَنَا ... لَهُمْ بِعَذَابِ ٱلنَّاسِ كُلَّ غُلَامِ
هُمَا تَفَلَا فِي فِيَّ مِنْ فَمَوَيْهِمَا ... عَلَى ٱلنَّابِحِ ٱلْعَاوِي أَشَدَّ رِجَامِ

١٧٨ من مليح شعر الخطيب الحصكفي في هجو مغنٍّ ردي الصوت

وَمُسْمِعٍ غِنَاؤُهُ يُبَدِّلُ بِٱلْفَقْرِ ٱلْغِنَى

أبصرتُه فلم تجبْ فِراستي لمّا دنا
ورُمتُ أن أروحَ للظّنِّ به مُمتحِنا
فقلتُ مِن بينِهِم هاتِ أخي غنِّ لنا
فانثال منه حاجبٌ وحاجبٌ منه انحنى
وامتلأ المجلسُ مِن فيهِ نسيماً مُنتِنا
أوقعَ إذ وقَّعَ في الأنفس أسبابَ العَنا
وما اكتفى باللحنِ والتخليطِ حتّى لحنا
يوهِمُ زمراً أنّه قطّعه ودندنا
وصاح صوتاً نافراً يخرُجُ مِن حدّ البِنا
وما درى محضرُه ماذا على القومِ جنى
فذا يسدُّ أنفَه وذا يسدُّ الأذُنا
ومنهُم جماعةٌ تسترُ عنه الأعيُنا
فاغتظتُ حتّى كدتُ مِن غيظي أبثُّ الشَّجَنا
وقلتُ يا قومُ اسمعوا إمّا المغنِّي أو أنا
أقسمتُ لا أجلسُ أو يخرجَ هذا من هنا
قالوا لقد رحِمتَنا وزلتَ عنّا المحنا
فحزتُ في إخراجه راحةَ نفسٍ والثّنا
وحين ولّى شخصُه قرأتُ فيهم معلِنا
الحمدُ للهِ الّذي أذهبَ عنّا الحَزَنا

١٧٩ قال الاديب كمال الدين عليّ بن محمد بن المبارك الشهير بابن الاعمى
في ذمّ دارٍ كان يسكنها

دَارٌ سَكَنْتُ بِهَا أَقَلُّ صِفَاتِهَا … أَنْ تَكْثُرَ ٱلْحَشَرَاتُ فِي جَنَبَاتِهَا
أَلْخَيْرُ عَنْهَا نَازِحٌ مُتَبَاعِدٌ … وَٱلشَّرُّ دَانٍ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا
مِنْ بَعْضِ مَا فِيهَا ٱلْبَعُوضُ عَدِمْتُهُ … كَمْ أَعْدَمَ ٱلْأَجْفَانَ طِيبَ سُبَاتِهَا
وَتَبِيتُ تُسْعِدُهَا بَرَاغِيثٌ مَتَى … غَنَّتْ لَهَا رَقَصَتْ عَلَى نَغَمَاتِهَا
رَقْصٌ بِتَنْقِيطٍ وَلٰكِنْ قَافُهُ … قَدْ قُدِّمَتْ فِيهِ عَلَى أَخَوَاتِهَا
وَبِهَا ذُبَابٌ كَٱلضَّبَابِ يَسُدُّ عَيْـنَ ٱلشَّمْسِ مَا طَرَبِي سِوَى غُنَّاتِهَا
أَيْنَ ٱلصَّوَارِمُ وَٱلْقَنَا مِنْ فَتْكِهَا … فِينَا وَأَيْنَ ٱلْأُسْدُ مِنْ وَثَبَاتِهَا
وَبِهَا مِنَ ٱلْخُطَّافِ مَا هُوَ مُعْجِزٌ … أَبْصَارَنَا عَنْ وَصْفِ كَيْفِيَّاتِهَا
وَبِهَا خَفَافِيشٌ تَطِيرُ نَهَارَهَا … مَعَ لَيْلِهَا لَيْسَتْ عَلَى عَادَاتِهَا
وَبِهَا مِنَ ٱلْجِرْذَانِ مَا قَدْ قَصَّرَتْ … عَنْهُ ٱلْعِتَاقُ ٱلْجُرْدُ فِي حَمَلَاتِهَا
وَبِهَا خَنَافِسُ كَٱلطَّنَافِسِ أَفْرَشَتْ … فِي أَرْضِهَا وَعَلَتْ عَلَى جَنَبَاتِهَا
وَبَنَاتُ وَرْدَانٍ وَأَشْكَالٌ لَهَا … مِمَّا يَفُوتُ ٱلْعَيْنَ كُنْهُ ذَوَاتِهَا
أَبَدًا تَمُصُّ دِمَاءَنَا فَكَأَنَّهَا … حَجَّامَةٌ لَبَدَتْ عَلَى كَاسَاتِهَا
وَبِهَا مِنَ ٱلنَّمْلِ ٱلسُّلَيْمَانِيِّ مَا … قَدْ قَلَّ ذَرُّ ٱلشَّمْسِ عَنْ ذَرَّاتِهَا
مَا رَاعَنِي شَيْءٌ سِوَى وَزَغَاتِهَا … فَتَعَوَّذُوا بِٱللهِ مِنْ ذَرَّاتِهَا
سَجَعَتْ عَلَى أَوْكَارِهَا فَظَنَنْتُهَا … وُرْقَ ٱلْحَمَامِ سَجَعْنَ فِي شَجَرَاتِهَا
وَبِهَا زَنَابِيرٌ تَظُنُّ عَقَارِبًا … حَرَّ ٱلسَّمُومِ أَخَفَّ مِنْ زَفَرَاتِهَا

وبِها عقاربُ كالأقاربِ رُتَّعٌ … فينا حمانا اللهُ لدغَ حُماتِها
كيفَ السبيلُ إلى النجاةِ ولا نجا … ةَ ولا حياةَ لمَنْ رأى حيّاتِها
منسوجةٌ بالعنكبوتِ سماؤُها … والأرضُ قد نُسِجتْ على آفاتِها
فضجيجُها كالرعدِ في جنباتِها … وترابُها كالرملِ في خُشُناتِها
والبومُ عاكفةٌ على أرجائِها … والدودُ تبحثُ في ثرى عرصاتِها
والجنُّ تأتيها إذا جنَّ الدجى … تحكي الخيولَ الجُرْدَ في حملاتِها
والنارُ جمرٌ من تلهُّبِ حرِّها … وجهنّمٌ تُعزى إلى لفحاتِها
شاهدتُ مكتوبًا على أرجائِها … ورأيتُ مسطورًا على جنباتِها
لا تقربوا منها وخافوها ولا … تُلقوا بأيديكم إلى هلكاتِها
أبدًا يقولُ الداخلونَ ببابِها … يا ربِّ نجِّ الناسَ من آفاتِها
قالوا إذا ندبَ الغرابُ منازلًا … يتفرّقُ السكّانُ من ساحاتِها
وبدارِنا ألفا غرابٍ ناعقٍ … كذبَ الرواةُ فأينَ صدقُ رواتِها
صبرًا لعلَّ اللهَ يُعقبُ راحةً … للنفسِ إذ غلبتْ على شهواتِها
دارٌ تبيتُ الجنُّ تحرسُ نفسَها … فيها وتندبُ باختلافِ لغاتِها
كم بتُّ فيها مفردًا والعينُ من … شوقِ الصباحِ تسحُّ من عبراتِها
وأقولُ يا ربَّ السماواتِ العُلى … يا رازقًا للوحشِ في فلواتِها
أسكنتني بجهنّمِ الدنيا ففي … أُخرايَ هبْ لي الخُلدَ في جنّاتِها
واجمعْ بمَن أهواهُ شملي عاجلًا … يا جامعَ الأرواحِ بعدَ شتاتِها

الباب العاشر
في الزهريات

180 زهرية بديع الزمان الهمذاني

بَرَزَ ٱلرَّبِيعُ لَنَا بِرَوْنَقِ مَائِهِ ... فَٱنْظُرْ لِرَوْعَةِ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ
فَٱلتُّرْبُ بَيْنَ مُمَسَّكٍ وَمُعَنْبَرٍ ... مِنْ نَوْرِهِ بَلْ مَائِهِ وَرُوَائِهِ
وَٱلْمَاءُ بَيْنَ مُصَنْدَلٍ وَمُكَفَّرٍ ... فِي حُسْنِ كُدْرَتِهِ وَلَوْنِ صَفَائِهِ
وَٱلطَّيْرُ مِثْلُ ٱلْمُحْصَنَاتِ صَوَادِحٌ ... مِثْلَ ٱلْمُغَنِّي شَادِيًا بِغِنَائِهِ
وَٱلْوَرْدُ لَيْسَ بِمُمْسِكٍ رَيَّاهُ إِذْ ... يُهْدِي لَنَا نَفَحَاتِهِ مِنْ مَائِهِ
زَمَنَ ٱلرَّبِيعِ جَلَبْتَ أَزْكَى مَتْجَرٍ ... وَجَلَوْتَ لِلرَّائِينَ خَيْرَ جَلَائِهِ
فَكَأَنَّهُ هٰذَا ٱلرَّئِيسُ إِذَا بَدَا ... فِي خَلْقِهِ وَصِفَاتِهِ وَعَطَائِهِ
يَحْمِي أَعَزَّ مُحَجَّرٍ وَنَدَى أَغَرَّ ... مُحَجَّلٍ فِي خَلْقِهِ وَوَفَائِهِ
يَعْشُو إِلَيْهِ ٱلْمُخْتَوِي وَٱلْمُجْتَدِي ... وَٱلْمُجْتَوِي هُوَ هَارِبٌ بِذَمَائِهِ
مَا ٱلْبَحْرُ فِي تَزْخَارِهِ وَٱلْغَيْثُ فِي ... إِمْطَارِهِ وَٱلْجَوُّ فِي أَنْوَائِهِ
بِأَجَلَّ مِنْهُ مَوَاهِبًا وَرَغَائِبًا ... لَا زَالَ هٰذَا ٱلْمَجْدُ حِلْفَ فِنَائِهِ
وَٱلسَّادَةُ ٱلْبَاقُونَ سَادَةُ عَصْرِهِمْ ... مُتَمَدِّحُونَ بِمَدْحِهِ وَثَنَائِهِ

نخبةٌ من زهريّة ابن الراجح الحلّيّ

نَثَرَتْ عُقُودَ سَمَائِهَا ٱلْأَنْدَاءُ ... بِيَدِ ٱلنَّسِيمِ فَلِلثَّرَى إِثْرَاءُ
وَبَدَتْ تَبَاشِيرُ ٱلرَّبِيعِ كَأَنَّمَا ... نَشَرَتْ حَبَائِرَ وَشْيِهَا صَنْعَاءُ

وَافْتَرَّ ثَغْرُ الأُقْحُوَانَةِ بَاسِماً إِذْ لِلشَّقِيقَةِ مُقْلَةٌ رَمْدَاءُ
وَالأَرْضُ قَدْ زُهِيَتْ بِحَلْيِ نَبَاتِهَا وَالْجَوُّ حُلَّتُهُ سُحُبٌ دَكْنَاءُ
وَالرَّوْضُ فِي نَشَوَاتِ سُكْرَتِهِ وَقَدْ طَافَتْ عَلَيْهِ الدِّيمَةُ الْوَطْفَاءُ
وَثَنَى الْحَيَا عِطْفَ الْغَدِيرِ فَصَفَّقَتْ أَطْرَافُهُ وَتَغَنَّتِ الْوَرْقَاءُ
فَكَأَنَّ أَعْطَافَ الْغُصُونِ مَنَابِرٌ وَالْوُرْقَ فِي أَوْرَاقِهَا خُطَبَاءُ
هٰذَا الرَّبِيعُ أَجِبْ نِدَاءَ سُرُورِهِ تَشْمَلْكَ مِنْهُ بِرُوحِكَ السَّرَّاءُ

١٨١ نخبة من زهرية لابن مكانس
قالها في وصف شجرة سرح على شاطئ النيل

يَا سَرْحَةَ الشَّاطِئِ الْمُنْسَابِ كَوْثَرُهُ عَلَى الْيَوَاقِيتِ فِي أَشْكَالِ حَصْبَاءِ
حَلَّتْ عَلَيْكِ عَزَالِيهَا السَّحَابُ إِذَا نَوْءُ الثُّرَيَّا اسْتَهَلَّتْ ذَاتَ أَنْوَاءِ
وَإِنْ تَبَسَّمَ فِيكِ النَّوْرُ مِنْ جَذَلٍ سَقَاكِ مِنْ كُلِّ غَيْمٍ كُلُّ بَكَّاءِ
لَا صَوَّحَ الدَّهْرُ مِنْكِ الزَّهْرَ وَانْبَجَسَتْ عَلَيْكِ كُلُّ هَتُونِ الْوَدْقِ سَوْدَاءِ
رَعْيًا لِحِمَاكِ بِالْوَارِفِ الْمَعْهُودِ مِنْكِ فَكَمْ لَنَا بِظِلِّكِ مِنْ أَلْطَافِ أَهْوَاءِ
وَكَمْ نَزَلْنَا مَقِيلًا مِنْكِ مَا حَمِيَ الْ هَجِيرُ إِذْ حَيْثُ لَا مَرْأَى لِحِرْبَاءِ
نَظَلُّ مِنْ فَيْئِكِ الْفَضْفَاضِ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ يَقِينَا كُلَّ ضَرَّاءِ
يَا طَبَّةً بِدَوَاءِ الْقَيْظِ عَالِمَةً أَنْتِ الشِّفَاءُ مِنَ الرَّمْضَا لِذِي الدَّاءِ
لَهَا مَطَارِفُ ظِلٍّ سَجْسَجٍ فَمَصِيفُهَا يُعَادِلُ فِيهِ طِيبَ مَشْتَاءِ
خَمَائِلُ الرَّوْضِ مَنْشَاهَا وَمُرْضِعُهَا ضَرْعُ النَّمِيرَيْنِ مِنْ نِيلٍ وَأَنْوَاءِ
فَاسْتَمْهَدَتْ دَوْحَهَا الْخَضِلَ وَافْتَرَشَتْ نَجْمَ الرُّبَى وَرَقَتْ عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ

بَدِيعَةُ ٱلْحُسْنِ قَدْ فَازَ ٱلْجِنَاسُ لَهَا مِنَ ٱلْمَعَانِي بِأَفْنَانٍ وَأَفْيَاءِ
وَصَوْتُ بُلْبُلِهَا ٱلرَّاقِي ذُرَى غُصُنٍ فِي حُلَّةٍ مِنْ دِمَقْسِ ٱلرِّيشِ دَكْنَاءِ
كَقَرْعِ نَاقُوسِ دَيْرِيٍّ عَلَى شَرَفٍ مُسَبِّحٍ فِي ظَلَامِ ٱللَّيْلِ دَعَّاءِ
كَمْ صَفَّقَ ٱلْمَوْجُ مِنْ أَزْهَارِهَا طَرَبًا فَنَقَّطَتْهُ بِبَيْضَاءٍ وَصَفْرَاءِ
كَأَنَّهَا مِنْ جِنَانِ ٱلْخُلْدِ قَدْ كَمَلَتْ حُسْنًا وَحَسْبُكَ مِنْ خَضْرَاءَ لَفَّاءِ
مَالَتْ عَلَى ٱلنَّهْرِ إِذْ جَاشَ ٱلْخَرِيرُ بِهِ كَأَنَّهَا أُذُنٌ مَالَتْ لِإِصْغَاءِ
كَأَنَّمَا ٱلنَّهْرُ مِرْآةٌ وَقَدْ عَكَفَتْ عَلَيْهِ تَدْهَشُ فِي حُسْنٍ وَلَأْلَاءِ
ذُو شَاطِئٍ رَاقَ غِبَّ ٱلْقَطْرِ فَهُوَ عَلَى نَهْرِ ٱلْأُبُلَّةِ يُزْرِي أَيَّ إِزْرَاءِ
كَأَنَّهُ عِنْدَ تَفْرِيكِ ٱلنَّسِيمِ لَهُ فِرِنْدُ سَيْفٍ نَضَتْهُ كَفُّ جَلَّاءِ
كَأَنَّهُ حِينَ يَجْرِي زُرْقَةً وَصَفًا رَقْرَاقُ عَيْنٍ بِوَجْهِ ٱلْأَرْضِ شَهْلَاءِ
إِذَا شَدَوْتِ حَمَامَاتِ ٱلْأَرَاكِ عَلَى أَغْصَانِهَا فَتَرَيْنَا رَقْصَ هَيْفَاءِ
مِنْ كُلِّ وَرْقَاءَ فِي ٱلْأَفْنَانِ صَادِحَةٍ بَيْنَ ٱلْحَدَائِقِ فِي فَيْحَاءَ زَهْرَاءِ
وُرْقٌ تَغَنَّتْ بِجَنَّاتٍ رَقِينَ عَلَى عِيدَانِهَا فَآلَهُ فِي مَغْنًى وَغَنَّاءِ

١٨٢ نخبة من زهرية بدر الدين الذهبي

تَرَنَّحَ عِطْفُ ٱلْبَانِ فِي ٱلْحُلَلِ ٱلْخُضْرِ وَغَنَّى بِأَلْحَانٍ عَلَى عُودِهِ ٱلْقُمْرِي
وَرَاقَتْ أَزَاهِيرُ ٱلْحَدَائِقِ بِٱلضُّحَى نَوَاظِرَ أَحْدَاقٍ بِنُوَّارِهَا ٱلنَّضْرِ
وَأَشْرَقَ خَدُّ ٱلْوَرْدِ يُبْدِي نَضَارَهُ وَأَشْرَقَ جِيدُ ٱلْغُصْنِ فِي لُؤْلُؤِ ٱلْقَطْرِ
وَبَاتَ سَقِيطُ ٱلطَّلِّ فِي كُلِّ رَوْضَةٍ يُنَبِّهُ فِي أَرْجَائِهَا نَاعِسَ ٱلزَّهْرِ
وَقَدْ غَضَّ طَرْفُ ٱلنَّرْجِسِ ٱلْغَضِّ مِنْ حَيَا ئِهِ وَٱلْأَقَاحِي مِنْهُ مُبْتَسِمُ ٱلثَّغْرِ

وَمَا ذَهَبَتْ شَمْسُ ٱلْأَصِيلِ عَشِيَّةً ... إِلَى ٱلْغَرْبِ حَتَّى أَذْهَبَتْ فِضَّةَ ٱلنَّهْرِ
وَغَنَّتْ قِيَانُ ٱلطَّيْرِ فِي كُلِّ أَيْكَةٍ ... وَقَدْ رَاقَ كُحْلُ ٱلطَّلِّ فِي مُقَلِ ٱلْغُدْرِ
قِيَانٌ كَسَاهَا ٱلْحُسْنُ دِيبَاجَ وَجْهِهِ ... وَصَاغَتْ لَهَا ٱلْأَحْدَاقُ طَوْقًا عَلَى نَحْرِ
أَقَامَتْ لَهَا دَوْحُ ٱلْأَرَاكِ أَرَائِكًا ... وَأَرْخَتْ لَهَا أَوْرَاقُ أَسْتَارِهَا ٱلْخُضْرِ
وَأَمْسَى أَصِيلُ ٱلْيَوْمِ مُلْقًى مِنَ ٱلضَّنَا ... عَلَى فُرُشِ ٱلْأَزْهَارِ فِي آخِرِ ٱلْعُمْرِ
بَكَتْهُ حَمَامَاتُ ٱلْأَرَاكِ وَشَقَّقَتْ ... عَلَيْهِ ٱلصَّبَا أَثْوَابَ رَوْضَاتِهَا ٱلنَّضْرِ
فَكَمْ مِنْ نَحِيبٍ لِلْحَمَائِمِ بِٱلضُّحَى ... عَلَيْهِ وَلِلْأَنْوَاءِ مِنْ دَمْعَةٍ تَجْرِي

١٨٣ زهريّة ابن الوكيع

أَلَسْتَ تَرَى وَشْيَ ٱلرَّبِيعِ تَنَسَّمَا ... وَمَا صَنَعَ ٱلرِّبْعِيُّ فِيهِ وَنَظَّمَا
وَقَدْ حَكَتِ ٱلْأَرْضُ ٱلسَّمَاءَ بِنَوْرِهَا ... فَلَمْ أَرَ فِي ٱلتَّشْبِيهِ أَيُّهُمَا سَمَا
فَخُضْرَتُهَا كَٱلْجَوِّ فِي حُسْنِ لَوْنِهِ ... وَأَنْوَارُهَا تَحْكِي لِعَيْنَيْكَ أَنْجُمَا
فَمِنْ نَرْجِسٍ لَمَّا رَأَى حُسْنَ نَفْسِهِ ... تَدَاخَلَهُ عُجْبٌ بِهِ فَتَبَسَّمَا
وَأَبْدَى عَلَى ٱلْوَرْدِ ٱلْجَنِيِّ تَطَاوُلًا ... وَأَظْهَرَ غَيْظَ ٱلْوَرْدِ فِي خَدِّهِ دَمَا
وَزَهْرِ شَقِيقٍ نَازَعَ ٱلْوَرْدَ فَضْلَهُ ... فَزَادَ عَلَيْهِ ٱلْوَرْدُ فَضْلًا وَقُدِّمَا
فَظَلَّ لِفَرْطِ ٱلْحُزْنِ يَلْطِمُ خَدَّهُ ... فَأَظْهَرَ فِيهِ ٱللَّطْمُ جَمْرًا مُضَرَّمَا
وَمِنْ سَوْسَنٍ لَمَّا رَأَى ٱلصِّبْغَ دُونَهُ ... عَلَى كُلِّ أَنْوَاعِ ٱلرِّيَاضِ تَقَسَّمَا
تَجَلْبَبَ مِنْ زُرْقِ ٱلْيَوَاقِيتِ حُلَّةً ... فَأَغْرَبَ فِي ٱلْمَلْبُوسِ فِيهَا وَأَحْكَمَا
وَأَنْوَارِ مَنْثُورٍ تَخَالَفَ شَكْلُهَا ... فَصَارَ بِهَا شَكْلُ ٱلرَّبِيعِ مُنَمْنَمَا
جَوَاهِرُ لَوْ قَدْ طَالَ فِيهَا حَيَاتُهَا ... رَأَيْتَ بِهَا كُلَّ ٱلْمُلُوكِ مُخَتَّمَا

الباب الحادي عشر
في السيف والقلم

وصف السيف

١٨٤ قَالَ مَحْمُودُ بْنُ سُلَيْمَانَ ٱلْحَلَبِيُّ يَصِفُ سَيْفًا ٱسْتَوْهَبَهُ: وَقَلَّدَتْنِي مِنَّا سَيْفًا تَلْمَعُ مَخَايِلُ ٱلنَّصْرِ مِنْ غِمْدِهِ. وَتُشْرِقُ جَوَاهِرُ ٱلْفَتْحِ فِي فِرِنْدِهِ. وَإِذَا سَابَقَ ٱلْأَجَلَ إِلَى قَبْضِ ٱلنُّفُوسِ عَرَفَ ٱلْأَجَلُ قَدْرَهُ فَوَقَفَ عِنْدَ حَدِّهِ. وَمَتَى جَرَّدَهُ عَلَى مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ ٱلْعِدَى وَهَتْ عَزَائِمُهُ وَعَجَزَ جَنَاحُ جَيْشِهِ. قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ:

بِكُلِّ رُدَيْنِيٍّ كَأَنَّ سِنَانَهُ ... شِهَابٌ بَدَا فِي ظُلْمَةِ ٱللَّيْلِ سَاطِعُ
تَقَاصَرَتِ ٱلْآجَالُ فِي طُولِ مَتْنِهِ ... وَعَادَتْ بِهِ ٱلْآمَالُ وَهِيَ فَجَائِعُ
وَسَاءَتْ ظُنُونُ ٱلْحَرْبِ فِي حُسْنِ ظَنِّهِ ... فَهُنَّ لِحَبَّاتِ ٱلْقُلُوبِ قَوَارِعُ
وَذِي شُطَبٍ تَقْضِي ٱلْمَنَايَا لِحُكْمِهِ ... وَلَيْسَ لِمَا تَقْضِي ٱلْمَنِيَّةُ دَافِعُ
فِرِنْدٌ إِذَا مَا ٱعْتَنَّ لِلْعَيْنِ رَاكِدٌ ... وَبَرْقٌ إِذَا مَا ٱهْتَزَّ بِٱلْكَفِّ لَامِعُ
يُسَلِّلُ أَرْوَاحَ ٱلْكُمَاةِ ٱنْسِلَالُهُ ... وَيَرْتَاعُ مِنْهُ ٱلْمَوْتُ وَٱلْمَوْتُ رَائِعُ
إِذَا مَا ٱلْتَقَتْ أَمْثَالُهُ فِي وَقِيعَةٍ ... هُنَالِكَ ظَنُّ ٱلنَّفْسِ بِٱلنَّفْسِ وَاقِعُ

وصف سيف عمرو بن معدي كرب

١٨٥ لَمَّا صَارَ سَيْفُ عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرِبَ وَكَانَ يُسَمَّى ٱلصَّمْصَامَةَ إِلَى ٱلْهَادِي. وَكَانَ عَمْرٌو وَهَبَهُ لِسَعِيدِ بْنِ ٱلْعَاصِ فَتَوَارَثَهُ وَلَدُهُ إِلَى أَنْ مَاتَ

ٱلْمَهْدِيُّ فَاشْتَرَاهُ مُوسَى ٱلْهَادِي بِمَالٍ جَلِيلٍ. وَكَانَ أَوْسَعَ بَنِي ٱلْعَبَّاسِ كَفًّا وَأَكْثَرَهُمْ عَطَاءً. وَدَعَا بِٱلشُّعَرَاءِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ مُكْتَلٌ فِيهِ بَدْرَةٌ فَقَالَ: قُولُوا فِي هٰذَا ٱلسَّيْفِ. فَبَدَرَ ٱبْنُ يَامِينَ ٱلْبَصْرِيُّ فَقَالَ:

حَازَ صَمْصَامَةَ ٱلزُّبَيْدِيِّ مِنْ بَيْـ ... ـنِ جَمِيعِ ٱلْأَنَامِ مُوسَى ٱلْأَمِينُ
سَيْفُ عَمْرٍو وَكَانَ فِيمَا سَمِعْنَا ... خَيْرَ مَا أُغْمِدَتْ عَلَيْهِ ٱلْجُفُونُ
أَخْضَرُ ٱللَّوْنِ بَيْنَ خَدَّيْهِ بُرْدٌ ... مِنْ ذُعَافٍ تَمِيسُ فِيهِ ٱلْمَنُونُ
أَوْقَدَتْ فَوْقَهُ ٱلصَّوَاعِقُ نَارًا ... ثُمَّ شَابَتْ بِهِ ٱلذُّعَافَ ٱلْقُيُونُ
فَإِذَا مَا سَلَلْتَهُ بَهَرَ ٱلشَّمْـ ... ـسَ ضِيَاءً فَلَمْ تَكَدْ تَسْتَبِينُ
مَا يُبَالِي مَنِ ٱنْتَضَاهُ لِحَرْبٍ ... أَشِمَالٌ سَطَتْ بِهِ أَمْ يَمِينُ
يَسْتَطِيرُ ٱلْأَبْصَارَ كَٱلْقَبَسِ ٱلْمُشْـ ... ـعَلِ مَا تَسْتَقِرُّ فِيهِ ٱلْعُيُونُ
وَكَأَنَّ ٱلْفِرِنْدَ وَٱلْجَوْهَرَ ٱلْجَا ... رِي عَلَى صَفْحَتَيْهِ مَاءٌ مَعِينُ
نِعْمَ مِخْرَاقُ ذَا ٱلْخَلِيفَةِ فِي ٱلْهَيْـ ... ـجَاءِ يَمْضِي بِهِ وَنِعْمَ ٱلْقَرِينُ

قَالَ مُوسَى: لَمْ يَتَعَدَّ مَا فِي نَفْسِي وَٱسْتَحَقَّهُ. وَأَمَرَ لَهُ بِٱلْمُكْتَلِ وَٱلسَّيْفِ. فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لِلشُّعَرَاءِ: إِنَّمَا دَخَلْتُمْ مَعِي وَحُرِمْتُمْ مِنْ أَجْلِي فَشَأْنُكُمْ ٱلْمُكْتَلُ وَفِي ٱلسَّيْفِ غَنَائِي (زهر الآداب للقيرواني)

١٨٦ قَالَ ٱلْبُحْتُرِيُّ يَصِفُ سَيْفًا:

قَدْ جُدْتَ بِٱلطِّرْفِ ٱلْجَوَادِ فَثَنِّهِ ... لِأَخِيكَ مِنْ جَدْوَى يَدَيْكَ بِمُفْصِلِ
يَتَنَاوَلُ ٱلرُّوحَ ٱلْبَعِيدَ مَنَالُهُ ... عَفْوًا وَيَفْتَحُ فِي ٱلْقَضَاءِ ٱلْمُقْفَلِ
بِإِنَارَةٍ فِي كُلِّ حَتْفٍ مُظْلِمٍ ... وَهِدَايَةٍ فِي كُلِّ نَفْسٍ مَجْهَلِ

يَغْشَى ٱلْوَغَى فَٱلتُّرْسُ لَيْسَ بِجُنَّةٍ مِنْ حَدِّهِ وَٱلدِّرْعُ لَيْسَ بِمَعْقِلِ
مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تُمْضِهِ يَدُ فَارِسٍ بَطَلٍ وَمَصْقُولٌ وَإِنْ لَمْ يُصْقَلِ
مُصْغٍ إِلَى حُكْمِ ٱلرَّدَى فَإِذَا مَضَى لَمْ يَلْتَفِتْ وَإِذَا قَضَى لَمْ يَعْدِلِ
مُتَوَقِّدٌ يَبْرِي بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ مَا أَدْرَكَتْ وَلَوَ ٱنَّهَا فِي يَذْبُلِ
وَكَأَنَّ فَارِسَهُ إِذَا ٱسْتَغْنَى بِهِ فِي ٱلرَّوْعِ يَعْصِي بِٱلسِّمَاكِ ٱلْأَعْزَلِ
فَإِذَا أَصَابَ فَكُلُّ شَيْءٍ مَقْتَلٌ وَإِذَا أُصِيبَ فَمَا لَهُ مِنْ مَقْتَلِ

وصف القلم

١٨٧ أَلْقَلَمُ هُوَ ٱلْيَرَاعُ ٱلَّذِي نُفِثَتِ ٱلْفَصَاحَةُ فِي رُوعِهِ. وَكَمَنَتِ ٱلشَّجَاعَةُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ. فَإِذَا قَالَ أَرَاكَ كَيْفَ نَسَقُ ٱلْفَرِيدِ فِي ٱلْأَجْيَادِ. وَإِذَا صَالَ أَرَاكَ كَيْفَ ٱلِٱخْتِلَافُ بَيْنَ ٱلْآسَادِ. وَلَهُ خَصَائِصُ أُخْرَى يُبْدِعُهَا إِبْدَاعًا. فَإِذَا لَمْ يَأْتِ بِهَا غَيْرُهُ تَصَنُّعًا أَتَى هُوَ بِهَا صَنَّاعًا. فَطَوْرًا يُرَى نَحْلَةً تَجْنِي عَسَلًا. وَطَوْرًا يُرَى إِمَامًا يُلْقِي دَرْسًا. وَطَوْرًا يُرَى وَرْقَاءَ تَصْدَحُ بَيْنَ ٱلْأَوْرَاقِ. وَطَوْرًا يُرَى جَوَادًا مُخَلِّفًا بِمَخْلُوقِ ٱلسِّبَاقِ. وَطَوْرًا يُرَى أُفْعُوَانًا مُطْرِقًا وَٱلْعَجَبُ أَنَّهُ لَا يُزْهَى إِلَّا عِنْدَ ٱلْإِطْرَاقِ. وَلَطَالَمَا نَفَثَ سِحْرًا وَجَلَبَ عِطْرًا. وَأَدَارَ فِي ٱلْقِرْطَاسِ خَمْرًا. وَتَصَرَّفَ فِي وُجُوهِ ٱلْمَعَانِي.. فَلَا تَحْظَى بِهِ دَوْلَةٌ إِلَّا فَخَرَتْ عَلَى ٱلدُّوَلِ. وَغَنِيَتْ بِهِ عَنِ ٱلْخَيْلِ وَٱلْخَوَلِ. وَقَالَتْ: أَعْلَى ٱلْمَمَالِكِ عَلَى ٱلْأَقْلَامِ لَا عَلَى ٱلْأَسَلِ. وَلَرُبَّمَا لَقِيَ هٰذَا ٱلْقَوْلُ بِإِعْظَامِ ٱلنَّكِيرِ. وَقَالُوا: مِنْ أَيْنَ لِلْقَصَبَةِ ٱلضَّعِيفَةِ هٰذَا ٱلْخَطَرُ ٱلْكَبِيرُ. وَلِلْبَهَائِمِ عُذْرٌ أَنْ

لَا تَعرِفُ مِن مَلَاذِّ ٱلْأَطْعِمَةِ غَيرَ ٱلشَّعِيرِ. وَلَوْ أَنْصَفَ هُؤُلَاءِ لَعَلِمُوا أَنَّ ٱلْقَلَمَ هُوَ مِزْمَارُ ٱلْمَعَانِي. كَمَا أَنَّ أَخَاهُ فِي ٱلنَّسَبِ مِزْمَارُ ٱلْأَغَانِي. فَهٰذَا يَأْتِي بِغَرَائِبِ ٱلْحِكَمِ. كَمَا يَأْتِي ذٰلِكَ بِغَرَائِبِ ٱلنَّغَمِ. وَكِلَاهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ فِي ٱلْإِطْرَابِ. غَيْرَ أَنَّ أَحَدَهُمَا يَلْعَبُ بِٱلْأَسْمَاعِ وَٱلْآخَرَ يَلْعَبُ بِٱلْأَلْبَابِ (*)

١٨٨ (قَالَ) وَقَدْ أَوْرَدْتُ فِي وَصْفِ ٱلْقَلَمِ فَصْلًا آخَرَ مِنْ كِتَابٍ إِلَى بَعْضِ ٱلْإِخْوَانِ وَهُوَ: وَقَلَمُهُ هُوَ ٱلْقَلَمُ ٱلَّذِي إِذَا قَذَفَ بِشُهُبِ بَيَانِهِ رَأَيْتَ نُجُومًا. وَإِذَا ضَرَبَ بِشَبَا حَدِّهِ رَأَيْتَ كُلُومًا. فَإِذَا صَوَّرَ ٱلْمَعَانِيَ فِي أَلْفَاظِهَا رَأَيْتَ أَرْوَاحًا وَجُسُومًا. وَقَدْ شَرَّفَ ٱللّٰهُ دَوْلَةً يَجْلِسُ فِي حَفْلِهَا. وَيَخْطُبُ عَنْ أَهْلِهَا: فَهُوَ لَهَا فِي ٱلْحُسْنِ طِرَازٌ. وَفِي ٱلذَّبِّ عَضْبٌ جُرَازٌ. وَلَطَالَمَا قَالَ فَٱسْتَخَفَّ مُوَقَّرًا وَكَسَا وَقَارًا. وَأَطَالَ

(*) قال ابن الأثير: في هذا الكلام معانٍ مأخوذةٌ من الشعر ومعانٍ مُبتدَعة لم يسبقني اليها شاعرٌ ولا كاتبٌ. فأمّا التي في الشعر. فمنها قول أبي عبادة البحتريّ وهو:

في نظامٍ من البلاغة ما شكّ م امرؤٌ أنّهُ نظامٌ فريدُ

ومنها قولهُ أيضاً:

طِعانٌ بأطراف القوافي كأنّهُ طعانٌ بأطراف القنا المتكسّرِ

ومنها قول أبي الطيب المتنبي:

أعلى الممالكِ ما يُبنى على الأسَلِ والطعنُ عندَ محبّيهنّ كالقُبَلِ

وأمّا الذي ابتدعتهُ ولم أُسبَق اليهِ فهو اني جعلت القلم مزمار المعاني كما أن أخاهُ في النسب مزمار الأغانيَ وذاك ان كليها قصبة. ولهذا جعلتُ المزمار الموضوع للقتال أخا القلم في النسب وجعلتُ معاني هذا كنغم هذا. وأمّا الأوصاف الباقية التي ذكرتها في كونهِ نحلة وشفرة وإماماً فاني لم اسمعها وإن كنت قد سُبقت اليها وهذه الأوصاف المجموعة ههنا في ذكر القلم لا تجدها في كلام آخر غير هذا الكلام

فَوَجدتْ إطالتَهُ لحلاوتِها إقصارًا . وَادّعى الانفرادَ بهذهِ المَزيَّة فأقرَّتْ لهُ الأعداءُ إقرارًا . وكلُّ هذا فضلُ لقلمهِ غيرُ مدفوعٍ . وشاهدهُ مَرْئيٌّ لديهِ وإنْ غدا قبلهُ وهوَ مسموعٌ . وفي طلعةِ البدرِ ما يُغنيكَ عن زحلَ . فأقوالُ غيرهِ منتقلةٌ عن أوَّلٍ إلى آخرٍ والذي يقولهُ لم يُقلْ . فهو ربُّ المعاني المخترعةِ يستخرجها من قليبها . ويُبرزُها من ثوبها القشيبِ وليسَ خَلَقُ الأثوابِ كقشيبها . وقد أمسكَ القلمَ قومٌ رضوا من الكتابةِ بتحسينِ السُّطورِ . وإذا أتى أحدُهم بشيءٍ من السَّجعِ فذلكَ هو الكاتبُ المشهورُ . وهؤلاءِ قصروا هممهم على الزَّيفِ دونَ اللُّبابِ . ولم يعلموا أنَّ القشرَ لذوي القشورِ واللُّبَّ لذوي الألبابِ . وقد قيلَ : إنَّ من الأقلامِ رحمةً في كفِّ رحمةٍ وعقابًا في كفِّ عقابٍ (هذا فصلٌ من الكلامِ قد اغترفتْ معانيهُ من بحرٍ . ونحتتْ ألفاظهُ من صخرٍ . فتقتْ معانيهِ من صِوارِ مسكٍ . وأخذتْ ألفاظهُ من فريدِ سلكٍ . بل جنيتْ معانيهِ من ثمراتٍ مختلفٍ طعمُها . ونسجتْ ألفاظهُ من ديابيجَ مؤتلفٍ رقمُها . فانظرْ أيُّها المتأمِّلُ إليها نظرَ المتعجِّبِ بما فيها من الإعجابِ . واسجدْ لها فللبلاغةِ سجودٌ كسجودِ الكتابِ) (الوشي المرقوم لابن الأثير)

١٨٩ صفة قلم لابن عبد ربه

بكفِّهِ ساحرُ البيانِ إذا أدارهُ في صحيفةٍ سحرا
ينطقُ في عجمةٍ بلفظتهِ يصمُّ عنهُ ويسمعُ البصرا

يَرَى ٱلْمَقَادِيرَ تَسْتَرِقُ لَهُ ... وَتُنْفِذُ ٱلْحَادِثَاتُ مَا أَمَرَا
تَنْحِتُ ضَئِيلٌ لِفِعْلِهِ خَطَرٌ ... أَعْظِمْ بِهِ فِي مَلَمَّةٍ خَطَرَا
تَمُجُّ فَكَّاهُ رِيقَةً صَغُرَتْ ... وَخَطْبُهَا فِي ٱلْقُلُوبِ قَدْ كَبُرَا
إِذَا ٱمْتَطَى ٱلْخِنْصَرَيْنِ أَذْكَرَ مِنْ ... سَحْبَانَ فِيمَا أَطَالَ وَٱخْتَصَرَا
يُوَاقِعُ ٱلنَّفْسَ مِنْهُ مَا حَذِرَتْ ... وَرُبَّمَا جُنِّبَتْ بِهِ ٱلْحَذَرَا
مُهَفْهَفٌ تَزْدَهِي بِهِ صُحُفٌ ... كَأَنَّمَا جُلِيَتْ بِهِ دُرَرَا
نَوَادِرٌ تَقْرَعُ ٱلْقُلُوبَ بِهَا ... إِنْ تَسْتَبِنْهَا وَجَدْتَهَا صُوَرَا
يُخَاطِبُ ٱلْغَائِبَ ٱلْبَعِيدَ بِمَا ... يُخَاطِبُ ٱلشَّاهِدَ ٱلَّذِي حَضَرَا

وصف الشعر لعبد الله الناشئ

١٩٠ قَالَ ٱلنَّاشِئُ فِي فَصْلٍ مِنْ كِتَابِهِ فِي ٱلشِّعْرِ: أَلشِّعْرُ قَيْدُ ٱلْكَلَامِ وَعَقْلُ ٱلْآدَابِ. وَسُورُ ٱلْبَلَاغَةِ. وَمَعْدِنُ ٱلْبَرَاعَةِ. وَمَجَالُ ٱلْجَنَانِ. وَمَسْرَحُ ٱلْبَيَانِ. وَذَرِيعَةُ ٱلْمُتَوَسِّلِ. وَوَسِيلَةُ ٱلْمُتَوَصِّلِ. وَذِمَامُ ٱلْغَرِيبِ. وَحُرْمَةُ ٱلْأَدِيبِ. وَعِصْمَةُ ٱلْهَارِبِ. وَعُدَّةُ ٱلرَّاهِبِ. وَرِحْلَةُ ٱلدَّانِي. وَدَوْحَةُ ٱلْمُتَمَثِّلِ. وَمِنْحَةُ ٱلْمُتَجَمِّلِ. وَحَاكِمُ ٱلْأَعْرَابِ. وَشَاهِدُ ٱلصَّوَابِ. (ثُمَّ قَالَ) أَلشِّعْرُ مَا كَانَ سَهْلَ ٱلْمَطَالِعِ. فَصْلَ ٱلْمَقَاطِعِ. فَحْلَ ٱلْمَدِيحِ جَزْلَ ٱلْٱفْتِخَارِ. رَقِيقَ ٱلنَّسِيبِ سَائِرَ ٱلْمَثَلِ. سَلِيمَ ٱلزَّلَلِ. عَدِيمَ ٱلْخَلَلِ. رَائِعَ ٱلْهِجَاءِ. مُوجِبَ ٱلْمَعْذِرَةِ. مُحِبَّ ٱلْمَعْتَبَةِ. مُطْمِعَ ٱلْمَسَالِكِ. فَائِتَ ٱلْمَدَارِكِ. قَرِيبَ ٱلْبَيَانِ. بَعِيدَ ٱلْمَعَانِي. نَائِيَ ٱلْأَغْوَارِ. ضَاحِيَ ٱلْقَرَارِ. نَقِيَّ ٱلْمُسْتَشَفِّ. قَدْ

هُرِيقَ فِيهِ مَاءُ ٱلْفَصَاحَةِ . وَأَضَاءَ لَهُ نُورُ ٱلزُّجَاجَةِ . فَأَنْهَلَ فِي صَادِي ٱلْفَهْمِ . وَأَضَاءَ فِي بُهَمِ ٱلْمَرَائِي . لِمُتَأَمِّلِهِ تَرَقْرُقٌ . وَلِمُسْتَشِفِّهِ تَأَلُّقٌ . بُرُوقُ ٱلْمُتَوَسِّمِ . وَبِشْرُ ٱلْمُتَبَسِّمِ . قَدْ أَيَّدَتْ صُدُورُهُ مُتُونَهُ . وَزَهَتْ فِي وُجُوهِهِ عُيُونُهُ . وَٱنْقَادَتْ كَوَاهِلُهُ لِهَوَادِيهِ . وَطَابَقَتْ آثَارُهُ لِمُتَوَضِّحِهِ . وَأَشْبَهَ ٱلرَّوْضَ فِي وَشْيِ أَلْوَانِهِ . وَتَنَمُّمِ أَفْنَانِهِ . وَإِشْرَاقِ أَنْوَارِهِ . وَٱبْتِهَاجِ أَنْجَادِهِ وَأَغْوَارِهِ . وَأَشْبَهَ ٱلْوَشْيَ فِي ٱتِّفَاقِ رُقُومِهِ . وَٱتِّسَاقِ رُسُومِهِ . وَتَسْطِيرِ كُفُوفِهِ . وَتَحْبِيرِ حُرُوفِهِ . وَحَكَى ٱلْعِقْدَ فِي ٱلْتِئَامِ فُصُولِهِ . وَٱنْتِظَامِ وُصُولِهِ . وَٱزْدِيَانِ يَاقُوتِهِ بِدُرِّهِ . وَفَرِيدِهِ بِشَذْرِهِ . قَدْ كَشَفَ ٱلْإِيجَازُ مَوَارِدَهُ . وَصَقَلَتْ مَدَاوِسُ ٱلدَّرْبِ مَنَاصِلَهُ . وَشَحَذَتْ مَدَارِسُ ٱلْأَدَبِ فَوَاصِلَهُ . فَجَاءَ سَلِيمًا مِنَ ٱلْمَعَايِبِ مُهَذَّبًا مِنَ ٱلْأَدْنَاسِ يَتَحَاشَاهُ ٱلْأَبْنُ . وَتَتَحَامَاهُ ٱلْهُجْنُ . مُهْدِيًا إِلَى ٱلْأَسْمَاعِ بَهْجَتَهُ . وَإِلَى ٱلْعُقُولِ حِكْمَتَهُ . وَقَدْ قُلْتُ فِي ٱلشِّعْرِ قَوْلًا جَعَلْتُهُ مَثَلًا لِقَائِلِيهِ . وَأُسْلُوبًا لِسَالِكِيهِ . وَهُوَ :

أَلشِّعْرُ مَا قَوَّمْتَ زَيْغَ صُدُورِهِ ... وَشَدَدْتَ بِٱلتَّهْذِيبِ أَسْرَ مُتُونِهِ
وَرَأَبْتَ بِٱلْإِطْنَابِ شِعْبَ صُدُوعِهِ ... وَفَتَحْتَ بِٱلْإِيجَازِ عُورَ عُيُونِهِ
وَجَمَعْتَ بَيْنَ قَرِيبِهِ وَبَعِيدِهِ ... وَوَصَلْتَ بَيْنَ مُجَمِّهِ وَمَعِينِهِ
وَعَمَدْتَ مِنْهُ لِكُلِّ أَمْرٍ يَقْتَضِي ... شَبَهًا بِهِ فَقَرَنْتَهُ بِقَرِينِهِ
فَإِذَا بَكَيْتَ بِهِ ٱلدِّيَارَ وَأَهْلَهَا ... أَجْرَيْتَ لِلْمَحْزُونِ مَاءَ شُؤُونِهِ
وَوَكَلْتَهُ بِهُمُومِهِ وَغُمُومِهِ ... دَهْرًا وَلَمْ يَسْرِ ٱلْكَرَى بِجُفُونِهِ

وَإِذَا مَدَحْتَ بِهِ جَوَادًا مَاجِدًا   وَقَضَيْتَهُ بِالشُّكْرِ حَقَّ دُيُونِهِ

أَصْفَيْتَهُ بِنَفِيسِهِ وَرَصِينِهِ   وَمَنَحْتَهُ بِخَطِيرِهِ وَثَمِينِهِ

فَيَكُونُ جَزْلًا فِي ٱتِّفَاقِ صُنُوفِهِ   وَيَكُونُ سَهْلًا فِي ٱتِّسَاقِ فُنُونِهِ

وَإِذَا أَرَدْتَ كِنَايَةً عَنْ رِيبَةٍ   بَايَنْتَ بَيْنَ ظُهُورِهِ وَبُطُونِهِ

فَجَعَلْتَ سَامِعَهُ يَشُوبُ شُكُوكَهُ   بِبَيَانِهِ وَظُنُونَهُ بِيَقِينِهِ

وَإِذَا عَتَبْتَ عَلَى أَخٍ فِي زَلَّةٍ   أَدْمَجْتَ شِدَّتَهُ لَهُ فِي لِينِهِ

فَتَرَكْتَهُ مُسْتَأْنِسًا بِدَمَاثَةٍ   مُسْتَأْمِنًا لِوُعُوثِهِ وَحُزُونِهِ

وَإِذَا نَبَذْتَ إِلَى ٱلَّذِي عَلِقْتَهُ   إِذْ صَدَّ عَنْكَ بِفَاتِنَاتِ شُؤُونِهِ

تَيَّمْتَهُ بِلَطِيفِهِ وَدَقِيقِهِ   وَشَغَفْتَهُ بِخَبِيئِهِ وَكَمِينِهِ

وَإِذَا ٱعْتَذَرْتَ إِلَى أَخٍ فِي زَلَّةٍ   وَأَشْكَلْتَ بَيْنَ مُخِيلِهِ وَمُبِينِهِ

فَيَحُولُ ذَنْبُكَ عِنْدَ مَنْ يَعْتَدُّهُ   عَتْبًا عَلَيْهِ مُطَالَبًا بِيَمِينِهِ

وَٱلْقَوْلُ يَحْسُنُ مِنْهُ فِي مَنْثُورِهِ   مَا لَيْسَ يَحْسُنُ مِنْهُ فِي مَوْزُونِهِ

١٩١ قال ابن الرشيق يصف الصناعة الشعريّة

لَعَنَ ٱللهُ صَنْعَةَ ٱلشِّعْرِ مَاذَا   مِنْ صُنُوفِ ٱلْجُهَّالِ فِيهَا لَقِينَا

يُؤْثِرُونَ ٱلْغَرِيبَ مِنْهُ عَلَى مَا   كَانَ سَهْلًا لِلسَّامِعِينَ مُبِينَا

وَيَرَوْنَ ٱلْمُحَالَ مَعْنًى صَحِيحًا   وَخَسِيسَ ٱلْكَلَامِ شَيْئًا ثَمِينَا

يَجْهَلُونَ ٱلصَّوَابَ مِنْهُ وَلَا يَدْ   رُونَ لِلْجَهْلِ أَنَّهُمْ يَجْهَلُونَا

فَهُمُ عِنْدَ مَنْ سِوَانَا يُلَامُو   نَ وَفِي ٱلْحَقِّ عِنْدَنَا يُعْذَرُونَا

إِنَّمَا ٱلشِّعْرُ مَا تَنَاسَبَ فِي ٱلنَّظْـ   ـمِ وَإِنْ كَانَ فِي ٱلصِّفَاتِ فُنُونَا

فَأَتَى بَعْضُهُ يُشَاكِلُ بَعْضًا   وَأَقَامَتْ لَهُ ٱلصُّدُورُ ٱلْمُتُونَا
كُلُّ مَعْنًى أَتَاكَ مِنْهُ عَلَى مَا   تَتَمَنَّى لَوْ لَمْ يَكُنْ أَنْ يَكُونَا
فَتَنَاهَى مِنَ ٱلْبَيَانِ إِلَى أَنْ   كَادَ حُسْنًا يَبِينُ لِلنَّاظِرِينَا
فَكَأَنَّ ٱلْأَلْفَاظَ مِنْهُ وُجُوهٌ   وَٱلْمَعَانِي رُكِّبْنَ فِيهِ عُيُونَا
قَائِمًا فِي ٱلْمَرَامِ حَسْبَ ٱلْأَمَانِي   يَتَحَلَّى بِحُسْنِهِ ٱلْمُنْشِدُونَا
فَإِذَا مَا مَدَحْتَ بِٱلشِّعْرِ حُرًّا   رُمْتَ فِيهِ مَذَاهِبَ ٱلْمُسْهِبِينَا
فَجَعَلْتَ ٱلنَّسِيبَ سَهْلًا قَرِيبًا   وَجَعَلْتَ ٱلْمَدِيحَ صِدْقًا مُبِينَا
وَتَنَكَّبْتَ مَا تُهَجِّنُ فِي ٱلسَّمْعِ   وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ مَوْزُونَا
وَإِذَا مَا قَرَضْتَهُ بِهِجَاءٍ   عِبْتَ فِيهِ مَذَاهِبَ ٱلْمُرْفِثِينَا
فَجَعَلْتَ ٱلتَّصْرِيحَ مِنْهُ دَوَاءً   وَجَعَلْتَ ٱلتَّعْرِيضَ دَاءً دَفِينَا
وَإِذَا مَا بَكَيْتَ فِيهِ عَلَى ٱلْغَا   دِينَ يَوْمًا لِلْبَيْنِ وَٱلظَّاعِنِينَا
حُلْتَ دُونَ ٱلْأَسَى وَذَلَّلْتَ مَا كَا   نَ مِنَ ٱلدَّمْعِ فِي ٱلْعُيُونِ مَصُونَا
ثُمَّ إِنْ كُنْتَ عَاتِبًا شُبْتَ بِٱلْوَعْـ   ـدِ وَعِيدًا وَبِٱلصُّعُوبَةِ لِينَا
فَتَرَكْتَ ٱلَّذِي عَتَبْتَ عَلَيْهِ   حَذِرًا آمِنًا عَزِيزًا مَهِينَا
وَأَصَحُّ ٱلْقَرِيضِ مَا فَاتَ فِي ٱلنَّظْمِ   وَإِنْ كَانَ وَاضِحًا مُسْتَبِينَا
فَإِذَا قِيلَ أَطْمَعَ ٱلنَّاسَ طُرًّا   وَإِذَا رِيمَ أَعْجَزَ ٱلْمُعْجِزِينَا

جرير والفرزدق والأخطل

١٩٢ قَالَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ لِخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ صِفْ لِي جَرِيرًا وَٱلْفَرَزْدَقَ وَٱلْأَخْطَلَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَمَّا أَعْظَمُهُمْ فَخْرًا .

وَأَبعدهم ذِكْرًا . وَأَحسنهم عُذرًا . وَأَيسرهم مثلًا . وَأَحلاهم عِللًا . أَلْبحرُ الطَّامي إذا زخر . وَالحَامِي إذا دعر . وَالسَّامِي إذا خطر . أَلَّذي إذا هدر قال . وَإذا خطر صال . الفصيحُ اللِّسانِ . الطَّويلُ العِنانِ . فالفرزدق . وَأَمَّا أحسنهم نعتًا . وَأَمدحهم بيتًا . وَأَقلهم فوتًا . أَلَّذي إذا هجا وضع . وإذا مدح رفع . فالأخطل . وَأَمَّا أغزرهم بحرًا . وَأَرقهم شعرًا . وَأَهتكهم سترًا . الأَغرُّ الأَبلق . أَلَّذي إن طلب لم يُسبق . وَإن طُلب لم يُلحق . فجرير . وَكُلُّهم ذَكِيُّ الفؤادِ . رفيعُ العمادِ . وَارِي الزِّنادِ . قال مسلمةُ بن عبدِ الملكِ وَكان حاضرًا : ما سمعنا بمثلك يا ابنَ صفوان في الأَولين . ولا في الآخرين . أَشهدُ أَنك أَحسنهم وصفًا . وَأَلينهم عِطفًا . وَأَخفهم مقالًا . وَأَكرمهم فعالًا . فقال خالد : أَتمَّ اللهُ عليك نعمته . وَأَجزل لك قسمته . أنت وَاللهِ أَيها الأَميرُ ما علمت كريمُ الغِراسِ . عالمٌ بالنَّاسِ . جوادٌ في المحْل . بسَّامٌ عِند البذلِ . حليمٌ عِند الطَّيش . في الذروةِ مِن قريش . مِن أَشرافِ عبدِ شمس . وَيومك خيرٌ من الأَمسِ . فضحك هِشامٌ وَقال : ما رأيت يا ابنَ صفوان لتخلصك في مدح هؤلاء ووصفهم حتى أَرضيتهم جميعًا وَسلمت مِنهم (زهر الآداب للقيرواني)

وصف التاريخ

١٩٣ أَلتَّاريخُ معادٌ معنويٌّ يُعيدُ الأَعصار وقد سلفت . وينشر أَهلها وقد ذهبت آثارهم وعفت . وبه يستفيدُ عقول التجارِب مِن

كَانَ غِرًّا . وَيَلْقَى مَنْ بَعْدَهُ مِنَ ٱلْأُمَمِ وَهَلُمَّ جرًّا . فَهُمْ لَدَيْهِ أَحْيَاءٌ وَقَدْ تَضَمَّنَتْهُمْ بُطُونُ ٱلْقُبُورِ . وَعَنْهُ غُيَّبٌ وَقَدْ جَعَلَتْهُمُ ٱلْأَخْبَارُ فِي عِدَادِ ٱلْحُضُورِ . وَلَوْلَا ٱلتَّارِيخُ لَجُهِلَتِ ٱلْأَنْسَابُ . وَنُسِيَتِ ٱلْأَحْسَابُ . وَلَمْ يَعْلَمِ ٱلْإِنْسَانُ أَنَّ أَصْلَهُ مِنْ تُرَابٍ . وَكَذٰلِكَ لَوْلَاهُ لَمَاتَتِ ٱلدُّوَلُ بِمَوْتِ زُعَمَائِهَا . وَعَمِيَ عَلَى ٱلْأَوَاخِرِ حَالُ قُدَمَائِهَا . وَلَمْ يَحُطْ عِلْمًا بِمَا تَدَاوَلَتْهُ ٱلْأَرْضُ مِنْ حَوَادِثِ سَمَائِهَا . وَلِمَكَانِ ٱلْعِنَايَةِ بِهِ لَمْ يَخْلُ مِنْهُ كِتَابٌ مِنْ كُتُبِ ٱللّٰهِ ٱلْمُنَزَّلَةِ . فَمِنْهَا مَا أَتَى بِأَخْبَارِهِ ٱلْمُجْمَلَةِ . وَمِنْهَا مَا أَتَى بِأَخْبَارِهِ ٱلْمُفَصَّلَةِ . وَقَدْ وَرَدَ فِي ٱلتَّوْرَاةِ مُفْرَدًا فِي سِفْرٍ مِنْ أَسْفَارِهَا . وَتَضَمَّنَ تَفْصِيلَ أَحْوَالِ ٱلْأُمَمِ ٱلسَّالِفَةِ وَمُدَدَ أَعْمَارِهَا . وَقَدْ كَانَتِ ٱلْعَرَبُ عَلَى جَهْلِهَا بِٱلْقَلَمِ وَخَطِّهِ . وَٱلْكِتَابِ وَضَبْطِهِ . تَصْرِفُ إِلَى ٱلتَّوَارِيخِ جُلَّ دَوَاعِيهَا . وَتَجْعَلُ لَهَا أَوَّلَ حَظٍّ مِنْ مَسَاعِيهَا . فَتَسْتَغْنِي بِحِفْظِ قُلُوبِهَا . عَنْ حِفْظِ مَكْتُوبِهَا . وَتَعْتَاضُ بِرَقْمِ صُدُورِهَا . عَنْ رَقْمِ سُطُورِهَا . كُلُّ ذٰلِكَ عِنَايَةٌ مِنْهَا بِأَخْبَارِ أَوَائِلِهَا . وَأَيَّامِ فَضَائِلِهَا . وَهَلِ ٱلْإِنْسَانُ إِلَّا مَا أَسَّسَهُ ذِكْرُهُ وَبَنَاهُ . وَهَلِ ٱلْبَقَاءُ لِصُورَةِ لَحْمِهِ وَدَمِهِ لَوْلَا بَقَاءُ مَعْنَاهُ (*)   (لابن الأثير)

(*) وفي هذا الكلام شيء من شعر الحماسة وهو :

وإذا الفتى لاقى الحِمامَ وجدتَهُ ... لولا الثناءُ كأنَّهُ لم يُولَدِ

وما أحسن ما قيل في التاريخ :

ليس بإنسانٍ ولا عاقلٍ ... مَن لا يعي التاريخَ في صدرِهِ

ومَن درى أخبارَ مَن قبلَهُ ... أضافَ أعمارًا الى عمرِهِ

الباب الثاني عشر

في الوصف

وصف نزهة

١٩٤ حكى عمر بن علي المطوعي قال: رأى الأمير السيد أبو الفضل عبيد الله بن أحمد أدام الله عزه أيام مقامه بجوين أن يطالع قرية من قرى ضياعه تدعى بجاب على سبيل التنزه والتفرج. فكنت في جملة من استصحبه إليها من أصحابه. واتفق أنا وصلنا والسماء مصحية والجو صاف لم يطرز ثوبه بعلم الغمام. والأفق فيروزج لم يعبق به كافور السحاب. فوقع الاختيار على ظل شجرة باسقة الفروع متسقة الأوراق والغصون. قد سترت ما حواليها من الأرض طولاً وعرضاً. فنزلنا تحتها مستظلين بسماوة أفنانها. مستترين من وهج الشمس بستارة أغصانها. وأخذنا نتجاذب أذيال المذاكرة. ونتسالب أهداب المناشدة والمحاورة. فما شعرنا بالسماء إلا وقد أرعدت وأبرقت. وأظلمت بعد ما أشرقت. ثم جادت بمطر كأفواه القرب فأجادت. بل أوفت عليها وزادت، حتى كاد غيثها يعود عيثاً. وهم وبلها أن يستحيل ويلاً. فصبرنا على أذاها وقلنا سحابة صيف عما قليل تقشع. فإذا نحن بها قد أمطرتنا برداً كالثغور، لكنها من ثغور العذاب. لا من الثغور العذاب. فأيقنا بالبلاء. وسلمنا لأسباب القضاء. فما مرت

إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ النَّهَارِ . حَتَّى سَمِعْنَا خَرِيرَ الْأَنْهَارِ . وَرَأَيْنَا السَّيْلَ قَدْ بَلَغَ الزُّبَى . وَالْمَاءَ قَدْ غَمَرَ الْقِيعَانَ وَالرُّبَى . فَبَادَرْنَا إِلَى حِصْنِ الْقَرْيَةِ لَائِذِينَ مِنَ السَّيْلِ بِأَفْنِيَتِهَا . وَعَائِذِينَ مِنَ الْقَطْرِ بِأَبْنِيَتِهَا . وَأَثْوَابُنَا قَدْ صَنْدَلَ كَافُورِيَّهَا مَاءُ الْوَبْلِ . وَغَلَّفَ طِرَازِيَّهَا طِينُ الْوَحْلِ . وَنَحْنُ نَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ . وَإِنْ فَقَدْنَا بَيَاضَ الْأَكْمَامِ وَالْأَرْدَانِ . فَلَمَّا سُلَّ سَيْفُ الصُّبْحِ مِنْ غِمْدِ الظَّلَامِ . وَصُرِفَ بِوَالِي الصَّحْوِ عَامِلُ الْغَمَامِ . رَأَيْنَا صَوَابَ الرَّأْيِ أَنْ نُوسِعَ الْإِقَامَةَ بِهَا رَفْضًا . وَنَتَّخِذَ الِارْتِحَالَ عَنْهَا فَرْضًا . فَمَا زِلْنَا نَطْوِي الصَّحَارِيَ أَرْضًا فَأَرْضًا . إِلَى أَنْ وَافَيْنَا الْمُسْتَقَرَّ رَكْضًا . فَلَمَّا نَفَضْنَا غُبَارَ ذَلِكَ الْمَسِيرِ . الَّذِي جَمَعَنَا فِي رِبْقَةِ الْأَسِيرِ . وَأَفْضَيْنَا إِلَى سَاحَةِ التَّيْسِيرِ . بَعْدَ مَا أُصِبْنَا بِالْأَمْرِ الْعَسِيرِ . وَتَذَاكَرْنَا مَا لَقِينَا مِنَ التَّعَبِ وَالْمَشَقَّةِ . فِي قَطْعِ ذَلِكَ الطَّرِيقِ وَطَيِّ تِلْكَ الشُّقَّةِ . أَخَذَ الْأَمِيرُ السَّيِّدُ الْقَلَمَ فَعَلَّقَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ارْتِجَالًا :

دَهَتْنَا السَّمَاءُ غَدَاةَ السَّحَابِ ... بِغَيْثٍ عَلَى أُفْقِهِ مُسْبَلِ
وَأَشْرَفَ أَصْحَابُنَا مِنْ أَذَاهُ ... عَلَى خَطَرٍ هَائِلٍ مُعْضِلِ
فَمِنْ لَائِذٍ بِفِنَاءِ الْجِدَارِ ... وَآوٍ إِلَى نَفَقٍ مُهْمَلِ
وَمِنْ مُسْتَجِيرٍ يُنَادِي الْغَرِيقَ ... هُنَاكَ وَمِنْ صَارِخٍ مُعْوِلِ
وَجَادَتْ عَلَيْنَا سَمَاءُ السُّقُوفِ ... بِدَمْعٍ مِنَ الْوَجْدِ لَمْ يُهْمَلِ
كَأَنَّ حَرَامًا لَهَا أَنْ تَرَى ... يَبِيسًا مِنَ الْأَرْضِ لَمْ يُبْلَلِ
وَأَقْبَلَ سَيْلٌ لَهُ رَوْعَةٌ ... فَأَدْبَرَ كُلٌّ عَنِ الْمُقْبِلِ

فَيَقْلَعُ مَا شَاءَ مِنْ دَوْحَةٍ ... وَمَا يَلْقَ مِنْ صَخْرَةٍ يَحْمِلِ
فَمِنْ عَامِرٍ رَدَّهُ غَامِرًا ... وَمِنْ مَعْلَمٍ عَادَ كَالْمَجْهَلِ
كَفَانَا بَلِيَّتَهُ رَبُّنَا ... فَقَدْ وَجَبَ ٱلشُّكْرُ لِلْمُفْضِلِ

١٩٥ لابن حجة الحموي يصف حماة ويتشوق اليها

يَا صَادِقَ ٱلْأَنْفَاسِ يَا أَهْلَ ٱلذَّكَا ... يَا طَاهِرَ ٱلْأَذْيَالِ كَمْ لَكَ مِنْ نَبَا
يَا نَسْمَةَ ٱلْخَيْرِ ٱلَّذِي مِنْ طِيبِهِ ... تَتَنَشَّقُ ٱلْأَخْبَارَ عَنْ تِلْكَ ٱلرُّبَى
وَإِذَا تَنَسَّمْتَ ٱلشَّذَا وَتَعَطَّرَتْ ... مِنْكَ ٱلذُّيُولُ وَطِبْتَ يَا رِيحَ ٱلصَّبَا
عَرِّجْ عَلَى وَادِي حَمَاةَ بِسُحْرَةٍ ... مُتَيَمِّمًا مِنْهُ صَعِيدًا طَيِّبَا
وَٱحْمِلْ لَنَا فِي طَيِّ بُرْدِكَ نَشْرَهُ ... فَبِغَيْرِ ذَاكَ ٱلطِّيبِ لَنْ نَتَطَيَّبَا
وَأَسْرِعْ إِلَيَّ وَدَاوِ فِي مِصْرٍ بِهِ ... قَلْبًا عَلَى نَارِ ٱلْبِعَادِ مُقَلَّبَا
لِلّٰهِ ذَاكَ ٱلسَّفْحُ وَٱلْوَادِي ٱلَّذِي ... مَا زَالَ رَوْضُ ٱلْأُنْسِ فِيهِ مُخْصِبَا
وَأَنْعَمْ بِمِصْرٍ نِسْبَةً لٰكِنْ أَرَى ... وَادِي حَمَاةَ وَلُطْفَهُ لِي أَنْسَبَا
أَرْضٌ رَضِعْتُ بِهَا ثُدِيَّ شَبِيبَتِي ... وَمَزَجْتُ لَذَّاتِي بِكَاسَاتِ ٱلصِّبَا
يَا سَاكِنِي مَغْنَى حَمَاةَ وَحَقِّكُمْ ... مِنْ بَعْدِكُمْ مَا ذُقْتُ عَيْشًا طَيِّبَا
وَمَهَالِكُ ٱلْحِرْمَانِ تَمْنَعُ عَبْدَكُمْ ... مِنْ أَنْ يَنَالَ مِنَ ٱلتَّلَاقِي مَطْلَبَا
وَإِذَا ٱشْتَهَيْتُ ٱلسَّيْرَ نَحْوَ دِيَارِكُمْ ... قَرَأَ ٱلنَّوَى لِي فِي ٱلْأَوَاخِرِ مِنْ سَبَا
وَقَدِ ٱلْتَفَتُّ إِلَيْكَ يَا دَهْرِي بِطُو ... لِ تَعَتُّبِي وَيَحِقُّ لِي أَنْ أَعْتِبَا
قَرَّرْتَ لِي طُولَ ٱلشَّتَاتِ وَظِيفَةً ... وَجَعَلْتَ دَمْعِي فِي ٱلْخُدُودِ مُرَتَّبَا
وَأَسَرْتَنِي لٰكِنْ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ ... يَا دَهْرُ كُنْ فِي مَخْلَصِي مُتَسَبِّبَا

فمحمدٌ ومدينةٌ قد حلّها لم ألقَ غيرهما لقلبي مطلبا

وصف الخيل

١٩٦ أهدى عبدُ اللهِ بنُ طاهرٍ إلى المأمونِ فرسًا وكتبَ إليهِ: قد بعثتُ إلى أميرِ المؤمنينَ بفرسٍ يلحقُ الأرانبَ في الصعداء. ويجاوزُ الظباءَ في الاستواء. ويسبقُ في الحدورِ جريَ الماءِ كما قال تأبّط شرًّا:

ويسبقُ وفدَ الريحِ من حيثُ تنتحي بمنخرقٍ من شدّهِ المتداركِ

جمع محمدُ بنُ الحسينِ بينَ هذينِ الكلامينِ وزادَ فيهِ فقالَ يصفُ فرسًا: هو حسنُ القميصِ. جيّدُ الفصوصِ. وثيقُ القصبِ. نقيُّ العصبِ. يبصرُ بأذنيهِ. ويتبوعُ بيديهِ. ويداخلُ برجليهِ. كأنّهُ موجٌ في لجّةٍ أو سيلٌ في حدورٍ. يناهبُ المشيَ قبلَ أن يبعثَ. ويلحقُ الأرانبَ في الصعداءِ. ويجاوزُ جواريَ الظباءِ في الاستواءِ. ويسبقُ في الحدورِ جريَ الماءِ. إن عطفَ جارَ. وإن أرسلَ طارَ. وإن كُلّفَ السيرَ أمعنَ وسارَ. وإن حُبسَ صفنَ. وإنِ استوقفَ قطنَ. وإن رُعي أبنَ. قال أبو تمّام:

ما مقربٌ يختالُ في أشطانهِ ملآنَ من صلفٍ بهِ وتلهوقِ
بحوافرٍ حُفرٍ وصُلبٍ أصلبٍ وأشاعرٍ شُعرٍ وخَلقٍ أخلقِ
ذو أولقٍ تحتَ العجاجِ وإنّما من صحّةٍ إفراطُ ذاكَ الأولقِ
صافي الأديمِ كأنّما ألبستهُ من سندسٍ بُردًا ومن إستبرقِ
إمليسهُ إمليدهُ لو علّقتْ في صهوتيهِ العينُ لم تتعلّقِ

مُسْوَدُّ شَطْرٍ مِثْلَ مَا اسْوَدَّ الدُّجَى مُبْيَضُّ شَطْرٍ كَابْيِضَاضِ الْمُهْرَقِ

١٩٧ وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ خَلَفٍ النَّهْرَوَالِيُّ لِأَبِي دُلَفَ وَكَانَ لَهُ فَرَسٌ أَدْهَمُ يُسَمِّيهِ غُرَابًا:

كَمْ كَمْ تُجَرِّعُهُ الْمَنُونَ وَيَسْلَمُ لَوْ يَسْتَطِيعُ شَكَا إِلَيْكَ لَهُ الْفَمُ

مِنْ كُلِّ مَنْبَتِ شَعْرَةٍ مِنْ جِلْدِهِ خَطٌّ يُنَمِّقُهُ الْحُسَامُ الْمِخْذَمُ

مَا تُدْرِكُ الْأَرْوَاحُ أَدْنَى جَرْيِهِ حَتَّى يَفُوتَ الرِّيحَ وَهْوَ مُقَدَّمُ

رَجَعَتْهُ أَطْرَافُ الْأَسِنَّةِ أَشْقَرًا وَاللَّوْنُ أَدْهَمُ حِينَ ضَرَّجَهُ الدَّمُ

وَكَأَنَّمَا عَقَدَ النُّجُومَ بِطَرْفِهِ وَكَأَنَّمَا بِعُرَى الْمَجَرَّةِ مُلْجَمُ

١٩٨ قال أبو نصر بن عمر التميمي السعديّ وكان شاعرًا مُجيدًا جمع بين حسن السبك وجودة المعنى طاف البلاد ومدح الملوك والوزراء والرؤساء وله في سيف الدولة بن حمدان غُرَر القصائد ونُخَب المدائح وكان قد أعطاه فرسًا أدهم أغرّ محجّلًا فكتب اليه:

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي أَخْلَاقُهُ مِنْ خَلْقِهِ وَرُوَاؤُهُ مِنْ رَأْيِهِ

قَدْ جَاءَنَا الطِّرْفُ الَّذِي أَهْدَيْتَهُ هَادِيهِ يَعْقِدُ أَرْضَهُ بِسَمَائِهِ

يَحْتَلُّ مِنْهُ عَلَى أَغَرَّ مُحَجَّلٍ مَاءُ الدَّيَاجِي قَطْرَةٌ مِنْ مَائِهِ

فَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ فَاقْتَصَّ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ

مُتَمَهِّلًا وَالْبَرْقُ مِنْ أَسْمَائِهِ مُتَبَرْقِعًا وَالْحُسْنُ مِنْ أَكْفَائِهِ

مَا كَانَتِ النِّيرَانُ تُكْمِنُ حَرَّهَا لَوْ كَانَ لِلنِّيرَانِ بَعْضُ ذَكَائِهِ

لَا تَعْلَقُ الْأَلْحَاظُ فِي أَعْطَافِهِ إِلَّا إِذَا كَفْكَفْتَ مِنْ غُلَوَائِهِ

لَا يُكْمِلُ الطِّرْفُ الْمَحَاسِنَ كُلَّهَا حَتَّى يَكُونَ الطِّرْفُ مِنْ أُسَرَائِهِ

١٩٩ قَالَ آخَرُ فِي وَصْفِ فَرَسٍ:

لَهُ زَهْوُ طَاوُوسٍ وَخَطْرُ حَمَامَةٍ   وَتَدْوِيمُ بَازٍ وَٱنْقِضَاضُ عُقَابِ
وَوَثْبُ ظُبَيٍّ وَٱنْجِفَالُ نَعَامَةٍ   وَإِهْذَابُ سِيدٍ وَٱنْسِيَابُ حُبَابِ
وَصَوْلَةُ ضِرْغَامٍ وَرَوْغُ ثُعَالَةٍ   وَلَحْظُ قُطَامِيٍّ وَحَذْرُ غُرَابِ
وَجَدْلُ عِنَانٍ وَٱنْثِنَاءُ ذُؤَالَةٍ   وَوَقْدُ ضِرَامٍ وَٱنْصِيَاعُ شِهَابِ
وَهَيْجُ أَخِي شَوْلٍ وَتَدْفِيقُ جِيَأَلٍ   وَإِيمَاضُ بَرْقٍ وَٱلْتِمَاعُ سَرَابِ
وَإِعْصَافُ رِيحٍ وَٱهْتِزَازُ يَرَاعَةٍ   وَدَرَّةُ نَوْءٍ وَٱنْجِيَابُ سَحَابِ

٢٠٠ وصف بركار لابي الفتح كشاجم وكان استهداهُ من صاحبٍ

جُدْ لِي بِبِرْكَارِكَ ٱلَّذِي صَنَعَتْ   فِيهِ يَدَا قَيْنِهِ ٱلْأَعَاجِيبَا
مُلْتَئِمُ ٱلشُّعْبَتَيْنِ مُعْتَدِلٌ   مَا شِينَ مِنْ جَانِبٍ وَلَا عِيبَا
أُوثِقَ مِسْمَارُهُ وَغُيِّبَ عَنْ   نَوَاظِرِ ٱلنَّاقِدِينَ تَغْيِيبَا
فَعَيْنُ مَنْ يَجْتَلِيهِ يَحْسَبُهُ   فِي قَالَبِ ٱلْإِعْتِدَالِ مَصْبُوبَا
قَدْ ضَمَّ قُطْرَيْهِ مُحْكَمًا لَهُمَا   ضَمَّ مُحِبٍّ إِلَيْهِ مَحْبُوبَا
يَزْدَادُ حِرْصًا عَلَيْهِ مُبْصِرُهُ   مَا زَادَهُ بِٱلْبَنَانِ تَقْلِيبَا
ذُو مُقْلَةٍ بَصِيرَةٍ مُذْهَبَةٍ   لَمْ تَأْلُهُ رِقَّةً وَتَهْذِيبَا
يَنْظُرُ مِنْهَا إِلَى ٱلصَّوَابِ فَمَا   بِهِ يَزَالُ ٱلصَّوَابُ مَطْلُوبَا
لَوْلَاهُ مَا صَحَّ خَطُّ دَائِرَةٍ   وَلَا وَجَدْنَا ٱلْحِسَابَ مَحْسُوبَا
أَلْحَقُّ فِيهِ فَإِنْ عَدَلْتَ إِلَى   سِوَاهُ كَانَ ٱلْحِسَابُ تَقْرِيبَا
لَوْ عَيْنُ أُقْلِيدِسٍ بِهِ بَصُرَتْ   خَرَّ لَهُ بِٱلسُّجُودِ مَكْبُوبَا
فَٱبْعَثْهُ وَٱجْنُبْهُ لِي بِمِسْطَرَةٍ   تَلْقَ ٱلثَّنَا بِٱلْعَلَاءِ مَجْنُوبَا

٢٠١ ولابي الفتح يصف أسطرلابًا

وَمُسْتَدِيرٍ كَجِرْمِ الْبَدْرِ مَسْطُوحٍ   عَنْ كُلِّ دَابِقَةِ الْإِشْكَالِ مَصْفُوحِ
صُلْبٍ يُدَارُ عَلَى قُطْبٍ يُثَبِّتُهُ   تِمْثَالُ طِرْفٍ بِشَكْمِ الْحِذْقِ مَكْبُوحِ
مِلْءِ الْبَنَانِ وَقَدْ أَوْفَتْ صَفَائِحُهُ   عَلَى الْأَقَالِيمِ مِنْ أَقْطَارِهَا الْفِيحِ
تُلْفِي بِهِ السَّبْعَةَ الْأَفْلَاكَ مُحْدِقَةً   بِالْمَاءِ وَالنَّارِ وَالْأَرْضِينَ وَالرِّيحِ
تُنْبِيكَ عَنْ طَالِعِ الْأَبْرَاجِ هَيْئَتُهُ   بِالشَّمْسِ طَوْرًا وَطَوْرًا بِالْمَصَابِيحِ
وَإِنْ مَضَتْ سَاعَةٌ أَوْ بَعْضُ ثَانِيَةٍ   عَرَفْتَ ذَاكَ بِعِلْمٍ فِيهِ مَشْرُوحِ
وَإِنْ تَعَرَّضَ فِي وَقْتٍ يُقَدِّرُهُ   لَكَ التَّشَكُّكُ جَلَّاهُ بِتَصْحِيحِ
مُمَيِّزٌ فِي قِيَاسَاتِ الطُّلُوعِ بِهِ   بَيْنَ الْمَشَائِيمِ مِنْهَا وَالْمَنَاجِيحِ
لَهُ عَلَى الظَّهْرِ عَيْنَا حِكْمَةٍ بِهِمَا   يَحْوِي الضِّيَاءَ وَيَجْنِيهِ مِنَ اللُّوحِ
وَفِي الدَّوَائِرِ مِنْ أَشْكَالِهِ حِكَمٌ   تُنَقِّحُ الْعَقْلَ مِنَّا أَيَّ تَنْقِيحِ
لَا يَسْتَقِلُّ لِمَا فِيهِ بِمَعْرِفَةٍ   إِلَّا الْحَصِيفُ اللَّطِيفُ الْحِسِّ وَالرُّوحِ
حَتَّى تَرَى الْغَيْبَ فِيهِ وَهُوَ مُنْغَلِقُ الْ   أَبْوَابِ عَمَّنْ سِوَاهُ جِدُّ مَفْتُوحِ
نَتِيجَةُ الذِّهْنِ وَالتَّفْكِيرِ صَوَّرَهُ   ذَوُو الْعُقُولِ الصَّحِيحَاتِ الْمَرَاجِيحِ

٢٠٢ قال احمد صفيّ الدين بن صالح بن ابي الرجال يصف روضة صنعاء

رَوْضَةٌ قَدْ صَبَا لَهَا السَّعْدُ شَوْقًا   قَدْ صَفَا لَيْلُهَا وَطَابَ الْمَقِيلُ
جَوُّهَا سَجْسَجٌ وَفِيهَا نَسِيمٌ   كُلُّ غُصْنٍ إِلَى لِقَاهُ يَمِيلُ
صَحَّ سُكَّانُهَا جَمِيعًا مِنَ الدَّا   ءِ وَجِسْمُ النَّسِيمِ فِيهَا عَلِيلُ
إِيهِ يَا مَاءَ نَهْرِهَا الْعَذْبَ صَلْصِلْ   حَبَّذَا يَا زُلَالُ مِنْكَ الصَّلِيلُ

إِيهِ يَا وُرْقَهَا ٱلْمُرِنَّةَ غَنِّي   فَحَيَاةُ ٱلنُّفُوسِ مِنْكِ ٱلْهَدِيلُ
رَوْضَ صَنْعَاءَ فُقْتَ طَبْعًا وَوَصْفًا   فَكَثِيرُ ٱلثَّنَاءِ فِيكَ قَلِيلُ
تِهْ عَلَى ٱلشِّعْبِ شِعْبِ بَوَّانَ وَٱفْخَرْ   فَعَلَى مَا تَقُولُ قَامَ ٱلدَّلِيلُ
نَهَرٌ دَافِقٌ وَجَوٌّ فَتِيقٌ   زَهَرٌ فَائِقٌ وَظِلٌّ ظَلِيلُ
وَثِمَارٌ قِطَافُهَا دَانِيَاتٌ   يَجْتَنِيهَا قَصِيرُنَا وَٱلطَّوِيلُ
لَسْتُ أَنْسَى ٱنْتِعَاشَ شُحْرُورِ غُصْنٍ   طَرَبًا وَٱلْقَضِيبُ مِنْهُ يَمِيلُ
وَعَلَى رَأْسِ دَوْحَةٍ خَاطَبَ ٱلْوَرْ   قَ وَدَمْعُ ٱلْغُصُونِ طَلًّا يَسِيلُ
وَلِسَانُ ٱلرُّعُودِ يَهْتِفُ بِٱلسُّحْبِ   فَكَانَ ٱلْخَفِيفَ مِنْهَا ٱلثَّقِيلُ
وَفَمُ ٱلسُّحْبِ بَاسِمٌ عَنْ بُرُوقٍ   مُسْتَطِيرٌ شُعَاعُهَا مُسْتَطِيلُ
وَزُهُورُ ٱلرُّبَى تَعَجَّبُ مِنْ ذَا   شَاخِصًا طَرْفُهَا ٱلْمَلِيحُ ٱلْجَمِيلُ
فِيهِ لِي رِفْقَةٌ رِقَاقُ ٱلْحَوَاشِي   كَادَ لِينُ ٱلطِّبَاعِ مِنْهُمْ يَسِيلُ
أَرْيَحِيُّونَ لَوْ تَسُومُهُمُ ٱلنَّفْسَ   لَجَادُوا فَلَيْسَ مِنْهُمْ بَخِيلُ
تَتَهَادَى مِنَ ٱلْعُلُومِ كُؤُوسًا   طَيِّبَاتٍ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلُ
طَابَ لِي رَأْدُهَا وَطَابَ ضُحَاهَا   كَيْفَ أَسْحَارُهَا وَكَيْفَ ٱلْأَصِيلُ

٢٠٣ قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ ٱلْمَعْرُوفُ بِٱبْنِ عِزِّ ٱلْقُضَاةِ يَصِفُ شُمُوعًا .

وَزَهْرِ شُمُوعٍ إِنْ مَدَدْنَ بَنَانَهَا   لِتَمْحُو سُطُورَ ٱللَّيْلِ نَابَتْ عَنِ ٱلْبَدْرِ
وَفِيهِنَّ كَافُورِيَّةٌ خِلْتُ أَنَّهَا   عَمُودُ صَبَاحٍ فَوْقَهُ كَوْكَبُ ٱلْفَجْرِ
وَصَفْرَاءُ تَحْكِي شَاحِبًا شَابَ رَأْسُهُ   فَأَدْمُعُهَا تَجْرِي عَلَى ضَيْعَةِ ٱلْعُمْرِ
وَخَضْرَاءُ يَبْدُو وَقْدُهَا فَوْقَ خَدِّهَا   كَنَرْجِسَةٍ تَزْهُو عَلَى ٱلْغُصْنِ ٱلنَّضْرِ

فَلَا غَرْوَ أَنْ يَحْكِي الْأَزَاهِرَ حُسْنُهَا ... أَلَيْسَ جَنَاهَا النَّخْلُ قِدْمًا مِنَ الزَّهْرِ

٢٠٤ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْأَرَّجَانِيُّ يَصِفُ الشَّمْعَةَ وَقَدْ أَحْسَنَ فِيهَا كُلَّ الْإِحْسَانِ وَاسْتَغْرَقَ كُلَّ الصِّفَاتِ:

نَمَّتْ بِأَسْرَارِ لَيْلٍ كَانَ يُخْفِيهَا ... وَأَطْلَعَتْ قَلْبَهَا لِلنَّاسِ مِنْ فِيهَا
قَلْبٌ لَهَا لَمْ يَرُعْنَا وَهْوَ مُكْتَمِنٌ ... أَلَا تَرَى فِيهِ نَارًا مِنْ تَرَاقِيهَا
غَرِيقَةٌ فِي دُمُوعٍ وَهْيَ تُحْرِقُهَا ... أَنْفَاسُهَا بِدَوَامٍ مِنْ تَلَظِّيهَا
تَنَفَّسَتْ نَفَسَ الْمَهْجُورِ إِذْ ذَكَرَتْ ... عَهْدَ الْخَلِيطِ فَبَاتَ الْوَجْدُ يُذْكِيهَا
يُخْشَى عَلَيْهَا الرَّدَى مَهْمَا أَلَمَّ بِهَا ... نَسِيمُ رِيحٍ إِذَا وَافَى يُحَيِّيهَا
قَدْ أَثْمَرَتْ وَرْدَةً حَمْرَاءَ طَالِعَةً ... تَجْنِي عَلَى الْكَفِّ إِنْ أَهْوَيْتَ تَجْنِيهَا
وَرْدٌ تُشَاكُ بِهِ الْأَيْدِي إِذَا قُطِفَتْ ... وَمَا عَلَى غُصْنِهَا شَوْكٌ يُوَقِّيهَا
صُفْرٌ غَلَائِلُهَا حُمْرٌ عَمَائِمُهَا ... سُودٌ ذَوَائِبُهَا بِيضٌ لَيَالِيهَا

صفة نزهة على نهر سرقسطة

٢٠٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرٍ: ذَكَرَ صَاحِبُ قَلَائِدِ الْعِقْيَانِ مَا هٰذَا مَعْنَاهُ: إِنَّ الْمُسْتَعِينَ بِاللّٰهِ أَحْمَدَ بْنَ الْمُؤْتَمِنِ بْنِ هُودٍ الْجُذَامِيَّ صَاحِبَ سَرَقُسْطَةَ وَالثُّغُورِ رَكِبَ نَهْرَ سَرَقُسْطَةَ يَوْمًا لِتَفَقُّدِ بَعْضِ مَعَاقِلِهِ الْمُنْتَظِمَةِ بِجِيدِ سَاحِلِهِ. وَهُوَ نَهْرٌ رَقَّ مَاؤُهُ وَرَاقَ. وَأَزْرَى عَلَى نِيلِ مِصْرَ وَدِجْلَةَ وَالْعِرَاقِ. وَقَدِ اكْتَنَفَتْهُ الْبَسَاتِينُ مِنْ جَانِبَيْهِ وَأَلْقَتْ ظِلَالَهَا عَلَيْهِ. فَمَا تَكَادُ عَيْنُ الشَّمْسِ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ. هٰذَا عَلَى اتِّسَاعِ عَرْضِهِ. وَبُعْدِ سَطْحِ الْمَاءِ مِنْ أَرْضِهِ. وَقَدْ تَوَسَّطَ زَوْرَقُهُ زَوَارِقَ حَاشِيَتِهِ تَوَسُّطَ الْبَدْرِ لِلْهَالَةِ.

وَأَحَاطَتْ بِهِ إِحَاطَةَ ٱلطُّفَاوَةِ بِٱلغَزَالَةِ . وَقَدْ أَعَدُّوا مِنْ مَكَايِدِ ٱلصَّيْدِ مَا ٱسْتَخْرَجَ ذَخَائِرَ ٱلْمَاءِ . وَأَخَافَ حَتَّى حُوتَ ٱلسَّمَاءِ . وَأَهِلَّةُ ٱلْهَالَاتِ طَالِعَةٌ مِنَ ٱلْمَوْجِ فِي سَحَابٍ . وَقَانِصَةٌ مِنْ بَنَاتِ ٱلْمَاءِ كُلُّ طَائِرَةٍ كَٱلشِّهَابِ . فَلَا تَرَى إِلَّا صُيُودًا كَصَيْدِ ٱلصَّوَارِمِ . وَقُدُودِ ٱللَّهَاذِمِ . فَقَالَ ٱلْوَزِيرُ أَبُو ٱلْفَضْلِ بْنُ حَسْدَايٍ وَٱلطَّرَبُ قَدِ ٱسْتَهْوَاهُ . وَبَدِيعُ ذٰلِكَ ٱلْمَرْأَى ٱسْتَرَقَّ هَوَاهُ :

لِلّٰهِ يَوْمٌ أَنِيقٌ وَاضِحُ ٱلْغُرَرِ ... مُفَضَّضٌ مُذْهَبُ ٱلْآصَالِ وَٱلْبُكَرِ
كَأَنَّمَا ٱلدَّهْرُ لَمَّا سَاءَ أَعْتَبَنَا ... فِيهِ بِعُتْبَى وَأَبْدَى صَفْحَ مُعْتَذِرِ
نَسِيرُ فِي زَوْرَقٍ حَفَّ ٱلسَّفِينُ بِهِ ... مِنْ جَانِبَيْهِ بِمَنْظُومٍ وَمُنْتَثِرِ
مَدَّ ٱلشِّرَاعُ بِهِ نَشْرًا عَلَى مَلِكٍ ... بَذَّ ٱلْأَوَائِلَ فِي أَيَّامِهِ ٱلْأُخَرِ
هُوَ ٱلْإِمَامُ ٱلْهُمَامُ ٱلْمُسْتَعِينُ حَوَى ... عَلْيَاءَ مُؤْتَمَنٍ فِي هَدْيِ مُقْتَدِرِ
تَحْوِي ٱلسَّفِينَةُ مِنْهُ آيَةً عَجَبًا ... بَحْرٌ تَجَمَّعَ حَتَّى صَارَ فِي نَهَرِ
تُثَارُ مِنْ قَعْرِهِ ٱلنِّينَانُ مُصْعَدَةً ... صَيْدًا كَمَا ظَفِرَ ٱلْغَوَّاصُ بِٱلدُّرَرِ

صفة الليل

٢٠٦ قَالَ بَعْضُ ٱلْأُدَبَاءِ لِٱبْنِهِ يَا بُنَيَّ ٱجْعَلْ نَظَرَكَ فِي ٱلْعِلْمِ لَيْلًا . فَإِنَّ ٱلْقَلْبَ فِي ٱلصَّدْرِ كَٱلطَّيْرِ يَنْتَشِرُ بِٱلنَّهَارِ وَيَعُودُ إِلَى وَكْرِهِ فِي ٱللَّيْلِ . فَهُوَ فِي ٱللَّيْلِ سَاكِنٌ مَا أَلْقَيْتَ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ وَعَاهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : فِي ٱللَّيْلِ تَجُمُّ ٱلْأَذْهَانُ وَتَنْقَطِعُ ٱلْأَشْغَالُ . وَيَصِحُّ ٱلنَّظَرُ وَتُؤَلَّفُ ٱلْحِكْمَةُ وَتَدِرُّ ٱلْخَوَاطِرُ . وَيَتَّسِعُ مَجَالُ ٱلْقَلْبِ . وَٱللَّيْلُ أَحْرَى فِي

مَذهبِ الفِكرِ. وأخفى لِعَمَلِ البِرِ. وأعونَ على صدقةِ السِرِ. وأصحُ لِتلاوةِ الذِكرِ. وأربابُ الأمرِ يختارونَ الليلَ على النهارِ لرياضةِ النفوسِ. وسياسةِ التدبيرِ في دفعِ المُلِمِ. وإمضاءِ المُهِمِ. وإنشاءِ الكُتُبِ ونَظمِ الشعرِ وتصحيحِ المعاني. وإظهارِ الحُجَجِ وإصابةِ غَرَضِ الكلامِ. وتقريبِهِ مِنَ الأفهامِ. وفي الليلِ تتزاورُ الأحبابُ. لا يَطرُقُكَ فيهِ خبرٌ قاطعٌ. ولا شُغلٌ مانِعٌ

٢٠٧ سألَ هِشامُ بنُ عبدِ اللهِ خالدَ بنَ صفوانَ: كيفَ كانَ سيرُكَ. فقالَ: بينا أنا أسيرُ ذاتَ ليلةٍ إذ عصفتْ ريحٌ شديدٌ ظَلماؤُها. أطبقَ سماؤُها وطبقَ سحابُها. وتعلقَ رُبانُها. فبقيتُ مُحرَنجِماً كالأشقرِ إن تقدمَ نُحِرَ. وإن تأخرَ عُقِرَ. لا أسمعُ لواطىءٍ همساً. ولا لنابحٍ جرساً. تدلتْ عليَّ غيومُها. وتوارتْ عني نجومُها. فلا أهتدي بنجمٍ طالعٍ. ولا بعلمٍ لامعٍ. أقطعُ مَحَجَّةً. وأهبطُ لُجَّةً. في دَيمومةٍ قَفرٍ. بعيدةِ القعرِ. فالريحُ تخطفني. والشوكُ يخبطني في ريحٍ عاصفٍ. وبرقٍ خاطفٍ. قد أوحشني إكامُها. وقطعني سلامُها. فبينا أنا كذلكَ قد ضاقتْ عليَّ معارجي. وسُدَّتْ مخارجي. إذ بدا نجمٌ لائحٌ. وبياضٌ واضحٌ. عرجتُ إلى إكامِ مَجَرِّ ذيلهِ فإذا أنا بمصابيحكم هذهِ فقرتِ العينُ. وانكشفَ الرينُ. فقالَ هشامٌ: للهِ دركَ. ما أحسنَ وصفكَ (سمر الليالي لابن منظور)

صفة عاصفة

٢٠٨ ذكرَ السيوطيُّ عاصفةً حدثتْ سنةَ ثلاثٍ وتسعينَ قالَ: كانَ

فِي لَيْلَةِ ٱلْجُمُعَةِ ٱلتَّاسِعِ مِنْ جُمَادَى ٱلْآخِرَةِ أَتَى عَارِضٌ فِيهِ ظُلُمَاتٌ مُتَكَاثِفَةٌ. وَبُرُوقٌ خَاطِفَةٌ. وَرِيَاحٌ عَاصِفَةٌ. فَقَوِيَ أَهْوِيتُهَا. وَٱشْتَدَّ هُبُوبُهَا. فَتَدَافَعَتْ لَهَا أَعِنَّةٌ مُطْلَقَاتٌ. وَٱرْتَفَعَتْ لَهَا صَوَاعِقُ مُصْعِقَاتٌ. فَرَجَفَتْ لَهَا ٱلْجُدْرَانُ وَٱصْطَفَقَتْ. وَتَلَاقَتْ عَلَى بُعْدِهَا وَٱعْتَنَقَتْ. وَثَارَ بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ عَجَاجٌ فَقِيلَ: لَعَلَّ هٰذِهِ عَلَى هٰذِهِ أَطْبَقَتْ. وَتَحْسَبُ أَنَّ جَهَنَّمَ قَدْ سَالَ مِنْهَا وَادٍ. وَعَدَا مِنْهَا عَادٍ. وَزَادَ عَصْفُ ٱلرِّيَاحِ إِلَى أَنِ ٱنْطَفَأَتْ سُرُجُ ٱلنُّجُومِ. وَمَزَّقَتْ أَدِيمَ ٱلسَّمَاءِ وَمَحَتْ مَا فَوْقَهُ مِنَ ٱلرُّقُومِ. لَا عَاصِمَ مِنَ ٱلْخَطْفِ لِلْأَبْصَارِ. وَلَا مَلْجَأَ مِنَ ٱلْخَطْبِ إِلَّا مَعَاقِلُ ٱلِٱسْتِغْفَارِ. وَفَرَّ ٱلنَّاسُ نِسَاءً وَرِجَالًا. وَنَفَرُوا مِنْ دُورِهِمْ خِفَافًا وَثِقَالًا. لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا. فَٱعْتَصَمُوا بِٱلْمَسَاجِدِ ٱلْجَامِعَةِ. وَأَذْعَنُوا لِلنَّازِلَةِ بِأَعْنَاقٍ خَاضِعَةٍ. وَوُجُوهٍ عَانِيَةٍ. وَنُفُوسٍ عَنِ ٱلْأَهْلِ وَٱلْمَالِ سَالِيَةٍ. يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ. وَيَتَوَقَّعُونَ أَيَّ خَطْبٍ جَلِيٍّ. قَدِ ٱنْقَطَعَتْ مِنَ ٱلْحَيَاةِ عُلَقُهُمْ. وَعَمِيَتْ عَنِ ٱلنَّجَاةِ طُرُقُهُمْ. وَوَقَعَتِ ٱلْفِكْرَةُ فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ قَادِمُونَ. وَقَامُوا إِلَى صَلَاتِهِمْ وَوَدُّوا أَنْ لَوْ كَانُوا مِنَ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَيْهَا دَائِمُونَ. إِلَى أَنْ أَذِنَ ٱللهُ فِي ٱلرُّكُودِ. وَأَسْعَفَ ٱلْهَاجِدِينَ بِٱلْهُجُودِ. وَأَصْبَحَ كُلٌّ يُسَلِّمُ عَلَى رَفِيقِهِ. وَيُهَنِّيهِ بِسَلَامَةِ طَرِيقِهِ. وَيَرَى أَنَّهُ قَدْ بُعِثَ بَعْدَ ٱلنَّفْخَةِ. وَأَفَاقَ بَعْدَ ٱلصَّيْحَةِ وَٱلصَّرْخَةِ. وَأَنَّ ٱللهَ قَدْ رَدَّ لَهُ ٱلْكَرَّةَ. وَأَدَّبَهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ يَأْخُذُهُ عَلَى ٱلْغِرَّةِ. وَوَرَدَتِ ٱلْأَخْبَارُ. بِأَنَّهَا كَسَرَتِ ٱلْمَرَاكِبَ فِي ٱلْبِحَارِ. وَٱلْأَشْجَارَ

فِي ٱلْقِفَارِ . وَأَتْلَفَتْ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ ٱلسُّفَّارِ . وَمِنْهُمْ مَنْ فَرَّ فَلَمْ يَنفَعْهُ ٱلْفِرَارُ
(حسن المحاضرة للسيوطي)

صفة انكسار العدوّ

٢٠٩ وَصَفَ سُلَيْمَانُ ٱلْحَلَبِيُّ ٱلْعَدُوَّ بِٱلْخُمُودِ وَٱلْوَهْنِ فِي قِتَالِهِ وَمَا يُظْهِرُونَهُ مِنَ ٱلرَّهَجِ بِٱلْحَرَكَةِ وَإِعْدَادِ ٱلْأُهْبَةِ وَٱلِٱحْتِشَادِ . قَالَ : وَأَمَّا رَهَجُ ٱلْعَدُوِّ ٱلْمَخْذُولِ بِٱلْحَرَكَةِ وَرَمْيُ ٱلصِّيتِ بِهَا فَإِنَّ عُدَّتَهُ ٱلصِّيَاحُ . وَقُوَّةُ ٱلْجَبَانِ فِي ٱلْقَوْلِ وَٱلْقَوْلُ يَذْهَبُ فِي ٱلرِّيَاحِ . وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمْ مَا أَقْدَمُوا إِلَّا وَكَانَ أَحَدُ سِلَاحِهِمِ ٱلْهَرَبَ . وَلَا طَمِعُوا فِي ٱلنَّجَاحِ فَكَانَ لَهُمْ فِي غَيْرِ ٱلنَّجَاةِ أَرَبٌ . يُبَالِغُونَ فِي ٱلِٱحْتِشَادِ وَٱلْجَازِرُ لَا يَهُولُهُ كَثْرَةُ ٱلْغَنَمِ . وَيَسْتَكْثِرُونَ مِنَ ٱلسَّوَادِ وَجُنُودُ مَنْ لَا يَنفَعُ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِٱلْعَدَمِ . فَقُوَّتُهُمْ ضَعِيفَةٌ . وَوَطْأَتُهُمْ خَفِيفَةٌ . وَثَبَاتُهُمْ أَقْصَرُ مِنْ حَلِّ ٱلْعِقَالِ . وَصَبْرُهُمْ أَسْرَعُ مِنَ ٱلظِّلِّ فِي ٱلِٱنْتِقَالِ . وَخُيُولُهُمْ لَا تُطِيعُ أَمْرَ أَعِنَّتِهَا إِلَّا فِي ٱلْفِرَارِ . فَإِنْ طَمِعُوا فِي ٱللِّقَاءِ فَسَتَرُدُّهُمْ كِلَامُ سُيُوفِنَا كَأَقْسَامِ ٱلْكَلَامِ ٱلثَّلَاثَةِ هَزِيمًا وَأَسِيرًا وَصَرِيعًا

وصف ابن سليمان الحلبي غلبة على التتار

٢١٠ (قَالَ) إِنَّ ٱلتَّتَارَ ٱسْتَنْجَدُوا بِكُلِّ طَائِفَةٍ وَأَقْدَمُوا عَلَى ٱلْبِلَادِ ٱلْإِسْلَامِيَّةِ بِنُفُوسٍ طَامِعَةٍ . وَقُلُوبٍ خَائِفَةٍ . وَذٰلِكَ بَعْدَ أَنْ قَامُوا مُدَّةً يَشْتَرُونَ ٱلْمُخَادَعَةَ بِٱلْمُوَادَعَةِ . وَيُسِرُّونَ ٱلْمُصَارَمَةَ . فِي ٱلْمُسَالَمَةِ . وَحِينَ تَيَسَّرَ مُرَادُهُمْ . وَتَكَمَّلَ ٱحْتِشَادُهُمْ . ٱسْتَدْرَجْنَاهُمْ إِلَى مَصَارِعِهِمْ .

وَاسْتجرَيْنَاهُم لِيَقْرُبُوا في القَتْلِ مِنْ مَضَاجِعِهِمْ . وَيَبْعُدُوا في الحرب عَنْ مَوَاضِعِهِم . وَصَدَمْنَاهُمْ بِقُوَّةِ اللهِ صَدْمَةً لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِهَا قِبَلٌ . وَحَمَلْنَا عَلَيْهِمْ حَمْلَةً أَلْجَأَهُمْ طُوفَانُهَا إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ . وَهَلْ يَعْصِمُ مِنْ أَمْرِ اللهِ جَبَلٌ . فَحَصَرْنَاهُمْ فِي ذَلِكَ الْفَضَاءِ الْمُتَّسِعِ . وَضَايَقْنَاهُمْ كَمَا قَدْ رَأَى وَمَزَّقْنَاهُمْ كَمَا قَدْ سَمِعَ . وَأَنْزَلْنَاهُمْ عَلَى حُكْمِ السَّيْفِ الَّذِي نَهِلَ مِنْ دِمَائِهِمْ حَتَّى رَوِيَ وَأَكَلَ مِنْ لُحُومِهِمْ حَتَّى شَبِعَ . وَتَبِعَتْهُمْ جُيُوشُنَا الْمَنْصُورَةُ تَتَخَطَّفُهُمْ رِمَاحُهَا . وَتَتَلَقَّفُهُمْ صِفَاحُهَا . وَيُبَدِّدُهُمْ فِي الْفَلَوَاتِ رُعْبُهَا . وَيُفَرِّقُهُمْ فِي الْقِفَارِ طَعْنُهَا الْمُتَدَارِكُ وَضَرْبُهَا . وَيَقْتُلُ مَنْ فَاتَ السُّيُوفَ مِنْهُمُ الْعَطَشُ وَالْجُوعُ . وَيُخَيِّلُ لِلْحَيِّ مِنْهُمْ أَنَّ وَطَنَهُ كَالدُّنْيَا الَّتِي لَيْسَ لِلْمَيْتِ إِلَيْهَا رُجُوعٌ . وَلَعَلَّهُ قَدْ رَأَى مِنْ ذَلِكَ فَوْقَ مَا وُصِفَ عِيَانًا . وَأَنَّهُمْ مَا أَقْدَمُوا إِلَّا وَنَصَرَنَا اللهُ عَلَيْهِمْ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ . وَمَا سَاقَتْهُمُ الْأَطْمَاعُ فِي وَقْتٍ مَا إِلَّا إِلَى حُتُوفِهِمْ . وَلَا عَادَ مِنْهُمْ قَطُّ فِي وَقْعَةٍ إِلَّا آحَادٌ تُخْبِرُ عَنْ مَصَارِعِ أُلُوفِهِمْ . وَلَقَدْ أَضَاعَ الْحَزْمَ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَسْتَدِمْ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِ بِطَاعَتِنَا الَّتِي كَانَ فِي مِهَادِ أَمْنِهَا وَوِهَادِ يُمْنِهَا . وَحِمَايَةِ عَفْوِهَا . وَبَرْدِ رَأْفَتِهَا الَّتِي كَدَّرَهَا بِالْمُخَالَفَةِ بَعْدَ صَفْوِهَا . يَصُونُ رَعَايَاهُ بِالطَّاعَةِ عَنِ الْقَتْلِ وَالْإِسَارِ . وَيَحْمِي أَهْلَ مِلَّتِهِ بِالْحَذَرِ عَنِ الْحَرَكَاتِ الَّتِي مَا نَهَضُوا إِلَيْهَا إِلَّا وَجَرُّوا ذُيُولَ الْخَسَارِ . وَلَقَدْ عَرَضَ نَفْسَهُ وَأَصْحَابَهُ لِسُيُوفِنَا الَّتِي كَانَ مِنْ سَطَوَاتِهَا فِي أَمَانٍ . وَوَثِقَ بِمَا ضَمِنَ لَهُ التَّتَارُ مِنْ

نَصْرِهِ . وَقَدْ رَأَى مَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُ ذٰلِكَ ٱلضَّمَانِ . وَجَرَّ بِنَفْسِهِ بِمُوَالَاةِ ٱلتَّتَارِ عَنَاءً كَانَ عَنْهُ فِي غِنًى . وَأَوْقَعَ رُوحَهُ بِمُظَاهَرَةِ ٱلْمُغُولِ فِي حَوْمَةِ ٱلسُّيُوفِ ٱلَّتِي تَخَطَّفَتْ أَوْلِيَاءَهُ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا . وَٱقْتَحَمَ بِنَفْسِهِ مَوَارِدَ هَلَاكٍ سَلَبَتْ رِدَاءَ ٱلْأَمْنِ عَنْ مَنْكِبَيْهِ . وَٱغْتَرَّ هُوَ وَقَوْمُهُ بِمَا زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ مِنْ غُرُورِهِ فَنَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ . وَعَادَ كَيْدُهُ فِي نَحْرِهِ . بَعْدَ أَنْ تَعَرَّضَ لِلْوُقُوفِ بَيْنَ نَابِ ٱلْأَسَدِ وَظُفْرِهِ . وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّا مَعَ ذٰلِكَ نَرْعَى لَهُ حُقُوقَ طَاعَةِ أَسْلَافِهِ ٱلَّتِي مَاتُوا عَلَيْهَا . وَنَحْفَظُ لَهُ خِدْمَةَ آبَائِهِ ٱلَّتِي بَذَلُوا نُفُوسَهُمْ وَنَفَائِسَهُمْ فِي ٱلتَّوَصُّلِ إِلَيْهَا . وَٱلسُّيُوفُ ٱلْآنَ مُصْغِيَةٌ إِلَى جَوَابِهِ لِتَكُفَّ إِنْ أَبْصَرَ سُبُلَ ٱلرَّشَادِ . أَوْ تَتَعَوَّضَ بِرُؤُوسِ حُمَاتِهِ وَكُمَاتِهِ عَنِ ٱلْأَغْمَادِ . إِنْ أَصَرَّ عَلَى ٱلْعِنَادِ وَٱلْخَيْرُ يَكُونُ (حسن التوسل الى صناعة الترسل)

ذكر دار الوزير الصاحب بن عباد باصبهان

٢١١ جَرَى ٱلشُّعَرَاءُ بِحَضْرَةِ ٱلصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ فِي مَيْدَانِ ٱقْتِرَاحِهِ فِي ذِكْرِ ٱلدَّارِ ٱلَّتِي بَنَاهَا بِأَصْبَهَانَ وَٱنْتَقَلَ إِلَيْهَا . وَٱقْتَرَحَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَصْفَهَا فَقَالَ ٱلْأُسْتَاذُ أَبُو ٱلْعَبَّاسِ ٱلضَّبِّيُّ :

دَارُ ٱلْوِزَارَةِ مَمْدُودٌ سُرَادِقُهَا ... وَلَاحِقٌ بِذُرَى ٱلْجَوْزَاءِ لَاحِقُهَا

وَٱلْأَرْضُ قَدْ وَاصَلَتْ غَيْظَ ٱلسَّمَاءِ بِهَا ... فَقَطْرُهَا أَدْمُعٌ تَجْرِي سَوَابِقُهَا

تَوَدُّ لَوْ أَنَّهَا مِنْ أَرْضِ عَرْصَتِهَا ... وَأَنَّ أَنْجُمَهَا فِيهَا طَوَابِقُهَا

تَفَرَّعَتْ شُرُفَاتٌ فِي مَنَاكِبِهَا ... يَرْتَدُّ عَنْهَا كَلِيلَ ٱلْعَيْنِ رَامِقُهَا

مِثلُ العذارى وقد شُدّت مناطِقُها ... وتُوّجت بأكاليلٍ مفارِقُها
دارُ الأمير التي هذي وزيرتُها ... أهدت لها وُشُحاً راقت نمارِقُها
تُزهى بها مثلَ ما تُزهى بسيّدِنا ... مؤيّدِ الدولةِ الميمونِ طارِقُها
هذي المعالي التي اغتصّ الزمانُ بها ... وافتْكَ منسوقةً واللهُ ناسِقُها
إنّ الغمائمَ قد آلت معاهِدةً ... لا زايلتها ولا زالت تعانِقُها
لأرضِها كلُّ ما جادت مواهِبُها ... وفي ديارِ أعاديها صواعِقُها

٢١٢ ومنها قصيدة الشيخ أبي الحسن صاحب البريد أوّلها :

دارٌ على العزّ والتأييدِ مبناها ... وللمكارمِ والعلياءِ مغناها
دارٌ تباهى بها الدنيا وساكنُها ... طرّاً وكم كانت الدنيا تمنّاها
فاليُمنُ أقبلَ مقروناً بيُمناها ... واليُسرُ أصبحَ مقروناً بيُسراها
مِن فوقِها شرفاتٌ طالَ أدناها ... يدَ الثريّا فقلْ لي كيفَ أقصاها
كأنّها غِلمةٌ مصطفّةٌ لبستْ ... بيضَ الغلائلِ أمثالاً وأشباها
أنظرْ إلى القبّةِ الخضراءِ مُذهبةً ... كأنّما الشمسُ أعطتها محيّاها
لمّا بنى الناسُ في دنياكَ دورَهمُ ... بنيتَ في دارِكَ الغرّاءِ دنياها

٢١٣ وقال ابن القاسم بن المنجّم :

هي الدارُ قد عمّ الأقاليمَ نورُها ... فلو قدّرت بغدادُ كانت تزورُها
ولو خُيّرت دارُ الخلافةِ بادرتْ ... إليها وفيها تاجُها وسريرُها
لتسعدَ فيها يومَ حانَ حضورُها ... وتشهدَ دنيا لا يُخافُ غرورُها
فما جُلِّيت عينُ الزمانِ بمثلِها ... ولا خالَ راءٍ أن يجيءَ نظيرُها

يَقُولُ الأُولَى قَدْ فُوجِئُوا بِدُخُولِهَا   وَحَيْرِهِمْ تَحْبِيرُهَا وَحَبِيرُهَا
أَفِي كُلِّ قَصْرٍ غَادَةٌ وَحَبِيبُهَا   وَفِي كُلِّ بَيْتٍ رَوْضَةٌ وَغَدِيرُهَا
وَقَالَ لَهَا اللهُ العَلِيُّ صِفَاتُهُ   سَأُحْمِيكِ مَا ضَمَّ اللَّيَالِي كُرُورُهَا
أُهَنِّيكِ بِالعُمْرَانِ وَالعُمْرُ دَائِمٌ   لِبَانِيكِ مَا أَفْنَى الدُّهُورَ مُرُورُهَا
وَقَدْ أُسْجِلَتْ عَلْيَاكَ عُمْدَةَ مُلْكِهَا   وَخُطَّتْ بِأَعْلَامِ السُّعُودِ سُطُورُهَا
وَدَارَتْ لَهَا الأَفْلَاكُ كَيْفَ أَدَرْتَهَا   وَدَانَتْ إِلَى أَنْ قِيلَ أَنْتَ مُدِيرُهَا
وَهَاكَ ابْنَةَ الفِكْرِ الَّتِي قَدْ خَطَبْتَهَا   وَقُدِّمَ مِنْ قَبْلِ الزَّمَانِ مُهُورُهَا
فَإِنْ كَانَ لِلدَّارِ الَّتِي قَدْ بَنَيْتَهَا   نَظِيرٌ فَفِي عُرْضِ القَرِيضِ نَظِيرُهَا
وَإِلَّا جَرَرْتَ الذَّيْلَ فِي سَاحَةِ العُلَى   وَقَلَّتِ القَوَافِي قَدْ أُعِيدَ جَرِيرُهَا

ذكر عبد الرحمن وغزواته

٢١٤ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ : تَوَلَّى أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَبْدُ الرَّحْمَانِ القَمَرُ الأَزْهَرُ. وَالأَسَدُ الغَضَنْفَرُ. المَيْمُونُ النَّقِيبَةِ. المَحْمُودُ الضَّرِيبَةِ. سَيِّدُ الخُلَفَاءِ وَأَنْجَبُ النُّجَبَاءِ. صَبِيحَةَ هِلَالِ رَبِيعِ الأَوَّلِ سَنَةَ ثَلَاثِمِائَةٍ (فَقُلْتُ فِيهِ :

بَدَا الهِلَالُ جَدِيدًا   وَالمُلْكُ غَضٌّ جَدِيدُ
يَا نِعْمَةَ اللهِ زِيدِي   مَا كَانَ فِيهِ مَزِيدُ

فَتَوَلَّى المُلْكَ وَهِيَ جَمْرَةٌ تَحْتَدِمُ. وَنَارٌ تَضْطَرِمُ. وَشِقَاقٌ وَنِفَاقٌ فَأَخْمَدَ نِيرَانَهَا. وَسَكَّنَ زِلْزَالَهَا. وَافْتَتَحَهَا عَوْدًا كَمَا افْتَتَحَهَا بَدْءًا سَمِيُّهُ عَبْدُ الرَّحْمَانِ بْنُ مُعَاوِيَةَ وَقَدْ قِيلَ فِي أَشْعَارِ غَزَوَاتِهِ كُلِّهَا أَشْعَارٌ قَدْ جَالَتْ فِي الأَمْصَارِ. وَشَرَدَتْ فِي البُلْدَانِ حَتَّى أَتْهَمَتْ وَأَنْجَدَتْ وَأَعْرَقَتْ.

وَكَانَ أَوَّلَ غَزَاةٍ غَزَاهَا الْغَزَاةُ الْمَعْرُوفَةُ بِغَزَاةِ الْمُنْتَلُونِ افْتَتَحَ بِهَا سَبْعِينَ حِصْنًا قَدْ نَكَبَتْ عَنْهَا الطَّوَائِفُ. وَأَعْيَتْ عَلَى الْخَلَائِفِ. (وَفِيهَا أَقُولُ):

قَدْ أَوْضَحَ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ مِنْهَاجَا ... وَالنَّاسُ قَدْ دَخَلُوا فِي الدِّينِ أَفْوَاجَا
وَقَدْ تَزَيَّنَتِ الدُّنْيَا لِسَاكِنِهَا ... كَأَنَّمَا أُلْبِسَتْ وَشْيًا وَدِيبَاجَا
يَا ابْنَ الْخَلَائِفِ إِنَّ الْمُزْنَ لَوْ عَلِمَتْ ... نَدَاكَ مَا كَانَ مِنْهَا الْمَاءُ ثَجَّاجَا
وَالْحَرْبُ لَوْ عَلِمَتْ بَأْسًا تَصُولُ بِهِ ... مَا هَيَّجَتْ مِنْ جِبَالِ الدِّينِ أَهْيَاجَا
وَأَصْبَحَ النَّصْرُ مَعْقُودًا بِأَلْوِيَةٍ ... تَطْوِي الْمَرَاحِلَ تَهْجِيرًا وَإِدْلَاجَا
أَدْخَلْتَ فِي قُبَّةِ الْإِسْلَامِ مَارِقَةً ... أَخْرَجْتَهَا مِنْ دِيَارِ الْجَوْرِ إِخْرَاجَا
بِجَحْفَلٍ تَشْرَقُ الْأَرْضُ الْفَضَاءُ بِهِ ... كَالْبَحْرِ يَقْذِفُ بِالْأَمْوَاجِ أَمْوَاجَا
يَقُودُهُ الْبَدْرُ يَسْرِي فِي كَوَاكِبِهِ ... عَرَمْرَمًا كَسَوَادِ اللَّيْلِ رَجْرَاجَا
تَرُوقُ فِيهِ بُرُوقُ الْمَوْتِ لَامِعَةً ... وَيَسْمَعُونَ بِهِ لِلرَّعْدِ أَهْزَاجَا
غَادَرْتَ فِي عَقْرَتَيْ جَيَّانَ مَلْحَمَةً ... أَبْكَيْتَ مِنْهَا بِأَرْضِ الْغَدْرِ أَعْلَاجَا
فِي نِصْفِ شَهْرٍ تَرَكْتَ الْأَرْضَ سَاكِنَةً ... مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ فِيهَا الطَّيْرُ قَدْ مَاجَا
تَمْلَا بِكَ الْأَرْضُ عَدْلًا مِثْلَ مَا مُلِئَتْ ... جَوْرًا وَتُوضِحُ لِلْمَعْرُوفِ مِنْهَاجَا
يَا بَدْرَ ظُلْمَتِهَا يَا شَمْسَ صُبْحَتِهَا ... يَا لَيْثَ حَوْمَتِهَا إِنْ هَائِجٌ هَاجَا
إِنَّ الْخِلَافَةَ لَنْ تَرْضَى وَلَا رَضِيَتْ ... حَتَّى عَقَدْتَ لَهَا فِي رَأْسِكَ التَّاجَا

وَلَمْ يَكُنْ مِثْلُ هٰذِهِ الْغَزَاةِ لِمَلِكٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ وَلَهُ غَزَاةُ مُرْتُشَ أُخْتِ بَدْرٍ وَحُنَيْنٍ وَلَهُ غَزَاةُ جَيَّانَ وَفِيهَا قُلْتُ فِي أُرْجُوزَتِي:

ثُمَّ انْتَحَى جَيَّانَ فِي غَزَوَاتِهِ ... بِعَسْكَرٍ يَسْعَدُ مِنْ حُمَاتِهِ

وَٱفْتَتَحَ ٱلْحُصُونَ حِصْنًا حِصْنَا وَأَوْسَعَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا أَمْنَا
وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى ٱنْتَحَى جَيَّانَا فَلَمْ يَدَعْ بِأَرْضِهَا شَيْطَانَا
فَأَصْبَحَ ٱلنَّاسُ جَمِيعًا أُمَّهْ قَدْ عَقَدَ ٱلْإِلَّ لَهُمْ وَٱلذِّمَّهْ
وَلَمْ يَدَعْ مِنْ جِنِّهَا مَرِيدَا بِهَا وَلَا مِنْ إِنْسِهَا عَنِيدَا
إِلَّا كَسَاهُ ٱلذُّلَّ وَٱلصَّغَارَا وَعَمَّهُ وَأَهْلَهُ دَمَارَا
فَأَقْبَلَ ٱلْعِلْجُ لَهُمْ مُغِيثَا يَوْمَ ٱلْخَمِيسِ مُسْرِعًا حَثِيثَا
بَيْنَ يَدَيْهِ ٱلرَّجْلُ وَٱلْفَوَارِسُ وَحَوْلَهُ ٱلصُّلْبَانُ وَٱلنَّوَاقِسُ
وَكَانَ يَرْجُو أَنْ يُزِيلَ ٱلْعَسْكَرَا عَنْ جَانِبِ ٱلْحِصْنِ ٱلَّذِي قَدْ دُمِّرَا
فَاعْتَاقَهُ بَدْرٌ بِمَنْ لَدَيْهِ مُسْتَبْصِرًا فِي زَحْفِهِ إِلَيْهِ
حَتَّى ٱلْتَقَتْ مَيْمَنَةٌ بِمَيْسَرَهْ وَٱعْتَلَتِ ٱلْأَرْوَاحُ عِنْدَ ٱلْحَنْجَرَهْ
فَقُتِلُوا قَتْلًا ذَرِيعًا فَاشِيَا وَأَدْبَرَ ٱلْعِلْجُ ذَمِيمًا خَاسِيَا
فَأُشْرِعَتْ بَيْنَهُمُ ٱلرِّمَاحُ وَقَدْ عَلَا ٱلتَّكْبِيرُ وَٱلصِّيَاحُ
وَفَارَقَتْ أَغْمَادَهَا ٱلسُّيُوفُ وَفَغَرَتْ أَفْوَاهَهَا ٱلْحُتُوفُ
وَٱلْتَقَتِ ٱلرِّجَالُ بِٱلرِّجَالِ وَٱنْغَمَسُوا فِي غَمْرَةِ ٱلْقِتَالِ
فِي مَوْقِفٍ زَاغَتْ بِهِ ٱلْأَبْصَارُ وَقَصُرَتْ فِي طُولِهِ ٱلْأَعْمَارُ
فَٱنْقَضَّتِ ٱلْعِقْبَانُ وَٱلسَّلَالِقَهْ رَهْقًا عَلَى مُقَدَّمِ ٱلْجَلَالِقَهْ
عِقْبَانُ مَوْتٍ تَخْطَفُ ٱلْأَرْوَاحَا وَتُشْبِعُ ٱلسُّيُوفَ وَٱلرِّمَاحَا
فَٱنْهَزَمَ ٱلْأَعْدَاءُ عِنْدَ ذَاكَا وَٱنْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ هُنَاكَا
فَٱتَّصَلَ ٱلْفَتْحُ بِفَتْحٍ ثَانِ وَٱلنَّصْرُ بِٱلنَّصْرِ مِنَ ٱلرَّحْمَانِ

الباب الثالث عشر
في المراثي

٢١٥ قالتِ الفارعةُ المريّةُ ترثي أخاها مسعودَ بنَ شدّادٍ:

يا عينِ جودي لِمسعودِ بنِ شدّادِ ... بكلِّ ذي عبراتٍ شجوُهُ بادي
شهّادُ أنديةٍ رفّاعُ أبنيةٍ ... شدّادُ ألويةٍ فتّاحُ أسدادِ
نحّارُ راغيةٍ قتّالُ طاغيةٍ ... حلّالُ رابيةٍ فكّاكُ أقيادِ
قوّالُ محكمةٍ نقّاضُ مبرمةٍ ... فرّاجُ مبهمةٍ حبّاسُ أورادِ
حلّالُ ممرعةٍ حمّالُ معضلةٍ ... قرّاعُ مفظعةٍ طلّاعُ أنجادِ
جمّاعُ كلِّ خصالِ الخيرِ قد علموا ... زينُ القرينِ وخطلُ الظالمِ العادي
أبا زرارةَ لا تبعدْ فكلُّ فتى ... يوماً رهينُ صفيحاتٍ وأعوادِ

٢١٦ قال ابو مالكٍ يرثي ابا نضرٍ والدهُ لما قُتل

زالَ عنّا السرورُ إذ زُلتَ عنّا ... وازدهانا بكاؤنا والعويلُ
ورأينا القريبَ منّا بعيداً ... وجفانا صديقُنا والخليلُ
ورمانا العدوُّ في كلِّ وجهٍ ... وتجنّى على العزيزِ الذليلُ
يا أبا النضرِ سوفَ أبكيكَ ما عشتُ سويّاً ... وذاكَ منّي قليلُ
حملتْ نعشَكَ الملائكةُ الأبرارُ ... إذْ ما لنا إليهِ سبيلُ
غيرَ أنّي كذبتُكَ الودَّ لم تقطرْ ... جفوني دماً وأنتَ قتيلُ
رضيتْ مقلتي بإرسالِ دمعي ... وعلى مثلِكَ النفوسُ تسيلُ

أَسِوَاكَ ٱلَّذِي أَجُودُ عَلَيْهِ بِدَمِي إِنَّنِي إِذًا لَبَخِيلُ
عَثَرَ ٱلدَّهْرُ فِيكَ عَثْرَةَ سَوْءٍ لَمْ يُقِلْ مِثْلَهَا ٱلْمُعِينُ ٱلْمُقِيلُ
قُلْ لِمَنْ ضَنَّ بِٱلْحَيَاةِ فَإِنَّا بَعْدَهُ فِي ٱلتُّرَابِ صَرْعَى حُلُولُ
حُفْرَةٌ حَشْوُهَا وَفَاءٌ وَحِلْمٌ وَنَدًى فَاضِلٌ وَلُبٌّ أَصِيلُ
وَعَفَافٌ عَمَّا يَشِينُ وَحِلْمٌ رَاجِحُ ٱلْوَزْنِ بِٱلرَّوَاسِي يَمِيلُ
وَبَنَانٌ يَمِينُهَا غَيْرُ جَعْدٍ وَجَبِينٌ صَلْتٌ وَخَدٌّ أَسِيلُ
وَٱمْرُؤٌ أَشْرَقَتْ صَفِيحَةُ خَدَّيْهِ عَلَيْهِ بَشَاشَةٌ وَقَبُولُ

٢١٧ تُوُفِّيَ ولدُ اعرابيٍّ في يوم عيدٍ فقال يرثيه

لَبِسَ ٱلرِّجَالُ جَدِيدَهُمْ فِي عِيدِهِمْ وَلَبِسْتُ حُزْنَ أَبِي ٱلْحُسَيْنِ جَدِيدَا
أَيَسُرُّنِي عِيدٌ وَلَمْ أَرَ وَجْهَهُ فِيهِ أَلَا بُعْدًا لِذٰلِكَ عِيدَا
فَارَقْتُهُ وَبَقِيتُ أَخْلُدُ بَعْدَهُ لَا كَانَ ذَاكَ بَقًا وَلَا تَخْلِيدَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ جَزَعًا لِفَقْدِ حَبِيبِهِ فَهُوَ ٱلْخَؤُونُ مَوَدَّةً وَعُهُودَا
مُتْ مَعْ حَبِيبِكَ إِنْ قَدَرْتَ وَلَا تَعِشْ مِنْ بَعْدِهِ ذَا لَوْعَةٍ مَكْمُودَا
مَا أُمُّ خِشْفٍ قَدْ مَلَا أَحْشَاءَهَا حَذَرًا عَلَيْهِ وَجَفْنَهَا تَسْهِيدَا
إِنْ نَامَ لَمْ تَهْجَعْ وَطَافَتْ حَوْلَهُ فَبَيْتُ مُكْلُوءًا بِهَا مَرْصُودَا
مِنِّي بِأَوْجَعَ إِذْ رَأَيْتُ نَوَائِحًا لِأَبِي ٱلْحُسَيْنِ وَقَدْ لَطَمْنَ خُدُودَا
وَلَقَدْ عَدِمْتُ أَبَا ٱلْحُسَيْنِ جَلَادَتِي لَمَّا رَأَيْتُ جَمَالَكَ ٱلْمَفْقُودَا
كُنْتُ ٱلْجَلِيدَ عَلَى ٱلرَّزَايَا كُلِّهَا وَعَلَى فِرَاقِكَ لَمْ أَجِدْ تَجْلِيدَا
وَلَئِنْ بَقِيتُ وَمَا هَلَكْتُ فَإِنَّ لِي أَجَلًا وَإِنْ لَمْ أُحْصِهِ مَعْدُودَا

لَا مَوْتَ لِي إِلَّا إِذَا ٱلْأَجَلُ ٱنْقَضَى   فَهُنَاكَ لَا أَتَجَاوَزُ ٱلْمَحْدُودَا
حُزْنِي عَلَيْكَ بِقَدْرِ حُبِّكَ لَا أَرَى   يَوْمًا عَلَى هٰذَا وَذَاكَ مَزِيدَا
مَا هَدَّ رُكْنِي بِٱلسِّنِينَ وَإِنَّمَا   أَصْبَحْتُ بَعْدَكَ بِٱلْأَسَى مَهْدُودَا
يَا لَيْتَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ لَكَ وَالِدًا   وَكَذَاكَ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ مَوْلُودَا
فَلَقَدْ شَقِيتُ وَرُبَّمَا شَقِيَ ٱلْفَتَى   بِفِرَاقِ مَنْ يَهْوَى وَكَانَ سَعِيدَا
مَنْ ذَمَّ جَفْنًا بَاخِلًا بِدُمُوعِهِ   فَعَلَيْكَ جَفْنِي لَمْ يَزَلْ مَحْمُودَا
فَلَأَنْظِمَنَّ مَرَاثِيًا مَشْهُودَةً   تُنْسِي ٱلْأَنَامَ كُثَيِّرًا وَلَبِيدَا
وَجَمِيعَ مَنْ نَظَمَ ٱلْقَرِيضَ مُفَارِقًا   وَلَدًا لَهُ أَوْ صَاحِبًا مَفْقُودَا

٢١٨ لابن حسن التهامي يرثي ولدهُ الصغير

حُكْمُ ٱلْمَنِيَّةِ فِي ٱلْبَرِيَّةِ جَارِي   مَا هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا بِدَارِ قَرَارِ
بَيْنَا يُرَى ٱلْإِنْسَانُ فِيهَا مُخْبِرًا   حَتَّى يُرَى خَبَرًا مِنَ ٱلْأَخْبَارِ
طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا   صَفْوًا مِنَ ٱلْأَكْدَارِ وَٱلْأَقْذَارِ
وَمُكَلِّفُ ٱلْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا   مُتَطَلِّبٌ فِي ٱلْمَاءِ جَذْوَةَ نَارِ
وَإِذَا رَجَوْتَ ٱلْمُسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا   تَبْنِي ٱلرَّجَاءَ عَلَى شَفِيرٍ هَارِ
فَٱلْعَيْشُ نَوْمٌ وَٱلْمَنِيَّةُ يَقْظَةٌ   وَٱلْمَرْءُ بَيْنَهُمَا خَيَالٌ سَارِ
وَٱلنَّفْسُ إِنْ رَضِيَتْ بِذٰلِكَ أَوْ أَبَتْ   مُنْقَادَةٌ بِأَزِمَّةِ ٱلْأَقْدَارِ
فَٱقْضُوا مَآرِبَكُمْ عِجَالًا إِنَّمَا   أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ ٱلْأَسْفَارِ
وَتَرَاكَضُوا خَيْلَ ٱلشَّبَابِ وَحَاذِرُوا   أَنْ تُسْتَرَدَّ فَإِنَّهُنَّ عَوَارِ
فَٱلدَّهْرُ يَخْدَعُ بِٱلْمُنَى وَيُغِصُّ إِنْ   هَنَّا وَيَهْدِمُ مَا بَنَى بِبَوَارِ

لَيْسَ الزَّمَانُ وَإِنْ حَرَصْتَ مُسَالِمًا ... خُلُقُ الزَّمَانِ عَدَاوَةُ الأَحْرَارِ
يَا كَوْكَبًا مَا كَانَ أَقْصَرَ عُمْرَهُ ... وَكَذَا تَكُونُ كَوَاكِبُ الأَسْحَارِ
وَهِلَالَ أَيَّامٍ مَضَى لَمْ يَسْتَدِرْ ... بَدْرًا وَلَمْ يُمْهَلْ لِوَقْتِ سِرَارِ
عَجِلَ الخُسُوفُ إِلَيْهِ قَبْلَ أَوَانِهِ ... فَمَحَاهُ قَبْلَ مَظِنَّةِ الإِبْدَارِ
فَكَأَنَّ قَلْبِي قَبْرُهُ وَكَأَنَّهُ ... فِي طَيِّهِ سِرٌّ مِنَ الأَسْرَارِ
أَبْكِيهِ ثُمَّ أَقُولُ مُعْتَذِرًا لَهُ ... وُفِّقْتَ حِينَ تَرَكْتَ أَلْأَمَ دَارِ
جَاوَرْتُ أَعْدَائِي وَجَاوَرَ رَبَّهُ ... شَتَّانَ بَيْنَ جِوَارِهِ وَجِوَارِي
وَلَقَدْ جَرَيْتَ كَمَا جَرَيْتُ لِغَايَةٍ ... فَبَلَغْتَهَا وَأَبُوكَ فِي المِضْمَارِ
فَإِذَا نَطَقْتُ فَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْطِقِي ... وَإِذَا سَكَتُّ فَأَنْتَ فِي إِضْمَارِي

٢١٩ رثاء اعرابية لابنها

يَا عَمْرُو مَالِي عَنْكَ مِنْ صَبْرِ ... يَا عَمْرُو يَا أَسَفِي عَلَى عَمْرِو
لِلَّهِ يَا عَمْرُو وَأَيُّ فَتًى ... كُفِّنْتَ يَوْمَ وُضِعْتَ فِي القَبْرِ
أَحْثُو التُّرَابَ عَلَى مَفَارِقِهِ ... وَعَلَى غَضَارَةِ وَجْهِهِ النَّضْرِ
حِينَ اسْتَوَى وَعَلَا الشَّبَابُ بِهِ ... وَبَدَا مُنِيرَ الوَجْهِ كَالبَدْرِ
وَرَجَا أَقَارِبُهُ مَنَافِعَهُ ... وَرَأَوْا شَمَائِلَ سَيِّدٍ غَمْرِ
وَأَهَمَّهُ هَمِّي فَسَاوَرَهُ ... وَغَدَا مَعَ الغَادِينَ فِي السَّفْرِ
رَبَّيْتُهُ دَهْرًا أُفَنِّقُهُ ... فِي اليُسْرِ أَغْذُوهُ وَفِي العُسْرِ
حَتَّى إِذَا التَّأْمِيلُ أَمْكَنَنِي ... فِيهِ قُبَيْلَ تَلَاحُقِ الثَّغْرِ
وَجَعَلْتُ مِنْ شَغَفِي أُنَقِّلُهُ ... فِي الأَرْضِ بَيْنَ تَنَائِفٍ غُبْرِ

أَدَعُ ٱلْمَزَارِعَ وَٱلْحُصُونَ بِهِ ... وَأَحِلُّهُ فِي ٱلْمَهْمَهِ ٱلْقَفْرِ
مَا زِلْتُ أُصْعِدُهُ وَأَحْدُرُهُ ... مِنْ قُتْرٍ مَوْمَاةٍ إِلَى قُتْرِ
هَرَبًا بِهِ وَٱلْمَوْتُ يَطْلُبُهُ ... حَيْثُ ٱنْتَوَيْتُ بِهِ وَلَا أَدْرِي
إِذْ رَاعَنِي صَوْتٌ هَبِبْتُ بِهِ ... وَذُعِرْتُ مِنْهُ أَيَّمَا ذُعْرِ
وَإِذَا مَنِيَّتُهُ تُسَاوِرُهُ ... قَدْ كَدَّحَتْ فِي ٱلْوَجْهِ وَٱلنَّحْرِ
وَإِذَا لَهُ عَلَقٌ وَحَشْرَجَةٌ ... مِمَّا يَجِشُّ بِهِ مِنَ ٱلصَّدْرِ
وَٱلْمَوْتُ يَقْبِضُهُ وَيَبْسُطُهُ ... كَٱلثَّوْبِ عِنْدَ ٱلطَّيِّ وَٱلنَّشْرِ
فَمَضَى وَأَيُّ فَتًى فُجِعْتُ بِهِ ... جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ عَنِ ٱلْقَدْرِ
لَوْ قِيلَ تَفْدِيهِ بَذَلْتُ لَهُ ... مَالِي وَمَا جَمَّعْتُ مِنْ وَفْرِ
أَوْ كُنْتُ مُقْتَدِرًا عَلَى عُمُرِي ... آثَرْتُهُ بِٱلشَّطْرِ مِنْ عُمُرِي
قَدْ كُنْتُ ذَا فَقْرٍ لَهُ فَغَدَا ... وَرَمَى عَلَيَّ وَقَدْ رَأَى فَقْرِي
لَوْ شَاءَ رَبِّي كَانَ مُتَّعَنِي ... بِٱبْنِي وَشَدَّ بِأَزْرِهِ أَزْرِي
بُنِيَتْ عَلَيْكَ بُنَيَّ أَحْوَجَ مَا ... كُنَّا إِلَيْكَ صَفَائِحُ ٱلصَّخْرِ
لَا يُبْعِدَنْكَ ٱللهُ يَا عُمَرِي ... إِمَّا مَضَيْتَ فَنَحْنُ بِٱلْإِثْرِ
هٰذِي سَبِيلُ ٱلنَّاسِ كُلِّهِمِ ... لَا بُدَّ سَالِكُهَا عَلَى سَفْرِ

رثاء مشاهير العرب

٢٢ قال عبد الله بن همام السلوليّ يرثي بعض امراء بني حرب

تَعَزَّوْا يَا بَنِي حَرْبٍ بِصَبْرٍ ... فَمَنْ هٰذَا ٱلَّذِي يَرْجُو ٱلْخُلُودَا
لَقَدْ وَارَى قَلِيبُكُمْ بَنَانًا ... وَحَزْمًا لَا كِفَاءَ لَهُ وَجُودَا

وَجَدْنَاهُ بَغِيضاً فِي ٱلْأَعَادِي   حَبِيباً فِي رَعِيَّتِهِ حَمِيدَا
أَمِيناً مُؤْمِناً لَمْ يَقْضِ أَمْراً   فَيُوجَدُ غِبُّهُ إِلَّا رَشِيدَا
فَقَدْ أَضْحَى ٱلْعَدُوُّ رَخِيَّ بَالٍ   وَقَدْ أَضْحَى ٱلتَّقِيُّ بِهِ عَمِيدَا
فَعَاضَ ٱللهُ أَهْلَ ٱلدِّينِ مِنْكُمْ   وَرَدَّ لَكُمْ خِلَافَتَكُمْ جَدِيدَا
مُجَانِبَةَ ٱلْمُحَاقِ وَكُلِّ نَحْسٍ   مُقَارِبَةَ ٱلْأَيَامِنِ وَٱلسُّعُودَا
خِلَافَةُ رَبِّهِمْ كُونُوا عَلَيْهَا   كَمَا كُنْتُمْ عَنَابِسَةً أُسُودَا
يُعَلِّمُهَا ٱلْكُهُولُ ٱلْمُرْدَ حَتَّى   تَذِلَّ بِهَا ٱلْأَكُفُّ وَتَسْتَقِيدَا
إِذَا مَا بَانَ ذُو ثِقَةٍ بَلَوْتُمْ   أَخَا ثِقَةٍ بِهَا صَنَعاً مُجِيدَا
تَلَقَّفَهَا يَزِيدُ عَنْ أَبِيهِ   فَخُذْهَا يَا مُعَاوِيَ عَنْ يَزِيدَا
فَإِنْ دُنْيَاكُمُ بِكُمُ ٱطْمَأَنَّتْ   فَأَوْلُوا أَهْلَهَا خُلُقاً شَدِيدَا
وَإِنْ شَغِبَتْ عَلَيْكُمْ فَٱعْصِبُوهَا   عِصَاباً يَسْتَدِرُّ بِهَا شَدِيدَا
وَإِنْ لَانَتْ لَكُمْ فَتَلَقَّفُوهَا   وَلَا تَرْمُوا بِهَا ٱلْغَرَضَ ٱلْبَعِيدَا

٢٢١ قال أشجع بن عمرو السلمي يرثي منصور بن زياد

يَا حُفْرَةَ ٱلْمَلِكِ ٱلْمُؤَمَّلِ رِفْدُهُ   مَا فِي ثَرَاكِ مِنَ ٱلنَّدَى وَٱلْخِيرِ
لَا زِلْتِ فِي ظِلَّيْنِ ظِلِّ سَحَابَةٍ   وَطْفَاءَ دَانِيَةٍ وَظِلِّ حُبُورِ
وَسَقَى ٱلْوَلِيُّ عَلَى ٱلْعِهَادِ عِرَاصَ مَا   وَالَاكِ مِنْ قَبْرٍ وَمِنْ مَقْبُورِ
يَا يَوْمَ مَنْصُورٍ أَبَحْتَ حِمَى ٱلنَّدَى   وَفَجَعْتَهُ بِوَلِيِّهِ ٱلْمَذْكُورِ
يَا يَوْمَهُ أَعْرَيْتَ رَاحِلَةَ ٱلنَّدَى   مِنْ رَبِّهَا وَحَرَمْتَ كُلَّ فَقِيرِ
ذَلَّتْ بِمَصْرَعِهِ ٱلْمَكَارِمُ وَٱلنَّدَى   وَذُبَابُ كُلِّ مُهَنَّدٍ مَأْثُورِ

أَفَلَتْ نُجُومُ بَنِي زِيَادٍ بَعْدَ مَا طَلَعَتْ بِنُورٍ أَهِلَّةٍ وَبُدُورِ
لَوْلَا بَقَاءُ مُحَمَّدٍ لَتَصَدَّعَتْ أَكْبَادُنَا أَسَفًا عَلَى مَنْصُورِ
أَبْقَى مَكَارِمَ لَا تَبِيدُ صِفَاتُهَا وَمَضَى لِوَقْتِ حِمَامِهِ الْمَقْدُورِ
أَصْبَحْتَ مَهْجُورًا بِحُفْرَتِكَ الَّتِي بُدِّلْتَهَا مِنْ قَصْرِكَ الْمَعْمُورِ
بَلِيَتْ عِظَامُكَ وَالصَّفَاحُ جَدِيدَةٌ لَيْسَ الْبِلَى لِفَعَالِكَ الْمَشْهُورِ
إِنْ كُنْتَ سَاكِنَ حُفْرَةٍ فَلَقَدْ تُرَى سَكَنًا لِعُودَيْ مِنْبَرٍ وَسَرِيرِ

٢٢٢ لمروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة

مَضَى لِسَبِيلِهِ مَعْنٌ وَأَبْقَى مَكَارِمَ لَنْ تَبِيدَ وَلَنْ تُنَالَا
كَأَنَّ الشَّمْسَ يَوْمَ أُصِيبَ مَعْنٌ مِنَ الْإِظْلَامِ مُلْبَسَةٌ جِلَالَا
هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي كَانَتْ نِزَارٌ تَهُدُّ مِنَ الْعَدُوِّ بِهِ الْجِبَالَا
وَعُطِّلَتِ الثُّغُورُ لِفَقْدِ مَعْنٍ وَقَدْ يُرْوِي بِهَا الْأَسَلَ النِّهَالَا
وَأَظْلَمَتِ الْعِرَاقُ وَأَوْرَثَتْهَا مُصِيبَتُهُ الْمُجَلِّلَةُ اخْتِلَالَا
وَظَلَّ الشَّأْمُ يَرْجُفُ جَانِبَاهُ لِرُكْنِ الْعِزِّ حِينَ وَهَى فَمَالَا
وَكَادَتْ مِنْ تِهَامَةَ كُلُّ أَرْضٍ وَمِنْ نَجْدٍ تَزُولُ غَدَاةَ زَالَا
فَإِنْ يَعْلُ الْبِلَادَ لَهُ خُشُوعٌ فَقَدْ كَانَتْ تَطُولُ بِهِ اخْتِيَالَا
أَصَابَ الْمَوْتُ يَوْمَ أَصَابَ مَعْنًا مِنَ الْأَحْيَاءِ أَكْرَمَهُمْ فَعَالَا
وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمُ لِمَعْنٍ إِلَى أَنْ زَارَ حُفْرَتَهُ عِيَالَا
وَلَمْ يَكُ طَالِبٌ لِلْعُرْفِ يَنْوِي إِلَى غَيْرِ ابْنِ زَائِدَةَ ارْتِحَالَا
مَضَى مَنْ كَانَ يَحْمِلُ كُلَّ عِبْءٍ وَيَسْبِقُ فَضْلُ نَائِلِهِ السُّؤَالَا

وَمَا عَمَدَ الْوُفُودُ لِمِثْلِ مَعْنٍ   وَلَا حَطُّوا بِسَاحَتِهِ الرِّحَالَا
وَلَا بَلَغَتْ أَكُفُّ ذَوِي الْعَطَايَا   يَمِينًا مِنْ يَدَيْهِ وَلَا شِمَالَا
وَمَا كَانَتْ تَجِفُّ لَهُ حِيَاضٌ   مِنَ الْمَعْرُوفِ مُتْرَعَةٌ سِجَالَا
فَلَيْتَ الشَّامِتِينَ بِهِ فَدَوْهُ   وَلَيْتَ الْعُمْرَ مُدَّ لَهُ فَطَالَا
وَلَمْ يَكُ كَنْزُهُ ذَهَبًا وَلَكِنْ   سُيُوفَ الْهِنْدِ وَالسُّمْرَ الصِّقَالَا
وَذُخْرًا مِنْ مَحَامِدَ بَاقِيَاتٍ   وَفَضْلَ تُقًى بِهِ التَّفْضِيلَ نَالَا
مَضَى لِسَبِيلِهِ مَنْ كُنْتَ تَرْجُو   بِهِ عَثَرَاتِ دَهْرِكَ أَنْ تُقَالَا
فَلَسْتُ بِمَالِكٍ عَبَرَاتِ عَيْنٍ   أَبَتْ بِدُمُوعِهَا إِلَّا انْهِمَالَا
فَلَهْفُ أَبِي عَلَيْكَ إِذِ الْيَتَامَى   غَدَوْا شُعْثًا وَقَدْ أَضْحَوْا سِلَالَا
وَلَهْفُ أَبِي عَلَيْكَ إِذِ الْقَوَافِي   لِمُمْتَدِحٍ بِهَا ذَهَبَتْ ضَلَالَا
أَقَمْنَا بِالْيَمَامَةِ إِذْ يَئِسْنَا   مُقَامًا لَا نُرِيدُ لَهَا زِيَالَا
وَقُلْنَا أَيْنَ نَرْحَلُ بَعْدَ مَعْنٍ   وَقَدْ ذَهَبَ النَّوَالُ فَلَا نَوَالَا
سَيَذْكُرُكَ الْخَلِيفَةُ غَيْرَ قَالٍ   إِذَا هُوَ فِي الْأُمُورِ بَلَا الرِّجَالَا
وَلَا يَنْسَى وَقَائِعَكَ اللَّوَاتِي   عَلَى أَعْدَائِهِ جُعِلَتْ وَبَالَا
حَبَاكَ أَخُو أُمَيَّةَ بِالْمَرَاثِي   مَعَ الْمَدْحِ الَّذِي قَدْ كَانَ قَالَا
وَأَلْقَى رَحْلَهُ أَسَفًا وَآلَى   يَمِينًا لَا يَشُدُّ لَهُ حِبَالَا

٢٢٣ رثاء بني برمك لسليمان بن برمك

أُصِبْتُ بِسَادَةٍ كَانُوا عُيُونًا   بِهِمْ نُسْقَى إِذَا انْقَطَعَ الْغَمَامُ
فَقُلْتُ وَفِي الْفُؤَادِ ضَرِيمُ نَارٍ   وَلِلْعَبَرَاتِ مِنْ عَيْنِي انْسِجَامُ

عَلَى ٱلْمَعْرُوفِ وَٱلدُّنْيَا جَمِيعًا وَدَوْلَةِ آلِ بَرْمَكَ ٱلسَّلَامُ
جَزِعْتُ عَلَيْكَ يَا فَضْلَ بْنَ يَحْيَى وَمَنْ يَجْزَعْ عَلَيْكَ فَلَا يُلَامُ
هَوَتْ بِكَ أَنْجُمُ ٱلْمَعْرُوفِ فِينَا وَعَزَّ بِفَقْدِكَ ٱلْقَوْمُ ٱللِّئَامُ
وَلَمْ أَرَ قَبْلَ قَتْلِكَ يَا ٱبْنَ يَحْيَى حُسَامًا قَدَّهُ ٱلسَّيْفُ ٱلْحُسَامُ
بَرَتْ لَكَ ٱلْحَادِثَاتُ لَهُ سِهَامًا فَغَالَتْهُ ٱلْحَوَادِثُ وَٱلسِّهَامُ
لِيَهْنِ ٱلْحَاسِدِينَ بِأَنَّ يَحْيَى أَسِيرٌ لَا يَضِيمُ وَيُسْتَضَامُ
وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بَعْدَ رِدَاءِ عِزٍّ غَدَا وَرِدَاؤُهُ ذَالٌ وَلَامُ
وَقَدْ آلَيْتُ مُعْتَذِرًا بِنَذْرٍ وَلِي فِيمَا نَذَرْتُ بِهِ ٱعْتِزَامُ
بِأَنْ لَا ذُقْتُ بَعْدَكُمُ مُدَامًا وَمَوْتِي أَنْ يُفَارِقَنِي ٱلْمُدَامُ
أَأَلْهُو بَعْدَكُمْ وَأَقِرُّ عَيْنًا عَلَيَّ ٱللَّهْوُ بَعْدَكُمْ حَرَامُ
وَكَيْفَ يَطِيبُ لِي عَيْشٌ وَفَضْلٌ أَسِيرٌ دُونَهُ ٱلْبَلَدُ ٱلشَّآمُ
وَجَعْفَرُ ثَاوِيًا بِٱلْجِسْرِ أَبْلَتْ مَحَاسِنَهُ ٱلسَّمَائِمُ وَٱلْقَتَامُ
أَمُرُّ بِهِ فَيَغْلِبُنِي بُكَائِي وَلَكِنَّ ٱلْبُكَاءَ لَهُ ٱكْتِتَامُ
أَقُولُ وَقُمْتُ مُنْتَصِبًا لَدَيْهِ إِلَى أَنْ كَادَ يَفْضَحُنِي ٱلْقِيَامُ
أَمَا وَٱللهِ لَوْلَا خَوْفُ وَاشٍ وَعَيْنٌ لِلْخَلِيفَةِ لَا تَنَامُ
لَطُفْنَا رُكْنَ جِذْعِكَ وَٱسْتَلَمْنَا كَمَا لِلنَّاسِ بِٱلْحَجَرِ ٱسْتِلَامُ

٢٢٤ قال محمّد بن محمد القوصي يرثي الامام محمّد المعروف بابن دقيق العيد

سَيَطُولُ بَعْدَكَ فِي ٱلطُّلُولِ وُقُوفِي أُرْوِي ٱلثَّرَى مِنْ مَدْمَعِي ٱلْمَذْرُوفِ
لَوْ كَانَ يُقْبَلُ فِيكَ حَتْفُكَ فِدْيَةً لَفَدَيْتُ مِنْ عُلَمَائِنَا بِٱلْأُلُوفِ

أَوْ كَانَ مِن حمرِ ٱلْمَنَايَا مَانِعٌ مَنَعَتْكَ سُمْرُ قَنًا وَبِيضُ سُيُوفِ
يَا طَالِبِي ٱلْمَعْرُوفِ أَيْنَ مَصِيرُكُمْ مَاتَ ٱلْفَتَى ٱلْمَعْرُوفُ بِٱلْمَعْرُوفِ
أَلْمُشْتَرِي ٱلْعَلْيَا بِأَعْلَى قِيمَةٍ مِنْ غَيْرِ مَا بَخْسٍ وَلَا تَطْفِيفِ
مَا عَنَّفَ ٱلْجُلَسَاءَ قَطُّ وَنَفْسُهُ لَمْ يُخْلِهَا يَوْمًا مِنَ ٱلتَّعْنِيفِ
يَا مُرْشِدَ ٱلْفِتْيَانِ إِذْ مَا أَشْكَلَتْ طُرُقُ ٱلصَّوَابِ وَمُنْجِدَ ٱلْمَلْهُوفِ
مَنْ لِلضَّعِيفِ يُعِينُهُ أَنَّى أَتَى مُسْتَصْرِخًا يَا غَوْثَ كُلِّ ضَعِيفِ
مَنْ لِلْيَتَامَى وَٱلْأَرَامِلِ كَافِلٌ يَرْجُونَهُ فِي شَتْوَةٍ وَمَصِيفِ
أَفْنَيْتَ عُمْرَكَ فِي تُقًى وَعِبَادَةٍ وَإِفَادَةٍ لِلْعِلْمِ أَوْ تَصْنِيفِ
وَسَبَحْتَ فِي بَحْرِ ٱلْعُلُومِ مُكَابِدًا أَمْوَاجَهُ وَٱلنَّاسُ دُونَ سُيُوفِ
وَبَذَلْتَ سَائِرَ مَا حَوَيْتَ وَلَمْ تَدَعْ لَكَ مِنْ تَلِيدٍ فِي ٱلْعُلَا وَطَرِيفِ
يَا شَمْسُ مَا لَكِ تَطْلُعِينَ أَلَمْ تَرَيْ شَمْسَ ٱلْمَعَارِفِ غُيِّبَتْ بِكُسُوفِ
لَهْفِي عَلَى حِبْرٍ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ قَدْ كَانَ مَرْجُوًّا لِكُلِّ مُخِيفِ
كَانَ ٱلْخَفِيفَ عَلَى تَقِيٍّ مُؤْمِنٍ لٰكِنْ عَلَى ٱلْفُجَّارِ غَيْرَ خَفِيفِ
عَمَّ ٱلْمُصَابُ بِهِ ٱلطَّوَائِفَ كُلَّهَا لَمَّا أَلَمَّ وَخَصَّ كُلَّ حَنِيفِ
بُشْرَاكَ يَا ٱبْنَ عَلِيٍّ ٱلْعَالِي ٱلذُّرَى إِذْ بِتَّ ضَيْفًا عِنْدَ خَيْرِ مُضِيفِ
وَلَقَدْ نَزَلْتَ عَلَى كَرِيمٍ غَافِرٍ بِٱلنَّازِلِينَ كَمَا عَلِمْتَ رَؤُوفِ

٢٢٥ للحافظ بن حجر في رثاء الحافظ الامام الكبير زين الدين العراقي

مُصَابٌ لَمْ يُنَفِّسْ لِلْخِنَاقِ أَصَارَ ٱلدَّمْعَ جَارًا لِلْمَآقِ
فَرَوْضُ ٱلْعِلْمِ بَعْدَ ٱلزَّهْوِ ذَاوٍ وَدَوْحُ ٱلْفَضْلِ قَدْ بَلَغَ ٱلتَّرَاقِي

فطاف بأرض مصر كل علم ... بكأس الحين للعلماء ساقي
فيا أهل الشآم ومصر فابكوا ... على عبد الرحيم بن العراقي
على الحبر الذي شهدت قروم ... له بالانفراد على اتفاق
ومن فتحت له قدما علوم ... غدت عن غيره ذات انغلاق
ومن ستين عاما لم يجارى ... ولا طمع المجاري في اللحاق
فأصبح بالكرامة في اصطباح ... وبالتحف الكريمة في اغتباق
فيا أسفا ويا حزنا عليه ... أرق من النسيمات الرقاق
ويا أسفا لتقييدات علم ... تولت بعده ذات انطلاق
عليه سلام ربي كل حين ... يلاقيه الرضا فيما يلاقي
وأسقت لحده سحب الغوادي ... إذا انهملت همت ذات انطباق
وزانت دينه في كل يوم ... تحيات إلى يوم التلاقي

٢٢٦ للبرهان القيراطي يرثي جمال الدين عبد الرحيم شيخ الشافعية

نعم قبضت روح العلى والفضائل ... بموت جمال الدين صدر الأفاضل
تعطل من عبد الرحيم مكانه ... وغيب عنه فاضل أي فاضل
أحقا وجوه الفقه زال جمالها ... وحطت أعالي هضبها للأسافل
قفوا خبرونا من يقوم مقامه ... ويوفض في ميدان كل مناضل
قفوا خبرونا هل له من مشابه ... قفوا خبرونا هل له من مماثل
فأعظم بحبر كان للعلم ساعيا ... بعزم صحيح ليس بالمتكاسل
وأعظم به يوم الجدال مناظرا ... إذا قال لم يترك مكانا لقائل

وَأَسْيَافُهُ فِي ٱلْبَحْثِ قَاطِعَةُ ٱلظُّبَا ... بِجَوْهَرِهَا لَمْ يَفْتَقِرْ لِلصَّيَاقِلِ
يَقُومُ بِإِيضَاحِ ٱلْمَسَائِلِ مُرْشِدًا ... لِمُسْتَفْهِمٍ أَوْ طَالِبٍ أَوْ مُسَائِلِ
لَهُ قَدَمٌ فِي ٱلْفِقْهِ سَابِقَةُ ٱلْخُطَا ... يُقَصِّرُ عَنْهَا كُلُّ حَافٍ وَنَاعِلِ
تَبَارَكَ مَنْ أَعْطَاهُ فِيهِ مَرَاتِبًا ... يُقِرُّ لَهُ بِٱلْفَضْلِ كُلُّ مُجَادِلِ
فَكَمْ كَانَ يُبْدِي فِيهِ كُلَّ غَرِيبَةٍ ... وَيُظْهِرُ مِنْ أَبْكَارِهِ بِٱلْعَقَائِلِ
أَحَلَّ جَمَالَ ٱلدِّينِ فِي ٱلْخُلْدِ رَبُّهُ ... لِيَحْظَى بِعَفْوٍ مِنْهُ شَافٍ وَشَامِلِ
وَحَيَّاهُ بِٱلرَّيْحَانِ وَٱلرَّوْحِ وَٱلرِّضَا ... إِلٰهُ ٱلْبَرَايَا فِي ٱلضُّحَى وَٱلْأَصَائِلِ
لَقَدْ كَانَ فِي ٱلْأَعْمَالِ وَٱلْعِلْمِ مُخْلِصًا ... لِمَنْ لَمْ يُضَيِّعْ فِي غَدٍ سَعْيَ عَامِلِ
فَلَهْفِي لِأَمْدَاحٍ عَلَيْهِ تَحَوَّلَتْ ... مَرَاثِيَ تَبْكِي بِٱلدُّمُوعِ ٱلْهَوَامِلِ
يُسَاعِدُنِي فِيهِ ٱلْحَمَامُ بِشَجْوِهَا ... وَأَغْلِبُهَا مِنْ لَوْعَتِي بِٱلْبَلَابِلِ
صَرَفْتُ فِيهِ كَنْزَ صَبْرِي وَأَدْمُعِي ... وَأَفْنَيْتُ مِنْ هٰذَا وَهٰذَا حَوَاصِلِي
وَمَا نَحْنُ إِلَّا رَكْبُ مَوْتٍ إِلَى ٱلْبِلَى ... تُسَيِّرُنَا أَيَّامُنَا كَٱلرَّوَاحِلِ
قَطَعْنَا إِلَى نَحْوِ ٱلْقُبُورِ مَرَاحِلًا ... وَمَا بَقِيَتْ إِلَّا أَقَلُّ ٱلْمَرَاحِلِ
وَهٰذَا سَبِيلُ ٱلْعَالَمِينَ جَمِيعِهِمْ ... فَمَا ٱلنَّاسُ إِلَّا رَاحِلٌ بَعْدَ رَاحِلِ

٢٢٧ لبهاء الدين زهير يرثي فتح الدين عثمان والي الاسكندرية

عَلَيْكَ سَلَامُ ٱللهِ يَا قَبْرَ عُثْمَانِ ... وَحَيَّاكَ عَنِّي كُلُّ رَوْحٍ وَرَيْحَانِ
وَمَا زَالَ مُنْهَلًّا عَلَى تُرْبِكَ ٱلْحَيَا ... يُغَادِيكَ مِنْهُ كُلُّ أَوْطَفَ هَتَّانِ
لَقَدْ خُنْتُهُ فِي ٱلْوُدِّ إِذْ عِشْتُ بَعْدَهُ ... وَمَا كَانَ فِي وُدِّ ٱلصَّدِيقِ بِخَوَّانِ
وَعَهْدِي بِصَبْرِي فِي ٱلْخُطُوبِ يُطِيعُنِي ... فَمَا لِي أَرَاهُ ٱلْيَوْمَ أَظْهَرَ عِصْيَانِي

فيا ثاوياً قد طيَّبَ اللهُ ذِكرَهُ   فأضحى وطيبُ الذِكرِ عمرٌ لهُ ثانِ
وَجدتَّ الذي أسلاكَ عني وإنني   وحقكَ ما حدَّثتُ نفسي بسلوانِ
لقد دفنَ الأقوامُ يومَ وفاتهِ   بقيَّةَ معروفٍ وخيرٍ وإحسانِ
يُواجهني في كلِّ يومٍ خيالُهُ   كما كنتُ ألقاهُ قديماً ويلقاني
وأقسمُ لو ناديتُهُ وهوَ ميّتٌ   لجاوبني تحتَ التُّرابِ ولبّاني
هنيئاً لهُ قد طابَ حيّاً وميّتاً   فما كانَ محتاجاً لتطييبِ أكفاني
صديقي الذي إذ ماتَ موتَ مُهجتي   فما لي لا أبكيهِ والرُّزءُ رزءانِ
وكانَ أنيسي مُذ حظيتُ بقربهِ   وكنتُ كأني بينَ أهلي وأوطاني
وقد كانَ أسلاني عنِ الناسِ كلِّهم   ولا أحدٌ عنهُ منَ الناسِ أسلاني
كريمُ المحيّا باسمٌ متهلّلٌ   متى جئتَهُ لم تلقهُ غيرَ جذلانِ
يمنُّ لمن يرجوهُ من غيرِ منّةٍ   فإن قلتَ منّانٌ فقل غيرُ منّانِ
فقدتُّ حبيباً وابتليتُ بغربةٍ   وحسبُكَ من هذينِ أمرانِ مُرّانِ
هوَ الموتُ ما فيهِ وفاءٌ لصاحبٍ   وهيهاتِ إنسانٌ يموتُ لإنسانِ
وما الناسُ إلّا راحلٌ بعدَ راحلٍ   إلى العالمِ الباقي منَ العالمِ الفاني

مرثية أبي الحسن الأنباري للوزير ابي طاهر

٢٢٨ لمّا استعرت الحرب بين عزّ الدولة بن بُوَيه وابن عمّه عضد الدولة ظفر عضد الدولة بوزير عز الدولة ابي طاهر محمد بن بقيّة فسمله وشهره وعلى راسه برنس . ثم طرحه للفيلة فقتلته . ثم صلبه عند داره بباب الطاق وعمره نيف وخمسون سنة . ولمّا صُلِب رثاه ابو الحسن محمد بن عمران يعقوب الأنباري احد العدول ببغداد بهذه القصيدة الغرّاء . فلمّا وقف عليها عضد الدولة قال : وددتُ لو اني المصلوب وتكون هذه القصيدة فيَّ

علو في الحياة وفي الممات　　لحق تلك إحدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا　　وفود نداك أيام الصلات
كأنك قائم فيهم خطيبا　　وكلهم قيام للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفاء　　كمدهما إليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن　　يضم علاك من بعد الوفاة
أصاروا الجو قبرك واستعاضوا　　عن الأكفان ثوب السافيات
لعظمك في النفوس بقيت ترعى　　بحراس وحفاظ ثقات
وتوقد حولك النيران ليلا　　كذلك كنت أيام الحياة
ركبت مطية من قبل زيد　　علاها في السنين الماضيات
وتلك قضية فيها تأس　　تباعد عنك تعيير العداة
ولم أر قبل جذعك قط جذعا　　تمكن من عناق المكرمات
أسأت إلى النوائب فاستثارت　　فأنت قتيل ثأر النائبات
وكنت تجير من صرف الليالي　　فصار مطالبا لك بالترات
وصير دهرك الإحسان فيه　　إلينا من عظيم السيئات
وكنت لمعشر سعدا فلما　　مضيت تفرقوا بالمنحسات
غليل باطن لك في فؤادي　　يخفف بالدموع الجاريات
ولو أني قدرت على قيام　　بفرضك والحقوق الواجبات
ملأت الأرض من نظم القوافي　　ونحت بها خلاف النائحات
ولكني أصبر عنك نفسي　　مخافة أن أعد من الجناة

وما لك تربة فأقول تسقى لأنك نصب هطل الهاطلات
عليك تحية الرحمان تترى برحمات غواد رائحات

وقال فيه حين أنزل عن الصليب :

لم يلحقوا بك عارًا إذ صلبت بلى باءوا بإثمك ثم استرجعوا ندما
وأيقنوا أنهم في فعلهم غلطوا وأنهم نصبوا من سؤدد علما
فاسترجعوك وواروا منك طود علًا بدفنه دفنوا الإفضال والكرما
لئن بليت فلا يبلى نداك ولا تنسى وكم هالك ينسى إذا قدما
تقاسم الناس حسن الذكر فيك كما تركت مالك بين الناس مقتسما

٢٢٩ قال العقيلي يرثي صديقًا له صلب :

لعمري لئن أصبحت فوق مشذب طويل تعفيك الرياح مع القطر
لقد عشت مبسوط اليدين مبرزا وعوفيت عند الموت من ضغطة القبر
وأفلت من ضيق التراب وغمه ولم تفقد الدنيا فهل لك من شكر
فما تشتفي عيناي من دائم البكا عليك ولو أني بكيت إلى الحشر
فطوبى لمن يبكي أخاه مجاهرًا ولكنني أبكي لفقدك في سري

٢٣٠ قال مصعب بن عبد الله الزبيري يرثي اسحاق الموصلي

أتدري لمن تبكي العيون الذوارف وينهل منها واكف ثم واكف
نعم لامرئ لم يبق في الناس مثله مفيد لعلم أو صديق ملاطف
تجهز إسحاق إلى الله غاديًا فلله ما ضمت عليه اللفائف
وما حمل النعش المزجى عشية إلى القبر إلا دامع العين لاهف

صُدُورُهُمُ مَرضَى عَلَيهِ عَمِيدَةً لَهَا أَزْمَةٌ مِنْ ذِكْرِهِ وَزَفَازِفُ
تَرَى كُلَّ مَحْزُونٍ تَفِيضُ جُفُونُهُ دُمُوعًا عَلَى الْخَدَّيْنِ وَالْوَجْهُ شَاسِفُ
جُزِيتَ جَزَاءَ الْمُحْسِنِينَ مُضَاعَفًا كَمَا كَانَ جَدْوَاكَ النَّدَى الْمُتَضَاعِفُ
فَكَمْ لَكَ فِينَا مِنْ خَلَائِقَ جَزْلَةٍ سَبَقْتَ بِهَا مِنْهَا حَدِيثٌ وَسَالِفُ
هِيَ الشَّهْدُ أَوْ أَحْلَى إِلَيْنَا حَلَاوَةً مِنَ الشَّهْدِ لَمْ يَمْزُجْ بِهِ الْمَاءَ غَارِفُ
ذَهَبْتَ وَخَلَّيْتَ الصَّدِيقَ بِعَوْلَةٍ بِهِ أَسَفٌ مِنْ حُزْنِهِ مُتَرَادِفُ
بَكَتْ دَارُهُ مِنْ بَعْدِهِ وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُ مِنْ آفَاتِهَا وَمَعَارِفُ
فَمَا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كُنْتُ أَعْتَرِي وَإِنِّي بِهَا لَوْلَا افْتِقَادِيكَ عَارِفُ
هِيَ الدَّارُ إِلَّا أَنَّهَا قَدْ تَخَشَّعَتْ وَأَظْلَمَ مِنْهَا جَانِبٌ وَهْوَ كَاسِفُ
وَبَانَ الْجَمَالُ وَالْفَعَالُ كِلَاهُمَا مِنَ الدَّارِ وَاسْتَنَّتْ عَلَيْهَا الْعَوَاصِفُ
خَلَتْ دَارُهُ مِنْ بَعْدِهِ فَكَأَنَّمَا بِعَاقِبَةٍ لَمْ يَغْنَ فِي الدَّارِ طَارِفُ
يَسُرُّ الَّذِي فِيهَا إِذَا مَا بَدَا لَهُ وَيَفْتَرُّ مِنْهَا ضَاحِكًا وَهْوَ وَاقِفُ
بِمَا كَانَ مَيْمُونًا عَلَى كُلِّ صَاحِبٍ يُعِينُ عَلَى مَا نَابَهُ وَيُكَانِفُ
سَرِيعٌ إِلَى إِخْوَانِهِ بِرِضَائِهِ وَعَنْ كُلِّ مَا سَاءَ الْأَخِلَّاءَ صَادِفُ

رثاء الخلفاء والملوك

٢٣١ للمهلبي يرثي المتوكل

لَا حُزْنَ إِلَّا أَرَاهُ دُونَ مَا أَجِدُ وَهَلْ كَمَنْ فَقَدَتْ عَيْنَايَ مُفْتَقَدُ
هَلَّا أَتَاهُ مُعَادِيهِ مُجَاهَرَةً وَالْحَرْبُ تُسْعَرُ وَالْأَبْطَالُ تَطَّرِدُ
فَخَرَّ فَوْقَ سَرِيرِ الْمُلْكِ مُنْجَدِلًا لَمْ يَحْمِهِ مُلْكُهُ لَمَّا انْقَضَى الْأَمَدُ

قد كان أنصاره يحمون حوزته ... وللردى دون أرصاد الفتى رصد
وأصبح الناس فوضى يعجبون له ... ليثاً صريعاً تنزّى حوله النقد
علتك أسياف من لا دونه أحد ... وليس فوقك إلا الواحد الصمد
ضجّت نساؤك بعد العزّ حين رأت ... خدّاً كريماً عليه قارت جسد
أضحى شهيد بني العبّاس موعظة ... لكلّ ذي عزّة في رأسه صيد
فلو جعلتم على الأحرار نعمتكم ... حمتكم السادة المركوزة الحشد
قوم هم الجذم والأنساب تجمعكم ... والمجد والدين والأرحام والبلد

٢٣٢ من مرثية ابن عبدون الفهري لملوك بني الافطس

الدهر يفجع بعد العين بالأثر ... فما البكاء على الأشباح والصور
فلا تغرّنك من دنياك نومتها ... فما صناعة عينيها سوى السهر
تسرّ بالشيء لكن كي تغرّ به ... كالأيم ثار إلى الجاني من الزهر
كم دولة وليت بالنصر خدمتها ... لم تبق منها وسل ذكراك عن خبر
هوت بدارا وفلّت غرب قاتله ... وكان عضباً على الأملاك ذا أثر
واسترجعت من بني ساسان ما وهبت ... ولم تدع لبني يونان من أثر
وما أقالت ذوي الهيآت من يمن ... ولا أجارت ذوي الغايات من مضر
ومزّقت سبأ في كلّ قاصية ... فما التقى رائح منها بمبتكر
وخضّبت شيب عثمان دماً وخطت ... إلى الزبير ولم تستحي من عمر
وأوثقت في عراها كلّ معتمد ... وأشرقت بقذاها كلّ مقتدر
وروّعت كلّ مأمون ومؤتمن ... وأسلمت كلّ منصور ومنتصر

سُحقًا لِيَومِكُم يَومًا وَلَا حَمَلَتْ   بِمِثْلِهِ لَيْلَةٌ فِي سَالِفِ الْعُمُرِ
مَنْ لِلْأَسِرَّةِ أَوْ مَنْ لِلْأَعِنَّةِ أَوْ   مَنْ لِلْأَسِنَّةِ يُهْدِيهَا إِلَى الثُّغَرِ
مَنْ لِلْبَرَاعَةِ أَوْ مَنْ لِلْيَرَاعَةِ أَوْ   مَنْ لِلسَّمَاحَةِ أَوْ لِلنَّفْعِ وَالضَّرَرِ
أَوْ دَفْعِ كَارِثَةٍ أَوْ قَمْعِ آزِفَةٍ   أَوْ رَدْعِ حَادِثَةٍ تُعْيِي عَلَى الْقَدَرِ
وَيْبَ السَّمَاحِ وَوَيْبَ الْبَأْسِ لَوْ سَلِمَا   وَاحَسْرَةَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا عَلَى عُمَرِ
سَقَتْ ثَرَى الْفَضْلِ وَالْعَبَّاسِ هَامِيَةٌ   تُعْزَى إِلَيْهِمْ سَمَاحًا لَا إِلَى الْمَطَرِ
وَمَرَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِ أَطْيَبُهُ   حَتَّى التَّمَتُّعُ بِالْآصَالِ وَالْبُكَرِ
أَيْنَ الْجَلَالُ الَّذِي عَمَّتْ مَهَابَتُهُ   قُلُوبَنَا وَعُيُونَ الْأَنْجُمِ الزُّهُرِ
أَيْنَ الْإِبَاءُ الَّذِي أَرْسَوْا قَوَاعِدَهُ   عَلَى دَعَائِمَ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ ظَفَرِ
أَيْنَ الْوَفَاءُ فَقَدْ أَصْفَوْا شَرَائِعَهُ   فَلَمْ يَرِدْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى كَدَرِ
عَلَى الْفَضَائِلِ إِلَّا الصَّبْرَ بَعْدَهُمُ   سَلَامُ مُرْتَقِبٍ لِلْأَجْرِ مُنْتَظِرِ
يَرْجُو عَسَى وَلَهُ فِي أُخْتِهَا طَمَعٌ   وَالدَّهْرُ ذُو عُقَبٍ شَتَّى وَذُو غِيَرِ

٢٣٣ لابن النبيه يرثي ولد الناصر احمد امير المؤمنين

اَلنَّاسُ لِلْمَوْتِ كَخَيْلِ الطِّرَادْ   فَالسَّابِقُ السَّابِقُ مِنْهَا الْجَوَادْ
وَاللهُ لَا يَدْعُو إِلَى دَارِهِ   إِلَّا مَنِ اسْتَصْلَحَ مِنْ ذِي الْعِبَادْ
وَالْمَوْتُ نَقَّادٌ عَلَى كَفِّهِ   جَوَاهِرٌ يَخْتَارُ مِنْهَا الْجِيَادْ
وَالْمَرْءُ كَالظِّلِّ وَلَا بُدَّ أَنْ   يَزُولَ ذَاكَ الظِّلُّ بَعْدَ امْتِدَادْ
لَا تَصْلُحُ الْأَرْوَاحُ إِلَّا إِذَا   سَرَى إِلَى الْأَجْسَادِ هَذَا الْفَسَادْ
أَرْغَمْتَ يَا مَوْتُ أُنُوفَ الْقَنَا   وَدُسْتَ أَعْنَاقَ السُّيُوفِ الْحِدَادْ

كَيْفَ تَخَرَّمْتَ عَلِيًّا وَمَا أَنْجَدَهُ كُلُّ طَوِيلِ ٱلنِّجَادْ
نَجْلَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِي مِنْ خَوْفِهِ يُرْعَدُ قَلْبُ ٱلْجَمَادْ
مُصِيبَةٌ أَذْكَتْ قُلُوبَ ٱلْوَرَى كَأَنَّمَا فِي كُلِّ قَلْبٍ زِنَادْ
نَازِلَةٌ جَلَّتْ فَمِنْ أَجْلِهَا سَنَّ بَنُو ٱلْعَبَّاسِ لُبْسَ ٱلسَّوَادْ
مَأْتَمَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ لٰكِنَّهَا عُرْسٌ عَلَى ٱلسَّبْعِ ٱلطِّبَاقِ ٱلشِّدَادْ
طَرَقْتَ يَا مَوْتُ كَرِيمًا فَلَمْ يَقْنَعْ بِغَيْرِ ٱلنَّفْسِ لِلضَّيْفِ زَادْ
قَصَفْتَهُ مِنْ سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهَى غُصْنًا فَشَلَّتْ يَدُ أَهْلِ ٱلْفَسَادْ
يَا ثَالِثَ ٱلسِّبْطَيْنِ خَلَّفْتَنِي أَهِيمُ مِنْ هَمِّي فِي كُلِّ وَادْ
يَا نَائِمًا فِي غَمَرَاتِ ٱلرَّدَى كَحَّلْتَ أَجْفَانِي بِمِيلِ ٱلسُّهَادْ
وَيَا ضَجِيعَ ٱلتُّرْبِ أَقْلَقْتَنِي كَأَنَّمَا فَرْشِي شَوْكُ ٱلْقَتَادْ
دُفِنْتَ فِي ٱلتُّرْبِ وَلَوْ أَنْصَفُوا مَا كُنْتَ إِلَّا فِي صَمِيمِ ٱلْفُؤَادْ
لَوْ لَمْ تَكُنْ أَسْخَنْتَ عَيْنِي سَقَتْ مَثْوَاكَ عَيْنَايَ كَصَوْبِ ٱلْعِهَادْ

٢٣٤ لابي بكر بن عبد الصمد يرثي الخليفة المعتمد بالله

مَلِكَ ٱلْمُلُوكِ أَسَامِعٌ فَأُنَادِي أَمْ قَدْ عَدَتْكَ عَنِ ٱلسَّمَاعِ عَوَادِ
لَمَّا خَلَتْ مِنْكَ ٱلْقُصُورُ وَلَمْ تَكُنْ فِيهَا كَمَا قَدْ كُنْتَ فِي ٱلْأَعْيَادِ
أَقْبَلْتُ فِي هٰذَا ٱلثَّرَى لَكَ خَاضِعًا وَتَخِذْتُ قَبْرَكَ مَوْضِعَ ٱلْإِنْشَادِ
قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ تَبَدَّدَ أَدْمُعِي نِيرَانُ حُزْنٍ أَضْرَمَتْ بِفُؤَادِي
فَإِذَا بِدَمْعِي كُلَّمَا أَجْرَيْتُهُ زَادَتْ عَلَيَّ حَرَارَةُ ٱلْأَكْبَادِ
فَٱلْعَيْنُ فِي ٱلتَّسْكَابِ وَٱلتَّهْتَانِ وَٱلْـ أَحْشَاءُ فِي ٱلْإِحْرَاقِ وَٱلْإِيقَادِ

يا أيُّها القمرُ المنيرُ أهكذا ... يُمحى ضياءُ النيّرِ الوقّادِ
أفقدتَ عيني مذ فقدتَ إنارةً ... لحجابها في ظلمةٍ وسوادِ
ما كان ظنّي قبل موتك أن أرى ... قبرًا يضمّ شوامخَ الأطوادِ
الهضبةُ الشمّاءُ تحت ضريحهِ ... والبحرُ ذو التيّارِ والأزبادِ
عهدي بملكك وهو طلقٌ ضاحكٌ ... متهلّلُ الصفحاتِ للقُصّادِ
أيامَ يخفقُ حولك الراياتُ فو ... قَ كتائبِ الرؤساءِ والأجنادِ
والأمرُ أمرُك والزمانُ مبشّرٌ ... بممالكٍ قد أذعنت وبلادِ
والخيلُ تمرحُ والفوارسُ تنحني ... بين الصوارمِ والقنا الميّادِ

٢٣٥ للمفتي ابي السعود يرثي السلطان سليمان

أصوتُ صاعقةٍ أم نفخةُ الصورِ ... فالأرضُ قد مُلئت من نقرِ ناقورِ
أصاب منها الورى دهياءُ داهيةٌ ... وذاقَ منها البرايا صعقةَ الطورِ
تصدّعت قللُ الأطوادِ وارتعدتْ ... كأنها قلبُ مرعوبٍ ومذعورِ
أتى بوجهِ نهارٍ لا ضياءَ له ... كأنّه غارةٌ شُنّت بديجورِ
أم ذاك نعيُ سليمانِ الزمانِ ومَن ... قضت أوامرُهُ في كلّ مأمورِ
مدارِ سلطنةِ الدنيا ومركزها ... خليفةِ اللهِ في الآفاقِ مذكورِ
مُعلي معالمِ دينِ اللهِ مظهرِها ... في العالمين بسعيٍ منه مشكورِ
وحسنِ رأيٍ إلى الخيراتِ منصرفٍ ... وصدقِ عزمٍ على الألطافِ مقصورِ
بآيةِ العدلِ والإحسانِ ممتثلٍ ... بغايةِ القسطِ والإنصافِ موفورِ
مجاهدٍ في سبيلِ اللهِ مجتهدٍ ... مؤيّدٍ من جنابِ القدسِ منصورِ

بِرَايَةٍ رُفِعَتْ لِلْمَجْدِ خَافِقَةٍ تَحْوِي عَلَى عَلَمٍ بِالنَّصْرِ مَنْشُورِ
وَعَسْكَرٍ مَلَأَ الْآفَاقَ مُحْتَشِدٍ مِنْ كُلِّ قُطْرٍ مِنَ الْأَقْطَارِ مَحْشُورِ
يَا نَفْسُ مَالَكِ فِي الدُّنْيَا مُخَلَّفَةً مِنْ بَعْدِ رِحْلَتِهِ عَنْ هٰذِهِ الدُّورِ
وَكَيْفَ تَمْشِينَ فَوْقَ الْأَرْضِ غَافِلَةً أَلَيْسَ جُثْمَانُهُ فِيهَا بِمَقْبُورِ
حَقٌّ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ أَسًى لٰكِنَّ ذٰلِكَ أَمْرٌ غَيْرُ مَقْدُورِ
يَا نَفْسُ فَاتَّئِدِي لَا تَهْلِكِي أَسَفًا فَأَنْتِ مَنْظُومَةٌ فِي سِلْكِ مَعْذُورِ
إِذْ لَسْتِ مَأْمُورَةً بِالْمُسْتَحِيلِ وَلَا بِمَا سِوَى بَذْلِ مَجْهُودٍ وَمَيْسُورِ
إِنَّ الْمَنَايَا وَإِنْ عَمَّتْ مُحَرَّمَةٌ عَلَى شَهِيدٍ جَمِيلِ الْحَالِ مَبْرُورِ
إِبْتَاعَ سَلْطَنَةَ الْعُقْبَى بِسَلْطَنَةِ الدُّنْيَا فَأَعْظِمْ بِرِبْحٍ غَيْرِ مَحْصُورِ
بَلْ حَازَ كِلْتَيْهِمَا إِذْ حَلَّ مَنْزِلَهُ مَنْ لَمْ يُغَايِرْهُ فِي أَمْرٍ وَمَأْمُورِ
فَإِنَّهُ عَيْنُهُ فِي كُلِّ مَأْثُرَةٍ وَكُلِّ أَمْرٍ عَظِيمِ الشَّأْنِ مَأْثُورِ
أَضْحَى بِقَبْضَتِهِ الدُّنْيَا بِرُمَّتِهَا مَا كَانَ مِنْ مُجْهَلٍ مِنْهَا وَمَعْمُورِ
سُبْحَانَ مِنْ مَلِكٍ جَلَّتْ مَفَاخِرُهُ عَنِ الْبَيَانِ بِمَنْظُومٍ وَمَنْثُورِ
لَا زَالَ أَحْكَامُهُ بِالْعَدْلِ جَارِيَةً بَيْنَ الْبَرِيَّةِ حَتَّى نَفْخَةِ الصُّورِ

٢٣٦ لابي البقاء صالح بن شريف الرندي يرثي الاندلس

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فَلَا يُغَرَّ بِطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتَهَا دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ
وَهٰذِهِ الدَّارُ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ
يُمَزِّقُ الدَّهْرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِغَةٍ إِذَا نَبَتْ مَشْرَفِيَّاتٌ وَخُرْصَانُ

وينتضي كل سيف للفناء ولو   كان ابن ذي يزن والغمد غمدان
أين الملوك ذوو التيجان من يمن   وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما شاده شداد في إرم   وأين ما ساسه في الفرس ساسان
وأين ما حازه قارون من ذهب   وأين عاد وشداد وقحطان
أتى على الكل أمر لا مرد له   حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك   كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على دارا وقاتله   وأم كسرى فما آواه إيوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب   يوما ولم يملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر أنواع منوعة   وللزمان مسرات وأحزان
وللحوادث سلوان يسهلها   وما لما حل بالإسلام سلوان
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له   هوى له أحد وانهد ثهلان
أصابها العين في الإسلام فارتزأت   حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل بلنسية ما شأن مرسية   وأين شاطبة أم أين جيان
وأين قرطبة دار العلوم فكم   من عالم قد سما فيها له شان
وأين حمص وما تحويه من نزه   ونهرها العذب فياض وملآن
قواعد كن أركان البلاد فما   عسى البقاء إذا لم تبق أركان
تبكي الحنيفية البيضاء من أسف   كما بكى لفراق الإلف هيمان
على ديار من الإسلام خالية   قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما   فيهن إلا نواقيس وصلبان

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة ... حتى المنابر ترثي وهي عيدان
يا غافلا وله في الدهر موعظة ... إن كنت في سنة فالدهر يقظان
وماشيا مرحا يلهيه موطنه ... أبعد حمص تغر المرء أوطان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها ... وما لها مع طول الدهر نسيان
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة ... كأنها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة ... كأنها في ظلام النقع نيران
وراتعين وراء البحر في دعة ... لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أهل أندلس ... فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث صناديد الرجال وهم ... قتلى وأسرى فما يهتز إنسان
ماذا التقاطع في الإسلام بينكم ... وأنتم يا عباد الله إخوان
ألا نفوس أبيات لها همم ... أما على الخير أنصار وأعوان
يا من لذلة قوم بعد عزهم ... أحال حالهم جور وطغيان
بالأمس كانوا ملوكا في منازلهم ... واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم ... عليهم من ثياب الذل ألوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم ... لهالك الأمر واستهوتك أحزان
يا رب أم وطفل حيل بينهما ... كما تفرق أرواح وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت ... كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العلج عند السبي مكرهة ... والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد ... إن كان في القلب إسلام وإيمان

البابُ الرابع عشر
في الفخر

٢٣٧ قالَ ٱلمُهَلْهِلُ :

إنَّا بَنُو تَغْلِبٍ شُمٌّ مَعَاطِسُنَا   بِيضُ ٱلوُجُوهِ إذا ما أُفْزِعَ ٱلبَلَدُ
قَوْمٌ إذا عاهَدُوا وَفَوْا وَإنْ عَقَدُوا   شَدُّوا وَإنْ شَهِدُوا يَوْمَ ٱلوَغَى ٱجْتَهَدُوا
وَإنْ دَعَوْتَهُمُ يَوْمًا لِمَكْرُمَةٍ   جاءُوا سِراعًا وَإنْ قامَ ٱلخَنَى قَعَدُوا
لا يَرْقُدُونَ عَلَى وِتْرٍ يَكُونُ لَهُمْ   وَإنْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ وِتْرُ ٱلعِدَى رَقَدُوا

٢٣٨ قالَ ٱلحُصَيْنُ بْنُ ٱلحُمَامِ ٱلمُرِّيُّ :

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي ٱلحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ   لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا
فَلَسْنَا عَلَى ٱلأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُومُنَا   وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ ٱلدِّمَا
نُفَلِّقُ هامًا مِنْ رِجالٍ أَعِزَّةٍ   عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

٢٣٩ قالَ ٱلطِّرِمَّاحُ بْنُ حَكِيمٍ :

لَقَدْ زادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي   بَغِيضٌ إلَى كُلِّ ٱمْرِئٍ غَيْرِ طائِلِ
وَأَنِّي شَقِيٌّ بِٱللِّئامِ وَلا تَرَى   شَقِيًّا بِهِمْ إلَّا كَرِيمَ ٱلشَّمائِلِ
إذا ما رَآنِي قَطَّعَ ٱلطَّرْفَ بَيْنَهُ   وَبَيْنِي فِعْلَ ٱلعارِفِ ٱلمُتَجاهِلِ
مَلَأْتُ عَلَيْهِ ٱلأَرْضَ حَتَّى كَأَنَّها   مِنَ ٱلضِّيقِ فِي عَيْنَيْهِ كِفَّةُ حابِلِ
أَكُلُّ ٱمْرِئٍ أَلْفَى أَباهُ مُقَصِّرًا   مُعادٍ لِأَهْلِ ٱلمَكْرُماتِ ٱلأَوائِلِ
إذا ذُكِرَتْ مَسْعاةُ والِدِهِ ٱضْطَنَى   وَلا يَضْطَنِي مِنْ شَتْمِ أَهْلِ ٱلفَضائِلِ

وَمَا مُنِعَتْ دَارٌ وَلَا عَزَّ أَهْلُهَا ... مِنَ ٱلنَّاسِ إِلَّا بِٱلْقَنَا وَٱلْقَنَابِلِ

٢٤٠ قَالَ ٱلْأَدِيبُ ٱلْأَبِيوَرْدِيُّ فِي ٱلْفَخْرِ:

عَجِبْتُ لِمَنْ يَبْغِي مَدَايَ وَقَدْ رَأَى ... مَسَاحِبَ ذَيْلِي فَوْقَ هَامِ ٱلْفَرَاقِدِ
وَلِي نَسَبٌ فِي ٱلْحَيِّ عَالٍ يَفَاعُهُ ... رَحِيبُ مَسَارِي ٱلْعِرْقِ زَاكِي ٱلْمَحَافِدِ
وَفِيَّ مِنَ ٱلْفَضْلِ ٱلَّذِي لَوْ ذَكَرْتُهُ ... كَفَانِيَ أَنْ أَزْهَى بِجَدٍّ وَوَالِدِ
وَرِثْنَا ٱلْعُلَى وَهِيَ ٱلَّتِي خُلِقَتْ لَنَا ... وَنَحْنُ خُلِقْنَا لِلْعُلَى وَٱلْمَحَامِدِ
أَبًا فَأَبًا مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ وَهٰكَذَا ... إِلَى آدَمٍ لَمْ يَنْمِنَا غَيْرُ مَاجِدِ

٢٤١ وَقَالَ أَيْضًا:

لَوَيْتُ عَلَى ٱلرُّمْحِ ٱلرُّدَيْنِيِّ مِعْصَمًا ... وَزُرْتُ ٱلْعِدَى وَٱلْحَرْبُ فَاغِرَةٌ فَمَا
وَقَدْ زَعَمُوا أَنِّي أَلِينُ عَرِيكَتِي ... لَهُمْ إِذْ تَوَسَّطْتُ ٱلْخَصَاصَةَ مُعْدِمَا
أَمَا عَلِمُوا أَنِّي وَإِنْ كُنْتُ مُقْتِرًا ... أُرَوِّي مِنَ ٱلْقِرْنِ ٱلْحُسَامَ ٱلْمُصَمِّمَا
وَيَشْرُقُ وَجْهِي حِينَ يُنْسَبُ وَالِدِي ... وَتَلْقَى عَلَيْهِ لِلسِّيَادَةِ مِيسَمَا
وَإِنْ ذَكَرُوا آبَاءَهُمْ فَوُجُوهُهُمْ ... تُشَبِّهُهَا قِطَعًا مِنَ ٱللَّيْلِ مُظْلِمَا
وَلَلْفَقْرُ خَيْرٌ مِنْ أَبٍ ذِي دَنَاءَةٍ ... إِذَا هَزَّ لِلْفَخْرِ ٱبْنُهُ عَادَ مُفْحَمَا
مَتَى حَصَلَتْ أَنْسَابُ قَيْسٍ وَخِنْدِفٍ ... فَلِي مِنْ رَوَابِيهِنَّ أَشْرَفُ مُنْتَمَى
وَإِنْ نُشِرَتْ مِنْهَا صَحِيفَةُ نَاسِبٍ ... رَأَيْتَ بُدُورًا مِنْ جُدُودِي وَأَنْجُمَا
لَهُمْ أَوْجُهٌ عِنْدَ ٱلْفَخَارِ يَزِينُهَا ... عَرَانِينُ مَا شُمَّتْ هَوَانًا وَمَرْغَمَا
لِيَقْصِدَ مَسَّ ٱلضِّغْنِ فِينَا بِذَرْعِهِ ... وَلَا يَسْتَثِرْ مِنَّا بِوَادِيهِ ضَيْغَمَا
فَإِنَّ ٱلْمَنَايَا حِينَ يُضْمِرْنَ غُلَّةً ... لَيَلْعَقْنَ مِنْ أَطْرَافِ أَرْمَاحِنَا ٱلدِّمَا

٢٤٢ وَقَالَ أَيضاً مُخَمِّساً :

أَلنَّاسُ مِن خَوَلِي وَٱلدَّهرُ مِن خَدَمِي … وَقِمَّةُ ٱلنَّجمِ عِندِي مَوطِىءُ ٱلقَدَمِ
وَلِلبَيَانِ لِسَانِي وَٱلنَّدَى خَضِلٌ … بِهِ يَدِي وَٱلعُلَى يُخلَقْنَ مِن شِيَمِي
وَٱلنَّسرُ يَتبَعُ سَيفِي حِينَ يَلحَظُهُ … وَٱلدَّهرُ يُنشِدُ مَا يَهمِي بِهِ قَلَمِي
فَأَينَ مِثلُ أَبِي فِي ٱلعُربِ قَاطِبَةً … وَمَن كَخَالِي فِي صُيَّابَةِ ٱلعَجَمِ
لَو صِيغَتِ ٱلأَرضُ لِي دُونَ ٱلوَرَى ذَهَباً … لَم تُرضِهَا لِمُرَجٍّ نَائِلٍ هِمَمِي
وَعَن قَلِيلٍ أُرَى فِي مَأزِقٍ حَرِجٍ … بِهِ تُشَامُ ٱلسُّرَيجِيَّاتُ فِي ٱلقِمَمِ
وَٱلبِيضُ مُردَفَةٌ تَبدُو خَلَاخِلُهَا … فِي مَسلَكٍ وَحِلٍ مِن عَبرَةٍ وَدَمِ
فَٱلمَجدُ فِي صَهَوَاتِ ٱلخَيلِ مَطلَبُهُ … وَٱلعِزُّ فِي ظُبَةِ ٱلصَّمصَامَةِ ٱلخَذِمِ

٢٤٣ قَالَ ٱلمُتَنَبِّيءُ فِي صِبَاهُ عَلَى لِسَانِ بَعضِ ٱلتَّنُوخِيِّينَ :

قُضَاعَةُ تَعلَمُ أَنِّي ٱلفَتَى ٱلـ … ـلَذِي ٱدَّخَرَت لِصُرُوفِ ٱلزَّمَانِ
وَمَجدِي يَدُلُّ بَنِي خِندِفٍ … عَلَى أَنَّ كُلَّ كَرِيمٍ يَمَانِي
أَنَا ٱبنُ ٱللِّقَاءِ أَنَا ٱبنُ ٱلسَّخَاءِ … أَنَا ٱبنُ ٱلضِّرَابِ أَنَا ٱبنُ ٱلطِّعَانِ
أَنَا ٱبنُ ٱلفَيَافِي أَنَا ٱبنُ ٱلقَوَافِي … أَنَا ٱبنُ ٱلسُّرُوجِ أَنَا ٱبنُ ٱلرِّعَانِ
طَوِيلُ ٱلنِّجَادِ طَوِيلُ ٱلعِمَادِ … طَوِيلُ ٱلقَنَاةِ طَوِيلُ ٱلسِّنَانِ
حَدِيدُ ٱلحِفَاظِ حَدِيدُ ٱللِّحَاظِ … حَدِيدُ ٱلحُسَامِ حَدِيدُ ٱلجَنَانِ
يُسَابِقُ سَيفِي مَنَايَا ٱلعِبَادِ … إِلَيهِم كَأَنَّهُمَا فِي رِهَانِ
يَرَى حَدُّهُ غَامِضَاتِ ٱلقُلُوبِ … إِذَا كُنتُ فِي هَبوَةٍ لَا أَرَانِي
سَأَجعَلُهُ حَكَماً فِي ٱلنُّفُوسِ … وَلَو نَابَ عَنهُ لِسَانِي كَفَانِي

٢٤٤ قال عنترة يتوعّد النعمان بن المنذر ملك العرب ويفتخر بقوله:

لَا يَحْمِلُ ٱلْحِقْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ ٱلرُّتَبُ ... وَلَا يَنَالُ ٱلْعُلَى مَنْ طَبْعُهُ ٱلْغَضَبُ
لِلّٰهِ دَرُّ بَنِي عَبْسٍ لَقَدْ نَسَلُوا ... مِنَ ٱلْأَكَارِمِ مَا قَدْ تَنْسُلُ ٱلْعَرَبُ
قَدْ كُنْتُ فِيمَا مَضَى أَرْعَى جِمَالَهُمُ ... وَٱلْيَوْمَ أَحْمِي حِمَاهُمْ كُلَّمَا نُكِبُوا
لَئِنْ يَعِيبُوا سَوَادِي فَهْوَ لِي نَسَبٌ ... يَوْمَ ٱلنِّزَالِ إِذَا مَا فَاتَنِي ٱلنَّسَبُ
إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ يَا نُعْمَانُ أَنَّ يَدِي ... قَصِيرَةٌ عَنْكَ فَٱلْأَيَّامُ تَنْقَلِبُ
إِنَّ ٱلْأَفَاعِي وَإِنْ لَانَتْ مَلَامِسُهَا ... عِنْدَ ٱلتَّقَلُّبِ فِي أَنْيَابِهَا ٱلْعَطَبُ
أَلْيَوْمَ تَعْلَمُ يَا نُعْمَانُ أَيُّ فَتًى ... يَلْقَى أَخَاكَ ٱلَّذِي قَدْ غَرَّهُ ٱلْعُصَبُ
فَتًى يَخُوضُ غُبَارَ ٱلْحَرْبِ مُبْتَسِمًا ... وَيَنْثَنِي وَسِنَانُ ٱلرُّمْحِ مُخْتَضِبُ
إِنْ سَلَّ صَارِمَهُ سَالَتْ مَضَارِبُهُ ... وَأَشْرَقَ ٱلْجَوُّ وَٱنْشَقَّتْ لَهُ ٱلْحُجُبُ
وَٱلْخَيْلُ تَشْهَدُ لِي أَنِّي أُكَفْكِفُهَا ... وَٱلطَّعْنُ مِثْلُ شَرَارِ ٱلنَّارِ يَلْتَهِبُ
إِذَا ٱلْتَقَيْتُ ٱلْأَعَادِي يَوْمَ مَعْرَكَةٍ ... تَرَكْتُ جَمْعَهُمُ ٱلْمَغْرُورَ يُنْتَهَبُ
لِيَ ٱلنُّفُوسُ وَلِلطَّيْرِ ٱللُّحُومُ وَلِلْـوَحْشِ ٱلْعِظَامُ وَلِلْخَيَّالَةِ ٱلسَّلَبُ
لَا أَبْعَدَ ٱللهُ عَنْ عَيْنِي غَطَارِفَةً ... إِنْسًا إِذَا نَزَلُوا جِنًّا إِذَا رَكِبُوا
أُسُودُ غَابٍ وَلٰكِنْ لَا نُيُوبَ لَهُمْ ... إِلَّا ٱلْأَسِنَّةُ وَٱلْهِنْدِيَّةُ ٱلْقُضُبُ
تَعْدُو بِهِمْ أَعْوَجِيَّاتٌ مُضَمَّرَةٌ ... مِثْلُ ٱلسَّرَاحِينِ فِي أَعْنَاقِهَا ٱلْقَبَبُ
مَا زِلْتُ أَلْقَى صُدُورَ ٱلْخَيْلِ مُنْدَفِقًا ... بِٱلطَّعْنِ حَتَّى يَضِجَّ ٱلسَّرْجُ وَٱللَّبَبُ
فَٱلْعُمْيُ لَوْ كَانَ فِي أَجْفَانِهِمْ نَظَرُوا ... وَٱلْخُرْسُ لَوْ كَانَ فِي أَفْوَاهِهِمْ خَطَبُوا
وَٱلنَّقْعُ يَوْمَ طِرَادِ ٱلْخَيْلِ يَشْهَدُ لِي ... وَٱلضَّرْبُ وَٱلطَّعْنُ وَٱلْأَقْلَامُ وَٱلْكُتُبُ

٢٤٥ وَقَالَ فِي إِغَارَتِهِ عَلَى بَنِي حَرِيقَةَ :

حَكِّمْ سُيُوفَكَ فِي رِقَابِ ٱلْعُذَّلِ ... وَإِذَا نَزَلْتَ بِدَارِ ذُلٍّ فَٱرْحَلِ
وَإِذَا ٱلْجَبَانُ نَهَاكَ يَوْمَ كَرِيهَةٍ ... خَوْفًا عَلَيْكَ مِنِ ٱزْدِحَامِ ٱلْجَحْفَلِ
فَٱعْصِ مَقَالَتَهُ وَلَا تَحْفِلْ بِهَا ... وَٱقْدِمْ إِذَا حَقَّ ٱللِّقَا فِي ٱلْأَوَّلِ
وَٱخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَنْزِلًا تَعْلُو بِهِ ... أَوْ مُتْ كَرِيمًا تَحْتَ ظِلِّ ٱلْقَسْطَلِ
إِنْ كُنْتُ فِي عَدَدِ ٱلْعَبِيدِ فَهِمَّتِي ... فَوْقَ ٱلثُّرَيَّا وَٱلسِّمَاكِ ٱلْأَعْزَلِ
أَوْ أَنْكَرَتْ فُرْسَانُ عَبْسٍ نِسْبَتِي ... فَسِنَانُ رُمْحِي وَٱلْحُسَامُ يُقِرُّ لِي
وَبِذَابِلِي وَمُهَنَّدِي نِلْتُ ٱلْعُلَى ... لَا بِٱلْقَرَابَةِ وَٱلْعَدِيدِ ٱلْأَجْزَلِ
وَرَمَيْتُ مُهْرِي فِي ٱلْعَجَاجِ فَخَاضَهُ ... وَٱلنَّارُ تُقْدَحُ مِنْ شِفَارِ ٱلْأَنْصُلِ
خَاضَ ٱلْعَجَاجَ مُحَجَّلًا حَتَّى إِذَا ... شَهِدَ ٱلْوَقِيعَةَ عَادَ غَيْرَ مُحَجَّلِ
وَلَقَدْ نَكَبْتُ بَنِي حَرِيقَةَ نَكْبَةً ... لَمَّا طَعَنْتُ صَمِيمَ قَلْبِ ٱلْأَخْيَلِ
وَقَتَلْتُ فَارِسَهُمْ رَبِيعَةَ عَنْوَةً ... وَٱلْهَيْذُبَانَ وَجَابِرَ بْنَ مُهَلْهِلِ
لَا تَسْقِنِي مَاءَ ٱلْحَيَاةِ بِذِلَّةٍ ... بَلْ فَٱسْقِنِي بِٱلْعِزِّ كَأْسَ ٱلْحَنْظَلِ
مَاءُ ٱلْحَيَاةِ بِذِلَّةٍ كَجَهَنَّمٍ ... وَجَهَنَّمٌ بِٱلْعِزِّ أَطْيَبُ مَنْزِلِ

٢٤٦ وَقَالَ أَيْضًا :

أَلْيَوْمَ أَسْعَرُهَا حَرْبًا تَذِلُّ لَهَا ... كُلُّ ٱلْجَبَابِرَةِ ٱلْمَاضِينَ فِي ٱلْحُقُبِ
وَأَتْرُكُ ٱلدَّمَ يَجْرِي مِنْ غَلَاصِمِهِمْ ... إِذَا عَلَوْتُ رُؤُوسَ ٱلْقَوْمِ بِٱلْقُضُبِ
كَمْ سَيِّدٍ إِذْ رَآنِي حِينَ أَطْلُبُهُ ... أَلْقَى ٱلسِّلَاحَ وَغَرَّ ٱلنَّفْسَ لِلْهَرَبِ
أَنَا ٱلشُّجَاعُ لِنَارِ ٱلْحَرْبِ أُضْرِمُهَا ... وَأَرْتَمِي ٱلْقَوْمَ بِٱلْإِرْغَامِ وَٱلْعَطَبِ

وَالْمَوْتُ يَفْزَعُ مِنِّي فِي الْهِيَاجِ إِذَا ... ثَارَ الْعَجَاجُ وَصَارَ النَّقْعُ كَاللَّهَبِ
وَرَاحَتِي فِي لِقَا الْأَبْطَالِ إِنْ طَعَنَتْ ... زُرْقُ الْأَسِنَّةِ لِلْأَقْرَانِ مِنْ كَثَبِ
كَمْ قَسْطَلٍ خُضْتُهُ لَمْ أَخْشَ غَائِلَةً ... وَسَاحَةُ الْحَرْبِ قَصْدِي وَهْيَ لِي طَلَبِي
لَأَفْعَلَنَّ فِعَالًا لَا مِثَالَ لَهَا ... فِعْلًا يُؤَرَّخُ فِي الْأَوْرَاقِ وَالْكُتُبِ
وَأَصْطَلِيهَا يَقِينًا وَالْبِحَارُ دَمٌ ... لِأَنَّ فِي مَوْجِهَا يَزْدَادُ لِي طَرَبِي
وَأَجْعَلُ الْجَوَّ كَاللَّيْلِ الْبَهِيمِ إِذَا ... ثَارَ الْغُبَارُ عَلَى الْأَقْطَارِ كَالْحُجُبِ
وَلَيْسَ لِي مُؤْنِسٌ فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ ... إِلَّا الْجَوَادُ وَسَيْفِي يَشْتَكِي غَضَبِي

٢٦٧ روى أبو حاتم عن أبي عُبَيدة قال: كان عبد الملك بن مروان في سمره مع أهل بيتهِ وولده وخاصّتهِ فقال لهم: ليقل كل واحدٍ منكم أحسن ما قيل من الشعر وليفصل رأي تفضيلهِ. فأنشدوا وفضّلوا. فقال بعضهم: النابغة. وقال بعضهم: الأعشى. فلمَّا فرغوا قال: أشعر من هؤلاء الذي يقول. وأنشد لمعن بن أوس:

وَذِي رَحِمٍ قَلَّمْتُ أَظْفَارَ ضِغْنِهِ ... بِحِلْمِي عَنْهُ وَهْوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمُ
يُحَاوِلُ رَغْمِي لَا يُحَاوِلُ غَيْرَهُ ... وَكَالْمَوْتِ عِنْدِي أَنْ يَحُلَّ بِهِ الرَّغْمُ
فَإِنْ أَعْفُ عَنْهُ أُغْضِ عَيْنًا عَلَى قَذًى ... وَلَيْسَ لَهُ بِالصَّفْحِ عَنْ ذَنْبِهِ عِلْمُ
وَإِنْ أَنْتَصِرْ مِنْهُ أَكُنْ مِثْلَ رَائِشٍ ... سِهَامَ عَدُوٍّ يُسْتَهَاضُ بِهِ الْعَظْمُ
صَبَرْتُ عَلَى مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... وَمَا يَسْتَوِي حَرْبُ الْأَقَارِبِ وَالسِّلْمُ
وَبَادَرْتُ مِنْهُ النَّأْيَ وَالْمَرْءُ قَادِرٌ ... عَلَى سَهْمِهِ مَا كَانَ يُمْكِنُهُ السَّهْمُ
وَيَشْتِمُ عِرْضِي فِي مَغِيبِي جَاهِدًا ... وَلَيْسَ لَهُ عِنْدِي هَوَانٌ وَلَا شَتْمُ
إِذَا سُمْتُهُ وَصْلَ الْقَرَابَةِ سَامَنِي ... قَطِيعَتَهَا تِلْكَ السَّفَاهَةُ وَالْإِثْمُ
وَإِنْ أَدْعُهُ لِلنِّصْفِ يَأْبَ إِجَابَتِي ... وَيَدْعُ لِحُكْمٍ جَائِرٍ غَيْرُهُ الْحُكْمُ

فَلَوْلَا ٱتِّقَاءُ ٱللهِ وَٱلرَّحِمِ ٱلَّتِي رِعَايَتُهَا حَقٌّ وَتَعْطِيلُهَا ظُلْمُ
إِذًا لَعَلَاهُ بَارِقٌ وَخَطَمْتُهُ بِوَسْمِ شَنَارٍ لَا يُشَابِهُهُ وَسْمُ
وَيَسْعَى إِذَا أَبْنِي لِهَدْمِ مَصَالِحِي وَلَيْسَ ٱلَّذِي يَبْنِي كَمَنْ شَأْنُهُ ٱلْهَدْمُ
يَوَدُّ لَوَ ٱنِّي مُعْدِمٌ ذُو خَصَاصَةٍ وَأَكْرَهُ جَهْدِي أَنْ يُخَالِطَهُ ٱلْعُدْمُ
فَمَا زِلْتُ فِي لِينِي لَهُ وَتَعَطُّفِي عَلَيْهِ كَمَا تَحْنُو عَلَى ٱلْوَلَدِ ٱلْأُمُّ
وَخَفْضِي لَهُ مِنِّي ٱلْجَنَاحَ تَأَلُّفًا لِتُدْنِيَهُ مِنِّي ٱلْقَرَابَةُ وَٱلرَّحِمُ
وَصَبْرِي عَلَى أَشْيَاءَ مِنْهُ تَرِيبُنِي وَكَظْمِي عَلَى غَيْظِي وَقَدْ يَنْفَعُ ٱلْكَظْمُ
لِأَسْتَلَّ عَنْهُ ٱلضِّغْنَ حَتَّى سَلَلْتُهُ وَقَدْ كَانَ ذَا ضِغْنٍ يَضُرُّ بِهِ ٱلْحَزْمُ
رَأَيْتُ ٱنْثِلَامًا بَيْنَنَا فَرَقَعْتُهُ بِرِفْقِي أَحْيَانًا وَقَدْ يُرْقَعُ ٱلثَّلْمُ
وَأَبْرَأْتُ غِلَّ ٱلصَّدْرِ مِنْهُ تَوَسُّعًا بِحِلْمِي كَمَا يَشْفِي بِأَدْوِيَةٍ سَقْمُ
فَأَطْفَأْتُ نَارَ ٱلْحَرْبِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَصْبَحَ بَعْدَ ٱلْحَرْبِ وَهْوَ لَنَا سِلْمُ

٢٤٨ قَالَ عَنْتَرَةُ:

أَحِنُّ إِلَى ضَرْبِ ٱلسُّيُوفِ ٱلْقَوَاضِبِ وَأَصْبُو إِلَى طَعْنِ ٱلرِّمَاحِ ٱللَّوَاعِبِ
وَأَشْتَاقُ كَاسَاتِ ٱلْمَنُونِ إِذَا صَفَتْ وَدَارَتْ عَلَى رَاسِي سِهَامُ ٱلْمَصَائِبِ
وَيُطْرِبُنِي وَٱلْخَيْلُ تَعْثُرُ بِٱلْقَنَا حُدَاةُ ٱلْمَنَايَا وَٱرْتِهَاجُ ٱلْمَوَاكِبِ
وَضَرْبٌ وَطَعْنٌ تَحْتَ ظِلِّ عَجَاجَةٍ كَجُنْحِ ٱلدُّجَى مِنْ وَقْعِ أَيْدِي ٱلسَّلَاهِبِ
تَطِيرُ رُؤُوسُ ٱلْقَوْمِ تَحْتَ ظَلَامِهَا وَتَنْقَضُّ فِيهَا كَٱلنُّجُومِ ٱلثَّوَاقِبِ
وَتَلْمَعُ فِيهَا ٱلْبِيضُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَلَمْعِ بُرُوقٍ فِي ظَلَامِ ٱلْغَيَاهِبِ
لَعَمْرُكَ إِنَّ ٱلْمَجْدَ وَٱلْفَخْرَ وَٱلْعُلَى وَنَيْلَ ٱلْأَمَانِي وَٱرْتِفَاعَ ٱلْمَرَاتِبِ

لِمَنْ يَلْتَقِي أَبْطَالَهَا وَسَرَاتَهَا بِقَلْبٍ صَبُورٍ عِنْدَ وَقْعِ ٱلْمَضَارِبِ
وَيَبْنِي بِحَدِّ ٱلسَّيْفِ مَجْدًا مُشَيَّدًا عَلَى فَلَكِ ٱلْعَلْيَاءِ فَوْقَ ٱلْكَوَاكِبِ
وَمَنْ لَمْ يُرَوِّ رُمْحَهُ مِنْ دَمِ ٱلْعِدَى إِذَا ٱشْتَبَكَتْ سُمْرُ ٱلْقَنَا بِٱلْقَوَاضِبِ
يُعْطِي ٱلْقَنَا ٱلْخَطِّيَّ فِي ٱلْحَرْبِ حَقَّهُ وَيَبْرِي بِحَدِّ ٱلسَّيْفِ عَرْضَ ٱلْمَنَاكِبِ
يَعِيشُ كَمَا عَاشَ ٱلذَّلِيلُ بِغُصَّةٍ وَإِنْ مَاتَ لَا يَجْرِي دُمُوعُ ٱلنَّوَادِبِ
لِضَائِلُ عَزْمٍ لَا تُبَاعُ لِضَارِعٍ وَأَسْرَارُ حَزْمٍ لَا تُذَاعُ لِعَائِبِ
رُزِئْتُ بِهَا دَهْرًا عَلَى كُلِّ حَادِثٍ وَلَا كُحْلَ إِلَّا مِنْ غُبَارِ ٱلْكَتَائِبِ
ذَا كَذَبَ ٱلْبَرْقُ ٱللَّمُوعُ لِشَائِمٍ فَبَرْقُ حُسَامِي صَادِقٌ غَيْرُ كَاذِبِ

٢٤٥ قَالَ أَبُو بُجَيْرٍ ٱلْحَارِثُ بْنُ عُبَادٍ:

سَلْ حَيَّ تَغْلِبَ عَنْ بَكْرٍ وَوَقْعَتِهِمْ بِٱلْحِنْوِ إِذْ خَسِرُوا جَهْرًا وَمَا رَشَدُوا
فَأَقْبَلُوا بِجَنَاحَيْهِمْ يَلُفُّهُمَا مِنَّا جَنَاحَانِ عِنْدَ ٱلصُّبْحِ فَٱطَّرَدُوا
فَأَصْبَحُوا ثُمَّ صَفُّوا دُونَ بِيضِهِمِ وَأَبْرَقُوا سَاعَةً مِنْ بَعْدِ مَا رَعَدُوا
وَأَيْقَنُوا أَنَّ شَيْبَانًا وَإِخْوَتَهُمْ قَيْسًا وَذُهْلًا وَتَيْمَ ٱللَّاتِ قَدْ رَصَدُوا
وَيَشْكُرُ وَبَنُو عِجْلٍ وَإِخْوَتُهُمْ بَنُو حَنِيفَةَ لَا يُحْصَى لَهُمْ عَدَدُ
ثُمَّ ٱلْتَقَيْنَا وَنَارُ ٱلْحَرْبِ سَاطِعَةٌ وَسَمْهَرِيُّ ٱلْعَوَالِي بَيْنَنَا قِصَدُ
طَوْرًا نُدِيرُ رَحَانَا ثُمَّ نَطْحَنُهُمْ طَحْنًا وَطَوْرًا نُلَاقِيهِمْ فَنَجْتَلِدُ
حَتَّى إِذَا ٱلشَّمْسُ دَارَتْ أَجْفَلُوا هَرَبًا عَنَّا وَخَلَّوْا عَنِ ٱلْأَمْوَالِ وَٱنْجَرَدُوا
فَرُّوا إِلَى ٱلنَّمِرِ مِنَّا وَهْوَ عَمُّهُمُ فَمَا وَفَى ٱلنَّمِرُ إِذْ طَارُوا وَهُمْ مُرُدُ
نَحْنُ ٱلْفَوَارِسُ نَغْشَى ٱلنَّاسَ كُلَّهُمُ وَنَقْتُلُ ٱلنَّاسَ حَتَّى يُوحِشَ ٱلْبَلَدُ

لَقَدْ صَبَحْنَاهُمُ بِٱلْبِيضِ صَافِيَةً عِنْدَ ٱللِّقَاءِ وَحَرُّ ٱلْمَوْتِ يَتَّقِدُ
وَٱلْخَيْلُ تَعْلَمُ أَنِّي مِنْ فَوَارِسِهَا يَوْمَ ٱلطِّعَانِ وَقَلْبُ ٱلنَّاسِ يَرْتَعِدُ
وَقَدْ حَلَفْتُ يَمِينًا لَا أُصَالِحُهُمْ مَا دَامَ مِنَّا وَمِنْهُمْ فِي ٱلْمَلَا أَحَدُ

٢٥٠ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي ٱلزَّوَائِدِ يَفْتَخِرُ:

هَلَّا سَأَلْتَ مَنَازِلًا بِفِزَارِ عَمَّنْ عَهِدْتُ بِهِ مِنَ ٱلْأَحْرَارِ
عُدِّي رِجَالَكِ وَٱسْمَعِي يَا هٰذِهِ عَنِّي مَقَالَةَ عَالِمٍ مِفْخَارِ
سَاعِدْ سُودَاتٍ لَنَا وَمَكَارِمًا وَأُبُوَّةً لَيْسَتْ عَلَيَّ بِعَارِ
قَيْسٌ وَخِنْدِفُ وَالدَّايِ كِلَاهُمَا وَٱلْعَمُّ بَعْدُ رَبِيعَةُ بْنُ نِزَارِ
مَنْ مِثْلُ فَارِسِنَا دُرَيْدٍ فَارِسًا فِي كُلِّ يَوْمِ تَعَانُقٍ وَكِرَارِ
وَبَنُو زِيَادٍ مَنْ لِقَوْمِكَ مِثْلُهُمْ أَوْ مِثْلُ عَنْتَرَةَ ٱلْهِزَبْرِ ٱلضَّارِي
وَٱلْحَيُّ مِنْ سَعْدٍ ذُؤَابَةُ قَوْمِهِمْ وَٱلْفَخْرُ مِنْهُمْ وَٱلسَّنَامُ ٱلْوَارِي
وَٱلْمَانِعُونَ مِنَ ٱلْعَدُوِّ ذِمَارَهُمْ وَٱلْمُدْرِكُونَ عَدُوَّهُمْ بِٱلثَّارِ
وَبَنُو سُلَيْمٍ نَكْلُ مَنْ عَادَاهُمُ وَحَيَا ٱلْعُفَاةِ وَمَعْقِلُ ٱلْفُرَّارِ
لَيْسُوا بِأَنْكَاسٍ إِذَا حَاسَتْهُمُ ٱلْـمَوْتَ ٱلْعُدَاةُ وَصَمَّمُوا لِمَغَارِ

٢٥١ قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ يَصِفُ صَبْرَهُ وَجَلَدَهُ فِي ٱلْحَرْبِ

أَعَاذِلَ عُدَّتِي بَدَنِي وَرُمْحِي وَكُلُّ مُقَلِّصٍ سَلِسِ ٱلْقِيَادِ
أَعَاذِلَ إِنَّمَا أَفْنَى شَبَابِي إِجَابَتِيَ ٱلصَّرِيخَ إِلَى ٱلْمُنَادِي
مَعَ ٱلْأَبْطَالِ حَتَّى سَلَّ جِسْمِي وَأَقْرَحَ عَاتِقِي حَمْلُ ٱلنِّجَادِ
وَيَبْقَى بَعْدَ حِلْمِ ٱلْقَوْمِ حِلْمِي وَيَفْنَى بَعْدَ زَادِ ٱلْقَوْمِ زَادِي

وَمِنْ عَجَبٍ عَجِبْتُ لَهُ حَدِيثٌ بَدِيعٌ لَيْسَ مِنْ بِدَعِ ٱلسَّدَادِ
تَمَنَّى أَنْ يُلَاقِيَنِي قُيَيْسٌ وَدِدْتُ وَأَيْنَمَا مِنِّي وَدَادِي
تَمَنَّانِي وَسَابِغَتِي قَمِيصِي كَأَنَّ قَتِيرَهَا حَدَقُ ٱلْجَرَادِ
وَسَيْفٌ لِٱبْنِ ذِي قَيْعَانَ عِنْدِي تَخَيَّرَ نَصْلَهُ مِنْ عَهْدِ عَادِ
فَلَوْ لَاقَيْتَنِي لَلَقِيتَ لَيْثًا هَصُورًا ذَا ظُبًا وَشَبًا حِدَادِ
وَلَٱسْتَيْقَنْتَ أَنَّ ٱلْمَوْتَ حَقٌّ وَصَرَّحَ شَحْمُ قَلْبِكَ عَنْ سَوَادِ
أُرِيدُ حِبَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ

١٥٢ أَنْشَدَ ٱبْنُ ٱلْكَلْبِيِّ لِحَاتِمٍ ٱلطَّائِيِّ:

وَعَاذِلَةٍ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي وَقَدْ غَابَ عَيُّوقُ ٱلثُّرَيَّا فَعَرَّدَا
تَلُومُ عَلَى إِعْطَائِيَ ٱلْمَالَ ضِلَّةً إِذَا ضَنَّ بِٱلْمَالِ ٱلْبَخِيلُ وَصَرَّدَا
تَقُولُ أَلَا أَمْسِكْ عَلَيْكَ فَإِنَّنِي أَرَى ٱلْمَالَ عِنْدَ ٱلْمُمْسِكِينَ مُعَبَّدَا
ذَرِينِي وَحَالِي إِنَّ مَالَكِ وَافِرٌ وَكُلُّ ٱمْرِئٍ جَارٍ عَلَى مَا تَعَوَّدَا
أَعَاذِلَ لَا آلُوكِ إِلَّا خَلِيقَتِي فَلَا تَجْعَلِي فَوْقِي لِسَانَكِ مِبْرَدَا
ذَرِينِي يَكُنْ مَالِي لِعِرْضِي جُنَّةً يَقِي ٱلْمَالُ عِرْضِي قَبْلَ أَنْ يَتَبَدَّدَا
أَرِينِي جَوَادًا مَاتَ هَزْلًا لَعَلَّنِي أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بَخِيلًا مُخَلَّدَا
وَإِلَّا فَكُفِّي بَعْضَ لَوْمِكِ وَٱجْعَلِي إِلَى رَأْيِ مَنْ تَلْحِينَ رَأْيَكِ مُسْنَدَا
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي إِذَا ٱلضَّيْفُ نَابَنِي وَعَزَّ ٱلْقِرَى أَقْرِي ٱلسَّدِيفَ ٱلْمُسَرْهَدَا
أُسَوِّدُ سَادَاتِ ٱلْعَشِيرَةِ عَارِفًا وَمِنْ دُونِ قَوْمِي فِي ٱلشَّدَائِدِ مِذْوَدَا
وَأَلْقَى لِأَعْرَاضِ ٱلْعَشِيرَةِ حَافِظًا وَحَقِّهِمِ حَتَّى أَكُونَ ٱلْمُسَوَّدَا

يَقُولُونَ لِي أَهْلَكْتَ مَالَكَ فَاقْتَصِدْ ... وَمَا كُنْتُ لَوْلَا مَا تَقُولُونَ سَيِّدَا
كُلُوا الْآنَ مِنْ رِزْقِ الْإِلٰهِ وَأَيْسِرُوا ... فَإِنَّ عَلَى الرَّحْمَانِ رِزْقَكُمُ غَدَا
سَأَذْخَرُ مِنْ مَالِي دِلَاصاً وَسَابِحاً ... وَأَسْمَرَ خَطِّيّاً وَعَضْباً مُهَنَّدَا
وَذٰلِكَ يَكْفِينِي مِنَ الْمَالِ كُلِّهِ ... مَصُوناً إِذَا مَا كَانَ عِنْدِيَ مُتْلَدَا

٢٥٣ وَأَنْشَدَ لَهُ أَيْضاً مِنْ قَصِيدَةٍ:

مَهْلاً نَوَارُ أَقِلِّي اللَّوْمَ وَالْعَذَلَا ... وَلَا تَقُولِي لِشَيْءٍ فَاتَ مَا فَعَلَا
وَلَا تَقُولِي لِمَالٍ كُنْتُ مُهْلِكَهُ ... مَهْلاً وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِي الْبَحْرَ وَالْجَبَلَا
يَرَى الْبَخِيلُ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً ... إِنَّ الْجَوَادَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلَا
إِنَّ الْبَخِيلَ إِذَا مَا مَاتَ يَتْبَعُهُ ... سُوءُ الثَّنَاءِ وَيَحْوِي الْوَارِثُ الْإِبِلَا
فَاصْدُقْ حَدِيثَكَ إِنَّ الْمَرْءَ يَتْبَعُهُ ... مَا كَانَ يَبْنِي إِذَا مَا نَعْشُهُ حُمِلَا
لَيْتَ الْبَخِيلَ يَرَاهُ النَّاسُ كُلُّهُمُ ... كَمَا يَرَاهُمْ فَلَا يُقْرَى إِذَا نَزَلَا
لَا تَعْذِلِينِي عَلَى مَالٍ وَصَلْتُ بِهِ ... رَحْماً وَخَيْرُ سَبِيلِ الْمَالِ مَا وَصَلَا
يَسْعَى الْفَتَى وَحِمَامُ الْمَوْتِ يُدْرِكُهُ ... وَكُلُّ يَوْمٍ يُدَنِّي لِلْفَتَى الْأَجَلَا
إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنِّي سَوْفَ يُدْرِكُنِي ... يَوْمِي وَأُصْبِحُ عَنْ دُنْيَايَ مُشْتَغِلَا

٢٥٤ لصفي الدين الحلي

سَلِي الرِّمَاحَ الْعَوَالِي عَنْ مَعَالِينَا ... وَاسْتَشْهِدِي الْبِيضَ هَلْ خَابَ الرَّجَا فِينَا
وَسَائِلِي الْعُرْبَ وَالْأَتْرَاكَ مَا فَعَلَتْ ... فِي أَرْضِ قَبْرِ عُبَيْدِ اللهِ أَيْدِينَا
لَمَّا سَعَيْنَا فَمَا رَقَّتْ عَزَائِمُنَا ... عَمَّا نَرُومُ وَلَا خَابَتْ مَسَاعِينَا
يَا يَوْمَ وَقْعَةِ زَوْرَاءِ الْعِرَاقِ وَقَدْ ... دِنَّا الْأَعَادِيَ كَمَا كَانُوا يَدِينُونَا

بِضُمَّرٍ مَا رَبَطْنَاهَا مُسَوَّمَةً ... إِلَّا لِنَغْزُوَ بِهَا مَنْ بَاتَ يَغْزُونَا
وَفِتْيَةٍ إِنْ نَقُلْ أَصْغَوْا مَسَامِعَهُمْ ... لِقَوْلِنَا أَوْ دَعَوْنَاهُمْ أَجَابُونَا
قَوْمٌ إِذَا اسْتُخْصِمُوا كَانُوا فَرَاعِنَةً ... يَوْماً وَإِنْ حُكِّمُوا كَانُوا مَوَازِينَا
تَدَرَّعُوا الْعَقْلَ جِلْبَاباً فَإِنْ حَمِيَتْ ... نَارُ الْوَغَى خِلْتَهُمْ فِيهَا مَجَانِينَا
إِذَا ادَّعَوْا جَاءَتِ الدُّنْيَا مُصَدِّقَةً ... وَإِنْ دَعَوْا قَالَتِ الْأَيَّامُ آمِينَا
إِنَّ الزَّرَازِيرَ لَمَّا قَامَ قَائِمُهَا ... تَوَهَّمَتْ أَنَّهَا صَارَتْ شَوَاهِينَا
ظَنَّتْ تَأَنِّي الْبُزَاةِ الشُّهْبِ عَنْ جَزَعٍ ... وَمَا دَرَتْ أَنَّهُ قَدْ كَانَ تَهْوِينَا
ذَلُّوا بِأَسْيَافِنَا طُولَ الزَّمَانِ فَمُذْ ... تَحَكَّمُوا أَظْهَرُوا أَحْقَادَهُمْ فِينَا
لَمْ يُغْنِهِمْ مَالُنَا عَنْ نَهْبِ أَنْفُسِنَا ... كَأَنَّهُمْ فِي أَمَانٍ مِنْ تَقَاضِينَا
ثُمَّ انْثَنَيْنَا وَقَدْ ظَلَّتْ صَوَارِمُنَا ... تَمِيسُ عُجْباً وَتَهْتَزُّ الْقَنَا لِينَا
وَلِلدِّمَاءِ عَلَى أَثْوَابِنَا عَلَقٌ ... بِنَشْرِهِ عَنْ عَبِيرِ الْمِسْكِ يُغْنِينَا
إِنَّا لَقَوْمٌ أَبَتْ أَخْلَاقُنَا شَرَفاً ... أَنْ نَبْتَدِي بِالْأَذَى مَنْ لَيْسَ يُؤْذِينَا
بِيضٌ صَنَائِعُنَا سُودٌ وَقَائِعُنَا ... خُضْرٌ مَرَابِعُنَا حُمْرٌ مَوَاضِينَا
لَا يَظْهَرُ الْعَجْزُ مِنَّا دُونَ نَيْلِ مُنًى ... وَلَوْ رَأَيْنَا الْمَنَايَا فِي أَمَانِينَا

٢٥٥ قصيدة السموءل في الفخر

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ ... فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ
وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهَا ... فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ
تُعَيِّرُنَا أَنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا ... فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلُ
وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا ... شَبَابٌ تَسَامَى لِلْعُلَى وَكُهُولُ

وَمَا ضَرَّنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ ٱلْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ
لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نُجِيرُهُ مَنِيعٌ يَرُدُّ ٱلطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلُ
رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ ٱلثَّرَى وَسَمَا بِهِ إِلَى ٱلنَّجْمِ فَرْعٌ لَا يُنَالُ طَوِيلُ
هُوَ ٱلْأَبْلَقُ ٱلْفَرْدُ ٱلَّذِي شَاعَ ذِكْرُهُ يَعِزُّ عَلَى مَنْ رَامَهُ وَيَطُولُ
وَإِنَّا لَقَوْمٌ لَا نَرَى ٱلْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ
يُقَرِّبُ حُبُّ ٱلْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ
وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ وَلَا طُلَّ يَوْمًا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ
تَسِيلُ عَلَى حَدِّ ٱلظُّبَاتِ نُفُوسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ ٱلظُّبَاتِ تَسِيلُ
صَفَوْنَا وَلَمْ نَكْدُرْ وَأَخْلَصَ سِرَّنَا إِنَاثٌ أَطَابَتْ حَمْلَنَا وَفُحُولُ
عَلَوْنَا إِلَى خَيْرِ ٱلظُّهُورِ وَحَطَّنَا لِوَقْتٍ إِلَى خَيْرِ ٱلْبُطُونِ نُزُولُ
فَنَحْنُ كَمَاءِ ٱلْمُزْنِ مَا فِي نِصَابِنَا كَهَامٌ وَلَا فِينَا يُعَدُّ بَخِيلُ
وَنُنْكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى ٱلنَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلَا يُنْكِرُونَ ٱلْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ
إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا خَلَا قَامَ سَيِّدٌ قَؤُولٌ لِمَا قَالَ ٱلْكِرَامُ فَعُولُ
وَمَا أُخْمِدَتْ نَارٌ لَنَا دُونَ طَارِقٍ وَلَا ذَمَّنَا فِي ٱلنَّازِلِينَ نَزِيلُ
وَأَيَّامُنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُوِّنَا لَهَا غُرَرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُولُ
وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ بِهَا مِنْ قِرَاعِ ٱلدَّارِعِينَ فُلُولُ
مُعَوَّدَةٌ أَنْ لَا تُسَلَّ نِصَالُهَا فَتُغْمَدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَبِيلُ
سَلِي إِنْ جَهِلْتِ ٱلنَّاسَ عَنَّا وَعَنْهُمُ فَلَيْسَ سَوَاءً عَالِمٌ وَجَهُولُ
فَإِنَّ بَنِي ٱلدَّيَّانِ قُطْبٌ لِقَوْمِهِمْ تَدُورُ رَحَاهُمْ حَوْلَهُمْ وَتَجُولُ

الباب الخامس عشر
في المراسلات

مراسلات بين الملوك والامراء

كتاب ابي القاسم الحريري الى الوزير سعد الملك يستغيثهُ على العرب الذين غزوا مدينة البصرة

٢٥٦ لَوِ ٱطَّلَعَ مَوْلَانَا عَلَى مَا فَاجَأَ ٱلْبَصْرَةَ وَأَهْلَهَا مِنَ ٱلْفَتْكِ وَٱلْقَهْرِ. وَٱلنَّهْبِ وَٱلْأَسْرِ. إِلَى مَا مُنُوا بِهِ مِنَ ٱلشَّتَاتِ. وَٱفْتِضَاحِ ٱلْخَفِرَاتِ. وَٱحْتِرَاقِ ٱلْمَسَاكِنِ وَٱلْخَانَاتِ. وَٱنْتِشَارِ ٱلْفَسَادِ. إِلَى قُرَى ٱلسَّوَادِ. لَرَأَى مَنْظَرًا يُحَرِّقُ ٱلْأَكْبَادَ. وَيُبْكِي ٱلْعَيْنَ ٱلْجَمَادَ. وَقَدْ أَشْرَفَتِ ٱلْبَصْرَةُ عَلَى ٱلْعَفَاءِ. وَٱللَّحَاقِ بِٱلصَّحْرَاءِ. وَأَنْ يُؤَرَّخَ أَنَّهُ رَأْسُهَا فِي هٰذِهِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْغَرَّاءِ. إِذْ كَانَ تَوَالَى عَلَيْهَا مِنَ ٱلْأَحْدَاثِ. فِي هٰذِهِ ٱلسِّنِينَ ٱلثَّلَاثِ. مَا يُدَمِّرُ أَعْمَرَ ٱلْبُلْدَانِ وَلَمْ يُعْهَدْ مِثْلُهُ فِي سَالِفِ ٱلزَّمَانِ. فَإِنْ أَنْعَمَ وَعَجَّلَ ٱلنَّظَرَ لِلرَّعِيَّةِ. بِتَرْتِيبِ ٱلنَّجْدَةِ ٱلْقَوِيَّةِ. وَإِسْقَاطِ مُعَامَلَةِ ٱلدَّرْبِ. فِي ٱلْهَرَبِ مِنَ ٱلْعَرَبِ. وَلَا خَفَاءَ بِمَا فِي تَنْفِيسِ ٱلْكُرَبِ مِنَ ٱلْقُرَبِ

وكتب اليهِ يشكرهُ واصحب كتابهُ بقصيدةٍ

٢٥٧ دَعَا ٱلْعَبْدُ لِلْمَجْلِسِ ٱلْفُلَانِيِّ دَامَتْ جُدُودُهُ سَعِيدَةً. وَسُعُودُهُ جَدِيدَةً. وَعَلْيَاؤُهُ مَحْسُودَةً. وَأَعْدَاؤُهُ مَحْصُودَةً. دُعَاءَ مَنْ يَتَقَرَّبُ بِإِصْدَارِهِ. عَلَى بُعْدِ دَارِهِ. وَيَقْصُرُ عَلَيْهِ سَاعَاتِهِ. مَعَ قُصُورِ مُسْتَطَاعَاتِهِ.

وَشُكْرُهُ لِلإِنْعَامِ ٱلَّذِي أَوْصَلَهُ إِلَى ٱلتَّجْمِيلِ وَٱلتَّأْمِيلِ . وَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ ٱلتَّنْوِيهِ وَٱلتَّنْوِيلِ . شُكْرَ مَنْ أُطْلِقَ مِنْ أَسْرِهِ . وَأُذِيقَ طَعْمَ ٱلْيُسْرِ بَعْدَ عُسْرِهِ . وَلَوْ نَهَضَتْ بِهِ ٱلْقَدَمَانِ . وَأَسْعَدَهُ عَوْنُ ٱلزَّمَانِ . لَقَدِمَ ٱعْتِمَادَ ٱلْبَابِ ٱلْمَعْمُورِ . وَأَسْرَعَ إِلَيْهِ إِسْرَاعَ ٱلْعَبْدِ ٱلْمَأْمُورِ . لِيُؤَدِّيَ بَعْضَ حُقُوقِ ٱلإِحْسَانِ . وَيَتْلُوَ صُحُفَ ٱلشُّكْرِ بِٱللِّسَانِ . لٰكِنْ أَنَّى يَنْهَضُ ٱلْمُقْعَدُ . وَمَنْ لَهُ بِأَنْ يَصْعَدَ فَيَسْعَدَ . وَلَمَّا قَصُرَتْ خُطْوَةُ ٱلْعَبْدِ وَحُرِمَ حُظْوَةَ ٱلْقَصْدِ . وَلَزِمَهُ مَعَ وُضُوحِ ٱلْعُذْرِ . أَنْ يُفْصِحَ عَنِ ٱلشُّكْرِ . خَدَمَ بِمَا يُنْبِئُ عَنْ فِكْرِهِ ٱلْمَرِيضِ . وَيَشْهَدُ بِطَبْعِ طَبْعِهِ فِي ٱلْقَرِيضِ . وَلَوْلَا أَنَّ ٱلْهَدِيَّةَ عَلَى حَسَبِ مُهْدِيهَا . وَبِهِ تَتَعَلَّقُ مَسَاوِيهَا . لَمَا قَدَرَ أَنْ يُهْدِيَ ٱلْوَرَقَ إِلَى ٱلشَّجَرِ . وَيُبَيِّضَ شِعْرًا كَبَيَاضِ ٱلشَّعَرِ . هٰذَا عَلَى أَنَّ ذَنْبَ ٱلْمُعْتَرِفِ مَغْفُورٌ . وَٱلْمُجْتَهِدَ وَإِنْ أَخْطَأَ مَعْذُورٌ . وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يَلْحَقَ بِمَنْ نِيَّتُهُ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ . لِيَبْلُغَ قَاصِيَةَ أَمَلِهِ . وَلِلْآرَاءِ ٱلْعَلِيَّةِ فِي تَشْرِيفِ خِدْمَتِهِ بِٱلِٱسْتِعْرَاضِ . وَصَوْنِ مِدْحَتِهِ عَنِ ٱلِٱعْتِرَاضِ . وَتَأْهِيلِهِ مِنْ مَزَايَا ٱلإِيجَابِ وَٱلْجَوَابِ . بِمَا يُمَيِّزُهُ عَلَى ٱلْأَحْزَابِ . مَزِيدُ ٱلْعُلُوِّ (للحريري)

نسخة كتاب من نائب الشام الى نائب حلب يخبره بوفاة الملك الصالح

٢٥٨ إِنَّ ٱلْمَرْسُومَ ٱلشَّرِيفَ زَادَهُ ٱللّٰهُ شَرَفًا وَرَدَ عَلَى ٱلْمَمْلُوكِ يَتَضَمَّنُ خَبَرَيْنِ . هٰذَا سَاءَ وَهٰذَا سَرَّ . وَهٰذَا عَقَّ ٱلْقُلُوبَ وَهٰذَا بَرَّ . وَهٰذَا ضَرَّ ٱلْجَوَانِحَ وَهٰذَا نَفَعَ أَضْعَافَ مَا ضَرَّ . أَمَّا ٱلْأَوَّلُ فَبِمَا قَضَاهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى وَقَدَّرَهُ مِنْ وَفَاةِ أُسْتَاذِنَا ٱلسُّلْطَانِ ٱلسَّعِيدِ . وَٱبْنِ أُسْتَاذِنَا ٱلسُّلْطَانِ

ٱلسَّعِيدِ ٱلشَّهِيدِ . ٱلْمَلِكِ ٱلصَّالِحِ نَصَرَ ٱللهُ شَبَابَهُ . وَأَسْقَى عَهْدَ ٱلرِّضْوَانِ عَهْدَهُ وَتُرَابَهُ . بِمَرَضٍ كَمَا سَمِعَ مَوْلَانَا لَمْ تَنْفَعْ فِيهِ ٱلْأَدْوِيَةُ وَٱلرُّقَى . وَعَرَضٍ ٱسْتَوْلَى عَلَى ذٰلِكَ ٱلْجَوْهَرِ ٱلْفَرِيدِ فَتَرَكَهُ بَعْدَ حَرَكَةِ ٱللِّقَاءِ لَقًى . وَارِدَ خَطْبٍ لَمْ تَرُدَّهُ ٱلْبُرُوجُ ٱلْمُشَيَّدَةُ وَٱلْجُنُودُ ٱلْمُجَنَّدَةُ

وَقَدْ فَارَقَ ٱلنَّاسُ ٱلْأَحِبَّةَ قَبْلَنَا وَأَعْيَا دَوَاءُ ٱلْمَوْتِ كُلَّ طَبِيبِ

وَأَمَّا ٱلثَّانِي فَبِمَا حَبَاهُ ٱللهُ وَهَنَّاهُ مِنْ جُلُوسِ مَوْلَانَا ٱلسُّلْطَانِ ٱلْأَعْظَمِ ٱلْمَلِكِ ٱلْكَامِلِ سَيْفِ ٱلدُّنْيَا وَٱلدِّينِ أَبِي ٱلْفُتُوحِ شَعْبَانَ أَخِيهِ خَلَّدَ ٱللهُ مُلْكَهُ عَلَى سَرِيرِ ٱلسَّلْطَنَةِ ٱلشَّرِيفَةِ . سُلْطَانًا عَادِلًا . وَمَلِكًا نَشَأَ فِي أُفُقِ ٱلْمُلْكِ هِلَالًا إِلَى أَنْ ظَهَرَ كَامِلًا . وَسَيْفًا تَخْضَعُ لِعِزَّتِهِ رِقَابُ مُلُوكِ ٱلْغَرْبِ وَٱلشَّرْقِ . وَمُتَوَّجًا يَظْهَرُ بِإِشْرَاقِ جَبِينِهِ مَا بَيْنَ ٱلْمُلُوكِ مِنَ ٱلْفَرْقِ . وَإِنَّ كَلِمَةَ ٱلْإِجْمَاعِ ٱنْعَقَدَتْ عَلَى مُلْكِهِ ٱلرَّفِيعِ . وَإِنَّ ٱلْعَزَاءَ ٱلْمُقْتَضَبَ يَجِيءُ بِٱلْهَنَاءِ ٱلسَّرِيعِ . وَإِنَّ ٱلطَّلْعَةَ ٱلشَّرِيفَةَ قَدْ أَطْلَعَتْ فِي أُفُقِ ٱلْمُلْكِ ٱلْمُرَجَّبِ هِلَالَ شَعْبَانَ فِي رَبِيعٍ . فَسُرَّتِ ٱلسَّرَائِرُ وَضُرِبَتْ بَعْدَ ضُرُوبِ ٱلْهَنَاءِ نُوَبُ ٱلْبَشَائِرِ . وَأَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱلْمُدُنُ زِينَتَهَا مِنْ كُلِّ زَاهٍ وَزَاهِرٍ . سَجَعَتِ ٱلْخُطَبَاءُ بِٱلِٱسْمِ ٱلشَّرِيفِ فَكَادَتْ أَنْ تُورِقَ أَعْوَادُ ٱلْمَنَابِرِ . وَظَهَرَتْ بِٱلِٱبْتِهَاجِ حَتَّى عَلَى وُجُوهِ ٱلدَّرَاهِمِ وَٱلدَّنَانِيرِ أَمَائِرُ . وَأَصْبَحَتْ أَيْدِي ٱلرَّجَاءِ بِهَا مَلِيئَةً . وَتَسَابَقَتِ ٱلْأَلْسُنُ بِحَمْدِ ٱللهِ تَعَالَى عَلَى أَنْ جَعَلَ هٰذَا ٱلْبَيْتَ ٱلشَّرِيفَ نُجُومَ سَمَاءٍ كُلَّمَا غَابَ كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُ بَهِيَّةٌ . وَجَهَّزَ ٱلْمَمْلُوكُ ٱلْمِثَالَ

الشَّرِيفَ الْمُخْتَصَّ بِمَوْلاَنَا لِيَأْخُذَ حَظَّهُ مِنْ هٰذِهِ الْبُشْرَى . وَيَنْشُرَهَا مِنْ طَيِّ الْبُرُوجِ مَعَ نَفَحَاتِ الرَّوْضِ تَتْرَى . فَطَمَحَ الرَّعَايَا مِنْ فَضْلِ الْهَنَاءِ إِلَى أَحْسَنِ الْمَطَامِحِ . وَيَرْضَوْنَ عَنْ بَاقِي الزَّمَانِ وَمَاضِيهِ فَيَصِفُونَهُ بِكَامِلِ وَصْفٍ وَيُثْنُونَ عَلَيْهِ بِصَالِحٍ . وَاللهُ تَعَالَى يَمْلَأُ لَهُ الْبَشَائِرَ أَوْطَارًا وَأَوْطَانًا . وَيَسُرُّ الدِّينَ وَالدُّنْيَا أَبَدًا بِتِلَاوَةِ هٰذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ . وَيَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا آخِرُهُ : وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ وَحْدَهُ (الكنز المدفون للسيوطي)

لابي بكر الخوارزمي الى والي بلاد قومس وقد ورد عليه ابنه للقراءة

٢٥٩ وَرَدَ عَلَيَّ كِتَابُ الْفَقِيهِ بَعْدَ نِزَاعٍ كَانَ إِلَيْهِ وَحِرْصٍ عَلَيْهِ . وَبَعْدَ أَنِ اقْتَرَحْتُهُ عَلَى الدَّهْرِ . وَخَلَعْتُ فِيهِ رِبْقَةَ الْعَزَاءِ وَالصَّبْرِ . وَلَمْ أَدْرِ بِأَيِّهِمَا أَنَا أَشَدُّ سُرُورًا أَبِالْكِتَابِ وَهُوَ أَيْسَرُ وَاصِلٍ . أَمْ بِحَامِلِهِ وَهُوَ أَجَلُّ حَامِلٍ . فُلَانٌ وَلَدِي قَدِ اقْتَطَعْتُ لَهُ مِنْ فَرَاغِي فِلْذَةً عَلَى أَنَّنِي لَوْ دَرَسْتُهُ حَتَّى تَحْفَى الْأَقْلَامُ . وَيَفْنَى الْكَلَامُ . وَتَحْصَرَ الْأَفْهَامُ وَالْأَوْهَامُ . ثُمَّ لَقَّمْتُهُ الْعِلْمَ لُقْمَةً . وَسَبَكْتُ لَهُ الْأَدَبَ فِقْرَةً . وَأَلْهَمْتُهُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ . وَأَفْرَغْتُ فِي خَاطِرِهِ آدَابَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ . وَخَرَجْتُ لَهُ مِنْ حَدِّ الْإِفْهَامِ . إِلَى حَدِّ الْإِلْهَامِ . لَكُنْتُ فِيهِ عَنْ قَضَاءِ حَقٍّ مِنْ حُقُوقِ الْفَقِيهِ قَاصِرًا . وَلَكَانَ وُقُوعِي دُونَ أَدْنَى مَوَاجِبِهِ عَلَيَّ ظَاهِرًا . وَلٰكِنَّ الْإِقْرَارَ عُذْرٌ قَوِيٌّ . كَمَا أَنَّ الْإِنْكَارَ ذَنْبٌ طَوِيٌّ . وَقَدْ كَانَ هٰذَا الْوَلَدُ أَدِيبًا مُجْمَلًا . فَصَارَ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى أَدِيبًا مُفَصَّلًا . وَكَانَ أَغَرَّ فَصَارَ أَغَرَّ مُحَجَّلًا . وَأَرْجُو أَنَّ اللهَ يُحْيِي بِهِ مَآثِرَ سَلَفِهِ الصَّالِحِينَ . وَيُعْلِي بِهِ

مَنازِلَ آبائِهِ الأَوَّلينَ . فيكونَ أَوَّلَهُم عِلماً وأَدَباً . وهو آخِرُهُم ميلاداً ونَسَباً

في الأشواق وحسن التواصل

كتب ابو النصر العتبي كاتب السلطان محمود الى صديق لهُ

٢٦٠ هذا يومٌ قد رقَّتْ غلائلُ صحوِهِ وهبَّتْ شمائلُ خيرِهِ . وضحكت ثغورُ رياضِهِ . واطَّرَدَ وُرُودُ النسيمِ فوقَ حياضِهِ . وفاحتْ مجامرُ الأزهارِ . وانتثرتْ قلائدُ الأغصانِ من فرائدِ الأنوارِ . وقامَ خطباءُ الأطيارِ . على منابرِ الأشجارِ . ودارتْ أفلاكُ الأيدي بشموسِ الراحِ . في بروجِ الأقداحِ . فبحقِّ الفتوَّةِ التي زانَ اللهُ بها طبعكَ . والمروءةِ التي قصرَ عليها أصلكَ وفرعكَ . إلّا ما تفضَّلتَ علينا بالحضورِ . ونظمتَ لنا بكَ عقودَ السرورِ (حلبة الكميت للنواجي)

كتب الشيخ البسطامي الى بعض السادة

٢٦١ أمَّا بعدُ فالعبدُ الكليمُ . يُنهي إلى السيِّدِ الرحيمِ . من شوقِهِ الذي ملكَ قيادَهُ . وعمرَ بفوائدِهِ فؤادَهُ . وما برحَ العبدُ يدعو لمولانا في سرِّهِ وجهرِهِ . وينشرُ على بساطِ إحسانِهِ جوهرَ شكرِهِ . ويتشوَّقُ إليهِ تشوُّقَ الساهرِ إلى المنامِ . ويُهديهِ من ثنائِهِ أحسنَ من ضحكِ الزهرِ لبكاءِ الغمامِ :

والروضُ يبدو زهرُها متبسِّماً فكأنَّهُ لبكا الغمامِ قدِ اشتفى

وقد سطَرتْ هذهِ العبوديَّةَ مظهِراً من إحسانِ مولانا ما لا يخفى . وذاكِراً من تفضُّلاتِهِ ما تعجزُ عنهُ الألسنُ وصفاً . والمسؤولُ من صدقاتِهِ

حُسْنُ ٱلْوَصِيَّةِ بِوَافِدِ سَلَامِهِ . وَوَارِدِ كَلَامِهِ . فَإِنَّ ٱلْعَبْدَ يَرَى لَهُ حَقًّا فِي أَوَّلِ رِسَالَتِهِ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْجَنَابِ ٱلْكَرِيمِ . وَيُؤْثِرُهُ لِوُقُوعِ عَيْنَيْهِ عَلَى ذٰلِكَ ٱلْوَجْهِ ٱلْوَسِيمِ . وَكَانَ يَوَدُّ أَنْ لَوْ كَانَ مَكَانَ هٰذَا ٱلْكِتَابِ . وَسَاعَدَتِ ٱلْأَيَّامُ عَلَى زِيَارَةِ ذٰلِكَ ٱلْجَنَابِ . فَإِنَّ رُؤْيَتَكُمْ مِمَّا تَبْتَهِجُ بِهَا ٱلْخَوَاطِرُ . وَتَنْتَعِشُ بِهَا ٱلْقُلُوبُ ٱنْتِعَاشَ ٱلرَّوْضِ إِذَا بَاكَرَتْهُ ٱلْغُيُومُ ٱلْمَوَاطِرُ . لَا زَالَ مَوْلَانَا وَافِرَ ٱلْإِحْسَانِ . مُتَرَدِّيًا بِأَحْسَنِ مَنَاقِبِ ٱلْإِنْسَانِ (مناهج التوسل لعبد الرحمان البسطامي)

كتب ابو عبد الرحمان محمد بن طاهر الى صاحب قليبرة يستدعي منهُ اقلامًا

٢٦٢ قَدْ عُدِمَتْ أَطَالَ ٱللّٰهُ بَقَاءَكَ بِهٰذَا ٱلْقُطْرِ ٱلْأَقْلَامُ . وَبِهَا يَتَشَخَّصُ ٱلْكَلَامُ . وَهِيَ حِلْيَةُ ٱلْبَيَانِ . وَتَرْجُمَانُ ٱللِّسَانِ . عَلَيْهَا تَفَرَّعَ شِعَابُ ٱلْفِكْرِ . وَذِكْرُهَا مُنَزَّلٌ فِي مُحْكَمِ ٱلذِّكْرِ . وَمَنَابِتُهَا بَلَدُكَ . وَيَدُكَ فِيهَا يَدُكَ . وَأُرِيدُ أَنْ تَرْتَادَ لِي مِنْهَا سَبْعَةً كَعَدَدِ ٱلْأَقَالِيمِ . حَسَنَةَ ٱلتَّقْلِيمِ . فِضِّيَّةَ ٱلْأَدِيمِ . وَلَا يُعْتَمَدُ مِنْهَا إِلَّا أَصْلَبُهَا . ٱلطِّوَالُ أَنَابِيبُهَا . وَإِذَا ٱسْتُمِدَّتْ مِنْ أَنْفَاسِهَا . وَافَاكَ ٱلشُّكْرُ مِنْ أَنْفَاسِهَا (قلائد العقيان)

كتب ابو بكر الخوارزمي الى كاتب

٢٦٣ إِعْتَذَرَ سَيِّدِي مِنْ صِغَرِ ٱلْكِتَابِ وَٱخْتِصَارِهِ . فَقَدْ أَغْنَاهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى عَنْ تَكَلُّفِهِ مِنَ ٱعْتِذَارِهِ . وَإِنَّمَا ٱلصَّغِيرُ مَا صَغُرَ قَدْرُهُ . لَا مَا صَغُرَ حَجْمُهُ . فَأَمَّا مَا أَفَادَ . وَجَاوَزَ ٱلْمُرَادَ . فَلَيْسَ بِصَغِيرٍ . بَلْ أَكْبَرُ مِنْ كَبِيرٍ . وَأَمَّا شُكْرُهُ لِي عَلَى تَفْضِيلِي لِكَلَامِهِ . فَإِنِّي مِنْ هٰذَا بَعْدُ فِي مَيْدَانِ

عَرِيضٍ مَدِيدٍ. وَفِي شَوْطٍ بَعِيدٍ. لَمْ أَبْلُغْ عُشْرَ عُشْرِهِ. وَلَمْ أَقْضِ مِنْهُ أَيْسَرَ يُسْرِهِ. وَالْحَقُّ أَنِّي وَإِنِ اجْتَهَدْتُ فَأَنِّي غَيْرُ بَالِغٍ مِنْهُ مَا فِي ضِمْنِ النِّيَّةِ. وَلَا آتٍ عَلَى مَا فِي الْهِمَّةِ وَالْأُمْنِيَّةِ. وَلٰكِنِّي سَأَقِفُ عَقْلِي انْتِهَاءَ الطَّاقَةِ. وَأَحْمِلُ مَجْهُودِي أَقْصَى الْغَايَةِ. وَالتَّمَادُحُ بَيْنَنَا بَعْدَ الْحَالِ الَّتِي عَتَقَتْ حَتَّى أَخْلَقَتْ. وَقَدُمَتْ حَتَّى هَرِمَتْ. فَضْلٌ لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ وَلَا يُعَرَّجُ عَلَيْهِ. وَأَسْأَلُ اللّٰهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ أُخُوَّتَنَا مُتَّصِلَةً فِي الدُّنْيَا بِأُخُوَّتِنَا يَوْمَ الدِّينِ. فَإِنَّ الْأَخِلَّاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ

في العتاب واللوم والاعتذار

وكتب ابو بكر الخوارزمي الى تلميذٍ له

٢٦٤ إِنْ كُنْتَ أَعَزَّكَ اللّٰهُ لَا تَرَانَا مَوْضِعًا لِلزِّيَارَةِ. فَنَحْنُ فِي مَوْضِعِ الْاسْتِزَارَةِ. وَإِنْ كُنْتَ تَعْتَقِدُ أَنَّكَ قَدِ اسْتَوْفَيْتَ مَا كَانَ لَدَيْنَا. فَسَقَطَ حَقُّنَا عَنْكَ وَبَقِيَ حَقُّكَ عَلَيْنَا. فَقَدْ يَزُورُ الصَّحِيحُ الطَّبِيبَ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْ دَائِهِ. وَاسْتِغْنَائِهِ عَنْ دَوَائِهِ. وَقَدْ تَجْتَازُ الرَّعِيَّةُ عَلَى بَابِ الْأَمِيرِ الْمَعْزُولِ فَتَتَجَمَّلُ لَهُ وَلَا تُعَيِّرُهُ عَزْلَهُ. وَلَوْ لَمْ تَزُرْنَا إِلَّا لِتُرِيَنَا رُجْحَانَكَ. كَمَا طَالَمَا رَأَيْنَا نُقْصَانَكَ لَكَانَ ذٰلِكَ فِعْلًا صَائِبًا. وَفِي الْقِيَاسِ وَاجِبًا

٢٦٥ لمّا أراد الملك الناصر مبايعة ابنهِ أبي مروان اتّخذ لذلك صنيعاً في قصر الزهراء. وأرسل فاستدعى وجوه مملكتهِ. فلم يتخلَّف من بينهم الّا أبو ابرهيم من أكابر علماء المالكيّة. فأمر الخليفة وليَّ العهد بالكتاب اليهِ والتفنيد لهُ فكتب اليهِ رقعة نسختها:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ حَفِظَكَ اللّٰهُ وَتَوَلَّاكَ وَسَدَّدَكَ

ودعاك. لما امتحن أمير المؤمنين مولاي وسيدي أبقاه الله الأولياء
الذين يستعد بهم وجدك متقدما في الولاية متأخرا عن الصلة. على
أنه قد أنذرك أبقاه الله خصوصا للمشاركة في السرور الذي كان
عنده لا أعدمه الله توالي المسرة. ثم أنذرت من قبل إبلاغا في
التكرمة فكان منك على ذلك كله من التخلف ما ضاقت عليك فيه
المعذرة. واستبلغ أمير المؤمنين في إنكاره ومعاتبتك عليه فأعيت
عليك عنك الحجة. فعرفني أكرمك الله ما العذر الذي أوجب
توقفك عن إجابة دعوته ومشاهدة السرور الذي سر به ورغب
المشاركة فيه. لنعرفه أبقاه الله بذلك فتسكن نفسه العزيزة إليه

٢٦٦ (فأجابه أبو إبرهيم) سلام على الأمير سيدي ورحمة الله
قرأت أبقى الله الأمير سيدي هذا الكتاب وفهمته. ولم يكن توقفي
لنفسي إنما كان لأمير المؤمنين سيدنا. لعلمي بمذهبه وسكوني إلى
تقواه واقتفائه لأثر سلفه الطيب فإنهم يستبقون من هذه الطبقة بقية
لا يمتهنونها بما يشينها ولا بما يغض منها ويطرق إلى تنقيصها. يستعدون
بها لدينهم ويتزينون بها عند رعاياهم ومن يفد عليهم من قصادهم.
فلهذا تخلفت ولعلمي بمذهبه توقفت. إن شاء الله تعالى. (للمقري)

٣٦٧ قال السيد عباس بن علي الموسوي المكي في صدر كتاب ارسل به الى الأمير ناصر في بندر المخا شاكيا عليه صاحب البار وهو اذ ذاك في البندر المذكور:

قل للأمير أدام الله دولته ما هكذا شرط جار الجنب بالجار

قَدِ ٱسْتَجَرْتُ بِكُمْ مِنْ كَافِرٍ دَنِسٍ فَظٍّ غَلِيظٍ لَعِينٍ نَسْلِ كُفَّارِ
يُعْطِي ٱلسَّبَارَ إِلَى مَنْ يَشْتَهِي وَأَنَا يُعْطَى سِبَارِي بِأَقْتَارٍ وَإِعْسَارِ
وَٱلْغَيْرُ يُعْطِيهِ مَا يَهْوَاهُ خَاطِرُهُ مِنَ ٱلطَّعَامِ وَمِنْ بُرٍّ وَدِينَارِ
لَوْ أَنَّ لِي غَيْرَ هٰذَا ٱلرِّزْقِ مَا نَظَرَتْ عَيْنِي لَهُ قَطُّ فِي سِرِّي وَإِجْهَارِي
لٰكِنْ مَوْلَايَ يَدْرِي أَنْ لَيْسَ لَنَا سِوَى ٱلسَّبَارِ ٱلَّذِي يَأْتِي بِمِقْدَارِ
فَكَيْفَ تَغْفُلُ عَنَّا يَا أَمِيرُ وَقَدْ أَوْصَى ٱلْمَلِيكُ بِنَا وَٱلْخَالِقُ ٱلْبَارِي
فَٱنْظُرْ بِعَيْنِ كِرَامٍ فِي جَوَاهِرِهِمْ وَلَا تَكِلْنِي لِتَعْرِيفٍ وَتَذْكَارِ
وَلَا تَدَعْنِي أَقُلْ مَا قِيلَ مِنْ قِدَمٍ بَيْتًا غَدَا مَثَلًا بَيْنَ ٱلْمَلَا جَارِي
أَلْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ كَٱلْمُسْتَجِيرِ مِنَ ٱلرَّمْضَاءِ بِٱلنَّارِ

لعمرو بن بحر الجاحظ في الاعتذار

۲٦۸ أَمَّا بَعْدُ فَنِعْمَ ٱلْبَدِيلُ مِنَ ٱلزَّلَّةِ ٱلِٱعْتِذَارُ. وَبِئْسَ ٱلْعِوَضُ مِنَ ٱلتَّوْبَةِ ٱلْإِصْرَارُ. فَإِنَّهُ لَا عِوَضٌ مِنْ إِخَائِكَ. وَلَا خَلَفٌ مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ. وَقَدِ ٱنْتَقَمْتَ مِنِّي فِي زَلَّتِي بِجَفَائِكَ. فَأَطْلِقْ أَسِيرَ تَشَوُّقِي إِلَى لِقَائِكَ. فَإِنَّنِي بِمَعْرِفَتِي بِبُلُوغِ حِلْمِكَ وَغَايَةِ عَفْوِكَ ضَمِنْتُ لِنَفْسِي ٱلْعَفْوَ مِنْ زَلَّتِهَا عِنْدَكَ. (أَمَّا بَعْدُ) فَقَدْ مَسَّنِي مِنَ ٱلْأَلَمِ مَا لَمْ يَشْفِهِ غَيْرُ مُوَاصَلَتِكَ مَعَ حُسْنِكَ ٱلِٱعْتِذَارَ مِنْ هَفْوَتِكَ. وَلٰكِنَّ ذَنْبَكَ تَغْتَفِرُهُ مَوَدَّتُكَ فَٱمْنُنْ عَلَيْنَا بِصِلَتِكَ تَكُنْ بَدَلًا مِنْ مَسَاءَتِكَ. وَعِوَضًا مِنْ هَفْوَتِكَ. (أَمَّا بَعْدُ) فَإِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ عِنْدِي بِٱلصَّفْحِ مَنْ أَسْلَمَهُ إِلَى مُلْكِكَ ٱلْتِمَاسُ رِضَاكَ مِنْ غَيْرِ مَقْدِرَةٍ مِنْكَ عَلَيْهِ (لابن عبد ربه)

كتب أبو بكر الخوارزمي الى تلميذ له قطع في مجلس وكابر واخلط

٢٦٩ بَلَغَنِي أَنَّكَ نَاظَرْتَ. فَلَمَّا تَوَجَّهَتْ عَلَيْكَ الْحُجَّةُ كَابَرْتَ. وَلَمَّا وُضِعَ نِيرُ الْحَقِّ عَلَى عُنُقِكَ ضَجِرْتَ وَتَضَاجَرْتَ. وَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّكَ أَعْرَفُ بِالْحَقِّ مِنْ أَنْ تَعُقَّهُ. وَأَهْيَبُ لِجَنَابِ الْإِنْصَافِ وَالْعَدْلِ مِنْ أَنْ تَشُقَّهُ. كَأَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ لِسَانَ الضَّجَرِ نَاطِقٌ بِالْعَجْزِ. وَأَنَّ وَجْهَ الظُّلْمِ مُبَرْقَعٌ بِالْقُبْحِ. وَأَنَّكَ إِذَا اسْتَدْرَكْتَ عَلَى نَقْدِ الصَّيَارِفَةِ. وَتَتَبَّعْتَ خَطَأَ الْحُكَمَاءِ وَالْفَلَاسِفَةِ. فَقَدْ طَرَّقْتَ إِلَى عَيْبِكَ لِعَائِبِكَ. وَنَصَرْتَ عَدُوَّكَ عَلَى صَاحِبِكَ. وَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ حُسْنِ ظَنِّكَ بِكَ. وَأَنْتَ إِنْسَانٌ وَاللّٰهُ الْمُسْتَعَانُ

في المديح

كتاب البسطامي الى بعض الاصحاب

٢٧٠ وَصَلَ شَرِيفُ الْكِتَابِ. مِنْ رَحِيمِ الْجَنَابِ. أَدَامَ اللّٰهُ سَعَادَتَهُ. وَزَادَ إِقْبَالَهُ وَسِيَادَتَهُ. وَهُوَ بَدِيعُ الْمَعَانِي. رَفِيعُ الْمَبَانِي. بِحُلِيِّ الرَّوْضِ مَسْطُورٌ. وَالْوَشْيِ مَنْثُورٌ. بِخَطٍّ كَالنَّارِ أَوْ أَزْهَرَ. وَلَفْظٍ كَالدُّرِّ أَوْ أَنْوَرَ. وَصَلَ فَأَوْصَلَ أُنْسًا كَانَ بَعِيدًا. وَمَلَأَ قَلْبًا كَانَ الشَّوْقُ إِلَيْهِ عَمِيدًا. فَأَمَّا مَا أَعَارَنِي مِنْ فَضَائِلِهِ الْعَلِيَّةِ. وَفَوَاضِلِهِ الْجَلِيَّةِ. الَّتِي هُوَ مُوَشَّحٌ بِحِلْيَتِهَا. وَمُتَجَمِّلٌ بِحُلَّتِهَا. فَقُوبِلَ بِصَالِحِ الدُّعَاءِ. وَفَاتِحِ الْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ. أَدَامَ اللّٰهُ لَذِيذَ خِطَابِهِ بِالزُّلَالِ. وَجَدِيدَ كِتَابِهِ بِالنَّوَالِ

٢٧١ من لطائف القاضي محمد بن أحمد قوله مجاوبا محمد بن خليل السرجي الجداري

أَزْهَرَ الرُّبَا أَهْدَيْتَ أَمْ لُؤْلُؤَ الْمُعْقَدِ   أَمِ الزُّهْرَ جَاءَتْ فِي بَدِيعٍ مِنَ السَّرْدِ

أمِ الرَّوضُ لا فالرَّوضُ ماءٌ وتربةٌ … وعشبٌ وذا شيءٌ يجلُّ عن الحدِّ
أم النَّسماتُ العاطراتُ تأرَّجت … بأعبقَ من مسكٍ فتيقٍ ومن ندِّ
وما هيَ إلَّا بنتُ فكرٍ فريدةٌ … تبختَرُ من وشي البلاغةِ في بُردِ
نفائسُ أفكارٍ أتت لم أجدْ لها … جزاءً سوى الشُّكرِ المكلَّلِ بالحمدِ
ودُرُّ قريضٍ رُمتُ إدراكَ شأوهِ … فقصَّرَ عنهُ في تطلُّبهِ كدِّي
حُلى صاغها من حازَ كلَّ فضيلةٍ … بها قد حُلي جيدُ المكارمِ والمجدِ
أخو الأدبِ الغضِّ الَّذي جُمعت بهِ الـ … ـمحاسنُ حتَّى صارَ يُعرفُ بالفردِ
أديبٌ أريبٌ ألمعيٌّ مهذَّبٌ … ذكيٌّ سجاياهُ تجلُّ عن الحدِّ
لهُ خُلُقٌ أزهى من الرَّوضِ باسماً … وذهنٌ دقيقُ الفكرِ أمضى من الحدِّ
لأنفاسهِ في الطِّرسِ أيُّ تضوُّعٍ … تصعَّدَ منهُ دائماً عبقُ النَّدِّ
فللَّهِ ما أهديتَ يا بدرُ من يدٍ … وكم لكَ أيضاً قبلها من يدٍ عندي
أيادٍ توالت منكَ تُجلى كأنَّها … شرارٌ أطارتهُ الأكفُّ على الزَّندِ
وإنِّي في عجزي من الشُّكرِ سائلٌ … مُسامحتي فيما أُعيدُ وما أُبدي
بما لكَ في سمعي وطرفي وخاطري … من الصِّيتِ والمرأى المعظَّمِ والودِّ
فؤادكَ في قلبي ألذُّ من المنى … وذكركَ أحلى في لساني من الشَّهدِ
فدُم زينةَ الآدابِ بدرَ كمالها … ودُرَّةَ تاجِ العصرِ واسطةَ العقدِ

٢٧٢ قال شرف المدرّسين المفتي عبد الرحمان بن عيسى من قصيدةٍ في صدر كتاب أرسل به الى الشيخ أبي العبّاس أحمد المقري المغربي عالم فارس وخطيبهِ مراجعاً :

وافى لنا روضٌ نضيرْ … أنِقٌ تسامى عن نظيرْ

فَفَضَضْتُهُ فَرَأَيْتُهُ فِي ٱلْحُسْنِ كَٱلدُّرِّ ٱلنَّثِيرْ
وَنَشَقْتُ مِنْ رَيَّاهُ مَا يَسْمُو عَلَى نَشْرِ ٱلْعَبِيرْ
فَكَأَنَّمَا هُوَ رَوْضَةٌ تَهْتَزُّ فِي يَوْمٍ مَطِيرْ
أَزْهَارُهَا كَكَوَاكِبٍ قَدْ زَيَّنَتْ فَلَكَ ٱلْأَثِيرْ
وَافَى فَكَادَ ٱلْقَلْبُ مِنْ فَرْطِ ٱلسُّرُورِ بِهِ يَطِيرْ
إِذْ جَاءَنَا مِنْ جَهْبَذٍ عَلَمٍ مَعَارِفُهُ كَثِيرْ
عَلَّامَةٍ لَمْ يُلْفَ فِي هٰذَا ٱلزَّمَانِ لَهُ نَظِيرْ
إِنْ جَالَ فِي ٱلتَّفْسِيرِ فَٱلتَّيْسِيرُ أَعْسَرُهُ يَسِيرْ
وَإِنِ ٱنْتَحَى لِلنَّحْوِ وَضَّحَهُ بِتَسْهِيلِ ٱلْعَسِيرْ
وَإِلَيْهِ فِي فَنِّ ٱلْبَلَا غَةِ كُلُّ مَسْؤُولٍ يُشِيرْ
وَإِذَا تَعَاطَى ٱلشِّعْرَ قُلْتَ هُوَ ٱلْفَرَزْدَقُ أَمْ جَرِيرْ
يَا مَنْ إِلَيْهِ ٱلْمُنْتَهَى فِي كُلِّ فَنٍّ وَٱلْمَصِيرْ
إِسْلَمْ وَدُمْ مَا دَامَتِ ٱلْ أَفْلَاكُ فِينَا تَسْتَدِيرْ

في الشكر والتهنئة

فصل لابي الفضل الميكالي الى بعض اخوانهِ في الشكر

٢٧٣ إِذَا لَمْ يُؤْتَ ٱلْمَرْءُ فِي شُكْرِ ٱلْمُنْعِمِ إِلَّا مِنْ عِظَمِ قَدْرِ ٱلْإِنْعَامِ وَٱلْإِصْطِنَاعِ. وَٱسْتِغْرَاقِهِ مِنْهُ قُوَى ٱلْإِسْتِقْلَالِ وَٱلِٱضْطِلَاعِ. فَلَيْسَ عَلَيْهِ فِي ٱلْقُصُورِ عَنْ كُنْهِ وَاجِبِهِ عَتْبٌ. وَلَا تَلْحَقُهُ فِيهِ نَقِيصَةٌ وَلَا عَيْبٌ. وَلَئِنْ ظَهَرَ عَجْزِي عَنْ حَقِّ هٰذِهِ ٱلنِّعْمَةِ فَإِنِّي أَحْمِلُ عَلَى حُسْنِ ٱلثَّنَاءِ عَلَى مَنْ

لا يُعجزه حمله. ولا يؤوده ثقله. ولا يزكو الشكر إلا لديه. ولا تعرف الرغبة إلا إليه. والله يبقيه لمجد يقيم أعلامه. وفضل يقضي ذمامه. وعرف يثبت أقسامه. وولي يوالي إكرامه. وعدو يديم قمعه وإرغامه

لابن العميد الى عضد الدولة يهنئه بولدين

٢٧٤ أطال الله بقاء الأمير الأجل عضد الدولة دام عزه وتأييده. وعلوه وتمهيده. وبسطته وتوطيده. وظاهر له من كل خير مزيده. وهنأه ما احتظاه به على قرب البلاد. من توافر الأعداد وتكثر الأمداد. وتثمر الأولاد. وأراه من النجابة في البنين والأسباط ما أراه من الكرم في الآباء والأجداد. ولا أخلى عينه من قرة. ونفسه من مسرة. حتى يبلغ غاية مهله. ويستغرق نهاية أمله. ويستوفي ما بعد حسن ظنه. وعرفه الله السعادة فيما بشر عبده من طلوع بدرين هما انبعثا من نوره واستنارا من دوره. وحفا بسريره. وجعل وفدهما متلاءمين. وورودهما توأمين. بشيرين بتظاهر النعم. وتوافر القسم. ومؤذنين بترادف بنين يجمعهم منخرق الفضاء. ويشرق بنورهم أفق العلاء. وينتهي بهم أمد النماء. إلى غاية تفوت غاية الإحصاء. ولا زالت السبل غامرة. والمناهل غامرة. بصفائح صادرهم بالبشر وآملهم بالنيل القاصد

ولبعضهم في التهنئة بالقدوم من سفر

٢٧٥ أهنئ سيدي ونفسي بما يسر الله من قدومه سالماً. وأشكر

ٱللهَ عَلَى ذَٰلِكَ شُكْرًا قَائِمًا . غَيْبَةُ ٱلْمَكَارِمِ مَقْرُونَةٌ بِغَيْبَتِكَ . وَأَوْبَةُ ٱلنِّعَمِ مَوْصُولَةٌ بِأَوْبَتِكَ . فَوَصَلَ ٱللهُ تَعَالَى قُدُومَكَ مِنَ ٱلْكَرَامَةِ بِأَضْعَافِ مَا قَرَنَ بِهِ مَسِيرَكَ مِنَ ٱلسَّلَامَةِ . هَنَّأَ ٱللهُ إِيَابَكَ . وَبَلَّغَكَ مَحَابَّكَ . مَا زِلْتُ بِٱلنِّيَّةِ مُسَافِرًا . وَبِأَفْعَالِ ٱلذِّكْرِ وَٱلْفِكْرِ لَكَ مُلَاقِيًا . إِلَى أَنْ جَمَعَ ٱللهُ شَمْلَ سُرُورِي بِأَوْبَتِكَ . وَسَكَّنَ نَافِرَ قَلْبِي بِعَوْدَتِكَ . فَأَسْعَدَكَ ٱللهُ بِتَقَدُّمِكَ سَعَادَةً تَكُونُ فِيهَا مُقَابَلًا وَبِٱلْأَمَانِي ظَافِرًا . وَلَا أَوْحَشَ مِنْكَ أَوْطَانَ ٱلْفَضْلِ وَرِبَاعَ ٱلْمَجْدِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ

وكتب الخوارزمي الى وزير صاحب خوارزم بعد محنته يهنئه

٢٧٦ فَهِمْتُ مَا ذَكَرَهُ ٱلشَّيْخُ مِنْ تَوْبَةِ ٱلدَّهْرِ إِلَيْهِ مِنْ ذَنْبِهِ . وَخُطْبَتِهِ لِسِلْمِهِ بَعْدَ حَرْبِهِ . فَٱنْقَشَعَتْ ضَبَابَةُ ٱلْمِحْنَةِ . وَهٰكَذَا تَكُونُ أَحْوَالُ ٱلْمُقْبِلِينَ . فَإِنَّ ٱلْأَيَّامَ إِذَا غَلِطَتْ فَجَنَتْ عَلَيْهِمْ . رَجَعَتْ فَٱعْتَذَرَتْ إِلَيْهِمْ . وَٱلزَّمَانُ إِذَا حَارَبَهُمْ خَطَأً سَالَمَهُمْ عَمْدًا . فَيَسْتَوْفُونَ فِي ٱلْحَالَيْنِ أَجْرَ ٱلْمِحْنَةِ . وَزِيَادَةً بِشُكْرِ ٱلنِّعْمَةِ . وَٱلْآنَ عَرَفَ ٱلشَّيْخُ بِحَقِيقَتِهِ . وَوَزْنَ بِزِنَتِهِ . وَوَقَفَ ٱلسُّلْطَانُ وَٱلرَّعِيَّةُ عَلَى تَفْصِيلِهِ وَجُمْلَتِهِ . هٰذَا وَقَدْ صَقَلَتْ هٰذِهِ ٱلْفَتْرَةُ خَلَائِقَ ٱلشَّيْخِ بِٱلتَّجَارِبِ . وَوَضَعَتْ فِي يَدِهِ مِرْآةَ ٱلنَّظَرِ فِي ٱلْعَوَاقِبِ . وَهَذَّبَتْ أَفْعَالَهُ مِنْ كُلِّ شَوْبٍ . وَغَسَلَتْ عَنْهُ وَضَرَ كُلِّ عَيْبٍ . عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُبَرَّأً مِنْ كُلِّ رَذِيلَةٍ . وَمَخْصُوصًا بِكُلِّ فَضِيلَةٍ . وَلٰكِنَّ ٱلْأَيَّامَ عَمَلُهَا فِي ٱلتَّعْلِيمِ . وَخَاصَّتُهَا فِي بَابِ ٱلتَّنْبِيهِ وَٱلتَّقْوِيمِ . فَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي رَدَّ إِلَى ذَٰلِكَ ٱلْأَمِيرِ جَمَالَهُ

وبهاءه. وعمّر بابه وفناءه. وسرّ شيعته وأولياءه. وغمّ حسدته وأعداءه. ولم يفجعه بالعلق النفيس الذي لا يشترى بالأثمان. ولا يوزن بالميزان. ولا يكال بالقفزان. ولا يرى مثله في هذا الزمان. كما لم يرَ في سائر الأزمان. ثم الحمد لله الذي حوّل كتبي من التعزية إلى التهنئة وأخرج القاضي من ميدان الصبر. إلى ميدان الشكر

في التعزية

لابي قاسم في التعزية

٢٧٧ ترامى إلينا خبر مصابك بفلان. فخلص إلينا من الاغتمام به ما يحصل في مثله ممن أطاع ووفى وخدم ووالى. وعلمنا أن لفقدك مثله لوعة. وللمصاب به لذعة. فآثرنا كتابنا هذا إليك في تعزيتك على يقيننا بأن عقلك يغني عن عظتك. ويهدي إلى الأولى بشيمتك والأزيد في رتبتك. فليحسن أعزك الله صبرك على ما أخذه منك وشكرك لما أبقى لك وليتمكن من نفسك ما وفّر لك من ثواب الصابرين. وأجزل من ذخر المحسنين

لابي الفضل الميكالي من كتاب تعزية بالامير ناصر الدين

٢٧٨ أقدار الله تعالى في خلقه لم تزل تختلف بين مكروه ومحبوب. وتتصرف بين موهوب ومسلوب. غادية أحكامها مرة بالمصائب والنوائب. ورائحة أقسامها تارة بالعطايا والرغائب. ولكن أحسنها في العيون أثرا. وأطيبها في الأسماع خبرا. وأحراها بأن تكسب

ٱلْقُلُوبَ عَزَاءً وَتَصَبُّرًا . مَا إِذَا ٱنْطَوَى نُشِرَ . وَإِذَا ٱنْكَسَرَ جُبِرَ . وَإِذَا أَخَذَ بِيَدٍ رَدَّ بِأُخْرَى . وَإِذَا وَهَبَ بِيُمْنَى سَلَبَ بِيُسْرَى . كَٱلْمُصِيبَةِ بِفُلَانٍ ٱلَّتِي قَرَحَتِ ٱلْأَكْبَادَ . وَأَوْهَنَتِ ٱلْأَعْضَادَ . وَسَوَّدَتْ وُجُوهَ ٱلْمَكَارِمِ وَٱلْمَعَالِي . وَصَوَّرَتِ ٱلْأَيَّامَ فِي صُوَرِ ٱللَّيَالِي . وَغَادَرَتِ ٱلْمَجْدَ وَهُوَ يَلْبَسُ حِدَادَهُ . وَٱلْعَدْلَ وَهُوَ يَبْكِي عِمَادَهُ . حَتَّى إِذَا كَادَ ٱلْيَأْسُ يَغْلِبُ ٱلرَّجَاءَ وَيَرُدُّ ٱلظُّنُونَ مُظْلِمَةَ ٱلنَّوَاحِي وَٱلْأَرْجَاءِ . قَيَّضَ ٱللّٰهُ تَعَالَى مِنَ ٱلْأَمِيرِ ٱلْجَلِيلِ مَنِ ٱجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ ٱلْأَهْوَاءُ . وَرَضِيَتْ بِهِ ٱلدَّهْمَاءُ . فَأَسَى بِهِ جَادِثَ ٱلْكَلْمِ . وَسَدَّ بِمَكَانِهِ عَظِيمَ ٱلثَّلْمِ . وَرَدَّ ٱلْآمَالَ وَٱلنُّفُوسُ قَدِ ٱسْتَبْدَلَتْ بِٱلْحَيْرَةِ قُوَّةً وَٱبْتِدَارًا . وَصَارَتْ لِلدَّوْلَةِ ٱلْمُبَارَكَةِ أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا

كتب بديع الزمان الى ابن أخته يعزيه بأخيه

٢٧٩ قَدْ وَرَدَ كِتَابُكَ بِمَا ضَمَّنْتَهُ مِنْ تَظَاهُرِ نِعَمِ ٱللّٰهِ عَلَيْكَ . وَعَلَى أَبَوَيْكَ فَسَكَنْتُ إِلَى ذٰلِكَ . مِنْ حَالِكَ . وَسَأَلْتُ ٱللّٰهَ بَقَاءَكَ . وَأَنْ يَرْزُقَنِي لِقَاءَكَ . وَذَكَرْتَ مُصَابَكَ بِأَخِيكَ فَكَأَنَّمَا فَتَّتَ عَضُدِي . وَطَعَنْتَ فِي كَبِدِي . فَقَدْ كُنْتُ مُعْتَضِدًا بِمَكَانِهِ . وَٱلْقَدَرُ جَارٍ لِشَانِهِ . وَكَذَا ٱلْمَرْءُ يُدَبِّرُ . وَٱلْقَضَاءُ يُدَمِّرُ . وَٱلْآمَالُ تَقْسِمُ . وَٱلْآجَالُ تَبْتَسِمُ . وَٱللّٰهُ يَجْعَلُهُ فَرَطًا وَلَا يُرِينِي فِيكَ سُوءًا أَبَدًا وَأَنْتَ أَيَّدَكَ ٱللّٰهُ وَارِثُ عُمْرِهِ . وَسِدَادُ ثَغْرِهِ . وَنِعْمَ ٱلْعِوَضُ بَقَاؤُكَ . وَأَبُوكَ سَيِّدِي أَيَّدَهُ ٱللّٰهُ وَأَلْهَمَهُ ٱلْجَمِيلَ . وَهُوَ ٱلصَّبْرُ . وَآتَاهُ ٱلْجَزِيلَ . وَهُوَ ٱلْأَجْرُ .

وَأَمتعه بِكَ طَوِيلًا، فَمَا سُوِّتَ بَدِيلًا . وَالسَّلَامُ

وكتب الخوارزمي الى الملك لما أصيب بابنه عن خوارزم شاه

٢٨٠ كَتَبْتُ وَأَنَا مُقَسَّمٌ بَيْنَ فَرْحَةٍ وَتَرْحَةٍ . وَمُرَدَّدٌ بَيْنَ مِحْنَةٍ وَمِنْحَةٍ . أَشْكُو جَلِيلَ الرَّزِيَّةِ . وَأَشْكُرُ جَزِيلَ الْعَطِيَّةِ وَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى لِلْأَمِيرِ الْمَاضِي الْغُفْرَانَ وَالرَّحْمَةَ . وَلِلْأَمِيرِ السَّيِّدِ التَّأْيِيدَ وَالنِّعْمَةَ . فَإِنَّ الْمُصِيبَةَ بِالْمَاضِي وَإِنْ كَانَتْ تَسْتَوْعِبُ الصَّبْرَ . فَإِنَّ الْمَوْهِبَةَ فِي الْبَاقِي تَسْتَنْفِدُ الشُّكْرَ . وَالْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي كَسَرَ . ثُمَّ جَبَرَ . وَسَلَبَ . ثُمَّ وَهَبَ . وَابْتَلَى . ثُمَّ أَوْلَى . وَأَخَذَ ثُمَّ أَعْطَى . كَتَبَ عَلَى الْمَشْرِقِ خَاصَّةً . بَلْ عَلَى الدُّنْيَا كَافَّةً . أَنْ تَطْمِسَ آثَارُهَا . وَتُظْلِمَ أَقْطَارُهَا . وَتَهُبَّ رِيحُ الْخَرَابِ عَلَيْهَا . وَتَنْظُرَ عَيْنُ الْكَمَالِ إِلَيْهَا . حَتَّى ذَبَلَتْ شَجَرَةُ الْمَمْلَكَةِ . وَوَهَنَ رُكْنُ الْمِلَّةِ . وَطُرِفَ نَاظِرُ الدَّوْلَةِ . وَانْثَلَمَ جَانِبُ الدَّعْوَةِ . ثُمَّ اسْتَدْرَكَ اللهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ خَلْقَهُ . فَرَدَّ إِلَى الْأَمِيرِ حَقَّهُ . وَقَرَّتِ الدَّوْلَةُ فِي قَرَارِهَا . وَعَادَتِ النِّعْمَةُ إِلَى نِصَابِهَا . وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَطْلَعِهَا . وَوُضِعَتِ الرِّئَاسَةُ فِي مَوْضِعِهَا . فَأَنَا الْآنَ بَيْنَ شِكَايَةِ الْأَيَّامِ وَشُكْرِهَا وَبَيْنَ حَرْبِ الدَّهْرِ وَسِلْمِهِ . أَبْكِي وَأَنَا ضَاحِكٌ وَأَضْحَكُ وَأَنَا بَاكِي الْعَيْنِ . إِلَّا أَنَّ الضَّحِكَ عَلَيَّ أَغْلَبُ . وَالْفَرَحَ إِلَيَّ مِنَ الْغَمِّ أَقْرَبُ . لِأَنَّ الْمُصِيبَةَ مَاضِيَةٌ . وَالنِّعْمَةَ بَاقِيَةٌ . رَحِمَ اللهُ الْمَاضِيَ رَحْمَةً تُهَوِّنُ عَلَيْنَا مَصْرَعَهُ . وَتُبَرِّدُ لَهُ مَضْجَعَهُ . وَتُضَاعِفُ حَسَنَاتِهِ . وَتَمْحُو سَيِّئَاتِهِ . وَأَعَانَ الْأَمِيرَ عَلَى رِعَايَةِ مَا اسْتَرْعَاهُ . وَأَلْهَمَهُ شُكْرَ مَا أَعْطَاهُ . وَتَوَلَّاهُ فِيمَا وَلَّاهُ .

ووالاه جزيل ما أولاه . وأيد بالهيبة سلطانه . وثبت بالبقاء أركانه .

وكتب الى أبي طاهر وزير أبي علي بن الياس بكرمان

٢٨١ كتبت ولما اتصل بي خبر المصيبة لم أملك من قلبي إلا ما شغلته بها . ولا من عيني إلا ما بكيت به لها . ونزل بي ما ينزل بمن قارعه الزمان عن واحده ونازعه الموت في بعض نفسه . وزل عن يده الذخر الذي ادخره لصروف الزمان . وسلب السيف الذي لم يزل يعده للقاء الأقران . ثم تنجزت موعود الله تعالى بالصبر والعزاء . ولقد كانت المصيبة بفلان جراحة لا دواء لها إلا الصبر . وخسرانا لا جبر له إلا الأجر . فها أنا أيد الله تعالى الشيخ جريح يد الدهر ولا طبيب لمن جرحه . وسليب يد الموت ولا ضامن لمن اجترحه . وقد دفنت يدي بيدي . وبكيت على عيني بعيني . وأفردت في نفسي عن نفسي والرزية بمثل فلان رزايا . كما أن العطية كانت ببقائه عطايا . ولكن لا كثير من المصائب مع التأدب بأدب الله تعالى . كما لا قليل من المواهب مع الإيمان بالله تعالى . رحم الله فلانا الجامع لمحاسن الآداب . الشيخ حلما وإن كان غض الشباب . فلقد اختضر وهو فتي السن . واهتصر وهو رطب الغصن . وكسوف البدر عند تمامه أوقع . وكسر العود عند اعتداله أوجع :

إن الفجيعة بالرياض نواضرا   لأشد منها بالرياض ذوابلا

الباب السادس عشر
في التراجم

فقهاء المسلمين وخطباؤهم

إبن الجوزي (٥١٠ ـ ٥٩٧ هجرية) (١١١٧ ـ ١٢٠١ مسيحية)

٢٨٢ هو ابو الفرج عبد الرحمان الواعظ الملقّب جمال الدين الحافظ . كان علّامة عصره وامام وقتهِ في الحديث وصناعة الوعظ . صنّف في فنون عديدة منها زاد المسير في علم التفسير اربعة اجزاء أتى فيهِ باشياء غريبة . ولهُ في الحديث تصانيف كثيرة ولهُ المنتظم في التاريخ وهو كبير . ولهُ الموضوعات في اربعة اجزاء ذكر فيها كل حديث موضوع . وكُتُبهُ أكثر من ان تُعدّ وكتب بخطهِ شيئاً كثيرًا والناس يُغالون في ذلك حتى يقولوا انهُ جُمعت الكراريس التي كتبها وحُسِبت مدّة عمرهِ وقُسمت الكراريس على المدّة فكان ما خصّ كل يوم تسع كراريس . وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبلهُ العقل (لابن خلكان)

ألسُّهرَوَرْدي (٥٣٩ ـ ٦٣٢ هـ) (١١٤٥ ـ ١٢٣٤ م)

٢٨٣ هو أبو حفص عُمر بن محمّد البكري الملقّب شهاب الدين السُّهرَوردي . كان فقيهاً شافعي المذهب شيخاً صالحاً ورعاً كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة . وتخرّج عليهِ خلق كثير من الصوفية في المجاهدة والخلوة . ولم يكن في آخر عمرهِ في عصرهِ مثلهُ . وصحب عمّهُ أبا النجيب وعنهُ اخذ التصوُّف والوعظ وانحدر الى البصرة الى الشيخ أبي محمد بن عبد ورأى غيرهم من الشيوخ . وحصّل طرفاً صالحاً من الفقه والخلاف وقرأ الأدب وعقد مجلس الوعظ سنين . وكان شيخ الشيوخ ببغداد وكان لهُ مجلس وعظ وعلى وعظهِ قبول كثير . ولهُ تآليف حسنة منها كتاب عوارف المعارف وهو اشهرها . ورأيت جماعة ممن حضر مجلسهُ وقعدوا في خلوتهِ وتسليكهِ كجاري عادة الصوفية . فكانوا يحكون غرائب ممّا يطرأ عليهم فيها مما يجدونهُ من الاحوال الخارقة . وكان ارباب الطريق من مشايخ عصرهِ يكتبون اليهِ من البلاد صورة فتاوى يسألونهُ عن شيء من احوالهم سمعتُ ان بعضهم كتب اليهِ : يا سيدي ان تركتُ العمل أخلدتُ الى البطالة وان عملت داخلني العُجب فايهما اولى . فكتب جوابهُ : اعمل واستغفر الله تعالى من العجب . ولهُ من هذا شيء كثير . وذكر في كتاب عوارف المعارف ابياتاً لطيفة منها قولهُ فيهِ تعالى : ان تأمّلتكم فكلي عيونٌ او تذكّرتكم فكلي قلوبُ

---

(٥) قد أخلينا هذا الجزء عن ذكر الشعراء . وذلك ابتغاء ان نفرد لهم باباً في الجزء التالي

جَلَالُ ٱلدِّينِ ٱلسُّيُوطِيُّ (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ) (١٤٤٥ ـ ١٥٠٥ م)

٢٨٤ هو الامام عبد الرحمان بن الكمال الخُضَيريّ العالم العلّامة الفقيه المحدّث الحافظ المفسّر الاصولي الأديب الجدَليّ . أخذ عن جماعة من علماء وقتهِ ودرس الفلسفة والرياضيات فصار أوسع نظرًا وأطول باعًا من مشاهير فضلاء عصرهِ . وكتب في كل مسئلة مصنّفًا باقوالها وأدلّتها النقليّة والقياسيّة . منها المقامات الطبيّة وانيس الجليس وحسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة وبلغت مصنفاتهُ نحوًا من اربعمائة مصنّف . هذا وقد انتهت اليهِ الرئاسة بمصر وكانت الطلَبة تشدّ اليهِ الرحال من كل بلدةٍ وتتقاطر اليهِ من كل صقع اذ كان مبرّزًا من أهل النظر والمناظرة واليهِ كانت الرحلة من الغرب والأندلس واضحى ركنًا من اركان الاسلام

أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلشَّهْرَسْتَانِيُّ (٤٦٧ ـ ٥٤٨ هـ) (١٠٧٤ ـ ١١٥٣ م)

٢٨٥ كان امامًا مبرّزًا فقيهًا وبرع في الفقه وتفرّد فيهِ . وصنّف كتاب نهاية الاقدام في علم الكلام . وكتاب المِلل والنِّحَل . وتلخيص الاقسام لمذاهب الانام . وكان كثير المحفوظ حسن المحاورة يعظ الناس ودخل بغداد سنة عشر وخمسمائة وأقام بها ثلاث سنين وظهر لهُ قبول كثير عند العوامّ . ولهُ شعر قليل منهُ قولهُ :

لقد طفتُ في تلك المعاهد كلها ... وسيّرتُ طرفي بين تلك المعالمِ
فلم أرَ الّا واضعًا كفّ حائرٍ ... على ذَقَنٍ او قارعًا سنّ نادمِ

مُوَفَّقُ ٱلدِّينِ عَبْدُ ٱللَّطِيفِ (٥٥٧ ـ ٦٢٩ هـ) (١١٦١ ـ ١٢٣١ م)

٢٨٦ هو الشيخ الإمام الفاضل موفّق الدين البغدادي . كان مشهورًا بالعلوم متحلّيًا بالفضائل مليح العبارة . كثير التصنيف وكان متميّزًا في النحو واللغة عارفًا بعلم الكلام والطبّ . متطرفًا من العلوم العقليّة فكان في صباهُ اشغلهُ والدهُ بالأدب فلم يعرف اللعب واللهو ولم يُخلِ وقتًا من اوقاتهِ النظرَ في الكتب والتصنيف والكتابة وكان لكثرة مايرى في نفسهِ يستنقص فُضلاء زمانهِ . ومصنفاتهُ عديدة تنيف على المائة والستّين . ورحل الى دمشق واجتمع بتاج الدين الكندي وجرى بينهما مباحثات وكان الكندي شيخًا بهيًا ذكيًا مثريًا لهُ جانب من السلطان لكنهُ كان مُعجبًا بنفسهِ فاظهر الله عليهِ عبدَ اللطيف . ثم توجّه الى زيارة القدس بظاهر عكّا ودخل مصر ثم عاد الى القدس ثانيةً بعد ان هادن صلاحُ الدين الفرنجَ . فدخل على السلطان ورأى بهِ ملكًا عظيمًا يملأ العين روعةً والقلوب محبّةً . ولما حضرهُ وجد مجلسهُ حافلًا باهل العلم يتذاكرون باصناف العلوم . وصلاح الدين يحسن الاستماع والمشاركة . فاكرم صلاح الدين مثواهُ وعيّن لهُ راتبًا لكل شهر . الى ان مات صلاح الدين فانتقل عبد اللطيف الى مصر . فكان في النهار يُقرئ الناس بالجامع الأزهر وكان في الليل يشتغل على نفسهِ . فصنّف كتاب الافادة والاعتبار في

الامور المعاينة في ارض مصر. ثم عاد راجعاً الى بغداد وبها كانت وفاتهُ (لابن ابي أصيبعة)

أَلْغَزَالِيُّ (٤٥١ ـ ٥٠٥ هـ) (١٠٥٨ ـ ١١١١ م)

٢٨٧ هو الامام حجة الاسلام ابو حامد محمد الغزالي لم ترَ العيون مثلهُ لساناً وبياناً وخاطراً وذكاء وعلماً وعملاً . فاق اقرانهُ من تلامذة الحرَمَيْن وصار في ايام امام الحرَمَيْن مفيداً مصنّفاً والإمام يتبجّحُ بهِ. وكان مجلس نظام الملك مجمع الفضلاء. فوقع لأبي حامد في مجلسهِ ملاقاة الفحول ومناظرة الخصوم في فنون العلوم فاقبل نظام الملك عليهِ . وانتشر ذكرهُ في الآفاق فرسم لهُ تدريس المدرسة النظاميَّة ببغداد . وصنَّف كتباً لم يُصنَّف مثلها . ثم حجَّ وترك الدنيا واختار الزهد والعبادة وبالغ في تهذيب الأخلاق . ودخل بلاد الشام وصنَّف كتباً كثيرة لم يُسبَق الى مثلها في عدَّة فنون منها المنتحل في علم الجدَل . والتبر المسبوك . واحياء علوم الدين . وهو من أنفس الكتب وأجملها وهو كتاب لا يستغني عنهُ طالب الآخرة . ثم عاد الى خراسان مواظباً على العبادات الى ان انتقل الى جوار الحق بطوس عن اربع وخمسين سنة (للقزويني)

أَلْمَاوَرْدِيُّ (٣٦٤ ـ ٤٥٠ هـ) (٩٧٤ ـ ١٠٥٩ م)

٢٨٨ هو عليّ ابن حبيب الامام الجليل القدر الرفيع الشان أبو الحسن الماوردي صاحب الحاوي والاقناع في الفقه وأدب الدنيا والدين والاحكام السلطانيَّة وقانون الوزارة وسياسة الملك وغير ذلك . وكان اماماً جليلاً رفيع الشان لهُ اليد الباسطة في المذهب والتفنن التامّ في سائر العلوم . قال الشيخ أبو اسحاق : درس بالبصرة وبغداد سنين كثيرة . ولهُ مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير واصول الدين والادب. وجُعِل عليهِ القضاء ببلدان كثيرة. وقال ابن خيران: كان رجلاً عظيم القدر متقدماً عند السلطان أحد الائمة . لهُ التصانيف الحسان في كل فنّ . ومن كلام الماوردي الدالّ على دينهِ ومجاهدتهِ لنفسهِ ما ذكرهُ في كتاب أدب الدنيا والدين فقال : وممَّا انذرك بهِ من حالي اني صنَّفت في البيوع كتاباً جمعت لهُ ما استطعت من كتب الناس . واجهدتُ فيهِ نفسي وكدَّرت فيهِ خاطري حتى اذا تهذَّب واستكمل وكدت أُعجب بهِ. وتصوَّرت انني اشدّ الناس اضطلاعاً بعلمهِ حضرني وانا في مجلسي اعرابيَّان فسألاني عن بيع عقداه في البادية على شروط تضمَّنت اربع مسائل لم اعرف لشيء منها جواباً . فاطرقت مفكراً وبحالي وحالهما معتبراً . فقالا : أما عندك فيما سألناك عنهُ جواب وانت زعيم هذه الجماعة . قلت: لا. فقالا: إيهاً لك . وانصرفا ثم أتيا مَن قد يتقدَّمهُ في العلم كثير من اصحابي. فسألاهُ فاجابهما مسرعاً بما اقنعهما فكان ذلك زاجر نصيحة ونذير عظة تذلّل لهما قياد النفس وانخفض بهما جناح العُجب (*)

(*) ومنهم ناصر الدين البيضاوي (٦٨٥ هـ) قاضي القضاة بشيراز ولهُ الكتاب الموسوم بانوار التنزيل. ومنهم ابو عبد الله البخاري (٢٥٦ هـ) صاحب الجامع الصحيح تفرَّد في علم الرواية والحديث

أُدباء المسلمين

ألفتحُ بنُ خاقان (٤٨٠ ـ ٥٣٥ هـ) (١٠٨٧ ـ ١١٤٠ م)

٢٨٩ هو أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان القيسيّ الاشبيلي لهُ عدَّة تصانيف منها كتاب قلائد العقيان وقد جمع فيهِ من شعراء المغرب طائفة كثيرة . وتكلَّم على ترجمة كل واحد منهم باحسن عبارة والطف اشارة . ولهُ ايضًا كتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلَح أهل الأندلس . وهو ثلاث نسخ كبرى وصغرى ووسطى . وهو كتاب كثير الفائدة وكلامهُ فيهِ يدلّ على غزارة فضلهِ وسعة مادّتهِ . وكان كثير الأسفار سريع التنقُّلات . وقال الحافظ أبو الخطّاب بن دحية : كان ابن خاقان خليع العذار في دنياهُ . لكن كلامهُ في تآليفهِ كالسحر الحلال . والماء الزلال . قُتِل ذبحًا في مسكنهِ بفندق من حاضرة مرّاكش صدر سنة خمس وثلاثين وخمسمائة . وان الذي أشار بقتلهِ أمير المسلمين أبو الحسن عليّ بن يوسف بن تاشفين وهو أخو أبي إسحاق ابرهيم بن يوسف بن تاشفين الذي ألَّف لهُ أبو نصر المذكور قلائد العقيان وقد ذكرهُ في خطبة الكتاب (لابن خلكان)

إبنُ عبدِ ربّهِ (٢٤٦ ـ ٣٢٨ هـ) (٨٦١ ـ ٩٤٠ م)

٢٩٠ هو الفقيه العالم أبو عُمَر أحمد بن عبد ربّهِ عالمٌ ساد بالعلم ورأس . واقتبس من الحظوة ما اقتبس . وشُهر بالأندلس حتى سار الى المشرق ذكرهُ . واستطار شرر الذكاء فكرهُ . وكانت لهُ عناية بالعلم وثقة ورواية لهُ متَّسقة . وأمَّا الأدب فهو كان حجَّتهُ وبهِ غمرت الافهام لجَّتهُ . مع صيانةٍ وورع . وديانة ورد ماءها فكرع . ولهُ التأليف المشهور الذي سمَّاهُ بالعقد . وحماهُ عن عثرات النقد . لانهُ أبرزهُ مثقَّف القناة . مرهف الشباة . تقصر عنهُ ثواقب الألباب . وتبصر السحر منهُ في كل باب . ولهُ شعر انتهى منتهاهُ . وتجاوز سماك الاحسان وسماهُ . وكان ابن عبد ربّهِ من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على اخبار الناس . وكتابهُ العقد الفريد من الكتب الممتّعة حوى من كل معنى شيء وكل نادرة غريبة (نفح الطيب للمقري)

أبو الفرجِ الأصبهانيّ (٢٨٤ ـ ٣٥٦ هـ) (٨٩٧ ـ ٩٦٧ م)

٢٩١ هو علي بن الحسين القرشي الأُمويّ الكاتب صاحب كتاب الأغاني . وجدُّهُ مروان آخر خلفاء بني أُميَّة . وهو أصبهاني الأصل بغدادي المنشأ . كان من اعيان ادبائها وأفراد مصنّفيها . وكان عالمًا بايام الناس والانساب والسِيَر . كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار ما لم يُرَ قطُّ من يحفظ مثلهُ . ويحفظ دون ذلك من علوم أُخر منها اللغة والنحو وتُنَف من الطبّ والنجوم والاشربة وغير ذلك . ولهُ شعر يجمع اتقان العلماء واحسان الظرفاء

والشعراء . ولهُ المصنّفات المستملحة منها كتاب الأغاني الذي وقع الاتفاق على انه لم يعمل في بابهِ مثلهُ . يقال انهُ جمعهُ في خمسين سنةً وحملهُ الى سيف الدولة بن حمدان فاعطاهُ الف دينار واعتذر اليهِ . وحكي عن الصاحب بن عباد انهُ كان في أسفاره وتنقلاتهِ يستصحب حمل ثلاثين جملاً من كتب الأدب ليطالعها . فلما وصل اليهِ كتاب الأغاني لم يكن بعد ذلك يستصحب سواهُ استغناء بهِ عنها . ومنها كتاب الاماء الشواعر وكتاب الديارات وكتاب الحانات وآداب الغرباء . وحصل لهُ ببلاد الأندلس كتب صنّفها لبني أميّة ملوك الأندلس يوم ذاك وسيّرها اليهم سرًّا وجاءهُ الانعام منهم سرًّا . ومن ذلك كتاب أيّام العرب الف وسبعمائة يوم وكتاب التعديل والانتصاف في مآثر العرب ومثالبها وغير ذلك وكان منقطعاً الى الوزير المهلّبي ولهُ فيهِ مدائح منها قولهُ :

ولمّا انتجعنا لائذين بظلّهِ أعان وما عنّى ومنّ وما منّا
وردنا عليهِ مقترين فراشنا وردنا نداهُ مجدبين فاخصبنا (لابن خلّكان)

بَدِيعُ الزَّمَانِ (٣٥٣ـ ٣٩٨ هـ) (٩٦٤ ـ ١٠٠٨ م)

٢٩٢ هو أبو الفضل احمد بن الحسين الهمذاني مفخر همذان ونادرة الفلك وبكر عُطارد وفريد الدهر وغرّة العصر . ومن لم يُلفَ نظيرهُ في ذكاء القريحة وسرعة الخاطر وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوّة النفس . ولم يدرك قرينهُ في ظرف النثر وملحهِ وغُرر النظم ونكتهِ . ولم يُروَ ان أحدًا بلغ مبلغهُ من لبّ الأدب وسرّهِ . وجاء بمثل اعجازهِ وسحرهِ . فانهُ كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب ولقبهُ بالبديع يدل على قدرهِ . فمنها انهُ كان يُنشَد القصيدة لم يسمعها قطّ وهي اكثر من خمسين بيتاً . فيحفظها كلها ويوردها الى آخرها لا يخرم حرف منها . وينظر في الأربع والخمس الأوراق من كتاب لم يعرفهُ ولم يرَهُ نظرةً واحدةً خفيفة ثم يعيدها عن ظهر قلبهِ . هذا ويسردها سردًا . وكان يُقترح عليهِ عمل قصيدة وانشاء رسالة في معنى غريب وباب بديع . فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عنها فيها . وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليهِ فيبتدئ بآخر سطورهِ ثم هلمّ جرًّا الى الأوّل ويخرجهُ كاحسن شيء واملحهِ . ويوشّح القصيدة الفريدة من قبلهِ بالرسالة الشريفة من انشائهِ . فيقرأ من النظم النثر ومن النثر النظم . ويعطي القوافي الكثيرة فيصل بها الأبيات الرشيقة . ويقترح عليهِ كل عروض من النظم والنثر فيرتجلهُ في اسرع من الطرف على ريق لا يبلعهُ ونَفَسٍ لا يقطعهُ . وكلامهُ كلهُ عفو الساعة وفيض اليد ومسارقة القلم ومجاراة الخاطر . وكان مع هذا مقبول الصورة خفيف الروح حسن العشرة ناصع الظرف . عظيم الخلق شريف النفس . كريم العهد خالص الودّ . حلو الصداقة مرّ العداوة . فارق همذان سنة ثمانين وثلاثمائة وهو مقتبل الشبيبة غضّ الحداثة . وقد درس على أبي الحسين ابن فارس وأخذ عنهُ جميع ما عندهُ . واستنفد علمهُ وورد حضرة الصاحب أبي القاسم بن عبّاد .

فتزود من ثمارها وحسن آثارها . وولي نيسابور في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . فنشر بها بزّه وأظهر طرزهُ واملى اربعمائة مقامة نحلها أبا الفتح الاسكندري في الكدية وغيرها . وضمَّنها ما تشتهي الانفس من لفظ انيق . قريب المأخذ . بعيد المرام . وسجع رشيق المطلع والمقطع كسجع الحمام . وجدٍ يروق فيملك القلوب وهزل يشوق فيسحر العقول . ثم ألقى عصاه بهراة فعاش فيها عيشة راضية . وحين بلغ اشدهُ واربى على اربعين سنة ناداه الله فلبّاه وفارق دنياه . فقامت نوادب الأدب وانثلم حد القلم . وبكاه الفضائل والأفاضل . ورثاهُ الاكارم مع المكارم . على انهُ ما مات من لم يمت ذكرهُ . ولقد خلد من بقي على الايام نظمهُ ونثرهُ (اليتيمة للثعالبي)

أبو منصور الثعالبي (٣٥٠ـ٤٢٩ هـ) (٩٦١ـ١٠٣٨م)

٢٩٣ هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري كان في وقتهِ راعي تلعات العلم . وجامع اشتات النثر والنظم . ورأس المؤلفين في زمانهِ . وامام المصنفين بحكم قرانهِ . وسار ذكرهُ سير المثل . وضربت اليهِ آباط الابل . وطلعت دواوينهُ في المشارق والمغارب . طلوع النجم في الغياهب . تآليفهُ اشهر مواضع . وابهر مطالع . وأكثر راوٍ لها وجامع . من ان يستوفيها حدٌّ أو وصف . او يوفي حقوقها نظم أو رصف . وذكر لهُ طرفاً من النثر ونورد شيئاً من نظمهِ . فمن ذلك ما كتبهُ الى الأمير أبي الفضل الميكالي :

لك في المفاخر معجزاتٌ جمّةٌ ... أبدًا لغيرك في الورى لم تُجمعِ
بحرانِ بحرٌ في البلاغة شابهُ ... شعر الوليد وحسن لفظ الأصمعي
وترسُّل الصابي يزين علوَّهُ ... خطُّ ابن مقلة ذو المحل الأرفعِ
شكرًا فكم من فقرةٍ لك كالغنى ... وافى الكريم بُعَيد فقرٍ مدقعِ
واذا تفتّق نَورُ شِعرك ناضرًا ... فالحسن بين مرصَّعٍ ومصرَّعِ
أرجلت فرسان الكلام ورضت افـ ... ـراس البديع وأنت امجد مبدعِ
ونقشتَ في فصّ الزمان بدائعًا ... تزري بآثار الربيع الممرعِ

ولهُ من التآليف يتيمة الدهر . في محاسن أهل العصر . وهو اكبر كتبهِ واحسنها واجمعها . وفيها يقول ابو الفتوح نصر الله بن قلاقس الشاعر الاسكندري المشهور :

أبيات أشعار اليتيمه ... أبكار أفكار قديمه
ماتوا وعاشت بعدهم ... فلذاك سُمّيتِ اليتيمه

ولهُ ايضًا كتاب فقه اللغة وسحر البلاغة وسرّ البراعة . ومونس الوحيد في المحاضرات . جمع فيها أشعار الناس وأخبارهم . وفيها دلالة على كثرة اطلاعه (الذخيرة لابن بسام)

الحريري (٤٤٦ـ٥١٦ هـ) (١٠٥٤ـ١١٢٢م) .

٢٩٤ هو أبو محمد القاسم بن عليّ الحريري البصري الحراميّ صاحب المقامات . كان احد

ائمة عصره ورُزِق الحظوة التامَّة في عمل المقامات . واشتملت على شيءٍ كثير من كلام العرب من لغاتها وامثالها ورموز اسرار كلامها ومَن عرفها حقَّ معرفتها استدلَّ بها على فضل هذا الرجل وكثرة اطلاعه وغزارة مادَّته . وكان سبب وضعه لها ما حكاه ولدهُ ابو القاسم عبد الله قال : كان أبي جالساً في مسجد بني حرام فدخل شيخ ذو طمرين عليه اهبة السفر . رثّ الحال فصيح الكلام حسن العبارة . فسألتهُ الجماعة من أين الشيخ . فقال : من سروج . فاستخبروهُ عن كنيتهِ فقال : أبو زيد . فعمل أبي المقامة المعروفة بالحرامية وهي الثامنة والأربعون وعزاها الى أبي زيد المذكور واشتهرت . فبلغ خبرها الوزير شرف الدين أبا نصر أنوشروان بن خالد بن محمد القاشاني وزير الامام المسترشد بالله فلمَّا وقف عليها أعجبتهُ وأشار على والدي ان يضمَّ اليها غيرها . فاتمَّها خمسين مقامة . والى الوزير المذكور أشار الحريري في خطبة المقامات بقولهِ : فاشار مَن اشارتهُ حكم . وطاعتهُ غُنم . الى ان انشئ مقامات اتلو فيها تلو البديع . وان لم يدرك الظالع شأو الضليع . وقد اعتنى بشرحها خلق كثير فنهم من طوَّل ومنهم من اختصر . ورأيت في بعض المجاميع ان الحريري لمَّا عمل المقامات كان قد عملها اربعين مقامة وحملها من البصرة الى بغداد وادَّعاها فلم يصدقهُ في ذلك جماعة من ادباء بغداد . وقالوا : انها ليست من تصنيفهِ بل هي لرجل مغربي من أهل البلاغة مات بالبصرة ووقعت اوراقهُ اليه فادَّعاها . فاستدعاهُ الوزير الى الديوان واقترح عليهِ إنشاء رسالةٍ في واقعةٍ عيَّنها . فاخذ الدواة والورقة ومكث زماناً كثيراً فلم يفتح الله عليهِ بشيء من ذلك . فقام وهو خجلان فقال فيهِ أبو القاسم عليّ بن أفلح :

شيخ لنا من ربيعة الفرسِ   ينتف عثنونهُ من الهوسِ
انطقهُ الله بالمشان كما   رماهُ وسط الديوان بالخرسِ

وكان الحريري يزعم انهُ من ربيعة الفرس . وكان مولعاً بنتف لحيتهِ عند الفكرة وكان يسكن في مَشان البصرة . فلمَّا رجع الى بلدهِ عمل عشر مقامات أُخر وسيَّرهنَّ واعتذر من عيِّهِ وحصرهِ في الديوان بما لحقهُ من المهابة . وللحريري تآليف حسان منها درَّة الغوّاص في اوهام الخواص . ومنها ملحة الاعراب المنظومة في النحو ولهُ ايضاً شرحها . ولهُ ديوان رسائل وشعر كثير غير شعرهِ الذي في المقامات . ولهُ قصائد استعمل فيها التجنيس كثيراً . ويحكى انهُ كان دميماً قبيح المنظر . فجاءهُ شخص غريب يزورهُ ويأخذ عنهُ شيئاً فلما رآهُ استزرى شكلهُ ففهم الحريري ذلك منهُ . فلما التمس منهُ ان يملي عليهِ قال لهُ اكتب :

ما أنت أوَّل سارٍ غرَّهُ قمرٌ   ورائدٍ اعجبتهُ خضرة الدمَنِ
فاختر لنفسك غيري انني رجل   مثل المعيديّ فاسمع بي ولا ترني

فخجل الرجل منهُ وانصرف . وتوفي الحريري بالبصرة   (لابن خلّكان)

أَلشَّرِيشِيُّ (٥٥٧ـ٦١٩ هـ) (١١٦٢ ـ ١٢٢٢م)

٢٩٥ هو الكمال أبو العباس أحمد من أهل شَريش . ولهُ تآليف افاد بها حشد فيها منها جمع مشاهير قصائد العرب وشروح لمقامات الحريري كبير ووسط وصغير وفي الكبير من الآداب ما لا كفاءة له . لم يترك منها فائدة الّا استخرجها . ولا فريدة الّا استدرجها . ولا نكتة الّا علّقها . ولا غريبة الّا استحقّها . فجاء شرحهُ يغني عن كل شرحٍ . وكان الشريشي يقرئ العربيَّة وأخذ عنهُ جماعةٌ وأقام في بَلَنسِيَة ثم رحل الى إشبيلية وانتقل الى المشرق. وكانت وفاته بشريش بلدهِ

إبْنُ أَبِي ٱلرَّنْدَقَةِ ٱلطَّرْطُوشِيُّ (٤٥١ ـ ٥٢٠ هـ) (١٠٥٩ـ١١٢٦م)

٢٩٦ هو الفقيه العالم ابو بكر الفهري الطرطوشي صاحب سراج الملوك وكفى هذا الكتاب دليلاً على فضلهِ . وكان زاهدًا عابدًا متورّعًا متقللاً من الدنيا قوّالًا الحق . وكان يقول: اذا عرض لك امر دنيا وأخرى فبادر بأمر الاخرى يحصل لك امر الدنيا . وصحب بسَرَقُسْطة القاضي أبا الوليد وأخذ عنهُ مسائل في الحساب والفرائض . وقرأ الأدب على أبي محمد بن حزم بمدينة اشبيلية ثم رحل الى المشرق سنة ست وسبعين واربعمائة . ودخل بغداد والبصرة فتفقَّه هنالك عند أبي بكر الشاشي وأبي محمد الجرجاني وسمع بالبصرة من أبي عليّ التُستَري . وسكن الشام مدَّة ودرس بها وكان راضيًا باليسير . قال الصفدي في ترجمة الطرطوشي : ان الأفضل ابن أمير الجيوش انزلهُ في مسجد شقيق الملك بالقرب من الرصد وكان يكرههُ . فلما قُتِل الأفضل ولي بعدهُ المأمون بن البطائحي فأكرم الشيخ اكرامًا كثيرًا ولهُ ألّف الشيخ سراج الملوك . ومن تآليفهِ مختصرٌ تفسير الثعالبي والكتاب الكبير في مسائل الخلاف . وتوفي بالاسكندريّة وشهرتهُ تغني عن الاطناب فيهِ . وحكي انهُ كتب على سراج الملوك الذي أهداهُ لوليّ الأمر بمصر:

النـاس يهدون على قدرهم   لكنني اهدي على قدري
يهدون ما يفنى واهدي الذي   يبقى على الايام والدهرِ   (للمقري)

بَهَاءُ ٱلدِّينِ ٱلعَامِلِيُّ (٩٥٣ ـ ١٠٣١ هـ) (١٥٤٧ ـ ١٦٢٢م)

٢٩٧ الشيخ العلامة اللوذعي بهاء الدين بن حسين العاملي هو علَم الائمة الاعلام . وسيّد علماء الاسلام . وبحر العلم المتلاطمة أمواجهُ . وفحل الفضل الناتجة لديهِ أفرادهُ وأزواجهُ . وطود المعارف الراسخ . وفضاؤها الذي لا تُحدّ لهُ فراسخ . وجوادها الذي لا يؤمَّل لهُ لحاق . وبدرها الذي لا يعتريهِ محاق . اليهِ انتهت رئاسة المذهب والملَّة . وبهِ قامت قواطع البراهين والأدلَّة . جمع فنون العلم فانعقد عليهِ الاجماع وتفرَّد بصنوف الفضل فبهر النواظر والاسماع . فما من فنّ الّا ولهُ فيهِ القدم المعلَّى . والمورد العذب المحلّى . ان قال لم يدع قولاً لقائل . أو طال لم يأتِ غيره بطائل . ومن مصنفاتهِ التفسير المسمّى بالعروة الوثقى والزبدة في الاصول وخلاصة الحساب

والحلاة والكشكول فيهِ كل نادرة من علوم شتّى وتشريح الافلاك وغير ذلك من الرسائل المختصرة والفوائد المحرّرة . وكان مولدهُ بقزوين ثم خرج من بلدهِ وتنقّلت بهِ الاسفار الى ان وصل الى اصفهان . فوصل خبرهُ الى سلطانها شاه عبَّاس فطلبهُ لرئاسة العلماء . فوليها وعظم قدرهُ وارتفع شأنهُ ثم دخل مصر . وامتدح بها الاستاذ ابا الحسن البكري بقصيدةٍ مطلعها :

يا مصر سقياً لكِ من جنةٍ   قطوفُها يانعة دانيه

ثم قدم القدس ولزم فناء المسجد الأقصى . وكان متّسماً بلبس السيّاح مؤنساً بالوحشة دون الايناس . ثم أقلع الى حلب ورجع الى اصفهان فتوفي فيها (لاحمد المنيني)

أَبُو إِسْحَاقَ ٱلْقَيْرَوَانِيُّ (٣٩٠ـ٤٥٣ هـ) (١٠٠٠ـ١٠٦١م)

٢٩٨ هو ابو اسحاق ابرهيم بن عليّ بن تميم المعروف بالحصري القيرواني الشاعر المشهور . لهُ ديوان شعر وكتاب زهر الآداب وثمر الألباب جمع فيهِ كل غريبة في ثلاثة اجزاء . وكتاب المصون في سرّ الهوى المكنون . في مجلّد واحد فيهِ مُلَح وآداب . ذكرهُ ابن الرشيق في كتابهِ الانموذج وحكى شيئاً من أخبارهِ وأحوالهِ وأنشد جملة من اشعارهِ وقال : كان شبَّان القيروان يجتمعون عندهُ ويأخذون عنهُ . ورأس عندهم وشرف لديهم . وسارت تآليفهُ وانثالت عليهِ الصلات من الجهات . وتوفي ابو اسحاق المذكور بقيروان

أهل الرواية واللغة من المسلمين

أَلْأَصْمَعِيُّ (١٢٣ـ٢١٦هـ) (٧٤١ـ٨٣١م)

٢٩٩ هو أبو سعيد عبد الملك الباهلي من ابناء عدنان . وكان عالماً عارفاً باشعار العرب وآثارها . كثير التطوُّف في البوادي لاقتباس علومها وتلقّي اخبارها . فهو صاحب غرائب الأشعار . وعجائب الأخبار . وقدوة الفضلاء . وقبلة الادباء . قد استولى على الغايات في حفظ اللغات وضبط العلوم الأدبيَّات . صاحب دين متين . وعقل رصين . وكان خاصّاً بالرشيد آخذاً لصلاتهِ . ولهُ من التصانيف كتاب خلق الانسان وكتاب الأجناس وكتاب الانواء وكتاب الخيل وكتاب الابل والشاء وكتاب الأمثال وكتاب النوادر وكتاب النبات وغير ذلك وكان هارون الرشيد قد استخلصهُ لمجلسهِ . واجازهُ على ابو يوسف القاضي بجوائز كثيرة وعُمّر نيفاً وتسعين سنة ورثاهُ الحسن بن مالك :

لا درَّ درُّ نبات الأرض اذ فُجعت   بالأصمعيّ لقد ابقت لنا أسفا
عِشْ ما بدا لك في الدنيا فلست ترى   في الناس منهُ ولا من علمهِ خَلَفا

سِيبَوَيْهِ (١٢١ـ١٦١هـ) (٧٣٩ـ٧٧٨م)

٣٠٠ هو أبو بشر عمرو الحارثي وسيبويه لقب ومعناهُ بالفارسيَّة رائحة التفاح . وكان من

أهل فارس ومنشاهُ بالبصرة . وكان اعلم المتقدّمين والمتأخرين بالنحو كان أخذهُ عن الخليل. ولم يوضع فيهِ مثل كتابهِ . قال الجاحظ : اردت الخروج الى محمد بن عبد الملك ففكرت في شيءٍ أهديهِ لهُ فلم اجد شيئاً أشرف من كتاب سيبويه . فقال : والله ما اهديت اليَّ شيئاً احبَّ اليَّ منهُ . وكان يقال بالبصرة : قرأ فلان الكتاب . فيعلم انهُ كتاب سيبويه . وكان ابو العبَّاس المبرد اذا أراد مريد ان يقرأ عليهِ كتاب سيبويه يقول لهُ : هل ركبت البحر . تعظيماً لكتاب سيبويه واستصعاباً لما فيهِ . وكان أبو عثمان المازني يقول : مَن أراد ان يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحِ . ولمَّا ورد سيبويه الى بغداد من البصرة والكسائي يومئذٍ يعلّم الأمين بن هارون الرشيد فجمع بينهما وتناظرا . وجرى مجلس يطول شرحهُ . وزعم الكسائي ان العرب تقول : كنت اظن الزنبور اشدَّ لسعاً من النحلة فاذا هو إيَّاها فقال سيبويه : ليس المثل كذا بل : فاذا هو هي . وتشاجرا طويلاً واتَّفقا على مراجعة عربيٍّ خالص لا يشوب كلامهُ شيء من كلام أهل الحضر وكان الأمين شديد العناية بالكسائي لكونهِ معلّمهُ . فاستدعى عربياً وسألهُ . فقال كما قال سيبويه . فقال لهُ نريد ان تقول كما قال الكسائي . فقال : ان لساني لا يطاوعني على ذلك فانهُ ما يسبق الَّا الى الصواب . فقرَّروا معهُ ان شخصاً يقول : قال سيبويه كذا . وقال الكسائي كذا . فالصواب مع من منهما . فيقول العربي : مع الكسائي . فقال : هذا يمكن . ثم عقد لهما المجلس واجتمع ائمَّة هذا الشأن وحضر العربيّ وقيل لهُ ذلك فقال : الصواب مع الكسائي وهو كلام العرب . فعلم سيبويه انهم تحاملوا عليهِ وتعصَّبوا للكسائي فخرج من بغداد وقد حمل في نفسهِ لما جرى عليهِ وقصد فارس فتوفي بشيراز (ملخص عن نزهة الالبَّاء وابن خلكان)

سُيَّاح المسلمين

إبنُ بَطُّوطَةَ (٧٠٣ ـ ٧٧٧ هـ)(١٣٠٤ ـ ١٣٧٦ م)

٣٠١ هو أبو عبد الله بن ابرهيم اللواتي الطنجي الملقَّب بشمس الدين ابن بطوطة . وهو الذي طاف الارض معتبرًا . وطوى الأمصار مختبرًا . وباحث فِرَق الامم . وسبر سير العرب والعجم . ثم ألقى عصا التسيار بحاضرة فاس العليا وكان مولدهُ بطنجة سنة ثلاث وسبعمائة . وكان خروجهُ من موطنهِ عام خمسة وعشرين وسبعمائة ولهُ من العمر ثنتان وعشرون سنة . فاخذ يتقلَّب في بلاد العراق ومصر والشام واليمن والهند ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند وهو السلطان محمد شاه . واتصل بملكها لذلك العهد وهو فيروزجوه . وكان لهُ منهُ مكان واستعملهُ بخطَّة القضاء بمذهب المالكيَّة في عملهِ . ثم ساح في الأقطار الصينيَّة والتتريَّة واواسط افريقية في بلاد السودان وفي الأندلس . ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان من ملوك بني مرين . وكان يحدّث عن شأن رحلتهِ وما رأى من العجائب بممالك الأرض . ويأتي من أحوالهِ ما يستغرب بهُ السامعون . فغمره أبو عنان من احسانهِ الجزيل وامتنانهِ الحفيّ الحفيل .

ما أنساهُ الماضي بالحال . وأغناهُ عن طول الترحال . فانفذ اليه الملك الاشارة بان يُملي على محمد بن جُزي الكلبي ما شاهدهُ في رحلتهِ من الأمصار . وما علق بحفظهِ من نوادر الأخبار . فاملى من ذلك ما فيهِ نزهة الخواطر . وبهجة المسامع والنواظر . من كل غريبةٍ أفاد باجتلائها . وعجيبة أطرف بانتحائها . فامتثل ابن جزي ما أُمر بهِ . فضم أطراف ما أملاهُ ابن بطوطة في تصنيف جاء على فوائده مشتملاً . ولنيل مقاصدهِ مكملاً . فوسمهُ بتحفة النظّار . في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (لابن جزيّ)

إبْنُ جُبَيْر (٥٤٠ـ٦١٤ هـ)(١١٤٥ـ١٢١٧ م)

٣٠٢ هو أبو الحسين الكناني صاحب الرحلة . ولد ببلنسية وعُنيَ بالأدب فبلغ الغاية فيهِ وتقدّم في صناعة القريض والكتابة . ومن شعرهِ قولهُ وقد دخل الى بغداد فاقتطع غصناً نضيراً من احد بساتينها فذوى في يدهِ :

لا تغتربْ عن وطنٍ واذكر تصاريفَ النوى
أما ترى الغصنَ اذا ما فارق الأصل ذوى

وقولهُ يخاطب من أهدى لهُ موزًا :

يا مهدي الموز تبقى وميمهُ لك فاء
وزايهُ عن قريب لمن يعاديك تاء

ثم رحل الى دمشق ودخل بغداد وانكفأ راجعاً الى المغرب وكان انفصالهُ من غرناطة ثانية بقصد الرحلة الشرقيّة سنة ٥٧٨ . ونزل البر الاسكندري وتجوّل في البلاد ودخل الشام والعراق والجزيرة ورحلتهُ مشهورة بايدي الناس وكانت وفاتهُ بالاسكندريّة

إبْنُ سَعِيد (٦١٠ـ٦٧٣ هـ)(١٢١٤ـ١٢٧٥ م)

٣٠٣ هو أبو الحسن نور الدين بن سعيد الأديب الرحّالة الطُرفة العجيب الشأن في التجوُّل في الأقطار ومداخلة الاعيان . المتمتع بالخزائن العلميّة . وتقييد الفوائد المشرقيّة والمغربيّة . أخذ من اعلام اشبيلية وتآليفهُ كثيرة منها المرقصات والمطربات وموضوعان غريبان في اسفارهِ الى المغرب والمشرق . وتعاطى نظم الشعر في حدّ من الشيبة يُعجب فيهِ من ذلك قولهُ في صفة نهرٍ:

كأنّما النهر صفحةٌ كتبت أسطرها والنسيم ينشئها
لما ابانت عن حسن منظرها مالت عليها الغصون تقرؤها

وقال باقتراح الملك الصالح صاحب حمص ان يكتب بالذهب على تفاحة عنبر قدّمها لابن عمّهِ الملك الصالح ملك الديار المصريّة :

انا لون الشباب والخال أهديـ ـتُ لمن قد كسا الزمان شبابا

ملكُ العالمين نجم بني أيُّـ ـوب لا زال في المعالي مهابا
جئتُ ملأَى من الثناء عليهِ مِنْ شكوري احسانَهُ والثوابا
لستُ ممَّن لهُ خطابٌ ولكن قد كفاني اريجُ عرفي خطابا

ثم قفل الى مصر ولقي بهاء الدين زهيرًا وجمال الدين بن مطروح . ثم تحوَّل الى دمشق ودخل على السلطان المعظم وحضر مجلس خلوتهِ . ودخل الموصل وبغداد ورحل الى البصرة ودخل ارَّجان ثم عاد الى المغرب . وصنَّف في رحلتهِ مجموعًا سمَّاهُ بالنفحة المسكيَّة . واتصل بخدمة الأمير ابي عبد الله المستنصر فنال الدرجة الرفيعة من حظوتهِ الى ان توفي بتونس

فلاسفة الاسلام واطباؤهم

(إبنُ رُشْدٍ ٥٩٥ هـ ١١٩٨ م) (ألرَّازِيُّ ٣١١ هـ ٩٢٣ م)

٣٠٤ ابن رشد هو أبو الوليد المالكي وزير دهرهِ وعظيمهُ وفيلسوف عصرهِ وحكيمهُ . وكان عالمًا بالرأي متفننًا بالعلوم تولَّى رئاسة الفتاوى في مراكش ثم استوطن إشبيليَة فاشتهر بالتقدُّم في علم الأُول حتى فاق أهل زمانهِ وطار ذكرهُ الى اقطار الاندلس والمغرب فاستدعاهُ سلطان مراكش الى حاضرتهِ ولقي عندهُ حظوة وشغلهُ بالصلات والمكارم وكانت وفاتهُ في مراكش ولهُ تآليف جليلة عزيزة الوجود منها الكليَّات في الطبّ وتعريب مصنَّفات ارسطاطاليس وتلخيصها . وأمَّا الرازي فهو ابو بكر بن زكريَّا المشهور اقبل في شيبتهِ على دراسة كتب الطبّ والفلسفة والكيمياء قرأها قراءة رجل متعقّب على مؤلفيها فبلغ من معرفة غوابرها الغاية واضحى امام وقتهِ في الطبّ وعلوم الأوائل والمشار اليهِ في ذلك العصر تشدُّ اليهِ الرحال لاخذها عنهُ وصنَّف فيها الكتب النافعة فمن ذلك كتاب الحاوي وهو عمدة الاطباء في النقل منهُ والرجوع اليهِ عند الاختلاف. ومنها كتاب في اثبات صناعة الكيمياء وتصانيف كثيرة كلّها يُحتاج اليها . ودبَّر الرازي مارستان الرَّي وبغداد في أيام المكتفي وعمي في آخر عمرهِ

إبنُ زُهْرٍ (٥٠٧ـ٥٩٥ هـ) (١١١٤ـ١١٩٨ م)

٣٠٥ كان من أهل بيت كلهم علماء رؤساء حكماء وزراء نالوا المراتب العليَّة وتقدَّموا عند الملوك ونفذت أوامرهم . قال الحافظ : وكان ابن زهر بمكان من اللغة مكين . ومورد من الطب عذب معين كان يحفظ شعر ذي الرمَّة وهو ثلث لغة العرب مع الإشراف على جميع أقوال أهل الطبّ والمنزلة العليا عند أصحاب المغرب مع سموّ النسب وكثرة الأموال والنشب . ومن شعرهِ قولهُ :

ولي واحدٌ مثل فرخ القطا صغيرٌ تخلَّف قلبي لديهِ
نأت عنهُ داري فيا وحشتا لذاك الشخيص وذاك الوُجَيهِ
تشوَّقني وتشوَّقتهُ فيبكي عليَّ وابكي عليهِ

لقد تعب الشوق ما بيننا فمنهُ اليَّ ومني اليه

ولهُ وقد شاخ وغلب عليهِ الشيب :

اني نظرتُ الى المرآة اذ جليت فانكرت مقلتاي كل ما رأتا
رأيتُ فيها شيخاً لستُ أعرفهُ وكنتُ اعهدهُ من قبل ذاك فتى
فقلت أين الذي بالأمس كان هنا متى ترحّل عن هذا المكان متى
فاستضحكت ثم قالت وهي معجبة ان الذي انكرتهُ مقلتاك أتى
كانت سليمى تنادي يا أخيَّ وقد صارت سليمى تنادي اليوم يا أبتا

وأوصى انهُ اذا مات يكتب على قبرهِ هذه الأبيات وفيها اشارة الى طبّهِ ومعالجتهِ للناس وهي :

تأمّل بحقك يا واقفاً ولاحظ مكاناً دُفعنا اليهِ
تراب الضريح على وجنتي كأني لم أمشِ يوماً عليهِ
أداوي الأنام حذارَ المنونِ وها انا قد صرت رهناً لديهِ

وتوفي مسمَّناً بعلّة بين كتفيهِ بمدينة قرطبة (لابن خلكان)

إبنُ سِينا (٣٧٠ـ٤٢٨ هـ) (٩٨٠ـ١٠٣٧ م)

٣٠٦ هو أبو عليّ الحسين بن سينا الشيخ الرئيس حكى عن نفسهِ قال : ان أبي كان رجلاً من بلخ . ثم انتقلنا الى بخارى في أيام نوح بن منصور واحضرت معلّم القرآن والأدب. فكملت العشر من العمر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الأدب حتى كان يُقضى مني العجب . ثم جاء الى بخارى ابو عبد الله الناتلي وكان يدّعي الفلسفة فانزلهُ أبي دارنا رجاء تعلّمي منهُ . فقرأت ظواهر المنطق عليهِ واما دقائقهُ فلم يكن عندهُ منها خبرة. ثم أخذت اقرأ الكتب على نفسي واطالع الشروح وكذلك كتاب اقليذس فقرأت من اوّلهِ خمسة أشكال أو ستة عليهِ. ثم توليت حلّ الكتاب باسرهِ . ثم انتقلت الى المجسطي وفارقني الناتلي ثم رغبت في علم الطبّ وصرت اقرأ الكتب المصنفة فيهِ وتعهدت المرضى فانفتح عليّ من ابواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف. وانا في هذا الوقت من ابناء ست عشرة سنة . ثم توفرت على القراءة سنة ونصفاً وكلما كنت اتحيّر في مسألة أو لم اكن اظفر بالحدّ الأوسط في قياس ترددت الى الصلاة وابتهلت الى مبدع الكل حتى فتح لي المغلق والمتعسّر . وكنت ارجع بالليل الى داري واضع السراج بين يدي واشتغل بالقراءة والكتابة. فمها غلبني النوم او شعرت بضعف عدلت الى شرب قدح من الشراب ريثما تعود اليَّ قوّتي . ثم ارجع الى القراءة ومتى أخذني ادنى نوم احلم بتلك المسائل باعيانها . حتى ان كثيرًا منها انفتح لي وجوهها في المنام . ولم أزل كذلك حتى أحكمت علم المنطق والطبيعي والرياضي . ثم عدت الى العلم الالهي وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة . فما كنت افهم ما فيهِ والتبس عليَّ غرض واضعهِ . حتى اعدت قراءتهُ اربعين مرّة وصار لي محفوظاً وانا مع ذلك لا افهمهُ .

وأيست من نفسي وقلت : هذا كتاب لا سبيل الى فهمه. واذا انا يوماً حضرت وقت العصر في سوق الورّاقين وبيد دلّال مجلّد ينادي عليه . فعرضهُ عليّ فرددته ردّ متبرّم معتقد ان لا فائدة في هذا العلم . فقال لي : اشتر مني هذا فانهُ رخيص ابيعكهُ بثلاثة دراهم وصاحبهُ محتاج الى ثمنهِ فاشتريتهُ فاذا هو كتاب لأبي نصر الفارابي في اغراض كتاب ما بعد الطبيعة . فرجعت الى بيتي وأسرعت قراءتهُ فانفتح عليّ في الوقت اغراض ذلك الكتاب بسبب انهُ قد صار لي على ظهر القلب . وفرحت بذلك وتصدّقت بشيء على الفقراء شكراً لله تعالى . فلما بلغت ثماني عشرة سنة من عمري فرغت من هذه العلوم كلها وكنت اذ ذاك للعلم احفظ ولكنهُ اليوم معي انضج والّا فالعلم واحد لم يتجدّد لي بعدهُ شيء . ثم مات والدي وتصرّفت بي الأحوال وتقلّدت شيئاً من اعمال السلطان . ودعتني الضرورة الى الارتحال من بخارى والانتقال عنها الى جرجان . وكان قصدي الأمير قابوس. فاتفق في اثناء هذا أخذ قابوس وحبسهُ وموتهُ . ثم مضيت الى دهستان ومرضت بها مرضاً صعباً وعدت الى جرجان (اه) . قال أبو عُبيد الجوزجاني : وصنّف ابن سينا بجرجان اوّل القانون ومختصر المجسطي وغير ذلك . ثم انتقل الى الري واتّصل بخدمة السيدة وابنها مجد الدولة . ثم خرج الى قزوين ومنها الى همذان فاتّصل بخدمة كربانويه وتولى النظر في اسبابها . ثم سألوهُ تقلّد الوزارة فتقلّدها ثم اتّفق تشويش العسكر عليهِ واشفاقهم منهُ على انفسهم . فكبسوا دارهُ وأخذوهُ الى الحبس وأخذوا جميع ما كان يملكهُ . وساموا الامير شمس الدولة قتلهُ . فامتنع منهُ وعدل الى نفيهِ عن الدولة طلباً لمرضاتهم . فتوارى الشيخ في دار بعض اصدقائهِ اربعين يوماً فعاد الأمير طلبهُ وقلّدهُ الوزارة ثانياً . ولما توفي شمس الدولة وبويع ابنهُ طلبوا ان يستوزروا الشيخ فأبى عليهم وتوارى في دار أبي غالب العطّار . وهناك أتى على جميع الطبيعيات والالهيات ما خلا كتابي الحيوان والنبات من كتاب الشفاء. وكاتب علاء الدولة سرّاً يطلب المسير اليهِ فاتّهمهُ تاجُ الملك بمكاتبتهِ وانكر عليهِ ذلك . وحثّ في طلبهِ فدلّ عليهِ بعضُ أعدائهِ فاخذوهُ وأدّوهُ الى قلعة يقال لها بردوان وانشأ هناك قصيدة منها :

دخولي باليقين كما تراهُ وكل الشكّ في أمر الخروجِ

وبقي فيها أربعة أشهر ثم اخرجوهُ وحملوهُ الى همذان . ثم خرج منها متنكراً وانا واخوهُ وغلامان معهُ في زي الصوفيّة . الى ان وصلنا الى اصفهان فصادف في مجلس علاء الدولة الاكرام والاعزاز الذي يستحقهُ مثلهُ وصنّف هناك كتباً كثيرة . وكان سبب موتهِ قولنج عرض لهُ . وكان ينتكس ويبرأ كل وقت ثم قصد علاء الدولة همذان وسار معهُ الشيخ. فعاودتهُ في الطريق تلك العلّة الى ان وصل الى همذان . وعلم ان قوّتهُ قد سقطت وانها لا تفي بدفع المرض . فاهمل مداواته لنفسهِ وأخذ يقول المدبّر الذي كان يدبّرني قد عجز عن التدبير . والآن فلا تنفع المعالجة وبقي على هذا أياماً ثم انتقل الى جوار ربهِ ودُفن بهمذان . وفيهِ قال بعضهم :

ما نفع الرئيسَ من حكمهِ الطـ ـبّ ولا حكمهُ على النيّرات
ما شفـاهُ الشِّفاءُ من ألمِ المو ت ولا. نجاهُ كتاب النجاةِ

وكفر الغزاليُّ ابن سينا في اصولٍ . منها قولهُ لأجسـاد لا تحشر وانما المثاب والمعاقب هي الارواح وقولهُ بقدم العالم واعتقاد هذا كفر صريح (لابي الفرج الملطيّ)

مؤرّخو المسلمين

إبنُ الأثيرِ (٥٥٥ ـ ٦٣٠ هـ) (١١٥٩ ـ ١٢٣٣ م)

٣٠٧ أبو الحسن علي بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقّب عزّ الدين . وُلد بالجزيرة ونشأ بها ثم سار الى الموصل مع والدهِ وأخويهِ . وسكن الموصل وسمع بها من أبي الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب الطوسي ومن في طبقتهِ . وقدم بغداد مراراً حاجاً ورسولاً من صاحب الموصل . ثم رحل الى الشام والقدس وسمع هناك من جماعة . ثم عاد الى الموصل ولزم بيتهُ منقطعاً الى التوفّر على النظر في العلم والتصنيف . وكان بيتهُ مجمع الفضل لأهل الموصل والواردين عليها . وكان إماماً في حفظ الحديث ومعرفتهِ وما يتعلّق بهِ وحافظاً للتواريخ المتقدّمة والمتأخرة . وخبيرًا بانساب العرب وايامهم ووقائعهم واخبارهم . صنّف في التاريخ كتاباً كبيرًا سمّاهُ الكامل ابتدأ فيهِ من اول الزمان الى آخر سنة ثمان وعشرين وستمائة . وهو من خيار التواريخ واختصر كتاب الانساب لابي سعد عبد الكريم السمعـاني . واستدرك عليهِ فيهِ مواضع ونبّه على اغلاط . وزاد اشياء اهملها . وهو كتاب مفيد جدًّا واكثر ما يوجد اليوم بايدي الناس هذا المختصر . ولهُ كتاب اخبار الصحابة في ست مجلّدات كبار . وأقام بحلب بصورة الضيف عند الطواشي شهاب الدين طغريل الخادم اتابك الملك العزيز ابن الملك الظاهر صاحب حلب وكانت فيها وفاتهُ (لابن خلّكان)

إبنُ خَلْدُون (٧٣٢ ـ ٨٠٨ هـ) (١٣٣٢ ـ ١٤٠٦ م)

٣٠٨ هو محمد بن عبد الرحمان بن خلدون الحضرمي قاضي القضاة ويُنسب سلفهُ الى وائل بن حجر من عرب اليمن . وكانوا نزلاء اشبيلية فعند الحادثة بالاندلس انتقلوا منها عن نباهة وشهرة واستقرّوا بتونس . واما المترجَم بهِ فهو رجل فاضل حسن الخلق . جم الفضائل باهر المحصل . رفيع القدر ظاهر الحياء . اصيل المجد وَقُور المجلس . خاصّيّ الزيّ عالي الهمّـة . عزوف عن الضيم صعب المقادة . قوي الجاش طامح لقنن الرئاسة . خاطب للحظ متقدّم في فنون عقليّة ونقليّة . متعدّد المزايا سديد البحث كثير الحفظ صحيح التصوّر . بارع الخط مغرًى بالتجلة . جواد حسن العشرة مبذول المشاركة . مقيم لرسم التعيّن عاكف على رعي خلال الاصالة . مفخر من مفاخر التخوم المغربيّة . قرأ القرآن ببلده . وتأدّب بابيهِ وانصرف من افريقية منشئهِ

بعد ان تعلّق بالخدمة السلطانيّة على الحداثة واقامتهِ لرسم العلامة بحكم الاستنابة عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة . وعرف فضلهُ وخطبهُ السلطان منفق سوق العلم والأدب أبو عنان فارس ابن علي بن عثمان واستحضره بمجلس المذاكرة . فعرف حقهُ وأوجب فضلهُ واستعملهُ على الكتابة اوائل عام ستّة وخمسين . ثم عظم عليهِ حمل الخاصة من طلبة الحضرة لبعدهِ عن حسن التأتي وشفوفهِ بثقوب الفهم وجودة الادراك . فاغروا بهِ السلطان . فاصابهُ شدّة تخلّصهُ منها اجلهُ الى ان افضى الأمر الى السعيد ولدهِ . فاعتبهُ قيم الملك لحينهِ وأعادهُ الى رسمهِ ودالت الدولة الى السلطان أبي سالم وكان لهُ بهِ الاتصال قبل تسوّغ المحنة بما أكّد حظوتهُ . فقلّدهُ ديوان الانشاء مطلق الجرايات محرّر السهام نبيه الرتبة الى آخر أيامهِ . ولمّا ألقت الدولة مقادها بعدهُ الى الوزير عُمَر بن عبد الله مدبّر الأمر ولهُ اليهِ وسيلة وفي حليهِ شركة وعندهُ حق رابهُ تقصيرهُ عمّا ارتقى اليهِ أملهُ فساء ما بينهما بما آل الى انفصالهِ عن الباب المريني . وورد على الأندلس في أوّل ربيع الأوّل عام أربعة وستين وسبعمائة . واهتزّ لهُ السلطان وأركب خاصّتهُ لتلقيهِ وأكرم وفادتهُ . وخلع عليهِ وأجلسهُ بمجلسهِ . ولم يدّخر عنهُ برًّا ومؤاكلة ومراكبة ومطايبة . ولهُ التاريخ الكبير الذي سمّاهُ ديوان العبر وكتاب المبتدا والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر . وقد عرّف في آخرهِ بنفسهِ وأطال وذكر انهُ لمّا كان بالأندلس وحظي عند السلطان أبي عبد الله شمّ من وزيرهِ ابن الخطيب رائحة الانقباض فقوّض الرحال ولم يرضَ من الاقامة بحال . ولعب بكرتهِ صوالجة الاقدار . حتّى حل بالقاهرة المُعزّية واتخذها خير دار . وتولى بها قضاء القضاة . ثم قدم على تمرلنك . فأكرمهُ غاية الاكرام وأعادهُ الى الديار المصرية . وقد كان ابن خلدون هذا من عجائب الزمان . ولهُ من النظم والنثر ما يزري بعقود الجمان . مع الهمة العليّة . والتبحر في العلوم النقليّة والعقلية . وكانت وفاتهُ بالقاهرة . قال الحاج خليفة : ومقدمة ابن خلدون المشهورة هي الكتاب الاول من تاريخهِ المذكور آنفًا وهي في العمران وما يعرض لهُ . ولابن خلدون نظمٌ رائق منهُ قولهُ يهنئ بعض الوزراء :

هنيئًا بصومٍ لا عداهُ قَبُولُ	وبُشرى بعيدٍ انتَ فيهِ مُنيلُ
وهُنِّئتها من عزّةٍ وسعادةٍ	تَتابعُ اعوامٌ بها وفصولُ
سقى الله دهرًا انتَ انسانُ عينهِ	ولامسَّ رَبعًا في حماك مُحولُ
فعصرُكَ ما بين الليالي مواسمٌ	لها غُرَرٌ وضّاحةٌ وحجولُ

(للمقري)

أبو الفداء (٦٧٢ ـ ٧٣٢ هـ)(١٢٧٣ ـ ١٣٣١ م)

٣٠٩ اسماعيل بن عليّ بن شاذي الملك المؤيّد عماد الدين أبو الفداء صاحب حماة برع في الفقه والاصول والعربيّة والتاريخ والادب وصار من جملة امراء دمشق الى ان كان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالكرك و بالغ في خدمتهِ الى ان وعدهُ الملك الناصر محمد بسلطنة حماة

ثم قام بوعدهِ بعد مدةٍ وجعل ابا الفداء سلطاناً على حماة . واحضرهُ الى القاهرة فاكرمهُ وأركبهُ بشعار السلطنة ومشى الامراء والاكابر في خدمتهِ حتى مشى الأمير ارغون النائب بالديار المصريَّة . وقام لهُ الملك الناصر بكل ما يحتاج اليهِ من التشريف والانعامات على وجوه الدولة والخيول بقماش الذهب وغير ذلك ولقَّبهُ بالملك الصالح وأمرهُ بالتوجه الى محلّ سلطنتهِ بحماة . فخرج اليها من ديار مصر بتجمل زائد وعظمة على عادة الملوك . فوصلها في جمادى الاخرة سنة عشر وسبعمائة . ثمَّ عن قليل غيَّر السلطان لقبهُ ولقَّبهُ بالملك المؤيد وذلك لمَّا حجَّ معهُ في سنة تسع عشرة وسبعمائة . وعاد معهُ الى القاهرة واذن لهُ ان يخطب باسمهِ بحماة واعمالها على ما كان عليهِ سلفهُ من ملوك حماة . وكان الملك المؤيد في كل قليل يتوجَّه من حماة الى القاهرة ومعهُ أنواع من الهدايا والتحف للملك الناصر محمد بن قلاوون ويعود الى محلّ سلطنتهِ ثم في كل قليل يتحف الملك الناصر بالاشياء الظريفة الغريبة . قال بعضهم في وصفهِ : هو الملك الجليل . وامامٌ ظلّهُ ظليل . عالم تخفق بالنصر أعلامهُ . وحاكم تجري لمصالح الرعيَّة أقلامهُ . بيتهُ مشيَّد . وملكهُ مؤيَّد . وصدره للطالبين مشروح . وبابهُ لأرباب الفضائل مفتوح . كان جواداً سخياً . باسلاً كمياً . ممدوحاً محموداً . منتاباً مقصوداً . ذا تدبير وسياسة وحشمة ورئاسة . وفضل ومكارم . وحلم ومراحم وعدل وانصاف . ومعروف وأوقاف . يحبّ أهل العلم والأدب . ويفيض عليهم سحائب القرب والقُرَب . زاحم بهمَّتهِ النجوم . وشارك في عدَّة من العلوم . وألَّف تاريخاً كثير الفوائد . ونظم الحاوي نظماً يسخر بالعقود والقلائد . ولهُ مصنَّفات معروفة . وقريض بهِ قراضة ذهبهِ موصوفة . باشر النيابة ثم السلطنة بحماة مدَّة طويلة . واسدى الى سكان حماها ما استوجب بهِ شكر مناقبهِ الجميلة

وكان لهُ نظم ونثر وتصانيف كثيرة . وكتاب تقويم البلدان هذَّبهُ وجدولهُ . وكتاب الموازين . وكانت وفاتهُ بحماة ودُفن في تربتهِ المعروفة بانشائهِ عن ستين سنة . ورثاهُ محمد بن نباتة المصري بعدَّة مراثٍ أشهرها قولهُ :

ما للندى لا يلبي صوت داعيهِ ... اظن ان ابن شاذٍ قام ناعيهِ
ما للرجاء قد استدَّت مذاهبهُ ... وللزمان قد اسودَّت نواحيهِ
مالي أرى المُلك قد فضَّت مواقفهُ ... مالي أرى الوفد قد فاضت مآقيهِ
نعى المؤيد ناعيهِ فيا أسفاً ... للغيث كيف غدت عنَّا غواديهِ
وا روعتا لصباحٍ من رزيتهِ ... اظنّ ان صباح الحشر ثانيهِ
وا حسرتاه لنظمي في مدائحهِ ... كيف استحال لنظمي في مراثيهِ
ابكيهِ بالدرّ من جفني ومن كلمي ... والبحر أحسن ما بالدرّ ابكيهِ
اروي بدمعي ثرى ملكٍ لهُ شيمٌ ... قد كان يذكرها الصادي فترويهِ

أُذيل ماء جفوني بعدهُ أسفاً لماء وجهي الذي قد كان يحميهِ
جارٍ من الدمع لا ينفكُّ يطلقهُ مَن كان يُطلق بالانعام جاريهِ
ومهجة كلّما فاهت بلوعتها قالت رزيّة مولاها لها ايهِ
ليت المؤيّد لا زادت عوارفهُ فزاد قلبي المعنّى من تلظّيهِ
ليت الأصاغر يُفدَى الاكبرون جا فكانت الشهب في الآفاق تفديهِ

ألطَّبَرِيُّ (٢٢٤ ـ ٣١٠ ﻫ) (٨٢٩ ـ ٩٢٣ م)

٣١٠ ابو جعفر محمد بن جرير صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير . كان احد أئمّة العلماء يحكم بقولهِ ويرجع الى رأيهِ لمعرفتهِ وفضلهِ . وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركهُ فيهِ أحد من أهل عصرهِ . وكان بصيرًا عارفاً بايام الناس . وتاريخهُ أصحّ التواريخ وأثبتها لم يقلّد فيهِ أحدًا . واستوطن الطبري بغداد وأقام فيها حتى توفي . وكان اسمر الى الادمة اعين نحيف الجسم مديد القامة فصيح اللسان ذكر لهُ ابو اسحاق الشيرازي شعرًا :

اذا أعسرتُ لم يعلم شقيقي واستغني فيستغني صديقي
حيائي حافظٌ لي ماء وجهي ورفقي في مطالبتي رفيقي
ولو اني سمحتُ ببذل نفسي لكنتُ الى الغنى سهل الطريقِ

تَقِيُّ الدِّينِ المَقْرِيزِيُّ (٧٦٦ ـ ٨٤٥ ﻫ) (١٣٦٥ ـ ١٤٤٢ م)

٣١١ هو أحمد بن عبد الصمد الشيخ الامام العالم البارع عمدة المؤرّخين وعين المحدثين تقي الدين المقريزي البعلبكي الأصل المصري الدار والوفاة . نشأ بالقاهرة وتفقّه على مذهب الحنفيّة . ثم تحوّل شافعيّاً بعد مدّة طويلة . وتفقّه وبرع وصنّف التصانيف المفيدة النافعة الجامعة لكل علم . وكان ضابطاً مؤرّخاً مفنّناً محدّثاً معظّماً في الدول . ولي حسبة القاهرة أوّل ولايتهِ من قبل الملك الظاهر برقوق عوضاً عن شمس الدين محمد النحاسي ثم عزل بالقاضي بدر الدين العينتابي ثم وليها عنهُ ايضاً وولي عدّة وظائف دينيّة . وعرض عليهِ قضاء دمشق في أوائل الدولة الناصريّة فأبى ان يقبل ذلك . وكان اماماً مفنّناً كتب الكتب الكثيرة بخطهِ وانتقى اشياء وحصل الفوائد . واشتهر ذكرهُ في حياتهِ وبعد موتهِ في التاريخ وغيرهِ . حتى صار بهِ يُضرَب المثل . وكان لهُ محاسن شتّى ومحاضرة جيّدة الى الغاية لاسيما في ذكر السلف من العلماء والملوك وغير ذلك . وكان منقطعاً في دارهِ ملازماً للعبادة قلّ ان يتردّد الى أحدٍ الّا لضرورة . وقرأت عليهِ كثيرًا من مصنّفاتهِ وكان يرجع الى قولي فيما اذكرهُ لهُ من الصواب ويغيّر ما كتبهُ أوّلاً في مصنّفاتهِ . وانتفعتُ بهِ واستفدتُ منهُ وكان كثير الكتابة والتصنيف . وصنّف كتباً كثيرة من ذلك إمتاع الأسماع في ستة مجلّدات وهو كتاب نفيس ولهُ كتاب

الخبر عن البشر ذكر فيهِ القبائل في اربعة مجلّدات وعمل لهُ مقدّمة في مجلد . وكتاب السلوك في معرفة دول الملوك في عدَّة مجلّدات يشتمل على ذكر ما وقع من الحوادث الى يوم وفاتهِ . ولهُ تاريخهُ الكبير المقفي في تراجم أهل مصر والواردين اليها ولو كمل هذا التاريخ تجاوز الثمانين مجلّدًا . ولهُ كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار في عدَّة مجلّدات وهو في غاية الحسن.وكتاب مجمع الفوائد ومنبع العوائد كمل منهُ نحو الثمانين مجلدًا كالتذكرة وكتاب شذور العقود وكتاب الأوزان والاكيال الشرعيَّة . وكتاب ازالة التعب والعناء في معرفة الحال في الغناء . وكتاب المقاصد السنيَّة في الأجسام المعدنيَّة . ولهُ عدَّة تصانيف أُخر ولم يزل ضابطاً حافظاً للوقائع والتاريخ الى ان توفي ودُفِن بالقاهرة (المنهل الصافي لابي المحاسن)

ألواقِديّ (١٣٠ـ٢٠٧ هـ) (٧٤٧ـ٨٢٣ م)

٣١٢ أبو عبد الله محمد الواقدي المدني مولى بني هاشم . كان اماماً عالماً لهُ التصانيف في المغازي وغيرها . ولهُ كتاب الردَّة ذكر فيهِ ارتداد العرب . ويُعزَى اليهِ تاريخ فتوح الشام والجزيرة وغيرهما . وتولى الواقدي القضاء بشرقي بغداد وكان المأمون يكرم جانبهُ ويبالغ في رعايتهِ . ومن غريب ما أخبر الواقدي عن نفسهِ ما نصهُ قال : كان لي صديقان احدهما هاشمي وكنا كنفس واحدة فنالتني ضائقة شديدة وحضر العيد . فقالت امرأتي : امَّا نحن في انفسنا فنصبر على البؤس والشدَّة. وامَّا صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي لانهم يرون صبيان الجيران قد تزيَّنوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثَّة فلو احتلت في شيء فصرفتهُ في كسوتهم. (قال) فكتبت الى صديقي الهاشمي اسألهُ التوسعة عليَّ بما حضر فوجَّه اليَّ كيساً مختوماً ذكر ان فيهِ الف درهم . فما استقرَّ قراري حتى كتب اليَّ الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت لي صاحبي الهاشمي . فوجَّهت اليهِ الكيس بختمهِ وخرجت الى المسجد فاقمت فيهِ ليلتي مستحيًا من امرأتي. فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنّفني عليهِ . فبينا انا كذلك اذ وافى صديقي الهاشمي ومعهُ الكيس كهيئتهِ . فقال لي : أَصدِقني عمَّا فعلتهُ فيما وجَّهت بهِ اليك . فعرَّفتهُ الخبر على وجهه فقال لي : انك وجَّهت اليَّ وما املكُ على الارض الّا ما بعثتُ بهِ اليك . وكتبت الى صديقنا اسألهُ المواساة فوجَّه كيسي بخاتمي . قال الواقدي : فتواسينا الف درهم فيما بيننا . ونمى الخبر الى المأمون فدعا بي فشرحت لهُ الخبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد منَّا ألفي دينار وللمرأة ألف دينار (*) (وفيات الاعيان لابن خلكان)

(*) وقد اشتهر ايضاً من المؤرّخين المسلمين ابو الحسن المسعودي (٣٤٥ هـ) كان صاحب غرائب ومُلح ولهُ عدَّة مصنَّفات منها ذخائر العلوم والتاريخ المسمَّى مروج الذهب . ومنهم ابن الوردي (٧٤٩ هـ) وكان متفنناً بالعلوم لهُ تتمة تاريخ إبي الفداء وخريدة العجائب في تخطيط البلدان. ومنهم شهاب الدين النُّويري (٧٣٢ هـ) صاحب نهاية الأرب في فنون العرب

الباب السابع عشر
في التاريخ

دولة العباسيين

ابتداء دولة بني عبّاس (٧٥٠) خلافة السفّاح (٧٥٠ – ٧٥٤م)

٣١٢ لمّا اضطرب حبل بني أمية انتقل الملك إلى آل عبّاس. واعلم أنّ الدولة العباسيّة كانت دولة ذات خدع ودهاء وغدر. وكان قسم التحيّل والمخادعة فيها أوفر من قسم القوّة والشدّة خصوصاً في أواخرها. فإنّ المتأخرين منهم بطّلوا قوة الشدّة والنجدة وركنوا إلى الحيل والخدع. إلّا أنّها كانت دولة كثيرة المحاسن جمّة المكارم أسواق العلوم فيها قائمة. وبضائع الآداب فيها نافقة. وشعائر الدين فيها معظّمة. والخيرات فيها دائرة. والدنيا عامرة. والحرمات مرعيّة. والثغور محصّنة. حتى كانت أواخرها فانتشر الجبر واضطرب الأمر

وأوّل من تولّى الخلافة منهم أبو العبّاس السفّاح (١٣٢هـ). وكان كريماً وقوراً عاقلاً كاملاً كثير الحياء حسن الأخلاق. وتحوّل السفّاح من الحيرة إلى الأنبار. ولمّا استوثق له الأمر تتبّع بقايا بني أميّة ورجالهم فوضع السيف فيهم وأغراه على قتلهم سُديف الشاعر فأنشده وسليمان بن عبد الملك حاضر في مجلسه مع سبعين رجلاً من بني أميّة:

لا يغرّنك ما ترى من رجالٍ إنّ تحت الضلوع داءً دويّا

فَضَعِ ٱلسَّيْفَ وَٱرْفَعِ ٱلسَّوْطَ حَتَّى لَا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أُمَوِيَّا

فَٱلْتَفَتَ أَحَدُهُمْ إِلَى مَنْ بِجَانِبِهِ وَقَالَ: قَتَلَنَا ٱلْعَبْدُ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِمِ ٱلسَّفَّاحُ فَضُرِبُوا بِٱلسُّيُوفِ حَتَّى قُتِلُوا. وَبَسَطَ ٱلنُّطُوعَ عَلَيْهِمْ وَجَلَسَ فَوْقَهُمْ فَأَكَلَ ٱلطَّعَامَ وَهُوَ يَسْمَعُ أَنِينَ بَعْضِهِمْ حَتَّى مَاتُوا جَمِيعًا. وَبَالَغَ بَنُو ٱلْعَبَّاسِ فِي ٱسْتِئْصَالِ شَأْفَةِ بَنِي أُمَيَّةَ حَتَّى نَبَشُوا قُبُورَهُمْ بِدِمَشْقَ وَٱسْتَصْفَوْا أَمْوَالَ أَصْحَابِهِمْ. ثُمَّ لَمْ تَطُلْ مُدَّةُ ٱلسَّفَّاحِ حَتَّى مَاتَ بِٱلْأَنْبَارِ سَنَةَ مِئَةٍ وَسِتٍّ وَثَلَاثِينَ. وَٱسْتَوْزَرَ لَهُ حَفْصُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَبُو سَلَمَةَ ٱلْخَلَّالُ وَكَانَ سَمْحًا كَرِيمًا مِطْعَامًا كَثِيرَ ٱلْبَذْلِ مَشْغُوفًا بِٱلتَّنَوُّقِ بِٱلسِّلَاحِ وَٱلدَّوَابِّ فَصِيحًا عَالِمًا بِٱلْأَخْبَارِ وَٱلْأَشْعَارِ وَٱلسِّيَرِ وَٱلْجَدَلِ وَٱلتَّفْسِيرِ حَاضِرَ ٱلْحُجَّةِ ذَا يَسَارٍ وَمُرُوَّةٍ ظَاهِرَةٍ. فَلَمَّا بُويِعَ ٱلسَّفَّاحُ ٱسْتَوْزَرَهُ وَفَوَّضَ ٱلْأُمُورَ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ ٱلدَّوَاوِينَ وَلُقِّبَ وَزِيرَ آلِ مُحَمَّدٍ. ثُمَّ تَغَيَّرَ عَلَيْهِ وَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ يُعْلِمُهُ بِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ أَبُو سَلَمَةَ مِنْ نَقْلِ ٱلدَّوْلَةِ عَنْ بَنِي عَبَّاسٍ. فَلَمَّا قَرَأَ أَبُو مُسْلِمٍ ٱلْكِتَابَ فَطِنَ لِغَرَضِ ٱلسَّفَّاحِ فَأَرْسَلَ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ قَتَلُوا أَبَا سَلَمَةَ (للفخري)

ابو جعفر المنصور (٧٥٤ — ٧٧٥)

٣١٤ بُويِعَ فِي سَنَةِ مِئَةٍ وَسِتٍّ وَثَلَاثِينَ. وَكَانَ ٱلْمَنْصُورُ مِنْ عُظَمَاءِ ٱلْمُلُوكِ وَحَزَمَتِهِمْ وَعُقَلَائِهِمْ وَذَوِي ٱلْآرَاءِ ٱلصَّائِبَةِ مِنْهُمْ وَٱلتَّدْبِيرَاتِ ٱلسَّدِيدَةِ. وَقُورًا شَدِيدَ ٱلْوَقَارِ حَسَنَ ٱلْخُلُقِ فِي ٱلْخَلْوَةِ مِنْ أَشَدِّ ٱلنَّاسِ ٱحْتِمَالًا لِمَا يَكُونُ مِنْ عَبَثٍ أَوْ مُزَاحٍ. وَكَانَ يَلْبَسُ ٱلْخَشِنَ وَرُبَّمَا رَقَعَ

قميصه ولم يكن يرى في دار المنصور لهو ولعب. قال يزيد بن هبيرة: ما رأيت رجلاً في حرب أو سلم أمكر أو أنكر ولا أشد تيقظاً من المنصور. لقد حاصرني تسعة شهور ومعي فرسان العرب فجهدنا كل الجهد حتى نال من عسكره شيئاً فما قدرنا لشدة ضبطه له وتيقظه. ورتب القواعد وأقام الناموس. وكان مبخلاً يضرب بشحه الأمثال. فسمي لبخله أبا الدوانيق لمحاسبة العمال والصناع على الدانق والحبة. والصحيح أنه كان رجلاً حازماً يعطي في موضع العطاء ويمنع في موضع المنع. وكان المنع عليه أغلب. ولما بويع للمنصور قتل أبا مسلم الخراساني وكان سبب قتله أن أبا مسلم كان قد قدم من الحج مع أبي جعفر المنصور فأرسله لقتال عمه عبد الله بن علي وكان عبد الله بأرض نصيبين. فاقتتل هو وأبو مسلم عدة دفوع حتى انهزم عبد الله بن علي وظفر بعسكره. فكتب المنصور إلى أبي مسلم بالولاية على مصر والشام وصرفه عن خراسان. فلم يجب أبو مسلم إلى ذلك وتوجه يريد خراسان. فخافه أبو جعفر المنصور وأجمع الرأي وعمل المكايد وهجر النوم إلى أن اقتنصه. فلما دخل على المنصور أقبل عليه يعاتبه ويذكر عثراته. فجعل أبو مسلم يعتذر إليه. فقال: قتلني الله إن لم أقتلك. ثم أوعز إلى حرسه فضربوه بسيوفهم وهو يصرخ ويستأمن ويقول: استبقني لعدوك يا أمير المؤمنين. فقال له المنصور: وأي عدو إلي أعدى منك. وكان أبو مسلم ذا رأي وتدبير وحزم

وَمُرُوءَةٍ . وَكَانَ فَتَّاكًا قَاسِيَ ٱلْقَلْبِ سَوْطُهُ سَيْفُهُ . وَفِي عَهْدِهِ خَرَجَ ٱلرَّاوَنْدِيَّةُ وَكَانَ هٰؤُلَاءِ قَوْمًا مِنْ أَتْبَاعِ أَبِي مُسْلِمٍ يَقُولُونَ بِٱلتَّنَاسُخِ . فَحَبَسَ ٱلْمَنْصُورُ نَحْوًا مِنْ مِائَتَيْنِ مِنْهُمْ فَغَضِبَ ٱلْبَاقُونَ وَٱجْتَمَعُوا وَحَمَلُوا بَيْنَهُمْ نَعْشًا كَأَنَّهُمْ فِي جِنَازَةٍ وَجَاءُوا إِلَى ٱلسِّجْنِ فَرَمَوْا بِٱلنَّعْشِ وَأَخْرَجُوا أَصْحَابَهُمْ . وَحَمَلُوا عَلَى ٱلنَّاسِ فِي سِتِّمِائَةِ رَجُلٍ وَقَصَدُوا قَصْرَ ٱلْمَنْصُورِ . فَخَرَجَ ٱلْمَنْصُورُ مِنَ ٱلْقَصْرِ مَاشِيًا وَجَاءَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ ٱلشَّيْبَانِيُّ وَكَانَ مُسْتَخْفِيًا مِنَ ٱلْمَنْصُورِ لِقِتَالِهِ مَعَ ٱبْنِ هُبَيْرَةَ وَقَدِ ٱشْتَدَّ طَلَبُ ٱلْمَنْصُورِ لَهُ . فَحَضَرَ عِنْدَهُ مُتَلَثِّمًا هٰذَا ٱلْيَوْمَ فَقَاتَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قِتَالًا شَدِيدًا وَأَبْلَى بَلَاءً حَسَنًا . وَكَانَ ٱلْمَنْصُورُ رَاكِبًا عَلَى بَغْلَةٍ وَلِجَامُهَا فِي يَدِ ٱلرَّبِيعِ حَاجِبِهِ فَأَتَى مَعْنٌ وَقَالَ: تَنَحَّ فَأَنَا أَحَقُّ بِهٰذَا ٱللِّجَامِ فِي هٰذَا ٱلْوَقْتِ . فَقَالَ ٱلْمَنْصُورُ : صَدَقَ . ٱدْفَعِ ٱللِّجَامَ إِلَيْهِ . فَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ حَتَّى ٱنْكَشَفَتِ ٱلْحَالُ وَظَفِرَ بِٱلرَّاوَنْدِيَّةِ فَٱسْتَنْسَبَهُ ٱلْمَنْصُورُ فَقَالَ: طَلِبَتُكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ . فَقَالَ : قَدْ أَمَّنَكَ ٱللهُ عَلَى نَفْسِكَ وَمَالِكَ وَمِثْلُكَ يُصْطَنَعُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَوَلَّاهُ ٱلْيَمَنَ (*) (تاريخ ابن خلدون)

بناء مدينة بغداد

(*) كان المنصور يكره اهل الكوفة ولا يأمن على نفسهُ منهم فتجافى عن جوارهم وسار الى مكان بغداد اليوم . وجمع من كان هنالك من البطارقة فسألهم عن أحوال مواضعهم في الحرّ والبرد والمطر والوحل والهوامّ . واستشارهم فاشاروا عليه بمكانها وقالوا: تجيئك الميرة في السفن من الشأم والرقّة ومصر والمغرب الى المصرات . ومن الصين والهند والبصرة وواسط وديار بكر والروم والموصل في دجلة . ومن ارمينية وما اتّصل بها في تامرًا حتى يتّصل بالزاب . وانت بين انهار كالخنادق ولا تُعبر الّا على القناطر والجسور . واذا قطعتها لم يكن لعدوّك مطمع

٣١٥ وفي أيام المنصور نبغت الدولة البرمكية. وكان السفاح قد استوزر بعد أبي سلمة خالد بن برمك من رجال الدولة العباسية. وكان خالد فاضلاً جليلاً كريماً حازماً يقظاً خف على قلب الخليفة وكان عظيم المنزلة عنده. فكثر الوافدون على باب خالد ومدحه الشعراء وانتجعه الناس. فلما تولى المنصور الخلافة أقره على وزارته وأكرمه واستشاره. وكانت وفاة المنصور سنة ثمان وخمسين ومائة ببير ميمونة على أميال من مكة وهو محرم بالحج. وهو ابن ثلاث وستين سنة. وكان طويلاً أسمر نحيفاً خفيف اللحية رحب الجبهة كأن عينيه لسانان ناطقان. صارماً مهيباً ذا جبروت وسطوة

وأنت متوسط بين البصرة والكوفة وواسط والموصل. قريب من البر والبحر والجبل. فشرع المنصور في عمارتها وأحضر الصناع والفعلة واختار من ذوي الفضل والعدالة والعفة والامانة والمعرفة بالهندسة منهم الحجاج بن ارطاة وأبو حنيفة الفقيه. وأمر بخطها بالرماد فشكلت ابوابها وفصلانها وطاقاتها ونواحيها. وجعل على الرماد حب القطن فاضرم ناراً ثم نظر اليها وهي تشتعل فعرف رسمها وأمر ان تحفر الأسس على ذلك الرسم. ووضع بيده أول لبنة وقال: بسم الله والحمد لله والارض لله يورثها لمن يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. وجعل المدينة مدورة وجعل قصره وسطها ليكون الناس منه على حد سواء. وجعل المسجد الجامع بجانب القصر وجعل لها سورين والداخل أعلى من الخارج. وأخرج الاسواق الى ناحية الكرخ لما كان الغرباء يطرقونها ويبيتون فيها. وجعل الطرق أربعين ذراعاً. وكان مقدار النفقة عليها في المسجد والقصر والاسواق والفصلان والخنادق والابواب أربعة آلاف الف وثمانمائة الف وثلاثة وثلاثين الف درهم. وكان هناك موضع يسمى بغداد فسميت المدينة باسمه. ويقال الزوراء وكان موضعها يسمى الزوراء قديماً. ويقال مدينة المنصور ويقال دار السلام. وقيل انه لم يمت فيها خليفة قط. فمدينة المنصور هي بغداد القديمة وهذه بغداد التي هي بالجانب الشرقي استجدت بعد ذلك (لابن خلدون بتصرف)

محمد المهدي (٧٧٥ — ٧٨٥) وابنهُ موسى الهادي (٧٨٥ — ٧٨٦)

٣١٦ ثُمَّ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ ٱلْمَهْدِيُّ بِٱللهِ. بُويِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ يَوْمَ وَفَاةِ أَبِيهِ ٱلْمَنْصُورِ بِعَهْدٍ مِنْهُ. وَأَوَّلُ مَنْ بَيْنَ تَعْزِيَتِهِ وَتَهْنِئَتِهِ أَبُو دُلَامَةَ فَقَالَ:

عَيْنَايَ وَاحِدَةٌ تُرَى مَسْرُورَةً ... بِأَمِيرِهَا جَذْلَى وَأُخْرَى تَذْرِفُ
تَبْكِي وَتَضْحَكُ تَارَةً وَيَسُوءُهَا ... مَا أَنْكَرَتْ وَيَسُرُّهَا مَا تَعْرِفُ
فَيَسُوءُهَا مَوْتُ ٱلْخَلِيفَةِ مُحْرِمًا ... وَيَسُرُّهَا أَنْ قَامَ هٰذَا يَخْلُفُ
مَا إِنْ رَأَيْتُ كَمَا رَأَيْتُ وَلَا أَرَى ... شَعْرًا أُسَرِّحُهُ وَآخَرَ أَنْتِفُ
هٰذَا حَبَاهُ ٱللهُ فَضْلَ خِلَافَةٍ ... وَلِذَاكَ جَنَّاتُ ٱلنَّعِيمِ تُزَخْرَفُ

وَكَانَ ٱلْمَهْدِيُّ شَهْمًا فَطِنًا كَرِيمًا شَدِيدًا عَلَى أَهْلِ ٱلْإِلْحَادِ وَٱلزَّنْدَقَةِ. لَا تَأْخُذُهُ فِي إِهْلَاكِهِمْ لَوْمَةُ لَائِمٍ. وَكَانَتْ أَيَّامُهُ شَبِيهَةً بِأَيَّامِ أَبِيهِ فِي ٱلْفُتُوقِ وَٱلْحَوَادِثِ وَٱلْخَوَارِجِ. وَكَانَ يَجْلِسُ فِي كُلِّ وَقْتٍ لِرَدِّ ٱلْمَظَالِمِ. وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ سَيَّرَ ٱلْمَهْدِيُّ ٱبْنَهُ ٱلرَّشِيدَ لِغَزْوِ ٱلرُّومِ فَسَارَ حَتَّى بَلَغَ خَلِيجَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَصَاحِبُ ٱلرُّومِ وَقْتَئِذٍ إِيرِينِي ٱمْرَأَةُ لَاوُنَ ٱلْمَلِكِ. وَذٰلِكَ أَنَّ ٱبْنَهَا كَانَ صَغِيرًا قَدْ هَلَكَ أَبُوهُ وَهُوَ فِي حِجْرِهَا فَجَزِعَتِ ٱلْمَرْأَةُ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ. وَطَلَبَتِ ٱلصُّلْحَ مِنَ ٱلرَّشِيدِ فَجَرَى ٱلصُّلْحُ بَيْنَهُمْ عَلَى ٱلْفِدْيَةِ. وَمَاتَ ٱلْمَهْدِيُّ بِمَاسَبَذَانَ وَٱخْتُلِفَ فِي مَوْتِهِ وَلَمَّا تُوُفِّيَ ٱلْمَهْدِيُّ كَانَ ٱلرَّشِيدُ مَعَهُ فِي مَاسَبَذَانَ فَكَتَبَ إِلَى ٱلْهَادِي يُعْلِمُهُ بِوَفَاةِ ٱلْمَهْدِيِّ وَٱلْبَيْعَةِ لَهُ. فَنَادَى بِٱلرَّحِيلِ إِلَى بَغْدَادَ وَلَمَّا قَدِمَهَا ٱسْتَوْزَرَ ٱلرَّبِيعَ بْنَ يُونُسَ. وَكَانَ ٱلرَّبِيعُ جَلِيلًا نَبِيلًا مُنَفِّذًا لِلْأُمُورِ

مَهِيباً فصيحاً كافياً حازماً خبيراً بِالْحِسَابِ وَالْأَعْمَالِ ، حاذقاً بِأُمُورِ الْمُلْكِ بصيراً بما يأتي ويذر مُحِبّاً لفعل الْخَيْرِ . وتتبع الْهَادِي الزَّنَادِقَةَ ولم تطل مُدَّتُهُ. وسبب وفاته أنّه لمّا ولي الخلافة كانت أُمُّه الخيزران تستبد بِالْأُمُورِ دونه وكلّمته يوماً في أمرٍ لم يجد إلى إجابتها سبيلاً . فقالت: لا بُدَّ من الإجابة إليه . فغضب الْهَادِي وقال : وَاللهِ لا قضيتها لكِ . قالت . إذاً لا أسألك حاجة أبداً . قال : لا أبالي . فقامت مُغْضَبَةً فقال: مكانكِ. وَاللهِ لئن بلغني أنّه وقف في بابك أحدٌ من قُوّادي لأضربنّ عنقه. ما هذه الْمَوَاكِبُ الّتي تغدو وتروح إلى بابك. أما لكِ مغزلٌ يشغلك أو مصحفٌ يذكّرك أو بيتٌ يصونك . فانصرفت وهي لا تعقل ووضعت جواريها عليه لمّا مرض فقتلنه بالغمّ وبالجلوس على وجهه فمات . وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر

هارون الرشيد (٧٨٦ — ٨٠٩)

٣١٧ وولي بعد الْهَادِي بعهدٍ من أبيه أخوه هارون الرشيد الخامس من العبّاسيين سنة سبعين ومئة ومولده في الرّيّ . وأمّه الخيزران أمّ الهادي وفيها قال مروان بن أبي حفصة الشاعر:

يا خيزرانُ هناكِ ثمّ هناكِ أمسى يسوس العالمين ابناكِ

وكان فصيحاً بليغاً أديباً كثير العبادة كثير الحجّ . قال فيه شاعرٌ :

فمن يطلب لقاءك أو يُرِدْهُ فقي الحرمين أو أقصى الثغورِ

وكان يصلّي في خلافته كلّ يوم مائة ركعة لا يتركها إلّا لعلّة .

وَيَتَصَدَّقُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ صُلْبِ مَالِهِ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . وَيُحِبُّ ٱلْعِلْمَ وَأَهْلَهُ وَيُعَظِّمُ حُرُمَاتِ ٱلْإِسْلَامِ . وَمِنْ غَرِيبِ مَا ٱتَّفَقَ لِهَارُونَ ٱلرَّشِيدِ أَنَّ أَخَاهُ مُوسَى ٱلْهَادِيَ لَمَّا وَلِيَ ٱلْخِلَافَةَ سَأَلَ عَنْ خَاتَمٍ عَظِيمِ ٱلْقَدْرِ كَانَ لِأَبِيهِ ٱلْمَهْدِيِّ . فَبَلَغَهُ أَنَّ ٱلرَّشِيدَ أَخَذَهُ فَطَلَبَهُ مِنْهُ فَٱمْتَنَعَ مِنْ إِعْطَائِهِ فَأَلَحَّ عَلَيْهِ فِيهِ فَحَنِقَ عَلَيْهِ ٱلرَّشِيدُ . وَمَرَّ عَلَى جِسْرِ بَغْدَادَ فَرَمَاهُ فِي ٱلدِّجْلَةِ . فَلَمَّا مَاتَ ٱلْهَادِي وَوَلِيَ ٱلرَّشِيدُ ٱلْخِلَافَةَ أَتَى ذٰلِكَ ٱلْمَكَانَ بِعَيْنِهِ وَمَعَهُ خَاتَمُ رَصَاصٍ . فَرَمَاهُ فِي ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ فَأَمَرَ ٱلْغَطَّاسِينَ أَنْ يَلْتَمِسُوهُ فَغَاصُوا عَلَيْهِ فَٱسْتَخْرَجُوا ٱلْخَاتَمَ ٱلْأَوَّلَ . فَسُرَّ بِهِ ٱلرَّشِيدُ وَعَدَّ ذٰلِكَ مِنْ سَعَادَتِهِ وَإِبْقَاءِ مُلْكِهِ . وَكَانَ ٱلرَّشِيدُ يَبْكِي عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى إِسْرَافِهِ وَذُنُوبِهِ . وَكَانَ قَاضِيَهُ ٱلْإِمَامُ أَبُو يُوسُفَ . وَكَانَ يُعَظِّمُهُ كَثِيرًا وَيَمْتَثِلُ أَمْرَهُ . وَلَهُ مَنَاقِبُ لَا تُحْصَى وَمَحَاسِنُ لَا تُسْتَقْصَى وَلَهُ أَخْبَارٌ فِي ٱللَّهْوِ وَٱللَّذَّاتِ سَامَحَهُ ٱللّٰهُ . وَفِي أَوَّلِ خِلَافَتِهِ حَجَّ بِٱلنَّاسِ وَفَرَّقَ مَالًا كَثِيرًا . وَكَانَ حَجُّهُ مَاشِيًا عَلَى ٱللُّبُودِ تُفْرَشُ لَهُ مِنْ مَنْزِلٍ إِلَى مَنْزِلٍ . وَفِي سَنَةِ ٱثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ بَايَعَ ٱلرَّشِيدُ لِعَبْدِ ٱللّٰهِ ٱلْمَأْمُونِ بِوِلَايَةِ ٱلْعَهْدِ بَعْدَ ٱلْأَمِينِ وَوَلَّاهُ خُرَاسَانَ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا إِلَى هَمَذَانَ وَلَقَّبَهُ ٱلْمَأْمُونَ وَسَلَّمَهُ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى ٱلْبَرْمَكِيِّ . وَغَزَا ٱلْمُسْلِمُونَ بِٱلصَّائِفَةِ فَبَلَغُوا أَفْسُسَ مَدِينَةَ أَصْحَابِ ٱلْكَهْفِ . وَٱسْتَعْمَلَ ٱلرَّشِيدُ حُمَيْدَ بْنَ مَعْيُوبٍ عَلَى ٱلْأَسَاطِيلِ مِمَّنْ بِسَوَاحِلِ ٱلشَّامِ وَمِصْرَ إِلَى قُبْرُسَ فَهَزَمَ وَخَرَّبَ وَسَبَى مِنْ أَهْلِهَا نَحْوًا مِنْ سَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفًا وَجَاءَ بِهِمْ إِلَى ٱلْوَاقِعَةِ

فَبِعُوا بِهَا. وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ خَلَعَتِ الرُّومُ إِيرِينِي الْمَلِكَةَ وَمَلَّكُوا نِيقِيفُورَ وَكَانَتْ إِيرِينِي تُعَظِّمُ الرَّشِيدَ وَتُبَجِّلُهُ وَتُدِرُّ عَلَيْهِ الْهَدَايَا. فَلَمَّا تَوَلَّى نِيقِيفُورُ وَعَاثَ وَتَمَكَّنَ مِنْ مُلْكِهِ كَتَبَ إِلَى الرَّشِيدِ: مِنْ نِيقِيفُورَ مَلِكِ الرُّومِ إِلَى الرَّشِيدِ مَلِكِ الْعَرَبِ. أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَلِكَةَ إِيرِينِي كَانَتْ وَضَعَتْكَ مَوْضِعَ الْمُلُوكِ وَوَضَعَتْ نَفْسَهَا مَوْضِعَ السُّوقَةِ. وَإِنِّي وَاضِعُكَ بِغَيْرِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَعَامِلٌ عَلَى تَطَرُّقِ بِلَادِكَ وَالْهُجُومِ عَلَى أَمْصَارِكَ أَوْ تُؤَدِّيَ إِلَيَّ مَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ تُؤَدِّي إِلَيْكَ. وَالسَّلَامُ. فَلَمَّا وَرَدَ كِتَابُهُ عَلَى الرَّشِيدِ اسْتَفَزَّهُ الْغَضَبُ وَكَتَبَ إِلَيْهِ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ مِنْ عَبْدِ اللهِ هَارُونَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى نِيقِيفُورَ زَعِيمِ الرُّومِ. فَهِمْتُ كِتَابَكَ وَالْجَوَابُ مَا تَرَاهُ دُونَ مَا تَسْمَعُهُ. ثُمَّ شَخَصَ مِنْ شَهْرِهِ ذَلِكَ يَؤُمُّ بِلَادَ الرُّومِ فِي جَمْعٍ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ وَقُوَّادٍ لَا يُجَارَوْنَ نَجْدَةً وَرَأْيًا. فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ نِيقِيفُورَ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ. وَجَدَّ الرَّشِيدُ يَتَوَغَّلُ بِلَادَ الرُّومِ فَيَقْتُلُ وَيَغْنَمُ وَيَسْبِي وَيُخَرِّبُ الْحُصُونَ وَيُعَفِّي الْآثَارَ حَتَّى أَنَاخَ عَلَى هِرَقْلَةَ وَهِيَ مِنْ أَوْثَقِ حِصْنٍ وَأَعَزِّهِ جَانِبًا وَأَمْنَعِهِ رُكْنًا. فَحَصَرَ الرَّشِيدُ أَهْلَهَا وَغَمَّهُمْ وَأَلَحَّ بِالْمَجَانِيقِ وَالسِّهَامِ وَالْعَرَّادَاتِ حَتَّى رَمَوْا سُورَهَا وَفَتَحَ الْأَهْلُ الْأَبْوَابَ مُسْتَأْمِنِينَ. وَفِي هٰذِهِ السَّنَةِ ذَاتِهَا أَوْقَعَ الرَّشِيدُ بِالْبَرَامِكَةِ وَقَتَلَ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى وَكَتَبَ إِلَى الْعُمَّالِ فِي جَمِيعِ النَّوَاحِي بِالْقَبْضِ عَلَى الْبَرَامِكَةِ وَاسْتَصْفَى مَالَهُمْ (*)

(*) قال ابن خلدون: انما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم

وَفِي سَنَةِ ٱثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ سَارَ ٱلرَّشِيدُ مِنَ ٱلرَّقَّةِ إِلَى بَغْدَادَ يُرِيدُ خُرَاسَانَ لِحَرْبِ رَافِعِ بْنِ ٱللَّيْثِ وَكَانَ ظَهَرَ بِبِلَادِ مَا وَرَاءَ ٱلنَّهْرِ مُخَالِفًا لِلرَّشِيدِ بِسَمَرْقَنْدَ. وَلَمَّا صَارَ ٱلْخَلِيفَةُ بِبَعْضِ ٱلطَّرِيقِ ٱبْتَدَأَتْ بِهِ ٱلْعِلَّةُ وَلَمَّا بَلَغَ جُرْجَانَ فِي صَفَرٍ ٱشْتَدَّ مَرَضُهُ وَكَانَ مَعَهُ ٱبْنُهُ ٱلْمَأْمُونُ فِي مَسِيرِهِ إِلَى مَرْوٍ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْقُوَّادِ وَسَارَ ٱلرَّشِيدُ إِلَى طُوسَ فَمَاتَ وَدُفِنَ بِهَا سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ. وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً. وَكَانَ عُمْرُهُ سَبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَكَانَ جَمِيلًا أَبْيَضَ جَعْدًا قَدْ وَخَطَهُ ٱلشَّيْبُ.

قَالَ ٱلنَّهْرَوَالِي: ٱعْلَمْ أَنَّ مِمَّا يَتَحَقَّقُهُ ٱلْعَاقِلُ أَنَّ ٱلدُّنْيَا دَارُ ٱلْأَكْدَارِ وَأَنَّ

أموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه فغلبوه على امرهِ وشركوه في سلطانهِ ولم يكن لهُ معهم تصرُّف في أمور ملكهِ فعظمت آثارهم وبعُد صيتهم وعمّروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من وُلدهم وصنائعهم واحتازوها عمّن سواهم من وزارةٍ وكتابةٍ وقيادةٍ وحجابةٍ وسيفٍ وقلمٍ. يقال انهُ كان بدار الرشيد من وُلد يحيى بن خالدٍ خمسة وعشرون رئيساً من بين صاحب سيفٍ وصاحب قلمٍ زاحموا فيها أهل الدولة بالمناكب ودفعوهم عنها بالراح لمكان أبيهم يحيى من كفالة هارون وليّ عهدٍ وخليفةً. حتّى شبّ في حجرهِ ودرج من عشّهِ وغلبهُ على أمرهِ وكان يدعوهُ: يا أبتِ. فتوجّه الإيثار من السلطان اليهم وعظمت الدالّة منهم وانبسط الجاه عندهم وانصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وقُصِرت عليهم الآمال. وتخطّت اليهم من أقصى التخوم هدايا الملوك وتحف الامراء وتسرّبت الى خزائنهم في سبيل التزلُّف والاستمالة أموال الجباية. وأفاضوا في رجال الشيعة وعظماء القرابة العطاء وطوّقوهم المِنَن وكسبوا من بيوتات الاشراف المُعدِم وفكّوا العاني ومُدِحوا بما لم يُمدَح بهِ خليفتهم. وأسنوا لعفاتهم الجوائز والصِّلات واستولوا على القرى والضياع من الضواحي والامصار في سائر الممالك حتى آسفوا البطانة وأحقدوا الخاصّة وأغصّوا أهل الولاية. فكُشفت لهم وجوه المنافسة والحسد ودبّت الى مهادهم الوثيرة من الدولة عقارب السعاية حتى لقد كان بنو قحطبة أخوال جعفرٍ من أعظم الساعين عليهم لم تعطفهم لما وقر في نفوسهم من الحسد عواطفُ الرحِم ولا وزعتهم أواصر القرابة. وقارن ذلك عند مخدومهم نواشئ الغيرة والاستنكاف من الحجر والانفة وكامن الحقود التي بعثتها منهم صغائر الدالّة وانتهى بهم الإصرار على شأنهم الى كبائر المخالفة

أَخفَ ٱلخَلْقِ بَلاءً وأَلْمَا ٱلفُقَرَاءُ. وأَعظَمَ ٱلنَّاسِ تَعَبًا وهَمًّا وغَمًّا هُمُ ٱلمُلُوكُ وَٱلأُمَرَاءُ. فَٱرْضَ بِحَالِ فَقْرِكَ. وَلَا تَتَعَدَّ طَوْرَكَ. إِنَّ هَارُونَ ٱلرَّشِيدَ مِنْ أَعقَلِ ٱلخُلَفَاءِ ٱلعَبَّاسِيِّينَ وَأَكمَلِهِمْ رَأْيًا وَتَدْبِيرًا وَفِطْنَةً وَقُوَّةً وَٱتِّسَاعَ مَمْلَكَةٍ وَكَثْرَةَ خَزَائِنَ بِحَيْثُ كَانَ يَقُولُ لِلسَّحَابَةِ: أَمْطِرِي حَيْثُ شِئْتِ فَإِنَّ خَرَاجَ ٱلأَرْضِ ٱلَّتِي تُمْطِرِينَ فِيهَا يَجِيءُ إِلَيَّ. وَمَعَ ذَٰلِكَ كَانَ أَتْعَبَهُمْ خَاطِرًا وَأَشْغَلَهُمْ قَلْبًا (لأبي الفرج الملطي وغيرهِ بتصرُّف)

الامين بن الرشيد (٨٠٩ ـ ٨١٣)

٣١٨ إِنتَهَى ٱلأَمْرُ إِلَيْهِ بَعْدَ أَبِيهِ. وَكَانَ ٱلأَمِينُ كَثِيرَ ٱللَّهْوِ وَٱللَّعِبِ مُنْقَطِعًا إِلَى ذَٰلِكَ مُشْتَغِلًا بِهِ عَنْ تَدْبِيرِ مَمْلَكَتِهِ. فَأَقْبَلَ يَنْكُثُ عَهْدَ ٱلمَأْمُونِ وَسَعَى بِخَلْعِهِ وَٱلبَيْعَةِ لِٱبْنِهِ مُوسَى. فَأَمَرَ لَهُ بِٱلدُّعَاءِ عَلَى ٱلمَنَابِرِ وَنَهَى عَنِ ٱلدُّعَاءِ لِلمَأْمُونِ. وَأَمَرَ بِإِبْطَالِ مَا ضَرَبَ ٱلمَأْمُونُ مِنَ ٱلدَّرَاهِمِ وَٱلدَّنَانِيرِ بِخُرَاسَانَ فَنَمَى ٱلشَّرُّ بَيْنَهُمَا. فَجَهَّزَ ٱلمَأْمُونُ لِقِتَالِهِ طَاهِرَ ٱبْنَ ٱلحُسَيْنِ وَهَرْثَمَةَ بْنَ أَعْيَنَ فَسَارَا إِلَيْهِ وَحَاصَرَاهُ بِبَغْدَادَ. وَتَرَامَوْا بِٱلمَجَانِيقِ وَأَقَامَ ٱلحِصَارُ مُدَّةَ سَنَةٍ فَتَضَايَقَ ٱلأَمْرُ عَلَى ٱلأَمِينِ وَفَارَقَهُ أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ. وَكَتَبَ طَاهِرُ إِلَى وُجُوهِ أَهْلِ بَغْدَادَ سِرًّا يَعِدُهُمْ إِنْ أَعَانُوهُ وَيَتَوَعَّدُهُمْ إِنْ لَمْ يَدْخُلُوا فِي طَاعَتِهِ. فَأَجَابُوهُ وَصَرَّحُوا بِخَلْعِ ٱلأَمِينِ فَنَجَا ٱلأَمِينُ بِنَفْسِهِ وَرَكِبَ حَرَّاقَةً أَعَدَّهَا لَهُ هَرْثَمَةُ. وَكَانَ وَعَدَهُ بِٱلأَمَانِ. فَلَمَّا صَارَ ٱلأَمِينُ فِي ٱلحَرَّاقَةِ خَرَجَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ طَاهِرٍ وَكَانُوا كَمَنُوا لَهُ. فَرَمَوْا ٱلحَرَّاقَةَ بِٱلحِجَارَةِ فَٱنْكَفَأَتْ بِمَنْ فِيهَا. فَشَقَّ

ٱلأَمِينِ ثِيَابَهُ وَسَبَحَ إِلَى بُسْتَانٍ فَأَدْرَكُوهُ وَحَمَلُوهُ إِلَى طَاهِرٍ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ جَمَاعَةً وَأَمَرَهُمْ بِقَتْلِهِ فَٱحْتَزُّوا رَأْسَهُ . فَأَمَرَ طَاهِرٌ بِنَصْبِهِ فَلَمَّا رَآهُ ٱلنَّاسُ سَكَنَتِ ٱلْفِتْنَةُ . ثُمَّ جَهَّزَهُ طَاهِرٌ إِلَى ٱلْمَأْمُونِ وَصُحْبَتَهُ خَاتَمُ ٱلْخِلَافَةِ . فَشَكَرَ ٱلْمَأْمُونُ ٱللّٰهَ عَلَى مَا رَزَقَهُ مِنَ ٱلظَّفَرِ (للدميري)

عبد الله المأمون اخو الامين (٨١٣ — ٨٣٣)

٣١٩ بُويِعَ لَهُ ٱلْبَيْعَةَ ٱلْعَامَّةَ فِي بَغْدَادَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ . وَكَانَ ٱلْمَأْمُونُ مِنْ أَفَاضِلِ ٱلْخُلَفَاءِ وَعُلَمَائِهِمْ وَحُكَمَائِهِمْ وَحُلَمَائِهِمْ . أَتَمَّ رِجَالِ بَنِي عَبَّاسٍ حَزْمًا وَعَزْمًا وَفِرَاسَةً وَفَهْمًا . وَكَانَ قَدْ أَخَذَ مِنَ ٱلْعُلُومِ بِقِسْطٍ . وَضَرَبَ فِيهَا بِسَهْمٍ . وَتَأَدَّبَ وَتَفَقَّهَ وَبَرَعَ فِي فُنُونِ ٱلتَّارِيخِ وَٱلْأَدَبِ وَٱلنُّجُومِ وَلَمَّا كَبِرَ ٱعْتَنَى بِٱلْفَلْسَفَةِ وَعُلُومِ ٱلْأُوَلِ . وَهُوَ ٱلَّذِي ٱسْتَخْرَجَ كِتَابَ أُقْلِيدُسَ وَأَمَرَ بِتَرْجَمَتِهِ وَتَفْصِيلِهِ . وَعَقَدَ ٱلْمَجَالِسَ فِي خِلَافَتِهِ لِلْمُنَاظَرَةِ فِي ٱلْأَدْيَانِ وَٱلْمَقَالَاتِ . وَكَانَ ٱلْمَأْمُونُ عَظِيمَ ٱلْعَفْوِ جَوَادًا بِٱلْمَالِ وَكَانَ يَقُولُ : لَوْ يَعْلَمُ ٱلنَّاسُ مَا أَجِدُ فِي ٱلْعَفْوِ مِنَ ٱللَّذَّةِ لَتَقَرَّبُوا إِلَيَّ بِٱلذُّنُوبِ وَكَانَ أَبْيَضَ مَلِيحَ ٱلْوَجْهِ مَرْبُوعًا طَوِيلَ ٱللِّحْيَةِ دَيِّنًا عَارِفًا بِٱلْعِلْمِ فِيهِ دَهَاءٌ وَسِيَاسَةٌ . وَفِي أَيَّامِهِ خَرَجَ عَلَيْهِ إِبْرٰهِيمُ بْنُ ٱلْمَهْدِيِّ عَمُّهُ فَبَايَعَهُ بَعْضُ بَنِي ٱلْعَبَّاسِ وَخَلَعُوا ٱلْمَأْمُونَ فَجَدَّ ٱلْمَأْمُونُ فِي ٱلْمَسِيرِ إِلَى بَغْدَادَ فَظَفِرَ بِإِبْرٰهِيمَ وَلَمْ يُؤَاخِذْهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ (*) . ثُمَّ صَفَا ٱلْمُلْكُ بَعْدَ ذٰلِكَ لِلْمَأْمُونِ وَسَكَنَتِ ٱلْفِتَنُ

(*) راجع الوجه ٢٣٦ من الجزء الرابع حيث أوردنا هذا الخبر

وَقَامَ ٱلْمَأْمُونُ بِأَعْبَاءِ ٱلْخِلَافَةِ وَتَدْبِيرِ ٱلْمَمْلَكَةِ قِيَامَ حُزَمَاءِ ٱلْمُلُوكِ وَفُضَلَائِهِمْ . ثُمَّ خَرَجَ إِلَى ٱلثَّغْرِ وَدَخَلَ بِلَادَ ٱلْجَزِيرَةِ وَٱلشَّامِ وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً طَوِيلَةً . ثُمَّ غَزَا ٱلرُّومَ وَفَتَحَ فُتُوحَاتٍ كَثِيرَةً وَأَبْلَى بَلَاءً حَسَنًا . وَتُوُفِّيَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ وَهُوَ ٱبْنُ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً . وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ عِشْرِينَ سَنَةً وَدُفِنَ بِطَرَسُوسَ

العلوم في زمانه

٣٢٠ قَالَ ٱلْقَاضِي صَاعِدُ بْنُ أَحْمَدَ ٱلْأَنْدَلُسِيُّ : إِنَّ ٱلْعَرَبَ فِي صَدْرِ ٱلْإِسْلَامِ لَمْ تُعْنَ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْعُلُومِ إِلَّا بِلُغَتِهَا وَمَعْرِفَةِ أَحْكَامِ شَرِيعَتِهَا حَاشَا صِنَاعَةَ ٱلطِّبِّ . فَإِنَّهَا كَانَتْ مَوْجُودَةً عِنْدَ أَفْرَادٍ مِنْهُمْ غَيْرَ مَنْكُورَةٍ عِنْدَ جَمَاهِيرِهِمْ لِحَاجَةِ ٱلنَّاسِ طُرًّا إِلَيْهَا . فَهٰذِهِ كَانَتْ حَالَ ٱلْعَرَبِ فِي ٱلدَّوْلَةِ ٱلْأُمَوِيَّةِ . فَلَمَّا أَدَالَ ٱللّٰهُ تَعَالَى لِلْهَاشِمِيَّةِ وَصَرَفَ ٱلْمُلْكَ إِلَيْهِمْ ثَابَتِ ٱلْهِمَمُ مِنْ غَفْلَتِهَا . وَهَبَّتِ ٱلْفِطَنُ مِنْ مِيتَتِهَا . فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عُنِيَ مِنْهُمْ بِٱلْعُلُومِ ٱلْخَلِيفَةُ ٱلثَّانِي أَبُو جَعْفَرٍ ٱلْمَنْصُورُ . وَكَانَ مَعَ بَرَاعَتِهِ فِي ٱلْفِقْهِ كَلِفًا فِي عِلْمِ ٱلْفَلْسَفَةِ وَخَاصَّةً فِي عِلْمِ ٱلنُّجُومِ . ثُمَّ لَمَّا أَفْضَتِ ٱلْخِلَافَةُ فِيهِمْ إِلَى ٱلْخَلِيفَةِ ٱلسَّابِعِ عَبْدِ ٱللّٰهِ ٱلْمَأْمُونِ بْنِ هَارُونَ ٱلرَّشِيدِ تَمَّمَ مَا بَدَأَ بِهِ جَدُّهُ ٱلْمَنْصُورُ فَأَقْبَلَ عَلَى طَلَبِ ٱلْعِلْمِ فِي مَوَاضِعِهِ . وَدَاخَلَ مُلُوكَ ٱلرُّومِ وَسَأَلَهُمْ صِلَتَهُ بِمَا لَدَيْهِمْ مِنْ كُتُبِ ٱلْفَلْسَفَةِ . فَبَعَثُوا إِلَيْهِ مِنْهَا مَا حَضَرَهُمْ . فَٱسْتَجَادَ لَهَا مَهَرَةَ ٱلتَّرَاجِمَةِ وَكَلَّفَهُمْ إِحْكَامَ تَرْجَمَتِهَا . فَتُرْجِمَتْ لَهُ عَلَى غَايَةِ مَا أَمْكَنَ ثُمَّ حَرَّضَ ٱلنَّاسَ عَلَى قِرَاءَتِهَا

ورغبهم في تعليمها. فكان يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرتهم ويلتذ بمذاكراتهم علماً منه بأن أهل العلم هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده. إنهم صرفوا عنايتهم إلى نيل فضائل النفس الناطقة وزهدوا فيما يرغب فيه الصين والترك. ومن نزع منزعهم من التنافس في دقة الصنائع العملية. والتباهي بأخلاق النفس والتفاخر بالقوى. إذ علموا أن البهائم تشركهم فيها وتفضلهم في كثير منها. فلهذا السبب كان أهل العلم مصابيح الدجى وسادة البشر وأوحشت الدنيا لفقدهم.

أخوه المعتصم بالله (٨٣٣–٨٤٢)

٣٢١ بويع يوم وفاة المأمون ولما بويع له تشغب الجند ونادوا باسم العباس بن المأمون فخرج إليهم العباس وقال لهم: قد بايعت عمي فسكنوا. وكان المعتصم سديد الرأي يحمل ألف رطل ويمشي بها. وانتشأ عامياً يكتب كتابة مغشوشة ويقرأ قراءة ضعيفة. وهو أول من أدخل الأتراك الدواوين وكان يتشبه بملوك الأعاجم. وبلغ غلمانه الأتراك ثمانية عشر ألفاً. وألبسهم أطواق الذهب والديباج. وكانوا يطردون الخيل في بغداد فضاقت بهم المدينة وتأذى بهم الناس. فبنى المعتصم مدينة سر من رأى بقرب بغداد وانتقل إليها سنة (٢٢٠هـ). وفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين خرج توفيل بن ميخائيل ملك الروم إلى بلاد المسلمين فأوقع بأهل زبطرة وعاد إلى ملطية وغيرها فاستباحها قتلاً وسبياً. فاستعظمه المعتصم ولما بلغه أن عمورية عين

النصرانية وهي أشرف عندهم من قسطنطينية وأنه لم يتعرض أحد إليها منذ كان الإسلام جهز إليها بما لا يماثله أحد من السلاح والآلة والعدد. وجرى بين المسلمين والروم عليها قتال شديد أفضى إلى فتح عمورية. فهدمت وأحرقت بعد أن حاصرها نحو شهرين فقتل من الروم ثلاثين ألفاً وأسر ثلاثين ألفاً. وفي سنة سبع وعشرين تغير المعتصم على الأفشين فأمر بقتله وتوفي المعتصم سنة ٢٢٧ وهو أغلظ الخلفاء الذين ألزموا الناس القول بخلق القرآن وجبر علماء الإسلام على ذلك وأذاقهم الهوان وامتحن بذلك أحمد بن حنبل (لأبي الفرج)

هارون الواثق (٨٤٢ — ٨٤٧) المتوكل على الله (٨٤٧ — ٨٦١)

٣٢٢ ثم ملك بعده ابنه هارون الواثق من أفاضل خلفائهم وكان لبيباً فطناً فصيحاً شاعراً. وكان يتشبه بالمأمون في حركاته وسكناته. ولما ولي الخلافة أحسن إلى بني عمه الطالبيين وبرهم. ولم يقع في أيامه من الفتوح الكبار والحوادث المشهورة ما يؤثر. وفي عهده غزا المسلمون في البحر جزيرة صقلية وفتحوا مدينة مسينة في عهد الملكة ثاودورا. وكانت ملكت بعد توفيل ملك الروم وابنها ميخائيل بن توفيل وهو صبي. ومات الواثق بداء الاستسقاء وكان عمره اثنتين وثلاثين سنة. وكان أبيض مليحاً يعلوه اصفرار حسن اللحية. ثم ولي بعده أخوه جعفر المتوكل على الله وبويع له بالخلافة بسر من رأى. وله من العمر ست وعشرون سنة. فعقد البيعة لبنيه الثلاثة بولاية العهد

وَهُمُ ٱلْمُنْتَصِرُ وَٱلْمُعْتَزُّ وَٱلْمُؤَيِّدُ. وَفِي ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ أَتَى ٱلرُّومُ إِلَى دِمْيَاطَ بِٱلْأَسَاطِيلِ فَأَحْرَقُوا وَسَبَوْا وَسَارُوا إِلَى مِصْرَ وَرَجَعُوا وَلَمْ يَعْرِضْ لَهُمْ أَحَدٌ. وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ كَثُرَ ٱلْمَمَالِيكُ ٱلْأَتْرَاكُ فِي بَغْدَادَ فَٱسْتَوْلَوْا عَلَى ٱلْمَمْلَكَةِ فَصَارَ بِيَدِهِمِ ٱلْحَلُّ وَٱلْعَقْدُ وَٱلْوِلَايَةُ وَٱلْعَزْلُ إِلَى أَنْ حَمَلَهُمُ ٱلطُّغْيَانُ عَلَى ٱلْعُدْوَانِ. وَسَطَوْا عَلَى ٱلْخَلِيفَةِ ٱلْمُتَوَكِّلِ وَكَانَ بَيْنَ ٱلْمُتَوَكِّلِ وَٱبْنِهِ ٱلْمُنْتَصِرِ مُبَايَنَةٌ. فَٱتَّفَقَ مَعَ بَاغِرَ قَائِدِهِمْ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فِي مَجْلِسِ أُنْسِهِ وَعِنْدَهُ ٱلْوَزِيرُ ٱلْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ فَصَاحَ ٱلْفَتْحُ: وَيْلَكُمْ هٰذَا سَيِّدُكُمْ. وَرَمَى بِنَفْسِهِ فَضَرَبَهُمَا بَاغِرُ فَمَاتَا جَمِيعًا

تتمّة أخبار الخلفاء العبّاسيين

المنتصر بالله (٨٦١) المستعين بالله (٨٦٢) المعتزّ بالله (٨٦٦)

٣٢٣ ثمّ خلفهُ ابنهُ المنتصر بالله ولم يتهنَّ بالخلافة لاستيلاء المماليك الأتراك على المملكة فدسّوا الى طبيبه ليسمَّهُ ففصدهُ بمبضعٍ مسموم فمات لستّة أشهرٍ من مبايعتهِ. ويحكى انهُ بات ليلةً في وعكهِ وانتبه فزِعًا وهو يبكي فسألتهُ أمّهُ: ما يُبكيك. قال: أفسدتُ ديني ودنياي رأيتُ أبي الساعة وهو يقول: قتلتني يا محمد لاجل الخلافة والله لاتتمتّع بها إلّا أيامًا ثمّ مصيرك الى النار. فاستمرَّ موهومًا من ذلك المنام فما عاش بعد ذلك الّا أيامًا قلائل. ثمّ ملك بعدهُ المستعين بالله وهو أحمد بن محمد بن المعتصم بايعهُ الامراء وأكابر المماليك ولم يولّوا أحدًا من وُلد المتوكل لئلا يُطالِب بدمهِ. وكانت تلك الأيام ايام فتنٍ وحروبٍ وخروج خوارج. واعلم ان المستعين كان مستضعفًا في رأيهِ وعقله وتدبيرهِ. وكانت ايامهُ شديدة الاضطراب ولم يكن فيهِ من الخصال المحمودة الّا انهُ كان كريمًا وهوبًا خُلِع في سنة اثنتين وخمسين ثمّ قُتِل بعد ذلك. وملك بعدهُ المعتزّ بالله وهو أبو عبد الله محمد بن المتوكل بُويع بالخلافة سنة اثنتين وخمسين ومائتين عقيب خلع المستعين وكان المعتزّ جميل الشخص حسن الصورة. ولم يكن بسيرتهِ ورأيهِ وعقلهِ بأسٌ الّا أنّ الأتراك كانوا قد استولوا منذ قتل المتوكل على المملكة. واستضعفوا الخلفاء فكان الخليفة في يدهم كالأسير ان شاءوا أبقوهُ وان شاءوا خلعوهُ وان شاءوا قتلوهُ. قيل انهُ لمّا جلس المعتزّ على سرير الخلافة قعد خواصّهُ واحضروا المنجمين وقالوا لهم: انظروا كم يعيش

وكم يبقى في الخلافة . وكان بالمجلس بعض الظرفاء فقال : انا أعرفُ من هؤلاء بمقدار عمرهِ وخلافتهِ . فقالوا له : فكم تقول انهُ يعيش وكم يملك . قال : مهما أراد الأتراك . فلم يبقَ في المجلس الّا مَن ضحك . وفي سنة خمسٍ وخمسين ومائتين صار الأتراك الى المعتزّ يطلبون أرزاقهم. فماطلهم بحقّهم . فلما رأوا انهُ لا يُحصل منهُ شيءٌ دخل اليهِ جماعة منهم فجرُّوا برجلهِ الى باب الحجرة وضربوهُ بالدبابيس . ثمَّ أدخلوهُ سرداباً وجصّصوا عليهِ فمات (للنهراولي)

المهتدي بالله (٨٦٩) المعتمد على الله (٨٧٠) المعتضد بالله (٨٩٢)

٣٢٤ ثمَّ ملك بعدهُ المهتدي بالله وهو أبو عبد الله محمد بن الواثق . كان المهتدي من أحسن الخلفاء مذهباً . وأجملهم طريقةً وسيرةً واظهرهم ورعاً واكثرهم عبادةً . كان يتشبَّه بعمر بن عبد العزيز ويقول : اني استحي ان يكون في بني أميَّة مثلهُ ولا يكون مثلهُ في بني العبَّاس . وكان يجلس للمظالم فيحكم حكماً يرتضيهِ الناس وكان يتقلَّل في ماكولهِ وملبوسهِ . وكان المهتدي قد اطَّرح الملاهي وحرَّم الغناء والشراب ومنع اصحابهُ من الظلم والتعدّي . وكان سبب موت المهتدي انهُ قتل بعض الموالي فشغب عليهِ الأتراك وهاجوا وأخذوهُ اسيرًا وعذّبوهُ ليخلع نفسهُ فلم يفعل فقتلوهُ وهو ابن سبعٍ وثلاثين سنةً . ثمَّ ملك بعدهُ المعتمد على الله وكان مستضعفاً وكان أخوهُ الموفَّق طلحة الناصر هو الغالب على أمورهِ . فللمعتمد الخطبة والسكَّة والتسمّي بامير المؤمنين ولأخيهِ طلحة الأمر والنهي وقود العساكر ومحاربة الأعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والامراء . وكان المعتمد مشغولاً عن ذلك بلذَّاتهِ . وفي أيامهِ خرج أحمد ابن طولون وظفر بحلب وانطاكية وبقيَّة العواصم واستقلَّ بمصر وأخذ خراجها وكانت يومئذٍ عامرة آهلة . ثمَّ توفّي المعتمد وكان اسمر ربعة رقيقاً مدوَّر الوجه مليح العينين صغير اللحية اسرع اليهِ الشيب منهمكاً على اللهو والمسكرات . ثم ملك بعدهُ المعتضد بن الموفَّق وكان شهماً عاقلاً فاضلاً حمدت سيرتهُ ولي والدنيا خراب والثغور مهملة.فقام قياماً مرضياً حتى عمرت مملكتهُ وكثرت الاموال وضُبِطت الثغور. وكان قويَّ السياسة شديدًا على أهل الفساد حاسماً لموادّ الطماع عساكرهِ عن أذى الرعيَّة . وكانت ايامهُ ايام فتوق وخوارج كثيرين منهم عمرو بن الليث الصفَّار . كان قد عظم شانهُ وفخم أمرهُ واستولى على اكثر بلاد العجم . فآلت عاقبتهُ الى القيد والاسر والذلّ . فقام المعتضد في إصلاح المتشعّب من مملكتهِ والعدل في رعيَّتهِ حتى مات . وكان المعتضد سار الى الموصل قاصدًا للاعراب والاكراد فاوقع بهم وقتل منهم وخرج الى الجزيرة يريد قلعة ماردين وكانت لحمدان فهدمها وظفر بحمدان ملكها . ومات سنة (٢٨٩) (للفخري)

المكتفي بالله (٩٠٢) المقتدر بالله (٩٠٨) القاهر بالله (٩٣٢)

٣٢٥ أخذ للمكتفي أبوهُ البيعة قبل موتهِ بثلاثة أيَّام . وكان المكتفي من أفاضل الخلفاء وسيماً جميلاً بديع الحسن دُرّيَّ اللون معتدل الطول وكان حسن العقيدة كارهاً لسفك الدماء.

وفي ايامهِ ظهر القرامطة وهم قوم من الخوارج خرجوا وقطعوا الدرب على الحاجّ واستأصلوا شأفتهم وقتلوا فيهم مقتلةً عظيمةً . وسرّح المكتفي اليهم جيوشاً كثيرة فاوقع بهم وقتل بعض زعمائهم . وكانت خلافة المكتفي ستّ سنين . فانقصف غصن شبابهِ القشيب . ويبس عود جمالهِ النضر الرطيب . فانتقل من دار الفناء الى دار الجزاء والبقاء . ثم قام بالامر بعده أخوهُ أبو الفضل جعفر المقتدر بويع لهُ يوم وفاة أخيهِ وهو ابن ثلاث عشرة سنة . وضعف دست الخلافة في ايامهِ . وكان المقتدر سمحاً كثير الانفاق وولي الخلافة ثلاث مرات فتغلّب الجند عليهِ واتّفقوا على خلعهِ وعقدوا البيعة لأبي العباس بن المعتز . وكان ابن المعتز اكثر العباسيين فضلاً وأدباً ومعرفة موسيقى وأشعر الشعراء مطلقاً في التشبيهات المبتكرة الغريبة للرقصة التي لا يشقّ غبارهُ فيها أحد . فارسل المقتدر وقبض على ابن المعتز وقتلهُ في حبسهِ واستقام الأمر للمقتدر بعد الاضمحلال ولاح بدر فلاحهِ بعد الزوال وهذه ولايتهُ الثانية . ثم جرت بين المقتدر وبين مؤنس المظفر امير الجيوش منافرة ادّت الى خلع المقتدر ومبايعة اخيهِ القاهر . ثم أُعيد المقتدر ثالثةً وحملهُ الجنود على أعناقهم الى دار الخلافة فجلس على السرير وصفح عن أخيهِ القاهر . ثم وقع بينهُ وبين مؤنس حرب فتوغّل المقتدر في المعركة فضربهُ واحد من البربر فسقط الى الارض فقال لضاربهِ : ويحك انا الخليفة . فقال لهُ : انت المطلوب وذبحهُ بالسيف . وفي ايامهِ نبغت الدولة الفاطميّة بالمغرب . وولي أخوهُ القاهر بالله مكانهُ فما لبث ان قُهر القاهر المذكور وسُملت عيناهُ فجعل يستعطي في شوارع بغداد (للدميري)

الراضي بالله (٩٣٤) المتقي بالله (٩٤٠) المستكفي بالله (٩٤٤) المطيع لله (٩٤٦)

٣٢٦ وعقبهُ في الخلافة أبو العباس بن المقتدر ولقّبوهُ الراضي بالله . وفي ايامهِ ضعف امر الخلافة العباسيّة فكانت فارس في يد ابن بويه . والموصل وديار بكر في يد بني حمدان . ومصر والشام في يد الفاطميين . والأندلس في يد عبد الرحمان الاموي . فلم يبقَ في يد الراضي سوى بغداد وما والاها . فبطلت دواوين المملكة ونقص قدر الخلافة وعمّ الخراب . ثم تولى بعدهُ ابو اسحاق أخوهُ ولُقّب المتقي بالله لم يكن لهُ من السيرة ما يُؤثَر وقبض عليهِ توزون التركي وسمل عينيهِ سنة (٣٣٣) . وبُويع بعدهُ لابن عمّهِ المستكفي بالله واستمر في خلافتهِ سنة واحدة وأمسكهُ من أمرائهِ معزّ الدولة بن بويه فسمل عينيهِ وضمّهُ الى المتقي بالله والقاهر بالله فصاروا ثلاثة اثافيّ العمى . وولي الخلافة بعدهُ ابن عمّهِ المطيع لله سنة (٣٣٤) . وفي ايامهِ قويت شوكة آل بويه وتم امرهُ على ضعف الخلافة وطالت ايامهُ الى ان خلع نفسهُ

الطائع لله (٩٧٤) القادر بالله (٩٩١) القائم بامر الله (١٠٣١)

٣٢٧ وبويع لولدهِ عبد الكريم في سنة (٣٦٣) . ولُقّب الطائع لله وكان مغلوباً عليهِ من قبل أمرائهِ . وما كان لهُ الّا العظمة الظاهرة . وكان شديد القوّة في خلقهِ حدّة كريماً شجاعاً

بطلاً جواداً سمحاً الّا ان يدهُ كانت قصيرة مع ملوك بني بويه. فقبضوا عليهِ وبايعوا أبا العبّاس احمد القادر بالله (٣٨١). وكان حسن الطريقة والسمت كثير الخير والدين والمعروف. وفي ايامهِ تراجع وقار الدولة العبّاسيّة ونمى رونقها وأخذت أُمورها في القوّة. ومكث القادر في الخلافة مدّة طويلة حتى أنافت خلافتهُ على احدى وأربعين سنة. وولي بعده بعهدٍ منهُ ولدهُ أبو جعفر ولُقب القائم بأمر الله وكان خيّراً ديّناً باهر الفضل الّا انهُ مغلوب بيد أمرائهِ وطالت مدّتهُ مع ذلك. وفي أيامهِ انقرضت دولة بني بويه وظهرت الدولة السلجوقيّة

المقتدي بالله (١٠٧٥) المستظهر بالله (١٠٩٤) المسترشد بالله (١١١٨)

٣٢٨ وتولى بعده بعهدٍ منهُ حفيدهُ أبو القاسم ولُقب المقتدي بالله. وكان من نجباء بني عبّاس ديّناً. ومن جملة صلاحهِ ان السلطان ملكشاه من آل سبكتكين قصد ان يظهر الحنف والحيف على الخليفة المذكور فارسل اليهِ يقول لهُ: اخرج من بغداد. فتلطّف بهِ المقتدي فأبى فاستمهلهُ عشرة أيام فامهلهُ. فصار الخليفة يصوم ويتضرّع الى الله فنفذ دعاؤهُ وهو مظلوم. فهلك السلطان ملكشاه قبل مضي عشرة أيام وعُدّت هذه كرامةً للخليفة المقتدي. وكانت وفاتهُ سنة (٤٨٧) فجأةً. وتولى بعده ابنهُ أبو العبّاس ولُقب المستظهر بالله وكان كريم الأخلاق سهل العريكة مهذّب الخلال. وكان قد غلب عليهِ ملوك آل سلجوق. ثمّ خلفهُ ابنهُ أبو منصور ولُقب المسترشد بالله. وكان شجاعاً ديّناً مقداماً ذا رأي وهمّة عالية فاحيا مجد بني عبّاس. وخرج الى قتال السلطان مسعود السلجوقي فاستظهر عليهِ وقتل المسترشد غيلةً (لابي الفرج)

الراشد (١١٣٥) المقتفي لامر الله (١١٣٦) المستنجد بالله (١١٦٠)

٣٢٩ ثم قام بالأمر بعده ابنهُ الراشد ولم تطل مدّة خلافتهِ فجهّز عسكراً كثيفاً لمحاربة مسعود فدخل السلطان بغداد واستبدّ بتدبير الامور وخلع الراشد وولّى عمّهُ أبا عبد الله ولقّبهُ المقتفي لامر الله وكان عالماً دمث الأخلاق خليقاً بالامارة كامل السؤدد بيده أزمّة الامور كان لا يجري في خلافتهِ أمرٌ وان صغر الّا بتوقيعهِ. وجرت في أيامهِ فتن وحروب بينهُ وبين سلاطين العجم كانت الغلبة فيها لهُ. وثار في أيامهِ العيّارون والمفسدون فنهض بقمعهم أتمّ نهوض. ثم عقبهُ ابنهُ المستنجد وكان شهماً عارفاً بالامور أزال المكوس والمظالم. وفي ايامهِ ضعفت دولة الفاطميين في مصر. وخنق المستنجد في الحمّام اكابرُ دولتهِ عقيب مرضة صعبة

المستضيء بالله (١١٧٠) الناصر لدين الله (١١٨٠) الظاهر بالله (١٢٢٥)

٣٣٠ وتولّى بعده ابنهُ أبو محمد ولُقب المستضيء بالله. وكان حسن السيرة كريم النفس وكثر ثناء الخلق عليهِ لكنهُ لم يكن بسيرتهِ بأس. ثم ملك بعده ابنهُ الناصر لدين الله وكان الناصر من أفاضل الخلفاء وأعيانهم. بصيراً بالامور متوقد الذكاء والفطنة. وطالت مدّتهُ وصفا لهُ الملك واحبّ مباشرة أحوال الرعيّة حتى كان يتمشّى في الليل في دروب بغداد ليعرف

أخبار الرعيّة وما يدور بينهم . وفي أيامهِ كان ظهور صلاح الدين واستيلاؤهُ على مصر واستخلاصهُ بيت المقدس من أيدي النصارى الافرنج وازالةُ دولة الفاطميين . وتولى مكانهُ بعد موتهِ ابنهُ محمد الظاهر بامر الله ولم تطُل أيامهُ ولم يجرِ فيها ما يُسطر لكنهُ اظهر العدل والاحسان . قيل انهُ فرّق ليلة عيد النحر على الفقراء مائة الف دينار . فلامهُ الوزير على ذلك فقال : دعني أفعل الخير فاني لا أدري كم أعيش فلم يلبث ان توفّاهُ الله واثابهُ على عملهِ الصالح

المستنصر بالله (١٢٢٦) المستعصم بالله (١٢٤٢) انتهاء الخلافة (١٢٥٨)

٣٣١ وتولى بعدهُ ولدهُ أبو جعفر ولُقِّب المستنصر بالله كان المستنصر شهمًا جوادًا يباري الريح كرمًا وجودًا . وكانت هباتهُ وعطاياهُ اشهر من أن يُدلّ عليها وأعظم من ان تُحصَى . ولهُ الآثار الجليلة منها (وهي أعظمها) المستنصريّة وهي أعظم من ان توصف وشهرتها تغني عن وصفها. وكان المستنصر يقول : اني اخاف ان الله لا يثيبني على ما اهبهُ وأُعطيهِ لان الله تعالى يقول : لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون وأنا والله لا فرق عندي بين التراب والذهب . وكانت ايامهُ طيّبة والدنيا في زمانهِ ساكنة والخيرات والاعمال عامرة . وفي أيامهِ فتحت إِربل ومات المستنصر في سنة اربعين وستمائة . وسلم على ابنهِ المستعصم بالله بالخلافة وهو آخر الخلفاء العباسيّين وكانت مدّة دولتهم خمسمائة وأربعًا وعشرين سنة . وكان المستعصم بالله مستضعف الراي قليل الخبرة واهي العزيمة . وكان وزيره ابن العلقمي عدوًّا لهُ يداريهِ في الظاهر وينافقهُ في الباطن . وكان تدبيرهُ على ازالة الخلافة من بني العبّاس . فاذن للجند بالتفرّق والذهاب أين شاءوا . وعظم الهرج ببغداد . ووقعت الفتن فصار ابن العلقمي يكاتب هولاكو ملك التتر ويحثّهُ لقصد بغداد ويخبرهُ عن صورة أخذها وضعف الخليفة وانحلال العسكر . فزحف هولاكو بعسكر جرّار الى بغداد والمعتصم ومن معهُ في غفلة عنهُ لاخفاء ابن العلقمي عنهُ سائر الأخبار. الى ان وصل الى بلاد العراق واستأصل مَن بها قتلًا وأسرًا . وتوجّه الى بغداد وأرسل الى الخليفة يطلبهُ اليهِ فاستيقظ الخليفة من نوم الغرور . وندم على غفلتهِ حيث لا ينفعهُ الندم . وجمع مَن قدر عليهِ وبرز لقتالهِ باربعين الف مقاتل . فثبتوا مع تراقيهم على حدّ السيوف من اقبال الفجر الى ادبار النهار الى ان عجزوا عن الاصطبار وولّوا الأدبار بالإدبار . وأعقبهم التتار . ووضعوا السيف فيهم. وقتلوا من المسلمين في ثلاثة أيام ما يُنيف على ثلاثمائة وسبعين الف نفس . وسبوا ورموا كتب مدارس بغداد في نهر دجلة فكانت لكثرتها جسرًا يمرّون عليهِ ركابًا ومشاة . وكانت هذه الفتنة من أعظم مصائب الاسلام . وأخذوا المستعصم وأولادهُ وجماعتهُ وأتوا بهِ الى هولاكو فاستبقاهُ اياما الى ان استصفى أموالهُ ودفائنهُ . ثم رمى رقاب أولادهِ وأتباعهِ وأمر ان يوضع الخليفة في غرارة ويرفس بالارجل الى ان يموت ففعل بهِ ذلك سنة (١٢٥٨م) وانقطعت خلافة بني العبّاس وهم سبعة وثلاثون خليفة اوّلهم السفّاح وآخرهم المستعصم (للنهرولي)

تمّ بحولهِ تعالى

فهرس الجزء الخامس من كتاب مجاني الادب

تمّ طبع هذا الكتاب في المطبعة
الكاثوليكية، بيروت، في الرابع
عشر من شهر شباط سنة ١٩٥٧

٣٥٩٨ / ١٤ - ٢ - ٥٧